

كِلْمَلُ الْبَهَائِي

تَأْلِيفُ

الْحَسَنِ بْنِ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَى الْحَسَنِ الطَّبَرِيِّ

الْمَشْهُورُ بِ(عَمَادُ الدِّينِ الطَّبَرِيِّ)

مِنْ شَلَّةِ الْقَرْنِ الْتَّالِقِ الْجَرِيِّ

لِبِرْزِ الْدَّمَنِ

تَعْرِيفُ وَتَحْقِيقُ
مُحَمَّدِ شَعَاعِ فَنَاجِهَرِ



كامل البهائی

الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الطبری

المشهور بـ (عماد الدين الطبری)

من علماء القرن السابع الهجري

الجزء الثاني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ردمك الجزء الثاني : ٢ - ٠٧٢ - ٥٠٣ - ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 072 - 2

ردمك مشترك : ٩٦٤ - ٠٧٣ - ٥٠٣ - ٩٦٤

ISBN : 964 - 503 - 073 - 0

الكتاب : كامل البهاني - ج ٢

المؤلف : الشيخ عماد الدين الطبرى

الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية

عدد المطبع : ٢٠٠٠ نسخة جلد ٢

سنة الطبع : ١٣٨٤ - ١٤٢٦ هـ

الطبعة : الأولى

عدد الصفحات : ٣٨٠ صفحة وزيري

المطبعة : شريعت

السعر : ٨٠٠ تومان سعر الدورة الواحدة



الباب الثاني عشر

في فدك

قال مولانا زين العابدين عليه السلام : كانت أم أمين تذمّ أبا بكر لما ردّ شهادتها ، وقالت : والله ما أنطق لسانِي بذمك حتى سمعت أذني ذم رسول الله لك .

قال أبي بن كعب : فاطمة عندي صديقة (صادقة - المترجم) في فدك ، والشيعة على هذا المذهب بأنّ فدكاً حقّ فاطمة ، وأبوبكر اغتصبها منها بالقهر والظلم ، وزعم أنها من أموال الصدقة وكانت طعمة لفاطمة وهي في يدها على هذا النحو . والعجب ممّن يدعى الإسلام ثم يشب على طعمة أطعهما رسول الله ابنته فيسلبها منها بعد وفاته . زهـ زهـ لهذا الخليفة ومع ذلك يدعى بأنـ النبيـ قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، فلم يصدقه واحد من الرواة في هذا الحديث ، والنبيـ لم يقل هكذا ، لا لعترته ولا لأمتـه ..

وإنـ لمـ حـضـ جـهـلـ منـ قـائـلهـ أـنـ تـصـرـفـ الزـهـراءـ بـفـدـكـ يـحـلـ يـوـمـأـ وـيـحـرمـ يـوـمـأـ ، وـأـنـ النـبـيـ لاـ يـيـزـ بـيـنـ الـحـرـامـ وـالـحـلـالـ ، وـيـطـعـ آـلـ الـحـرـامـ لـاسـيـمـ الـأـلـادـ وـالـأـعـزـةـ والأوصياءـ ، حـاشـاـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ مـنـ ذـلـكـ وـحـاشـاـ مـائـةـ أـلـفـ مـرـةـ . وـطـلـبـ الـبـيـتـةـ مـنـ الـزـهـراءـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـهـوـ حـقـهـاـ خـلـافـاـ لـمـ أـجـمـعـ عـلـيـهـ الـمـسـلـمـونـ مـنـ عـدـمـ

طلب البيتة من صاحب اليد لأنها أمارة الملكية، وكانت البيتة على أبي بكر لأنَّه المدعى ومع هذا فقد جاءت فاطمة عليها السلام بأمِّ أئمَّةِ أئمَّةٍ التي بشرَها رسول الله بالجنة، فرَدَ أبو بكر شهادتها قائلاً: إنَّها امرأةٌ من العجم لا تفصح، كما ردَّ شهادة عليٍّ والحسن والحسين عليهم السلام قائلاً: إنَّهم يجرُون النار إلى أقراصهم، على أنَّهم عليهم السلام لم تقتدْ أيدِيهِم إلى هذا النفع مدةً ملِكُهم ليثبتو للناس كذبَّ ادعَاءِ الخليفة، وأنَّ الغرض من شهادتهم يوم ذاك لم يكن مجرد النفع، بل الغرض الأساسي هو امتثال أمر الله سبحانه وحده: **﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾**^(١)، وعلى ممَّن قال في حقِّه رسول الله عليه السلام: علىَّ مع الحقِّ والحقَّ مع عليٍّ يدور معه حيث ما دار، وهو رجلٌ من أهل الجنة، ورجلٌ هذه صفتَه كما قال رسول الله عليه السلام كيف يقيم الشهادة كذباً وزوراً؟!

فتَأذَّتْ فاطمة عليها السلام وأقسمت أن لا تكلِّمه إلى أن تموت، وأوصَتْ أن لا يحضرُوا جنازَتها، وأن تُدفَن سرَاً، وفعلَ أمير المؤمنين بما أوصَته ولكنَّ عمرَ بحثَ عن قبرها ليخرجها ويصلِّي عليها ولكنَّ اللهَ أخْفَى القبر عنه.

وأجمعَتْ كُلُّ الْقَوْمِ على أنَّ النَّبِيَّ قال لفاطمة عليها السلام: فاطمة بضعةٍ مُنْتَهِيَّةٍ؛ من آذَاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، وقال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذَنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعْذَلُهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذَنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ اخْتَلَوْا بِهُنَّا نَوْا إِشْمَامُهُنَّا﴾**^(٢).

عن صادق آل محمد عليه السلام: إنَّ فاطمة كانت تطرق بيوت المهاجرين والأنصار ليلاً وهي مريضة فلم يسعفها أحدٌ منهم، فتألمتْ من خذلانهم إلى أن قبضت سلام الله عليها. وحرَمَ الناس من زيارة قبرها لظلمهم لها ورضاهم بظلمها.

(١) الطلاق: ٢.

(٢) الأحزاب: ٥٧ و ٥٨.

سؤال:

لائل أن يقول: لعلها أوصت أن تُدفن ليلاً مبالغة في الحجاب عن أعين الناس منها لا لسبب غضبها على القوم.

الجواب:

لو كان الأمر كما تقدم لبقي قبرها ظاهراً معلوماً وليس خفياً مستوراً، والقوم لم يحضرروا الصلاة على جنازة أبيها فما بالك بجنازتها.

كان أبوبيكر ذات يوم يحاور أمير المؤمنين بشأن فدك والإمام يردد عليه، فقال له فيما قال: إنّ البيضة عليك لا على فاطمة لأنك أنت المدعى دونها، وفي أثناء كلامه قال له: يا أبا بكر، لو شهد شاهد عدل على فاطمة بالـ.....^(١) أكنت تقيم عليها الحد؟ فقال أبوبيكر: نعم أفعل !! فقال أمير المؤمنين: إذن والله تخرج من دين الله ودين رسوله. وقال أمير المؤمنين: لأنك كذبت الله ورسوله وصدق الناس؛ لأنّ الله قال في حقها وأهل بيته: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِيَدِهِ عَنْكُمُ الرَّجُسُ أَهْلُ النَّبِيِّ وَيُطَهَّرُكُمْ تَطْهِيرًا»^(٢) فقد شهد الله بعصمتها وفاطمة في هذه الآية معصومة ببناءً على قول الله تعالى، فكيف يصح ارتکابها ... وأنت تسقط شهادة الله وتقبل شهادة عبد المضاد لشهادته، وحينئذٍ كيف تدعى المعصومة الباطل، وتطلب الصدقة المحرمة عليها؟!

وما قاله لعلي عليه يصدق عليه، لأنّه قال: ما شهد على إلا ليجرّ النار إلى قرمه أي توخيًّا لطلب المنفعة، والحديث الذي افتراء أبوبيكر لم يكن إلا لطلب المنفعة.

(١) ما أغثّ هذا المؤلف وما أسمجه! أيجوز له أن يطلق هذه الكلمة المتناهية بعد عن الأدب في حق بضعة الرسول والمعروف في الرواية أنه قال: سرقت، فكيف ملك المؤلف الجرأة فكتبها في كتابه، وليس على إلا أن استغفر الله له ما دامت حيّا.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

لأنه مالك للصدقة ولبيت المال، والدليل على ذلك أنه لما هلك كان في ذمته لبيت المال عشرون ألف دينار، ومن شهد له أو أعانه من المهاجرين والأنصار وأيتامها أو من صدقه منهم فإنما الغرض من ذلك جلب النفع وتحصيل الفوائد، إذن يرد حديثه عليه.

وأما الحديث «نحن أهل بيت لا يحل لنا الصدقة» فإنه عام مشهور بين الناس كافة، وخمس أهل البيت والإنفال لم تقتصر معرفته على الحديث فحسب بل القرآن نصّ على ذلك ولا يدلّ الحديث وحده على حرمة الصدقة على أهل البيت. وجده آخر:

إنّ واضح خبر «نحن معاشر الأنبياء لا نورث..» إلى آخره، جاهم لا يعلم شيئاً من العلم، والقرآن يكذب الخبر بقوله تعالى: **(«وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ دَاؤَدَ»)**^(١) وقال الله تعالى عن زكريّا: **(«قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظَمَ مِنِّي وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَّ رَبِّ شَقِيقًا وَإِنِّي خَفَثَ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْتُ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَّاً بِرِثْنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِيَّ يَعْقُوبَ»)**^(٢) وبما أنّ الرجل يفترى بالكذب فعليه أن يقرأ القرآن أولًا لثلا يأتي بمناقض له، وكان عليه أن يروي حديثه الموضوع بالصيغة التالية: أنا من بين الأنبياء لا أورث، وما أخالف يكون صدقة على المسلمين. ولا يكذب على رسول الله لأجل فدك وغضبها من الزهراء عليها السلام، ولا ينافق كتاب الله، وكان المسكين الراوي المفترى جاهلاً بالقرآن وتعلم الإعراب وبالقيامة وبالجنة والنار. سؤال:

وماذا عما يقال من أن سليمان ورث من داود النبوة؟

(١) النمل: ١٦.

(٢) مريم: ٦-٤.

الجواب :

كان سليمان نبياً وأبواه على قيد الحياة مضافاً إلى أنّ النبوة لا تورث بل لا تكون إلا بالوحي من الله وبالعصمة ولو كانت النبوة تورث لكان أولاد الأنبياء جميعهم أنبياء بالمشاركة كأولاد آدم ونوح وإبراهيم ويعقوب وموسى، ومن أولاد الأنبياء اليهود وهم باقون إلى اليوم فينبغي أن يكونوا أنبياء بوراثتهم النبوة من أبيهم، ولما توفي النبي ﷺ ورث نسائه بيته وسكن فيها وأخذ أمير المؤمنين ثياب النبي ودراعته وعمامته وأمثالها وورثها أولاده من بعده فلم ينزعهم على ذلك أحد ولم يقل أحد بأنّها صدقة؛ لا البيوت ولا غيرها.

ووقدت بردة الرسول إلى بنى العباس إلى زمن المقتدر كما جاءت الرواية بذلك، فلو كانت هذه البردة صدقة على المسلمين والصدقة حرام على العباسيين فلو لم تكن ميراثاً وكان ميراثه صدقة فكيف ساغ لأئمّة أهل السنة والجماعة أن يحتفظوا بالحرام لأنفسهم هذه السنين الطويلة وقد قال رسول الله ﷺ : «من بدّل دين الله فاقتلوه»، فيكون على هذا أنّ الخلفاء جمِيعاً كُفاراً ودمهم مباح وقتلهم جائز، وكيف يقول مسلم بهذا؟! فظاهر مما تقدم أنّ رسول الله يورث كسائر الأئمّة.

سؤال :

لو قال قائل بأنّ رسول الله ﷺ أعطى تلك الأشياء لعليّ في حياته.

جواب :

ونحن نقول أيضاً أنه أعطى فدكاً لفاطمة في حياته، ولو كان أعطاها لها بعد وفاته فإنّها تحسب بحساب الصدقة بناءً على ما أدعاه أبو بكر، على أنّ العباس والزهراء ﷺ احتملا إلى القضاء فحكم لهما بخلافات رسول الله ﷺ ، فكيف ينبعض الحكم فيكون هنا إرثاً وفي مسألة فدك صدقة. وهذا عين التناقض. ويكون النبي ﷺ (وحاشاه) خان عترته لأنّه بلغ أمتها وما بلغهم أو أنه قال لهم

ولكتهم أبوه وهذا شاهد على كفرهم - وحاشاهم - وقد أجمعت الأئمة على أنها من أهل الجنة بنص من الله ورسوله ، ولو لم يبلغ النبي ﷺ لا العترة ولا الأئمة لكان قد أوقع الفتنة بين الناس وحاشاه من ذلك مع أنه لم يؤثر عن أحد من الصحابة أو الخلفاء الإنكار على العباس أو عليّ في طلبها إرث رسول الله ؛ لأنّ النبي ﷺ بزعم الأول لا يورث .

الفصل الأول

في رد عمر بن عبدالعزيز فدكاً إلى محمد بن علي الباصر

اعلم أنَّ أبا بكر بعد وفاة النبي ﷺ أخذ فدكاً من فاطمة عليها السلام بمساعدة عمر بن الخطاب ، ولقد روى علماء النواصب عن عتبة وأبي سعيد الخدري أنها قالا : سمعنا رسول الله ﷺ أنه قال لما نزلت آية «وَاتِّذَا قُرْبَنِي حَقْهُ»^(١) : يا فاطمة ، لك فدك . وردًا دعوى فاطمة ولم يقبل كلامها مع أنَّ القرآن شاهد بعصمتها وطهارتها ، وشهد لها عليّ والحسنان وأمُّ أمين ، ولم يقبلوا شهادتهم ، وظلت هذه المسألة ستة بين أتباعها ودخلت ظلامتها معها قبرها .

وقالا لفاطمة عليها السلام : «أُمُّ أمين مولاتك ومولاة أمك» .

قال الواقدي - وهو من كبار علماء النواصب - عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر يقول : لما توفي رسول الله خرجت أنا وأبوبكر وعليّ بن أبي طالب وهو في بيت فاطمة وعنده المهاجرون ، قال عمر : فقلت : يا علي ، ماذا تقول ؟ قال : أقول خيراً ، نحن أولى برسول الله وما ترك . قلت : والذي يخiper ؟ قال : نعم ، قلت : والذي بفدرك ؟ قال : نعم ، قلت : كلاً والذي نفسي بيده حتى تحزّن وارقانا بالمناشير .

(١) الإسراء : ٢٦

يريد بخبير أرضاً تدعى العوالى وهي حق لفاطمة عليها السلام، وهذا الحديث يدلّ على أنَّ نيتهم مبيتة لقصد آل رسول الله بالشرّ والقتل وغصب الحقوق.

وعرف عمر بن عبد العزيز حقَّ أهل بيت النبيِّ أكثر من أبي بكر وعمر لأنَّهما ظلماهما وهو أجرى العدل فيهم وردَّ فدكاً على الإمام الباقي عليه السلام، وهما آذيا النبيَّ وهو دفع عنهم الأذى، فقال له الناس : طعنت على الشيختين ، قال : هما طعنا على أنفسهما .

روى أبو صالح (النافى عن يحيى بن عبد الحميد الحنفى عن شريك) عن هشام ابن معاذ ، قال : كنت جليسًا لعمر بن عبد العزيز حيث دخل المدينة فأمر مناديه فنادى : من كانت له مظلمة أو ظلامة فليأت الباب ، فأتاه محمد بن عليٍّ الباقي عليه السلام فدخل إليه مولاه مزاحم ، فقال : إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلَىٰ بِالْبَابِ ، فقال له : أدخله يا مزاحم ، قال : فدخل وعمر يسح عينيه من الدموع ، فقال له محمد بن عليٍّ : ما أبكاك يا عمر ؟ فقال هشام : أبكاه كذا وكذا يابن رسول الله .

قال محمد بن عليٍّ : يا عمر ، إِنَّ الدُّنْيَا سُوقٌ مِنَ الْأَسْوَاقِ ، منها خرج قوم بما ينفعهم ومنها خرجوا بما يضرّهم ، وكم من قوم قد ضرّهم بمثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبوا فخرجو من الدنيا ملومين لما ملأوا من أخذوا مما أحبتوا من الآخرة عُذْةً ولا حُمَّاً كرها جُنَاحَةً ، قسم ما جعوا من لا يحمد لهم ، وصاروا إلى من لا يعذر لهم ، فنحن والله عزٌّ وجلٌّ محققون أن ننظر إلى تلك الأعمال التي كنا نبغطهم بها فنوافقهم فيها وننظر إلى تلك الأعمال التي كنا نتخوّف عليهم منها فنكف عنها ، فاتّق الله واجعل في قلبك اثنين : تنظر الذي تحت أن يكون معك إذا قدمت على ربّك فابتغ فيه البدل ، ولا تذهب إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تخوز عنك ، فاتّق الله عزٌّ وجلٌّ (يا عمر) وافتح الأبواب وسهل الحجاب وانظر

المظلوم ورُدّ الظالم^(١).

فدعى عمر بدوابة وقرطاس وكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما ردّ عمر بن عبد العزيز ظلامة محمد بن عليٍّ - الباقي - فدك^(٢) . واعترف أنَّ الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان (العنم الله) ظلموا فاطمة^(٣) .

والعجب كُلُّ العجب منها حين فرضاً لابنتيهما اثني عشر ألف درهم يستوفيانها من بيت المال عاماً بعام ، ومنعوا ابنة رسول الله ميراثها ، ولما آتَ الحُكْمَ إِلَى عُثْمَانَ (عنه الله) حسِبَاً أَنَّ العادَةَ جارِيَةً كَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْحَالُ زَمْنَ أَبِيهِنَّا وَلَكِنَّهُ أَبِي إِبَاءَ شَدِيداً ، فَأَلْحَى عَلَيْهِ وَبِالْغَا بِالإِلْحَاحِ فَلَمْ يَتَأْثِرْ عُثْمَانَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : لَا وَاللهِ وَلَا كِرَامَةَ ، مَا ذَاكَ لِكَا عِنْدِي ، وَقَالَ : أَسْتَأْتِنُ الَّتِينَ شَهَدُوكُمَا بِالْكَذْبِ عَنْ أَبِيكُمَا وَلِفَقْتِكُمَا مَعَكُمَا أَعْرَابِيَاً يَتَطَهَّرُ بِبُولِهِ - وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَوْسٍ بْنُ الْحَرَثَانَ - فَشَهَدُوكُمَا أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ : لَا نُورَتْ مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً . وَعَجِيبٌ أَمْرُهُمَا حِينَ زَعَمُوا يَوْمًا أَنَّ النَّبِيَّ لَا يُورِثُ وَجَاءُ أَيَّوْمًا آخَرَ يَطْلَبُانِ بِعِرَاهِهِ .

وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُؤْرِخِينَ : إِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَارَضُوا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِرَدَّهِ فَدَكَأُ وَقَالُوا : سَقَهُتْ رَأْيُ الشِّيَخِينَ وَفَضَحَتْهُمَا وَهَذَا الْأَمْرُ لِيُسَمِّي إِلَيْكُمَا لِأَنَّ الْأُمَّةَ بِأَجْمِعِهَا تَلَقَّتْ عَمَلَهُمَا بِالْقَبُولِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَمْسِكُ الْأَصْلَ وَأَعْطِيُ الْمُرَثَةَ مُحَمَّداً الْبَاقِرَ ، فَرَضَى الْكَوْفِيُونَ بِهَذَا الْقَدْرِ^(٤) .

قَالَ جَيْلَيْنَ بْنَ دَرَاجَ : جَاءَ عَلَيْهِ وَالْعَبَاسَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَطْلَبُانِ مِيرَاثَهُمَا مِنْ

(١) الخصال للصدقون: ١٠٤، المسترشد: ٥٠٦، البحار: ٤٦: ٣٢٦ و ٧٥: ١٨١، نور الثقلين: ٤: ٣٦٠ .
(٢) الخصال: ١٤٠.

(٣) المشهور أنَّ المُعْتَرِضِينَ هُم بَنُو أُمَّيَّةَ ، أَمَّا أَهْلُ الْكُوفَةِ فَقَوْمٌ مَعْرُوفُونَ بِولَانِهِمْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَبِغَضْبِهِمْ لِبَنِي أُمَّيَّةَ ، وَالقَرِيبةُ الْحَالِيَّةُ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ ، إِذَا كَيْفَ يُسْكِتُ أَهْلُ الشَّامِ عَنْ عَمَرٍ وَيَنْقُمُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ مِنْ بَيْنِ الْبَلَادِ كَلَهَا !!

رسول الله ﷺ، وقاضى العباس عليه أَى - كما جاء في الرواية - وسألت عن هذه المسألة الإمام الصادق وقلت له: رضاها بقضائه مرشد إلى اعتباره حكماً عدلاً؟ فقال عليه السلام: يا جليل، هذه حجّة عليه، ولو علم على أن للعباس حقاً عند لرده إليه، وكذلك يفعل العباس ولكن على قال يوماً للعباس: يا عم، إن هذا الرجل غصب ميراثنا ومقامنا وينبغي علينا دفعه عما اغتصبه، وقال علي عليه السلام: وليس بذلك من وسيلة إلا أن تذهب بنفسك إليه وتحاصمني في ميراث رسول الله ﷺ.

فلما حضرا عند أبي بكر، قال للعباس: ألا تعلم أن رسول الله في أولبعثة صنع طعاماً لبني عمومته من أولاد عبد المطلب وكان عددهم أربعين شخصاً فحضرروا جميعاً، وقال لهم بعد الطعام: من منكم يؤازرني على هذا فيكون وزيري ووارثي ووصيتي وأخي - إلى ثلاثة مرات - فلم يجبه أحد ما عدا علياً وكان أصغرهم سنًا؟

فقال العباس: أأنت تذكر ذلك أم نسيته؟ فقال: نعم أذكره ولا أنساه.

قال العباس: فلقد ظلمته حين غصبته وزارته ووصايتها ووراثته وأخوته. فاستيقظ أبو بكر كما يستيقظ النائم وهو يقول: نحوم عنّي لأنّهما خادعاني ومكرا بي غدرا وأنا غافل عنّهما!

قال الصادق عليه السلام: إنما كان غرض علي والعباس الإشعار بأنّ أهل بيت النبي لا سيما علي عليه السلام أولى بمقامه.

ولما أزمه العباس الحجة وعجز عنها لم يجر جواباً بعد أن ألقمه حجراً توسل بقدرته فقال: «نحوم عنّي» وكانا أراداً فضحه أمام الناس وكانت خصومتها في بغلة رسول الله وسلامه وحجرات نسائه وقطائعه التي أقطعها لبني هاشم. وكان العباس يعرف قدر علي لكتنه أراد أن يعلم أبا بكر بظلمه كما فعل جبرئيل وميكائيل

بداود إذ تسورووا عليه المحراب، ولم يكن مجئهما على الحقيقة بل لإشعار داود وإعلامه على أنّ ما فعلته يجدر بك غيره، وهكذا الحال هنا.

حكاية :

قال عبد الله بن عباس: كنّا يوماً عند أبي بكر وكان عمر حاضراً هناك، وتقىداً إلى الحجاب أن لا يأذن لأحد، فبينما نحن كذلك إذ طلع علينا شيخ طويل القامة حلوا المحضر، عليه رداء أحمر، وبيده عصى وفي رجليه نعلان، فسلم علينا وأمره أبو بكر بالجلوس، فأبى وقال: أنا رجل حاجٌ وإلى جواري امرأة توفّي أبوها وخلف لها ضيعة وكانت تعيش من ثمارتها وتستقّط منها، فعمد وإلي البلد إلى مصادرتها وأخذ منافعها له، وأوصتني المرأة قالت: إذا جئت المدينة فاحكِ حالى لل الخليفة.

فقال أبو بكر: لا كرامة للغادر الفاجر.

وقال عمر: يا خليفة رسول الله، أرسل إلى هذا الغاشم الظالم من يسوقه إليك مكتوفاً.

فعاد الشيخ عليها وقال: فمن أظلم ممّن يظلم بنت رسول الله عليه السلام؟!

فقال أبو بكر: ردّوه ردّوه، فتقهقر الرجل ولم يقعوا له على عين ولا أثر، فسألوا الحاجب والبواپ عنه، فقال: ما وقعت عيني على الرجل، وقال غيره: ما دخل عليكم أحد أبداً ولم يخرج أحد، فخاف أبو بكر وقال لعمر: أرأيت وسمعت، فقال عمر: الذي أصابنا في وادي الجنّ أعظم من هذا، وإنّ الشيطان ليتحامل على المؤمن والحاكم ليقتنه ويضلّه، فصاح بهم هاتف^(١):

(١) وأنا أسوق لك الرواية كما وردت في الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي (٢: ٢٩٠): روی

❸ عن ابن عباس أنه دخل على أبي بكر رجل فسلم وقال: عزمت الحج فأتنني جارية وقالت لي أبلغك رسالة وهي أتى امرأة ضعيفة وإتى عائلة وكان لأبي أريضة جعلها لي تعيني على دهري فكنت أعيش منها أنا وزوجي ولولدي، فلما توفي أبي انزعها والي البلد متى فصيّرها في يد وكيله واستغلّها لنفسه وأطعم من شاء وحرمني.

فقال أبو بكر: ليس له ذلك ولا كرامة، لاكتب إلهي ولا أغذّن هذا الظلوم الغشوم، ولا أعزّلنه عن ولايتها.

وقال عمر: لا تمهدل وأنفذ إلهي من يتكلّب به ويأتي به مكتوفاً وأحسن أدبه على خيانته وفسقه.

فقال أبو بكر: من هذا الوالي؟ وفي أي بلد؟ وما اسم المرمية بهذا المنكر؟

فقال الرجل: نعوذ بالله من غضب الله، نعوذ بالله من مقت الله، وأي حكم أجور وأظلم ممتن ظلم بنت رسول الله صلوات الله عليه وسلم، ثم خرج، فقال أبو بكر لخدمه: ردوه، فقالوا: ما خرج علينا أحد وإن الباب لمغلق، فقال عمر: لا يهولنك هذا فربما يختيّل إبليس علينا وعلى آلة محمد ليفتنهم، فقال أبو بكر لابن عباس: إن تسمع ما سمعت أحداً، فسمعوا هاتفاً يقول:

يا من يسمى باسم لا يليق به
أتجعل الخضر إبليس لقد ذهبت
فتُب إلى الله متأقد ركبته به
فالله يشهد أن الحق حقهم
فأجابه الآخر:

اعدل على آل ياسين الميامينا
بك المذاهب من رأي المضلينا
آل النبي ودع ظلم الوليينا
لا حق تيم ولا حق المخلينا

عدلت أخا تيم على كل ظالم
وأغنتت تيمًا مع عدي وزهرة
أفسى فدك شيك بآن محمدًا
وعلى وسلمان ومقداد منها^(١)
وأنسدهنا والناس أن ترائه
فنحن شهود يوم تلقى محمدًا
فلا زلت ملعوناً يمسك سخطه

(١) منهم - المترجم.

يا من تحلى باسم لا يليق به
 أتجعل الخضر إبليساً لقد ذهبت
 نحن الشهد و قد دلت على فدك
 الله يعلم أن الحق حقهم
 وقد شهدت أخا تيم وصيته
 لا تعمتن أخا تيم أبا حسن
 خص النبى علیاً يوم فارقه بالحلم والعلم والقرآن والدين
 فخاف أبو بكر و عمر، وغشى عليهما، وقد وصل رسول أمير المؤمنين إلى ابن عباس وقال : «أجب ابن عمك» فأقسم عليه أبو بكر أن لا يفشين السر إلى أحد .
 قال عبدالله بن عباس : فلما رأني أمير المؤمنين عليه السلام تبسم حتى بدت نواجذه ،
 وقال : يابن العم ، بالرحم وال القرابة ، هل حفظت الشعر أو لا ؟ قلت : نعم حفظتها إلا
 بيتبين منها ، فأعاد علي عليه السلام الحكاية ، وقال : كان ذلك أخي الخضر فقد حضر
 مجلسكم هذه الساعة ، وأخبرني بما دار بين القوم وبيننا ، وقال : ما ابتي أحد بأحد
 كما ابتي أبو بكر بعمر ، وما عادى أحد قوماً أشدّ من معادات عمر لأهل بيت
 الرسول عليه السلام ^(٢) .

❖ دخل ابن عباس على عليٍ فحدثه بالحديث ، فلما أصبح أبو بكر دعا بفاطمة وكتب لها كتاباً
 بفديك فأخذه عمر وبقره ، فدعت عليه بالبر واستجنب لها فيه .
 هذا ما ذكره علي بن يونس العاملي في الصراط المستقيم وهو يختلف مع ما ذكره المؤلف
 لاسيما الأبيات المختومة بالتون والألف ، وأحسب المؤلف حذف آخر الأبيات لما فيه من إثواب
 وأخطاء ، ونحن ترجمنا ما ذكره المؤلف وذكرنا رواية الصراط المستقيم ليكون القاريء على
 بصيرة من أمرها .

(١) لو قال : «ليس مغبوناً» لما كان إقاوه في البيت - المترجم .

(٢) عثرت للمؤلف على مواقف كثيرة يتهاود فيها مع أبي بكر وهو رأس الضلال وأول ظالم ظلم

قال الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَغْضُبُ الظَّالِمُونَ عَلَىٰ يَدِيهِ يَقُولُ يَا أَيَّتَنِي اسْتَخَذْتَ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلَهُ﴾^(١).

قيل : إنَّ عمر استعمل رجلاً وأوصاه قائلاً : إِيَّاكَ وظلم عباد الله ، فقال له الرجل : يا عمر ، فكيف ظلمت بنت رسول الله وغضبت منها فدكاً ورددتم قول رسول الله فيها وأنكرتم وصيته وسيكون الله خصمك ورسوله يوم القيمة ، فويل لك .

وجاءت الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ أبا بكر وعمر كانوا في ملأ عظيم من المهاجرين والأنصار إذ انبرى لها شابٌ جميل طويل القامة ، حسن الشياط ، وقال : من منكم الخليفة ؟ فأشاروا إلى أبي بكر ، فقال له : أنت هو الخليفة ؟ فقال : نعم أنا هو الخليفة ، فقال : إنَّ امرأة ضعيفة لها حوائط تقيت منها عيالها ، فأخذها الحاكم منها تعدياً وظلماً وانتزعاها من يده من دون بيته ، فقال عمر : يا خليفة رسول الله ، أرسل إليه ليقبضوا عليه ويأتوا به إلى هنا لتقصر يده عن أموال الناس ويردّ حائط المرأة الضعيفة عليها .

قال الرجل : فلم أخذت فدكاً من فاطمة بنت محمد عليه السلام وكانت في يدها وقد نخلها النبيَّ إياها ، ومات وهي في يدها ، ثمَّ خرج من بينهم حالاً فأرسل ابن عباس في طلبه فلم يقع منه على عين ولا أثر ، فخاف أبو بكر خوفاً شديداً ، فقال له عمر : لا تجزع فإنَّ هذا شيطان ظهر لك ، فأجا بهم هاتف من جانب البيت :

عدلت أختاً تم على كل ملحدٍ وجزئت على آل النبيِّ محمدٍ

• حقَّ محمدَ وآلَ محمدَ ، والذِّي قال فيه أميرُ المؤمنين : «فِيَا عَجَباً يَبْنَا هُوَ يَسْتَقْبِلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا الْآخِرُ بَعْدَ وَفَاتَهُ لِشَدَّدِ مَا تَشَطَّرُ ضَرِعِيهَا...» ورجل يقال له مثل هذا الكلام ليس بالصفة التي تحدث عنها المؤلف ، وإنما هو عدو لأهل البيت ، غاصب إرث الزهراء وسارق نحلتها ، وهو صاحب الفكرة الخبيثة في إحراق دارها ، فعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

(١) الفرقان : ٢٧.

وأغنتت تيماً مع عدي وزهرة
وأنقرت غرّاً من سلالة أحمد
أني فدلك شلّك بآن محظى
حاطها لفطم دون تيم بمشهد
لأسرع ما بتلتم ونقضم عهودكم يا قوم بعد التوكد

عقد المأمون مجلساً في يوم عرفة للانتصاف من القريب والبعيد، والقواد
والخاصة والعامة، فقام رجل مدنيٌّ من أفصح الناس وقال: إن كنت منصفاً
فأنصف فاطمة.

قال المأمون: أ تكون وكيلًا عنها؟
قال الرجل: نعم.

ثم أقام وكيلًا عن أبي بكر وعمر، فقال المدنى: اعلم بأنَّ النبيَّ أخذ فدكاً صلحاً
من غير أن يوجف عليها بخيل ولا رجال بل بمدد من الملائكة وحدهم، وكانت من
جملة الفيء الموكول إلى النبيِّ أمره، فأعطتها لفاطمة عليها السلام فكانت في يدها مدة حياة
أبيها ثلاث سنوات تتصرف فيها تصرف المالك علبه، وبعد موت أبيها كان وكيلها
يقوم مقامها في التصرف فغضبها منها أبو بكر ظلماً وعدواناً ومع كونها صاحبة اليد
فقد طالبها بالبيتة وشهدت لها أمُّ أمين بحقها وهي امرأة مشهود لها بالجنة فرداً
أبو بكر شهادتها، وإذا جاءه أعرابيًّا بوال على عقبه وادعى على رسول الله دعوى
يعطيه بلا بيته، وشهد لفاطمة نظير هؤلاء الصالحة فلم يقبلهم.
وشهد يحيى بن أكثم وغيره من الفقهاء على أنَّ الزهراء عليها السلام ماتت بغضتها
مظلومة.

وقال المؤمن المدنى: والأعجب من ذلك أنَّ رسول الله لا يورث.
قال المأمون: هل يعرف ذلك المسلمين؟

فقال المؤمن : لما نزلت **﴿إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ﴾**^(١) صعد النبي على المنبر وقال : ستكثر على الكذابة من بعدي ، بالعبارة التالية : معاشر الناس ، إني نعيت إلى نفسي وإلى الله وأنزل على : **﴿إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ﴾** ألا وقد دنا حقوقى من بين أظهركم فإذا جاءكم الحديث عنى فاضربوه على كتاب الله وستى ؛ فما خالف كتاب الله فارفضوه ، وما وافق كتاب الله وستى فخذوه ، وهذا الحديث مخالف للكتاب والستة بقوله تعالى : **﴿وَوَرِثَ سَلِيمَانَ دَاؤَدَ﴾**^(٢) وبقوله تعالى : **﴿فَهَبْتُ لِي مِنْ لَدُنِكَ وَلِيَتَّبِعَنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾**^(٣) ، وبقوله تعالى : **﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أُولَئِكُمْ﴾**^(٤) فهل تخرجون فاطمة من أهل بيته نعوذ بالله منه لأن النبي ﷺ « لا توارث بين الملتين » .

فشهد يحيى والفقهاء بأن فاطمة خرجت من الدنيا متظلمة لم تتصف .

وقال أبو بكر ثلاث فعلتها وددت أنى لم أفلحتها ، ياليتني لم آخذ فدكاً من فاطمة ، ولم أحرق باليها ، ولم أختلف عن جيش أسامة ، وهذه الثلاث ظلم عظيم لأن إيزاء فاطمة عليهما إيزاء الله ورسوله وإيزاء علي وهو من أهل الجنة ، وبقوله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذَنُونَ﴾**^(٥) الآية ، وإيزا المسلمين ذنب عظيم .

والاختلاف عن جيش أسامة معصية لله ولرسوله ، يقول الله تعالى : **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ﴾**^(٦) وقال الله تعالى : **﴿إِنَّا أَزَّسْلَنَا إِلَيْنَاهُمْ رَسُولًا شَاهِدًا﴾**^(٧) .

(١) الزمر : ٣٠.

(٢) النمل : ١٦.

(٣) مريم : ٥ - ٦.

(٤) النساء : ١١.

(٥) الأحزاب : ٥٧.

(٦) النساء : ٥٩.

(٧) المزمل : ١٥.

وقال أيضاً: ثلث لم أفعلها وددت أني فعلتها: الأولى: ليتني قتلت خالداً بن الوليد في قصاص مالك بن نويرة، وليتني قتلت الأشعث بن قيس وطلحة الأسدي لأنّ هؤلاء الثلاثة للقتل مستحقون، وقال أيضاً: ليتني سالت رسول الله عن الذي يقام مقامه من بعده.

وتجاهل وتغافل يوم الغدير وعن يوم حائط بنى النجار كاروى ذلك عمران بن الحسين الحزاعي وبريدة الأسليمي وغيرهم، وقد تقدم ذلك حتى قال بريدة لأبي بكر: لماذا لم تعقد بيتك على منبر رسول الله ﷺ، وعقد لك البيعة أبو عبيدة وعمرو سالم مولى أبي حذيفة في زاوية سرّاً على جميع المسلمين، مع أنك لم تحزن من علم الشريعة والسنن شيئاً، بل أنت يلازم باب على رسولك كلما نابتاك ناثة أو نزلت بك نازلة ليحلّها لك ابن أبي طالب رض.

وقال: ليتني سألت رسول الله حقاً ما هو نصيبي؟! وليتني سأله عن ذبائح أهل الكتاب أحلال هي أم حرام؟ وقال عمر: لو لا عليّ هلك عمر، وكذلك قال: لا أبقى في الله لمعضلة ليس أبو الحسن فيها^(١).

فصدق الحاضرون المؤمن، وقال المأمون: يجب الإغضاء عن ذلك ويلزم تجاوزه.

فقال المؤمن: لا يجوز الإغضاء لأنّ الله لم يغض كما قال تعالى: «وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتَنَا لَقُدِّحْتُ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَبِيلًا» إِذَا لَأَذْقَنَكَ ضِيقَ الْحَيَاةِ وَضِيقَ الْمَقَاتِ ثُمَّ لَأَنْجَدَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا نَصِيرًا^(٢)، وقال: «وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بِغَضَّ الْأَقْوَابِ»^(٣) الآية.

(١) مقدمة نهج البلاغة ٢: ١، وسائل الشيعة ٢٨: ١٠٨ ط أهل البيت، و ١٨: ٣٨١ طبع الإسلامية، الإيضاح: ١٩٢، المسترشد: ٦٥٣، دلائل الإمامة: ٣٢، شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨، نظم درر السلطين: ١٣٢، أنساب الأشراف: ١٠٠، عمر الخطاب للبكري: ١٩١ وغيرها.

(٢) الإسراء: ٧٤ و ٧٥.

(٣) الحاقة: ٤٤.

فعمد المأمون إلى كتابة صك بقلمه من أوراق عدة وأرسلها إلى المشرق والمغرب وفيها رد فدك إلى السادات من بني فاطمة وكتب إلى عامل المدينة أن ردة فدكاً إلى علي بن موسى الرضا وأطلق فيها يده لشول من بعده إلى ابنه محمد الجواد التقى، وأشهد الحاضرين على نفسه وعلى من بعده بعدم أخذها مرة أخرى.

تنبيه:

إنَّ الذي افترى حديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» هي عائشة وتابعتها عليه حفصة ورجل آخر يدعى أوس من قبيلة بني نضر ولم يروه أحد غيرهم ..^(١).

تنبيه:

لماذا يسترد الإمام أمير المؤمنين فدكاً في خلافته؟ يرجع ذلك إلى وجوه:
الأول: إنَّ الله سبحانه أعطى الغاصب والمغصوب منه ما يستحقانه من الثواب والعقاب ..^(٢).

الثاني: كره عليه السلام أن تخرج فاطمة من الدنيا مغضوباً حقها وقد تألمت وحزنت لذلك حزناً شديداً فلم تطب نفسه أن يفرح أولاده باسترداد ما غصب من فاطمة وذهبت إلى أبيها حزينة مكلومة غضبي من أجله؛ أسوة بفاطمة واقندة بجنبها، وربما كان من أجل إطلاق اسم الغصب عليه أبت نفسه التصرف فيه، مِنْ ثُمَّ عزب عن استرداده، ثُمَّ إنَّ أولاد عليٰ من فاطمة عليهم السلام لم يطلبوا منه ذلك فلم يسعه عليه السلام أن

(١) ليتبني أدرك السبب في تحاشي المؤلفاته أي بكر ولينه عليه الواقع أنَّ الأمر بالعكس فهو الذي افترأه وتابعته عليه عائشة وصاحبها والأعرابي.

(٢) أقول: كيف عرف هؤلاء أنَّ الإمام لم يستردها؟ بل استردها فيما استرده من القطائع والضياع التي نهبت في زمن الثلاثة لاسيما في زمن عثمان، وكانت الدنيا كلها تحت تصرفه وهو الخليفة وبيده أمر فدك وغيرها فما صنعته في خلافته فيها يعتبر استرداداً لها.

يذهب إلى مقاضاة الخصم دون طلب من أصحاب القضية، نعم أجاب الإمام زين العابدين عليه السلام عن هذه المسألة فقال:

فمن غاصبنا حقنا في يوم القيمة ميعاده

ثم إن علينا عللاً عجز عن تغيير بدع الثلاثة ومحذاتهم غير الشرعية، وكان يخشى عدوه فيتقيه فلم يقدر على محو بدعهم، ولما نهى عن صلاة التراويح جماعة، ارتفع ضجيج العامة والغوغاء، وقالوا: نهينا عن سنة عمر . وأيضاً كان ذلك منه استدراجاً للناس لئلا يحملوه على طلب النفع في شهادته للزهاء يوم الغصب وتكتبياً لعدوه.

تنبيه:

روى أبو سعيد الخدري السبب الذي من أجله أعطى رسول الله فدكاً لفاطمة عليهما نحلة، وصدقه المخالفون والمؤلفون، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَاتَّ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾^(١) دعا رسول الله فاطمة وأعطها فدكاً، فقال: هي لك ... واستسلمتها وتصرفت فيها تصرف المالك، وكانت يدها أمارة ملكيتها، ف تكون طلب البيتية منها غاية في الجهل أو التجاهل.

سلّمنا أن طلب البيتية منها لتصحيح دعوى النحلة ولكن أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام وأمّ أئمّ رضي الله عنها أقاموا الشهادة لها، قال تعالى: ﴿وَأَشَهِدُوا ذَوَيْ عَذْلٍ مِّنْكُمْ﴾^(٢)، وقال: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَأَمْرَأَتَانِ﴾^(٣) وظاهر الآية يدلّ على وجوب قبول الشهادة ولا تخصّص لها بآية أخرى بالولد والزوج، ولم يستثنها

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) الطلاق: ٢.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

الله تعالى، وإنما اشترط العدالة وحدها ومن أعدل من المعصوم ليت شعري، وإذا كانت نحلة فلا تعود إلى الأولاد لاسيما بعد الموت وأية الميراث عامة.

ويقول المخالفون: إنّ ذكريّا طلب من الله وارثاً للنبيّة وليس للدنياويات.

الجواب: وهذا القول قدح بنبوة ذكريّا وحاشاه من ذلك، ويجرّ إلى كفره لأنّه قال: «وَإِنِّي حَفْتُ النَّقَوَالِيَّ مِنْ وَرَائِي»^(١) أجمع المفسرون على أنّ المقصود من الموالى أولاد العَمِّ فلو أنّه طلب وارثاً للنبيّة يكون قد خاف من أولاد عمّه أن يكونوا ورائتهاً لها والنبوة لا تكون بالمشورة ولا بالطلب بل بالاستحقاق والأهليّة، ويكون ذكريّا قد دفعها عن أولاد عمّه حسداً من عند نفسه، فيؤدي ذلك إلى كفره، وحاشاه لعدم رضاه بقضاء الله وتقديره، وهو بريء من هذا التصور إلى أن قال: «وَاجْعَلْنَاهُ رَبَّ رَضِيَّا»^(٢) والنبيّ لا بدّ وأن يكون رضياً فلو كان مراده وراثة النبيّة تكون الجملة مكرّرة وهي لغو لافائدة منها، ولا يجوز العدول من ظاهر اللفظ إلى التأويل.

ونهاية الأمر لو قال المخالف أنّ النحلة لم تثبت بل ثبتت وراثتها لفده ولوراثته يردّها حديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» والترجيح له مِنْ ثمّ أخذها الشيخ.

فالجواب: اتفق المسلمون على حديث أبي سعيد الخدري وتلقاه الناس بالقبول بأنّ النبيّ أعطى الزهراء فدكاً في حياته والحديث الذي رواه أبو بكر مطعون فيه ومردود من قبل المهاجرين والأنصار جيّعاً، سلّمنا به جدلاً ولكنه معارض بحديث آخر مثله وهو حديث أبي سعيد، فتبقى آية الميراث ثابتة وهي

(١) مريم: ٥.

(٢) مريم: ٦.

قوله تعالى: «يُوصِّيْكُمُ اللَّهُ فِي أُولَئِكُمْ»^(١) وأمثالها. والاتفاق حاصل على أنَّ ذا الفقار كان مبتدئاً للنبي ﷺ وكان و Hobby لعلي عليهما السلام فأخذ فدكاً من فاطمة مع كونها هبة وترك ذي الفقار عند علي وهو مثلها في الحكم ليس إلا لعناد متحكّم في القوم وعداوة لرسول الله وردّ على قوله تعالى: «يُوصِّيْكُمُ اللَّهُ».

وكذلك ادعّت عائشة وراثة حجرتها وتشهد على فاطمة بأنّها لا إرث لها، إنّها من مفارقات أم المؤمنين، قال الصادق عليه السلام: كان لرسول الله قطائع عدّة: الأولى: فدك، والثانية: حسى، والثالث: مشربة أم إبراهيم، والرابع: الزلال، والخامس: الميسم، والسادس: الصافية، والسابع: العواف^(٢)، وقد أعطاها رسول الله إلى فاطمة عليهما السلام فانتزعها أبو بكر منها وتبعده بقيّة الشيوخ وشهد له عمر وأبو عبيدة ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة.

وجاءت عائشة بعد مضي زمن طويل إلى عثمان تطلب ميراثها من رسول الله، فقال لها عثمان: كما أمضى أبوك شهادتك على فاطمة فإني أمضى شهادتك على نفسك أي لا أدفع إليك شيئاً مما تدعين.

(١) النساء: ١١.

(٢) بذلت جهداً للوصول إلى الرواية فلم أوفق، وبالأسف لذلك لم أضبط الأسماء الواردة فيها ضبطاً يرفع الشك، فأعتذر إلى سيدتي القارئ من ذلك.

الفصل الثاني

في أمور وضعها الخلفاء خلافاً لأمير المؤمنين وبني هاشم

روى المخالف عن رسول الله ﷺ أنه قال : الوقت الأول رضوان الله ، والوقت الآخر عفو الله ، ولا يختاره المسلم إلا لعذرٍ من مرض وغيره ، ولما علموا أنّ بني هاشم يصلّون الصلاة في أول الوقت وهو الرضوان حولوه إلى وقت العفو وجعلوه مختارهم .

وكذلك المسح على الخفين وضعوه مخالفة لعليٍّ وبني هاشم لأنّهم علموا أنّ بني هاشم عند المسح يتزعنون أخفافهم .

ومثله الجهر بسم الله الرحمن الرحيم ، فقد تركوه مضادة لبني هاشم مع أنّ الجهر عندهم لا يفسد الصلاة .

وعمموا السجود على ما يُؤكل ويُلبس لأنّهم علموا بأنّ علياً يسجد على الأرض .

وكان أمير المؤمنين اقتداءً بالنبيٍّ يكبر على الجنائزة خمس تكبيرات لذلك تقصوها واحدة وكبروا أربعاً عناداً له .

وقال أمير المؤمنين : الجنائزة متبوعة وليس بتتابعة لأنّ من كان أمامها فالجنائز تتبعه ، فوضعوا بدعة المشي أمام الجنائزة خلافاً له . وروى أتباعهم بأنّ علياً عليه السلام قال : لقد علم أبو بكر أنّ المشي خلف الجنائزة أفضل من المشي أمامها .

ومثله فعلوا في إباحة ذبائح أهل الذمة وإباحة الأرانب وأمثالها خلافاً لأمير المؤمنين عليه السلام ، وقيل : إنه من قاطني الجنة .

وشرع أمير المؤمنين بتغيير بدعهم بالهويّن والرفق وما عجز عن تغييره تركه

على حاله وكان حذراً من الفتنة والبلبلة التي يثيرها الجھال عليه من هذا الباب وعمل بالتقىھ طيلة هذه المدة كما قال تعالى تنبیأً عليه من موسى : «فَقُرْزَتْ مِنْکُمْ نَّا حِفْتُمْ»^(١) وقوله تعالى : «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَنِ»^(٢).

الفصل الثالث

في أنَّ عَلَيَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَبْدِيلِ مَا غَيْرُوا عَنْ أَصْلِهِ لخوفه من أصحابه وترك محاربتهم

اعلم أنه لا يُسئل عن نفي العلة لانتفاء المعلول وإنما يُسئل عن العلة في إثبات المعلول، مضافاً إلى أنَّ الاعتراض على الإمام من سوء أدب الرعية «لَا يُسْئَلُ عَنِ الْمَعْلُولِ وَهُمْ يَسْأَلُونَ»^(٣) فلا يجوز أن يقال عن الإمام لماذا حارب معاوية ولم يحاربهم؟ ثم إنَّ في حربه مع معاوية كان معه من الجيش مائة ألف جندي يحاربون معه ولم يكن معه يومذاك إلا نفر يسير ومع قلَّتهم فإنَّ مذاهبهم مختلفة ولكنهم كانوا معه في حرب معاوية على رأي واحد منْ ثُمَّ لم يكن هناك مجال للتقىھ، وتأسس بما فعله رسول الله مع المشركين حين حشد المنافقين لقتاھم، وكان أكثر الصحابة على هذا الرأي وهو أنَّه الخليفة الرابع وأنَّ شرعية خلافته نظير خلافة أبي بكر وعمر، وينظرون إليه كما ينظرون إليها ويعتبرونه بمثابتهم، ويسيرون بسيرتها، ولو علموا منه أيَّ اتجاه مختلف لخرجوا عليه وحاربوه كما فعلوا معه في صلاة التراويح حين أمر بأدائها فرادى فكانوا يصيرون «نهينا عن سنة عمر» وراحوا يشنّعون عليه

(١) الشعراَء: ٢١.

(٢) طه: ٦٧.

(٣) الأنبياء: ٢٣.

وبيّلون الرعية، وأوشكت الغوغاء أن تحدث شغباً لولا أنه قال: اذهبوا وافعلوا ما شئتم.

وما حارب طلحة والزبير ومعاوية حتى بدأ للناس أئمّهم ناكثون وقاسطون، واعتبروا عدوه يحبّب قتاله كعدو من تقدّمه، مع أنّ أصحابه لا يطعونه إلا في القليل حتى أعلنتها على المنبر مراراً وتكراراً وعبر عن نقمته عليهم وشهد بذلك العدو والصديق، وخطبته في هذا المعنى شاهد عدل على ذلك.

وقال ذات يوم لبني هاشم وخواصّ شيعته: لقد علمت الولاية قبل أئمّهم خالفوا رسول الله متعمّدين خلافه، ناقضين لعهده، متغيّرين لسنته، ولو أحمل الناس على تركها وأحملها على مواضعها وإلى ما كانت على عهد رسول الله، لتفرق عنّي جندي حتى أبقى وحدي، وفي قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله وسنة نبيه^(١) (وسنة رسول الله - الكافي)،رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله عليه السلام ورددت فدكاً إلى ورثة فاطمة عليه السلام ورددت صاع رسول الله عليه السلام كما كان وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله عليه السلام لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضى بها وزرعت نساءً تحت رجال بغير حقّ ورددتهنّ إلى أزواجهنّ^(٢) واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأرحام، وسيبت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خير، ومحوت دواوين

(١) رجعت إلى كتاب الكافي ولم أتبع المؤلف في السياق لأنّ روایة الكافي تحتوي على جميع ما ذكره المؤلف.

(٢) في الهاشم: كنّ طلّقن بغير شهود وعلى غير طهر كما أبدعواه ونفذوه وغير ذلك، الخ، ولا يبعد أن يكون الإمام يشير إلى سيدات ما يسمى بحرب الردة كأم تميم التي نكحها خالد في الليلة التي قتل بها زوجها، وهذا يدلّنا على فصل مطمور وراء الأحداث ينبغي كشفه للأمة.

العطايا وأعطيت كما كان رسول الله ﷺ بالسوية ولم يجعلها دولة بين الأغنياء، وأقيمت المساحة وسردت ما فتح فيه من الأبواب، وفتحت ما سدّ منه وحرّمت المسح على الحفّين، وحددت على النبيذ، وأمرت بإحلال المتعتين، وأمرت بالتكبر على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمت الناس الجهر ببسمل الله الرحمن الرحيم، وأخرجت من أدخل رسول الله ﷺ في مسجده ممّن كان رسول الله ﷺ أدخله، وأدخلت من أخرج مع رسول الله ﷺ ممّن كان رسول الله ﷺ أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلوة إلى مواقيיתה وشرائعيها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إذا لتفرقوا عنّي، والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في التوافل بدعة، فتنادي بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معى: يا أهل الإسلام، غيرت سنة عمر، ينهان عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً، إلى آخر الرواية^(١).

وقال له شريح القاضي وعبيدة السلماني مسروق وأبو وائل -وكانوا من أهل عسكره -مرات عدّة: لئن فارقت سيرة الشيوخين لنفارقك، وخذله مسروق وسار إلى معاوية يحرّضه على حربه، وردّ عليه عبيدة السلماني حكمه في الأمهات وأولادهنّ وغيره من اللعناء ينطون على الفتنة ويتحمّلون الفرص لإحداث الشغب، ولماً اعترضه عبيدة سكت أمير المؤمنين عٰلِيٌّ ولم يقدر على إظهار مذهبة أمام عسكره كما لم يقدر على بيان بدعهم وإظهار البرائة منهم إلا بحضور الخواص من شيعته وأهل بيته.

(١) الكافي ٨: ٥٩، وارجع إلى الهوامش فيها تعاليق نافعة تتضمّن شروحًا للحوادث الخامسة الواردّة في الرواية ومنعنا من ذكرها خشية الإطالة.

وكذلك لم يطعه الناس في أشياء خالف بها عمر الإسلام وردها الإمام إلى واقعها، وكذبوا إلى أن قال ذات يوم على المنبر: زعم قوم أني أكذب، فعل من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أول من عبده، أم على رسوله؟ فأنا أول من آمن به وصدقه.

وكان الجواسيس تراوح عسکره وتغاديه، تتجسس عليه وتسرب أخبار عسکره إلى العدو، وطالما سأله عن الشیخین لعلهم يظفرون منه بكلمة يستريحون بها دمه وأخيراً اتهموه وأولاده بقتل عثمان بن عفان، ولما كان عثمان قد أظهر الظلم والجور وافتقت الأمة على قتله ومنهم المهاجرون والأنصار وأزواج النبي ﷺ فإنهم بأجمعهم أفتوا بقتل عثمان بن عفان، لذلك أمكن الإمام في هذه الحال أن يظهر جانياً من ظلمه ويقتل للناس ما كان يرتكبه من المنكرات والغش والجور، وهذا يعكس ما كان عليه الشیخان فقد سخط عليهما بعض الأمة ولم يحصل إجماع الأمة ضدّهما فما كان باستطاعة الإمام إلا التفاعل مع الوضع القائم في دولته بل وعسکره خاصة تجاه الشیخين.

ويُعْكَن أن يقال أيضاً: أن الله تعالى أمرنا بالجهاد ولم يفصل لنا العلة، اللهم إلا جانياً منها وهو صلاح الدين، وهنا يمكن أن نقنع بالإجمال من سكوت علي عليه السلام بأنه لصلاح الدين وأهل الإسلام.

ثم إن النبي كف عن القتال في أيام الحصار بالشعب وما تلاه من الزمن قبل الهجرة ولما هاجر ووجد الأنصار والأعون قاتل وجاهد في الله حق جهاده. ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: لو لا قرب عهد الناس بالكفر لجاهدتهم، وكانت الأکثريّة من الأمة مقلدة وليس في وسعها دفع الشبهة لو حدثت، وربما داهمهم

الفكر بإعلان الردة، فقد ظهر في بني حنيفة «ابن طياش»^(١) ومسيلمة الكذاب وادعيا النبوة، وكان بعض الناس يشك في صدق دعوى أمير المؤمنين عليه لذلك كف عن الحرب.

ولما كانت أيام معاوية اختلفت معها الحال حيث استحكم الإسلام في القلوب وثبتت الحقيقة في الأفتدة، والدليل على ذلك ما كتبه أمير المؤمنين إلى معاوية وفيه: وقد كان أبوك أتافي حين شرع أبو بكر في عقد الأمر لنفسه، فقال: أنت أحق بهذا الأمر بعد النبي فهلم أبأياعك، فكرهت ذلك مخالفة الفرقة من الإسلام ولقرب عهد الناس بالكفر.

وقال المخالفون: إنّ علياً وتر الأحياء بقتل أمواهتم فاستحكمت الضغائن في القلوب وتلظلت الأكباد عليه وصار هذا الأمر مانعاً من تقاديه.

والجواب: إن كان هذا القتل بإذن الله ورسوله فلا موضع للأحقاد بل ربما كان ببركة رسول الله أدعى إلى تأليف القلوب، ولقد فعل الله ذلك بناءً على قوله تعالى: «وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ»^(٢) ولما مضى رسول الله عليه عادت القلوب إلى ما كانت عليه ورجعت ضغائنا وأحقادها كما كانت، وثاروا ضدّ خليفة رسول الله وحاربوه، وقال له رسول الله عليه: إنّ الأُمّة ستغدر بك، وقال أيضاً: إن قاتلت فلك وإن تركت فهو خير لك (بعدي)^(٣).

(١) لم أجد في تاريخ المدعين أحداً بهذا الاسم.

(٢) الأنفال: ٦٣.

(٣) كشف الغطاء ١: ١٠، عيون أخبار الرضا عليه ٢: ٧٢، الخصال: ٤٦٢، الغارات ٢: ٤٤٤ و ٤٨٧، مناقب أمير المؤمنين ٢: ٥٣٣ و ٥٤٥، المسترشد: ٣٦٣، شرح الأخبار ١: ١٥٢ و ٤٣٦، و ٢: ٤٤٦، الإرشاد للمفيد ١: ٢٨٥، كنز الفوائد: ٧٩، الأمالي: ٤٧٦، الاحتجاج ١: ٩٨ و ٢٨٠، مناقب ابن

وحاله كحالة هارون الذي قال: ﴿يَا قَوْمَ إِنَّنَا فَتَنْتُم بِهِ وَإِنْ رَبُّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُوْنِي وَأَطْبِعُوْنِي أَمْرِي﴾^(١) ومن هنا قال أمير المؤمنين ع: ما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله ، قال: أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الراحا؛ ينحدر عن السيل ولا يرق إلى الطير، وأمما لوط فقال: ﴿لَوْ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ أَوِي إِلَى زُخْنِ شَدِيدٍ﴾^(٢)، وقال موسى: ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَّتُمْ﴾^(٣)، وقوله: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾^(٤)، وقوله: ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ﴾^(٥)، وقال هارون: ﴿أَنْ تَقُولُ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(٦)، ومن هنا امتنع عن البيعة . وقال أبو بكر لخالد: اضرب عنقه، ثم ندم وقال: «يا خالد لا تفعل ما أمرتك» . وقال عمر لعنه الله لفاطمة: يا فاطمة، ما هذا الجموع الذي يجتمع بين يديك لتن انتهيت عن هذا وإلا لأحرقن البيت .

وكان إسحاق بن راهويه قد ذكر هذا الحديث وقال في ختامه: إنما كان هذه تغليظاً من عمر .

وكما لا يلام الرسول على ترك الجهاد في مكة كذلك لا يلام علي على تركه لأن الأسباب الحاكمة على كلٍّ منها واحدة .

❷ شهر آشوب ٣: ١٧، اليقين لابن طاووس: ٣٣٧، الطراف: ٤٢٧، وصول الأخبار للبهائي: ٦٨، الجمل لضامر بن شدق: ١٣، الأربعين للقمي: ٢٣٨، بحار الأنوار: ١٨: ١٢٤ و ٢٨: ٤٤٥ و ٥٠ و ٥٠ و ٦٧٦ و ١٩١ و ٢١٠ و ٣٧٥، شرح ابن أبي الحديد: ٤: ١٠٧، و ٣٢٦، كنز العمال: ١١: ٢٩٧ و ٦١٧ و ٣١٥٦٢، التاريخ الكبير: ٢: ١٧٤.

(١) طه: ٩٠.

(٢) هود: ٨٠.

(٣) الشعراة: ٢١.

(٤) الماندة: ٢٥.

(٥) الشعراة: ١٤.

(٦) طه: ٩٤.

وأماماً ما كان يقبضه على من العطايا منهم فإنها بثابة ما كان يقبضه يحيى بن زكريات من جبار زمانه ولعل ما كان يأخذه على منهم إنما كان سهمه من الخمس ولا دليل في ذلك على رضاه بإمامية الأول.

وأماماً عن اقتدائـه بهم في الصلاة فإنه يجعل بينه وبينهم حجاباً اعتبارياً بثابة الماء و يصلـي لنفسه وكذلك كان أولاده يفعلون حين اقتدائـهم بن لا يقتدى به إلا أن الخوف والقيقة يقتضيان ائتمـهم بهـم، ولعلـه يصلـي الفرائض في بيته ويصلـي التوافل في المسجد، والنافلة لا تصلـي جماعة لكونـها بدعة وحراماً، وفي مذاهـينا أنه تركـ الحضور في المسجد بعد محاولة اغتيـالـه على يد خالـد بن الـولـيد وإن خـرجـ معـهمـ في سـفـرـ فإنـماـ كانـ لـغـرـضـ الـتـعـلـيمـ لأنـهـ كانـ مـرـجـعـهـ فيـ الفتـوىـ وـحلـ المشـاـكـلـ وـالمـعـضـلـاتـ وـالـمـعـاـضـلـ الـقـيـمـ الـتـيـ تـحـدـثـ بـيـنـهـ لـاـ تـخـصـهـمـ، وـإـنـماـ تـنـوـجـهـ رـأـسـاـ إـلـىـ حـرـيـمـ الـإـسـلـامـ فـيـصـبـحـ عـرـضـةـ لـتـقـوـلـ الـمـنـافـقـينـ وـطـعـنـاهـمـ ثـمـ اـسـتـهـزـاهـمـ بـالـرـسـالـةـ وـصـاحـبـهاـ منـ هـنـاـ كـانـ الـأـصـحـابـ يـحـمـلـونـ عـلـيـاـ مـلـيـلاـ عـلـىـ السـفـرـ مـعـهـمـ مـنـ أـجـلـ حـفـظـ بـيـضـةـ الـدـيـنـ

والـقـومـ يـرـوـونـ روـاـيـاتـ لـيـسـ لـهـ صـحـةـ فـيـ مـذـهـبـناـ وـلـاـ تـعـرـفـ مـنـ طـرـيـقـنـاـ اللـهـمـ إـلـاـ روـاـيـةـ وـاحـدـةـ وـهـيـ أـبـاـبـكـرـ غـاضـبـهـ أـحـدـهـمـ فـغـضـبـ وـخـرـجـ خـارـجـ الـمـدـيـنـةـ فـتـبعـهـ الـإـمـامـ وـأـرـضـاهـ مـعـهـمـ غـاضـبـهـ وـعـادـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ ثـانـيـةـ .

وأمامـاـ ماـ قالـوهـ مـنـ ضـرـبـهـ الـولـيدـ بنـ عـقـبةـ الـحـدـ بـحـضـرـةـ عـثـمـانـ فـهـذـاـ لـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـحـقـيـةـ عـثـمـانـ لـأـنـ إـقـامـةـ الـحـدـ بـعـهـدـ إـمـامـ الزـمـانـ بـأـيـ صـفـةـ كـانـ فـإـنـهـ يـجـبـ عـلـيـهـ إـقـامـتهاـ وـكـانـ عـلـيـ إـمـامـاـ فـيـ ذـلـكـ الزـمـانـ وـلـاـ يـسـتـقـيمـ الـأـثـرـ إـلـاـ بـهـذـاـ كـماـ فـعـلـ النـبـيـ دـانـيـالـ حـينـ كـانـ يـقـيمـ الـحـدـودـ فـيـ مـلـكـتـهـ وـيـؤـدـيـ الـأـحـكـامـ الـشـرـعـيـةـ وـأـعـطـيـ الـطـاغـيـةـ الـوـسـيـلـةـ لـفـعـلـ ذـلـكـ، وـكـانـ اـبـنـ مـسـعـودـ يـقـيمـ الـصـلـاـةـ فـيـ بـيـتـهـ مـعـ الـأـسـوـدـ وـعـلـقـمـةـ ثـمـ يـخـرـجـ إـلـىـ الـمـسـجـدـ يـصـلـيـهـ مـعـ الـجـمـاعـةـ، وـالـمـشـهـورـ بـيـنـ الـأـصـحـابـ أـنـ عـثـمـانـ (ـعـنـهـ اللـهـ -

المترجم) لا شأن له في الأمر ولا يستحق من الخلافة شيئاً وعلى هذا الأساس بني إجماع الأمة على قتله.

ثم إنَّ الكثير من الصحابة صلوا خلف معاوية ويزيد وملوك بني أمية وهذا لا يدلُّ على إمامية الظالمين الحقة.

واتفقوا على أنَّ عبد الرحمن بن عوف قال يوم الشورى: تأخذها بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيفيين أبي بكر وعمر (العنهم الله - المترجم) فقال عليٌّ عليه السلام: بكتاب الله وسنة رسوله، أما سنة أبي بكر وعمر فلا.

ويقول المخالف أيضاً أنَّ النبيَّ عليه السلام اقتدى بعد عبد الرحمن بن عوف في الصلاة فلم تثبت لعبد الرحمن الإمامة ولا النبوة.

وقال: صلى رسول الله وراء أبي بكر فعلى هذا ينفي أن يكون أبو بكر الرسول والنبيَّ تابع له.
حكاية:

خرج عمر مع العباس إلى الشام وكانت فرسه سابقة لفرس العباس، تمشي أمامه، فكان أهل الشام يخضعون لعمر، حتى أرادوا السجود له كما قال الله تعالى: «اتَّخُذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَزْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ»^(١) كما يفعل اليوم أتباع المشائخ وأحبارهم، وكانوا ينادون عمر بأمير المؤمنين، فقال العباس: إنه ليس أمير المؤمنين وأنا أولى بها منه، فسمعه عمر، فحزَّ كلامه في نفسه وقال: ألا أخبرك بن هو أحقر بها مثني ومنك؟ فقال: نعم، قال عمر: رجل خلقناه بالمدينة - يعني علياً عليه السلام - . فقال العباس: فما منعك وصاحبك من ذلك؟ فقال عمر: نحن نقر بفضله ونعتز به إلا أننا ما قدمناه لأنَّ قريشاً تحمل له الحقد في قلوبها فخفنا أن لا يجتمع عليه

العرب فيخرج الأمر من أيدينا وكان تقدمنا عليه وتأخره عنا لهذا السبب، ثم قال: وكانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها، والله أعلم أصيّنا أم أخطأنا^(١).

الجواب:

لقد كان حقد قريش على رسول الله أكثر وأكبر من حقدها على أمير المؤمنين، فيكون بناءً على قول عمر أن لا يمكن من تحقيق رسالته، ويقدم عليه أبو وهب وأبو جهل وأبو سفيان، لأنَّ قريشاً كانت توالى هؤلاء ولا تواليه، نعوذ بالله من هذا الكلام^(٢).

ثم إنَّ هذا القتال من عليٍّ كان بأمر الله ورسوله فعداوه عداوة لله ورسوله، واجتمع العرب على معاودة وعلى ابنه يزيد (لعنة الله) فينبغي على قول عمر أن يكوننا إمامين في زمانهما.

تبنيه:

روي أنَّه ﷺ قال: «إنَّ هذا الأمر لا يكون في عليٍّ ولا في أحدٍ من ولده» عنِ بالأمر الخلافة.

وأورد أبو جعفر ابن بابويه القمي هذا الحديث على طريق الاعتراض، وقال: ولعلَّه لهذا السبب زعموا أنَّ النبوة والإمامية لا يجتمعان في بيت واحد، ثم واصل الجواب، فقال: ولو صحت هذا الحديث لما جعل عمر علياً واحداً من أصحاب

(١) ورد الحديث في الإيضاح طریلاً وفيه قول عمر لابن عباس: وما كفى ما قال لي أبوك: قال - الرواى - فقلت لابن عباس: وما قال له أبوك؟ قال: لقبه رجل من أهل الشام، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال العباس: لست والله للمؤمنين بأمير هو ذاك وأنا والله أحقر بها منه، فسمعه عمر فقال: أحقر والله بها مني ومنك رجل خلفناه بالمدينة أمس - يعني علينا - (الإيضاح: ١٧٣، الصراط المستقيم: ٢، ٥٦، موافق الشيعة ١: ٢٢١).

(٢) هذا يأشيخ كلام من لا يؤمن بالله ولا بنبوة رسوله ﷺ.

الشوري، وكذلك لم يفوت الإمام أمر الخلافة إلى الحسن ولم يبايع المهاجرون والأنصار عليهما أهل القبلة ومعهم العالم على إمامته.

فتبيّن مما تقدّم أنَّ إجماع المسلمين حاصل هنا والإجماع حجة مع أنَّ مخالفينا يررون أنَّ النبي ﷺ قال: «المهدي من ولد فاطمة» واستختلف علىٰ خمس سنوات واتّخذه أهل القبلة إماماً لهم وخليفة عليهم فإنْجذبوا بهم مبطل لهذه الرواية وثبت كذبها.

وقال النبي ﷺ: لا تجتمع أمّتي على ضلال، مع أنَّ واضح هذا الحديث هم بنو أمّيّة وأرادوا بالشبهة الملتبسة بلباس الدليل صرف الخلافة عن أهل بيته رسول الله ﷺ.

ورووا أيضاً بأنَّ العباس قال لعليٰ عليه السلام: هلْمَ أبايعك، فيقال عمَّ رسول الله بايع ابن عمِّ رسول الله. وينبغي على ما ذهبوا إليه أنَّ العباس خالف رسول الله ﷺ. سؤال:

من المجاز أن لا يكون العباس لم يسمعه من النبي أو سمعه ونسقه.

الجواب:

فلم لا يكون جائزًا حينئذٍ أن ينسى الصحابة من ذلك الجمع وفيهم الحب الصادق أحاديث إماماة عليٰ وكتتها الأداء.

تنبيه:

مذهب العلماء على أنَّ الخلفاء لم يحضروا جهاز النبيٰ ولا الصلة عليه، بل كانوا يتحيّتون الفرصة هناك وقد علموا أنَّهم إذا شاركوا في تجهيز النبيٰ خرجت الخلافة من أيديهم وكان أبو بكر وعمر يشكّان في موت النبيٰ^(١)، قال: أيّها الناس، كفّوا

(١) وهذه لا أرضاعها من المؤلّف فقد مثل عمر دور الجاهل انتظاراً لصاحبـه حتّى يعود فلما عاد ختمـت التـمثـيلـية.

الستكم عن نبي الله فإنَّ نبي الله لم يمت ولكن الله واعده كما واعد موسى، وهو آتكم، والله لا نسمع أحداً يذكر النبي توفي إلا علوته بسيفي هذا ولكن أمير المؤمنين سارع إلى دفع هذه الشبهة من أذهان الناس.

وأيضاً أظن أنَّ عمر لم يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا تُمَاتُ إِنَّمَا تُمَاتُ مُؤْمِنُونَ﴾^(١) وقد نزلت قبل وفاة النبي بأحد عشر سنة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرًا مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مَتَ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ^(٣) وكان النبي يقول على رؤوس الأشهاد: «نعيت إلى نفسي»، والعجيب في أمر عمر أنه يرى أو يسمع بغسل النبي وكفنه ودفنه ثم يقول: أضرب بسيفي من يقول أنَّ رسول الله مات.

قال عبد الله بن عباس عن عمر بأنه قال: لو مات رسول الله كيف يكون علينا شهيداً، يموت الرسول ولم يظهر على الناس، فإياكم أن تفتتوا أيها الناس كما افتتنا قوم موسى حين غاب منهم إلى الطور فرجع إليهم فعاقبهم.

فقبل قوله جهال الصحابة واجتمعوا على باب بيت النبي وشرعوا في إحداث الشغب قائلين: لا تخربوا رسول الله ولا تغسلوه ولا تكفنوه لأنَّه حي قائم. فخرج عليهم العباس وطالبهم بإثبات ما يقولون وسأل عمر والمنادين معه: متى قال النبي أنا لا أموت؟! فصاحوا بأجمعهم: لا علم لنا بذلك، فأقسم العباس أنه مات وقرأ الآيات الدالة على موته، فقبل الصحابة ذلك، ولكن كان لعمر غاية وراء هذا القول وهو أنَّ الحزن لابد وأنَّ يعم الأصحاب بموت النبي عليه السلام ولابد من

(١) الزمر: ٣٠.

(٢)آل عمران: ١٤٤.

(٣) الأنبياء: ٣٤ - ٣٥.

بكائهم ساعة علمهم بموته ، وعمر مقبل على ملك عضوض وهو فرح به مستبشر ، وطالب من القوم تهنته على هذا النصر العظيم وهي لا تجتمع الحزن فن الحزن الحيلولة بينهم وبين البكاء لئلا تفوته فرحة النصر على العدو والفوز بالملك العقيم ، وكان يستحيي من الظهور بظهور الجذل والفرح فلا بد من افتعال هذه الزوبعة لتمرير غابتته^(١) .

وأيضاً إن أرذل القبائل قبيلة أبي بكر وعمر وكان قبل الإسلام بطلاً إذا أصاب طعاماً أو شراباً على خوان أحدهم قصده ، أمّا أبو بكر فكان أحياناً عضروطاً أو سمساراً أو معلم فتيان عبادة الأصنام وأحياناً يبيع البز ، فلما رفع من الرفسن إلى العرش فلا بد من أن تعتمه الفرحة التي لا حدود لها ، وهم يقولون : إنَّ أبا بكر أفت ذهن عمر إلى موت رسول الله بقراءة الآية ﴿إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ﴾^(٢) فأقسم عمر كأنه لم يسمعها قبل اليوم ، والعجب من القوم أنهم يقولون كان عمر معلمًا لأبي بكر وكان أعلم منه وكان حلَّ المعضلات التي تعترض أبا بكر على يديه ثم هو يجهل هذه الآية مع ادعائهم أنه كتب القرآن وجمعه وحين هلك ذهب تسعة عشر العلم بهذه العبارة : «لَمَّا ماتَ عَمَرُ ذَهَبَ تِسْعَةُ أَعْشَارِ الْعِلْمِ» .

وقوله : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ شَهِيدٌ عَلَيْنَا أَلَا يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الشَّهادَةِ فِي الْآخِرَةِ لَا فِي الدُّنْيَا .

(١) رحم الله المؤلف حين يطمئن إلى هذا التوجيه البارد الواقع أنَّ موت النبي فاجأ عمر وأبو بكر صاحبه بالسنح فخاف أن يطول مكنته هناك فأراد أن يشغل الناس بهذه الغربة حتى يعود صاحبه ولذلك لعن عاد أبو بكر وتلا عليه آية «إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ» سكت عمر من تهدیده وقال : كائني لم أسمع ، نعم كان أعمى أصم وصاحب في السنح أما الآن فقد عاد سمعياً بصيراً ، ألا لعنة الله ولعن صاحبه .

(٢) الزمر : ٣٠

الفصل الرابع

ولما انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى أمر علينا العباس بـإلباسه حلة يمنية، ويغسل فيها ، فكان العباس يسكب الماء والفضل يقوم بنقله إليه والإمام يقلب رسول الله ويدلكه ، واحتاج الفضل إلى الخروج من مكان الفسل لقضاء مهمّة عرضت ، فانتدب مكانه أبو سفيان بن الحarth بن عبدالمطلب من بني هاشم ومن الأنصار أبي بن كعب وأوسى بن خولي كانوا مع بني هاشم خارج موضع الفسل ، وكان السبب في دخولهما مع علي عليهما السلام وبني هاشم أنّ الأنصار قالوا لعلي: ناشدناك الله وحقنا من رسول الله عليهما السلام فأشركنا معكم في غسل رسول الله ، ففعل عليهما السلام ، هذاما في روايات القوم .

وأماماً عندنا فإنّ علياً لم يشركه أحد في غسل رسول الله إلا الفضل بن العباس حيث كان ينقل الماء والملائكة أعون على عليهما السلام ومعهم جبريل في فوج من الملائكة المقربين .

ويقول ابن بابويه : لم يحضر الأنصار إلا في الصلاة ، وهذه مسألة قطعية عنده لا تقبل النقاش ، وهي متّفق عليها عندنا إلا أن الإجماع حاصل من أنّ علياً عليهما السلام بعد موت رسول الله عليهما السلام «يا علي ، أنت أول من آمن بي وآخر من يسلم بي إلى ربّي» أمّا مخالفونا فلقد افتروا فرئي ليس لها واقع أصلاً من قبيل مشاركة العباس وأسماء والفضل وأبي سفيان ابن الحarth وغيرهم من ذلك الوضع من مرتبة علي وفضله وليس مع علي غير الفضل يأتيه بالماء وبقي أعونه من الملائكة ، ولم يصل في مسجد النبي ذلك اليوم أحد سوى بني هاشم فقد كانوا في شغل شاغل عن كل شيء إلا عن مصيّبتهم وعن الصلاة على رسول الله عليهما السلام وتجهيزه ، وكان أبو بكر في

سفيفة بني ساعدة يلطم على الملك حتى إذا فرغ بنو هاشم من مأتمهم على النبي يكون قد أحكم السيطرة على الملك.

الفصل الخامس

روى يوسف بن كليب المسعودي السفياني عن إبراهيم بن إسحاق الأزدي، عن عبد الله بن هليعة المصري، عن أسود بن عروة بن الزبير (الزهر) أنه قال: أول من قطع سهم ذوي القربي وسهم المؤلفة قلوبهم أبو بكر، ويوسف هذا من قطيع السنة النواصب، ثم قال: وما أخذه منهم أنفقه على العسكر في عدته وعدده.

الجواب:

إن الله سبحانه ورسوله أعلم بترتيب الشريعة والنظر لصلاح الناس من هؤلاء القوم وأمر الله ورسوله لأهل البيت بحقهم في هذه الآية ﴿وَاتِّ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾^(١) وأمثالها، وأمر الله بإكرام أهل البيت ومحبتهم بهذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَنِّيهِ أَجْرًا إِلَّا المَوْدُّةُ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢) وكيف يستلب منهم ما جعله الله حقاً لهم وتحية لجنابهم دون سائر الناس ثم يعطي إلى قوم غيرهم؟

وذكر مسلم الأصم والماحظ وحفظ وھؤلاء من أعلام النواصب: كان في ذمة أبي بكر عند موته أربعون ألف دينار من بيت مال المسلمين، ومات وهي في ذمتها لم تؤدّ عنه، وأمر في وصيته بأدائها عنه ولكن الخليفة من بعده لم يردد حقوق أحد من المسلمين حتى يؤديها عنه، وأخذوا حق أهل بيت الرسول وترکوهם جياعاً عراة وقضوا حقوقهم: يخضمون مال الله خضم الإبل نبطة الريع.

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) الشورى: ٢٣.

حكاية :

يقال : إنَّه كان في الرِّيَّ حاكم ظالِم جدًا ، فقبض يوماً على أحد الدهاقين وصادر أمواله كلها ، وحدث ذات يوم أنَّ مغنايَا كان يردد رجزاً جميلاً وفيه : إِنَّ الْوَالِي الَّذِي صادر الدهقان أَعْطَاه مالَ الْمَصَادِرَةِ ، وَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرَ الْدَّهْقَانَ بَكَى وَقَالَ : يَأْخُذُ مَنْ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَيَعْطِيهِ مَنْ لَيْسَ لَهُ عِنْدَهُ شَيْءٌ .

وهذا الخبر منطبق على أبي بكر قاتم الانطباق ، لأنَّه أَخْذَ مَالَ مَنْ لَمْ يَجُوزْ أَخْذَ مَالِهِ وَأَنْفَقَهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ أَنْ يَنْفَقَهُ عَلَيْهِ : **﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾**^(١) .

وكان مذهب الشافعي على هذا وهو أنَّه في آخر عهد عمر قدم بالكثير من فارس وكرمان والأهواز وتستر إلى المدينة ، فقال عمر : إِنَّ حَصَّةَ بْنِ هَاشَمَ مِنَ هَذَا الْمَالِ الْخَمْسُ وَأَنَا أَرْجُوْهُمْ أَنْ يَقْرِضُوهُ لِي لِأَصْلَحَ بَهَالَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنِّي سَوْفَ أُعَوِّذُ بِهِمْ عَنْهُ فِي فَرْصَةٍ قَادِمَةٍ مَالَ آخِرَ ، فَأَفْرَضَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُ وَفَعَلَ بْنُ هَاشَمَ فَعَلَهُ ، فَطَالَتِ الْمَدَّةُ وَلَمْ يَعُوْذُهُمْ عَمَرُ عَنْهُ حَتَّى هَلَكَ ، وَلَمَّا جَاءَتِ نُوبَةُ عُثْمَانَ بَقِيتِ الْحَالُ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ سَنَّةٍ عَمَرُ ، وَجَاءَ الْخَلْفَاءِ وَقَدْ تَنَوَّسَ الْخَمْسُ فَلَمْ يَعْطُوا أَهْلَ الْبَيْتِ شَيْئاً .

وفي رواية أخرى عن الشافعي عن أبي ليل أنَّه روى عن علي قال : ذهبت أنا وفاطمة والعباس وزيد بن حارثة إلى رسول الله ﷺ وقلنا : يا رسول الله ، إنَّا نخشى أن لا نُعطى حقَّنا من الخمس بعدك ، فأعطناه في حياتك لكي لا يعترض علينا أحد أو يعارضنا ، فرضي النبي بذلك ودفع إلينا الخمس وبقي في أيدينا أيام أبي بكر حتى إذا كانت أيام عمر جاءه مال كثير فأخرج خمسه ودفعه لنا ، فقلت

لبني هاشم : ما حاجتنا بهذا المال ادفعوه إلى المسلمين لإصلاح حاهم ، لعلهم يعطونا عوضه في فرصة أخرى مؤاتية ، فقبضه عمر على أنه قرض وأعمل فيه يده بالتصرف فأنكر العباس على عليٍّ هذا الموقف وقال : لا ينبغي لك أن تفعل هذا لأنني أخاف أن يجعلو المال بأعينهم فلا يعطوننا شيئاً بعده ، وكان كذلك فعلاً فقد هلك عمر ولم يؤدِّ إلى بني هاشم قرضهم كما سلف وبقي هذا الدين عالقاً في ذمة عمر .. وهاتان الروايتان من الشافعي .

تنبيه :

لقد ثقَت الصيغة الكاملة للصلوة والزكاة والخمس بنص القرآن الكريم فن أنكر واحدة منها أو امتنع عن أدائها عُذْ كافراً بالقرآن ويعزله رسوله .
قال الحارث بن المغيرة : طلب «نجية» الإذن على الإمام الصادق فأذن له ودخل عليه يسأله عن قضية الحمس ومنعه ، فقال ذلك الإمام : يا نجية ، إنَّ الحمس لنا في كتاب الله ولنا الأنفال وصفوة الأموال وهذا والله أول من ظلمنا ومنعنا حقنا وكانا أول من ركب أعناقنا - إلى أن قال : - وسوف يكشف أحواهها قائمها كما يستحقون .

ووردت أخبار نظير هذا لا تقبل المحصر .

الفصل السادس

في مثالب بني تميم

ذكر أصحاب السير والمؤرخون عن بني تميم بأنهم كانوا أهل مسكنة وفقر ، وأخلوا وأجهل بطون العرب ، وسقطوا في الجاهلية فليس لهم قدر ولا جاه ، وقد ذُتهم دغفل النسبة عند معاوية ، وقال فيهم جرير :

ويقضي الأمر دون رجال تيم^(١) ولا يستأذنون ومم شهود
ولذلك لو رأيت عبيد تيم وتبيناً قلت أتىها العبيد
ولم يكن فيهم لا سيد مشهور ولا تاجر معروف ولا جواد مذكور، وكان دغفل
النسابة عربياً عارفاً بأنساب العرب وسأله معاوية ذات يوم عن القبائل، فقال بعد
أن ذكر عدداً منها وسألته معاوية عنبني تيم:
أهل فحش فاش، أحلام الفراش ! إن شبعوا بخلوا، وإن افتقروا أحلفوا(الحواء-
المؤلف).

وقال أبوالعتاس -لعله المبرد -المترجم -قال حجر ابن جوين لأبيه : هجوت
قبائل العرب وتركت تيماً فما هو سبب تركك هجائهم ؟ فقال : يا بني ، لم أجدهم
حسباً أضعه ولا بيتأً أحدهم .

واسم أبي قحافة عثمان بن عامر وكان يُعرف في قريش بـ«لواطة» وكان من
لومه ينادي على طعام عبدالله بن جدعان^(٢) وكان يعطيه عبدالله على فعله هذا في
كل يوم درهماً واحداً، ويملأ جوفه من فضلات طعام الأضياف ويدرك ذلك أمية ابن
أبي الصلت عن ابن جدعان، فيقول :

له داع بسمكة مشتعل وآخر فوق دارته ينادي
إلى آخر الشعر ، والمنادي هنا أبو قحافة .

وكان صائداً يصيد الطيور فصاد طيراً في الصحراء وباعه بذى الحليفة .
وكان له شريك يقطن بذى الحليفة ويدعى سعد الغاري من الغارة بن الهون بن

(١) في العيون والمحاسن للشيخ المفيد: ويقضي الأمر حين تغيب تيم - وهو أبلغ وفيه الطلاق: غياب وشهود.

(٢) ومن يفعل ذلك يسمونه «عضروط» وليس «لواطه».

خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر^(١) وقال بعضهم اسمه سعيد. وحاصل الكلام أنّ سعيداً هذا خان أبي قحافة حين أخذ طائره الذي اصطاده فكتمها أبو قحافة في نفسه ولم يبدها لأحد وصبر على مضض وكان يبالغ في التكتم ، فدعاه شريكه ذات يوم إلى بيته فأجلسه فيه وخرج لحاجة عرضت له، فعمد أبو قحافة إلى بيته في غيابه فانتبه وأخذ منه ما قدر على أخذها، ومن هذه الجهة سمي أبي قحافة ، يقال : اقتحف اقتحافاً أي شرب شرباً شديداً، جمع ما في الإناء من الماء . وكان لا يقول الشعر ولكنه قال شعراً في هذه الواقعة :

أَسْعَدَ جَرَازِكَ اللَّهُ شَرَّ جَرَازِهِ	بِمَا نَلَتْ مَنَّيْ فِي الْخِيَانَةِ وَالظُّلْمِ
وَثَقْتَ بِهِ حَيَّاً وَقُلْتَ لَعَلَّهُ	يَكُونُ عَلَى أَمْرٍ بَعِيدٍ مِنَ الظُّلْمِ
فَلَمَّا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَنْوِي خِيَانَتِي	شَدَّدْتَ عَلَيْهِ شَدَّدَةَ الْلَّبِثِ ذِي الضُّغْمِ
وَقُلْتَ لَهُ مَذَا جَرَازِكَ ظَالِمًا	لَمَّا قَدَّمْتَ مِنْكَ الْبِدَانَ مَعَ الْفَمِ

وتظهر مروءة أبي قحافة وكرمه وسخائه من هنا حيث سرق بيت شريكه ومضيقه وهجاه من أجل طائر، ولا بدّ أن يعكس شرفه هذا على أهل بيته فيكونون على مثل مروءته وشرفه ، وكلماتنا هذه تبيّه على أباطيل من ينسبون إليه الفضائل ، إذ قلت الخبرة - خبرة - بأحواله .

قال أهل السير من الأسلاف : كان مجاعة يذكرون مناقب معاوية في أحد المجالس ، فقال أحدهم : كان معاوية بدرياً أي أنه حضر موقعة بدر ، وكان هشام ابن الحكم حاضراً ، فقال : نعم كان بدرياً ولكنه من جانب المشركين .

(١) أحبط القارئ علمًا بأنّي عاجز عن التأكّد من أسماء الأعلام الواردة في هذا الكتاب لأنّ نصوصه العربية أكثرها دخلها التصحيف والتحريف ولا أملك إلا نسخة واحدة هي التي أقوم بترجمتها من ثم أكل الأمر إلى القاري في تحقيق ما يراه خطأ أو مصحفاً أو محرّفاً.

إنَّ الجماعة الذين يوالون هؤلاء ينسبون إليهم المناقب على مثل طريقة العرب في التفاؤل حيث يسمون الأشياء بأضدادها فيسمون الأعمى بصيراً، واللديع سليماً، والصحراء المهلكة مفارزة «حبك الشيء يعمي ويصم».

والدليل على خساسته طبعهم أنَّه لما بايع القوم أبا بكر بعد وفاة النبي سأله أبو قحافة: من بايعه الناس؟! قالوا: ابنك، فقال: كيف رضي بنو عبد مناف بذلك؟ - لأنَّه علم أنَّ الأشراف وعلية القوم لا يقرُّون له اختياراً لذلك تملكه العجب من هذه المهزلة - فقالوا له: رضي المسلمون به، فقال: لا مانع لما أعطى الله، وكأنَّه كان جريأاً ومن ثمَّ اعتقد بأنَّ خلافة ولده كانت بقدر من الله تعالى ولم يدر أنَّها كانت بالقهر والغلبة والمحيلة والقدر، فإنَّ كانت خلافته قدرًا من الله وهبة منه سبحانه فإنَّ ملك معاوية ويزيد وسائر بنى أمية وملك الأكاسرة والقياصرة بقدر من الله كذلك «نعود بالله منه».

قال أبو بكر لأبيه يوماً : ترى صلاتنا متيبة مقعدة والعجب أنَّه لا يرى عمل الصائد بأقدامه الحافية راكضاً في صحراء مترامية الأطراف وراء الطيور عملاً متعباً ومقيناً مقعداً ، ويرى الصلاة كذلك ، وهي تؤدى في محلٍ واحد ! حكاية :

كان رسول الله ﷺ ما بين مكة والمدينة وقد مرَّ على قبر أبي سعيد بن العاص ، فقال أبو بكر : لعن الله صاحب هذا القبر فإنه كان يكذب الله ورسوله - وكان ابنه سعيد حاضراً - فقال : بل لعن الله أبا قحافة لأنَّه لا يقرِّي الضيف ولا يدفع الضيم ولا يقاتل عن رسول الله ﷺ .

قال رسول الله ﷺ : إذا سببتم المشركين فعموهم بالسب ولا تستروا الأموات فإنَّ سببهم يغضب الأحياء ، وذكر أصحاب السير والتاريخ أيضاً^(١).

(١) إلى هنا وانتهى الفصل ولم يذكر ما قاله أصحاب السير والتاريخ.

الفصل السابع

اعلم أنَّ أبا بكر لم يثبت له قتال في الإسلام ولم ينقل عنه أنه قتل مشركاً واحداً ولم يذكر ذلك أهل المغازي، نعم، قيل أنَّه استأذن من رسول الله يوم الخندق أن يبارز ولده فلما خرج إليه ودنا منه، قال له: ويحك، ما بقي من مالي؟ فقال ابنه: لم يبق إلا شكّة ويعيوب وفارس يضرب ضلال الشيب، واليعيوب اسم فرس. قال المحافظ الناصبي اليزيدي في كتابه «العثانية»: إنَّ أبا بكر لما أسلم أسلم معه أهل بيته كلُّهم، وهذا قول باطل بعذر الحمان ابنه الذي كان كافراً يوم الخندق. وقيل عنه: أنفق ماله بعد إسلامه ولم يبق منه درهم واحد، وهذه الدعوى الباطلة يكذبها قوله لولده: «ويحك ما بقي من مالي».

والمشهور عنه وعن صاحبه عمر أنَّهَا كانوا أول المنهزمين في وقعة خير وحنين. وكان يخجل من الذهاب إلى ولده ظاهراً ليسأله عن ماله فجاء النبيَّ واستأذنه في البراز ﴿يَخَابِغُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفَسُهُمْ وَمَا يَنْسَعُونَ﴾^(١) ومع هذا فقد ظهرت الفرحة على بعض المسلمين أنَّ فلاناً الذي لم يعرف الصحور في الحرب ولم يقاتل بمقدار جناح بعوضة سوف يخرج اليوم للمبارزة فينبغي أن يكتب له حرز عن العيون: «إنَّ العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر» ولما علم أبو بكر بما جرى لماله من ابنه رجع من ميدان القتال.

الفصل الثامن

يقول المخالفون: إنَّ الأصحاب هم الذين نطق القرآن بفضلهم وتوهت السنة بهم، وكلَّ الذي عليه أهل القبلة من الدين والديانة والعقيدة وصل إليهم منهم فكيف يجتمعون على الكذب وينكرون نصَّ رسول الله مع أنَّهم يدركون رفعة مقام عليٍّ وفاطمة ويقرُّون بفضلها. وأهل السنة اليوم في مجالسهم ونوادي وعظهم مشغولون بالحديث عن فضلها وصالح أعمالها، فكيف يتصرَّر على هؤلاء إنكار النصَّ فيكرون من أجل غيرهم؟

الجواب: إذا كانت المعاشرة من جهة الأخبار احتاجت إلى التصدق، وإن كانت من جهة العقل احتاجت إلى التناصف، وما ورد من القرآن والسنة في فضل الصخابة فإنَّهم أولئك الذين لم ينكروا فضل أهل بيت النبي ﷺ ولا جحدوا فضائلهم ومناقبهم أبداً نظيربني هاشم وأبي ذر وعمار وغيرهم، لم يأت القرآن والسنة الموثوق بها بالتخصيص وإنما أتت بطريق العموم، ووردت مجملة ومع هذا فقد ورد مثله آيات في ارتداد القوم كما سنتقَّص عليك زمرة منها.

ثُمَّ إنَّ الصحابة كانوا هم على الشرك ومن سلالة مشركيٍّن وكان أولاد يعقوب من سلالة الأنبياء ويعرفون مناقب أخיהם يوسف فأرادوا قتله - كما هو مشهور في التاريخ ومذكور في سورة يوسف - من الحسد والعداوة مع أنَّهم يعرفون منزلة يوسف وعلوّ درجته.

وكذلك فعل قايميل فإنه لم يقتل أخاه بناءً على الجبَّة الإنسانية والغيرية الأخوية وإنما قتله لعلمه بعلوّ رتبته «عند الله وعن أبيه آدم».

وكان رسول الله في الولهة الأولى لم يعاده أحد ولكن حين ظهرت بوادر شرفه

ومنصبه وجاهه ورفعته حسدوه وناصبوه العداء وكان في مراحله الأولى ساكتاً حتى إذا وجد المعين والناصر خرج بالسيف، ثم إنَّ عدوَّ محمدَ ﷺ ظاهر والشرك، وعدُّوَّ عليٍّ ظاهر والصلاح والعدالة، والشرك والمعصية مقیمان في الباطن منهم فلم يدرك الجھال حقيقةِ تصرفِهم لتسْرُّهم بقناعِ الإسلام وكانوا يمْوَّهون على الناس في ظلمهم لأهلِ البيت بظاهرِ الشرع والإسلام فلم يتيسَّر لکلّ أحد معرفتهم أو الإطلاع على حقيقتهم وكان عدوَّ محمدَ مشركاً وعدُّوَّ عليٍّ منافقاً.

لقد كان النزول وفرعون يرون العجزات رأي العين فلم يكونوا يجهلون رتبة موسى وإبراهيم ، وكان بنو إسرائيل يعرفون منذو البداية ما لذكرِيَا وعيسيٍ من رفيع الدرجة وعلوَّ المنزلة وغيرهما من الأنبياء كما جاء في كتب السلف وقد ذكر الماضون أنَّ بنى إسرائيل كانوا يقتلون في كلّ يوم مائة واثني عشر نبياً، ولا تنس أهل العقبة فما كانوا يجهلون فضل رسول الله بل عرفوه على حقيقته .

أما الشريعة فهي مبنية بالقرآن الكريم وإجماع أهل القبلة ونحن شيعة أئمَّة أهل بيته رسول الله ﷺ عرفنا الجمل من القرآن وما يحتاج إلى تفسير وبيان من أقوال المتصوِّفين من أهلِ البيت عليهما السلام ومن الصحابة الذين لم يخالفوهم ولم يختلفوا معهم مثل أبي ذر وسلمان وعمار وأمثالهم من بني هاشم .

وأما خصومنا فقد ارتدوا والنبيَّ ﷺ على قيد الحياة وكان وهو يلقي أنفاسه الأخيرة يقول : «نَفَّذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ» إلى أن قال : لعن الله من تخلَّفَ عن جيش أُسَامَةَ، وقد أخبر الله تعالى عن هذا الارتداد بقوله : «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ»^(١) ومن الواضح أنَّ أولئك الذين تجدهم في سقية بني ساعدة لم يكن اجتنابهم مجرَّد صفاء واتفاق بل كانت المجادلات والمشاحنات بينهم على أشدِّها فما أكثر ما تسابوا

وتشاقوا وتضاربوا بالنعال وكفر بعضهم البعض الآخر وصدرت أوامر من بعضهم بقتل البعض الآخر ومنادتهم ينادي : مَنْ أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، والذين بايعوا أبا بكر سلوا السيوف بينهم .

وهو لاءُ قومٍ موسى عرَفُوا نبوةً موسى وعلموه بمناجاته لله تعالى وأمنوا بنبوة هارون وعرفوا قدره ومع ذلك فقد عبدوا العجل وحيثَنَّه تكون حال على حال هؤلاء الأنبياء .

وسؤال السائل مردود عليه بإجماع الصحابة على قتل عثمان والخصم يزعم لعثمان الفضل والمنازل العالية ، والأصحاب كانوا جميعاً حضرواً في المدينة ، فلم يذكر لأحد منهم مشاركة في الدفاع عن عثمان وما يقوله الخصم من حجّة في توجيه تصرّفهم قوله نحن في دفع شبهته لا سيما على مذهب الخواجة الذي يرى الإيمان عطاءً وهبة وعسى أن يسلب الله العبد ما وله في خاتمه كما جرى لبلעם بن باعورا وبرصيضاً الراهن .

وطبقاً لما يعتقد القوم في طلحة والزبير وعائشة ومعاوية أنّهم من أعلامهم من العشرة المبشرة ولكنّهم خرجوا على الخليفة الرابع وبغوا عليه وهو إمام زمانهم فهم بغاة بناءً على مذهب الخصوم ، وكفرة بناءً على مذهب الشيعة وقد أحدثوا في الدين أحداً لاسياً طلحة والزبير ومعاوية ، وأجحوا نار الفتنة في الدين ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «أَقَاتَلُهُمْ وَهُمْ مُشْرِكُونَ» .

ومن المعلوم عند الأئمة أنّ عثمان ارتكب مظالم كثيرة ضدّ المسلمين حتى قام الإجماع من المهاجرين والأنصار على استباحة دمه ، وقدامة بن مظعون شرب الخمر وأجروا عليه الحدّ فجلدوا ظهره ، وزنّي المغيرة وشهد عليه الشهود ولكن عمر درأ عنه الحدّ بمحيلة واضحة عرفها الخاصّ والعاص ، وحدّوا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة في القذف ، وأقرّ النعمان بن بشير على نفسه في حربه مع معاوية

وقال: أبصرت (رشد) نفسي ثم تركته وأنه إن حرم على الجنة وزيتونها فإنه يقاتل على الغوطة زيتونها.

ويقول خصومنا أن سعداً بن أبي وقاص والد عمر لعنه الله ومحمدًا بن مسلمة وحسنان بن ثابت لم يبايعوا علياً وبابيعه طلحة والزبير، وأظهر المغيرة الطعن على علي عليهما السلام كثيراً وأظهر له العداوة وأغرى عائشة بالخروج عليه وقتاله وقال لها: متواتين بأجلك وتدخلين الجنة ونشعن بك على علي إن قتلك.. يعني علياً^(١).

وأشهر منه في الخبث والعداوة أبو موسى الأشعري لعنه الله الذي خان إمام المسلمين وعزله، وقال رسول الله عليهما السلام: يا علي، إن الضغائن في أنفس قوم لا يبدونها إلا بعدي^(٢).

(١) الذي أعلمه من هذا الكلام أنه لعمرو بن العاص وليس للمغيرة.

(٢) هذا الحديث روي هكذا: عن أبي عثمان النهدي قوله: أخذ علي بحذثنا إلى أن قال: جذبني رسول الله عليهما السلام وبكي، فقلت: يا رسول الله، ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور قوم لن يبدوها لك إلا بعدي. فقلت: بسلامة من ديني؟ قال: نعم بسلامة من دينك (علي الشهروستاني، وضوء النبي، ٢: ٢٠٤).

وفي عيون أخبار الرضا عليهما السلام: قال النبي عليهما السلام: إذا مُظہرت لك ضغائن في صدور قوم يتمالئون وينمئونك حقك (٢: ٧٢).

وراجع للحديث بصيغه المختلفة الكتب التالية: كفاية الأثر: ١٢٤ و ١٥٨، كتاب سليم بن قيس تحقیق الأنصاری: ١٣٦ و ٣٠٥، الإيضاح لفضل بن شاذان: ٤٥٥، مناقب أمير المؤمنین للکوفی ١: ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٤٣ و ٥٥١: المسترشد للطبری الإمامی: ٣٤١، شرح الأخبار للقاضی نعمان ٢: ٤٦٤، الاحتجاج ١: ٢٠٩، الطرائف لابن طاوس: ٤٢٨، الصراط المستقیم للعاملي ٢: ١١٦، وصول الأخبار للبهانی: ٦٨، الصوارم المهرقة: ١٩٨، الجمل: ١٠، كتاب الأربعين: ٢٦٤، بحار الأنوار ٢٢: ٥٣٦ و ٥٣٠: ٢٦٠ و ٣٥٠: ٣٢ و ٣٤٣: ٣٦ و ١٥٤: ٣٢٨ و ٣٣٧، الهیشمي في مجمع الزوائد ٩: ١١٨، مسند أبي يعلى ١١: ٤٢٧، المعجم الكبير ٦١: ٤٢٧، شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠٧، كنز

وقال ﷺ: إنَّ قوماً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال ويذهب بهم إلى النار، فأقول: أصحابي، فيقال لي: إنَّك لا تدرِّي ما أحدثوا بعدك إنَّهم مشوا القهري، فأقول لهم: بعْدَ وسْحَقاً^(١).

وقال: إنَّ من أصحابي من لا يراني بعد موتي^(٢).

وقال أيضاً: لا ترجعوا بعدي كفَّاراً يضرُّ بعضكم رقاب بعض^(٣).

❸ العتَّال: ١٢: ١٧٦، الرقم: ٣٦٥٢٣، الكامل في الرجال: ٧: ١٧٣، تاريخ بغداد: ١٢: ٣٩٤، تاريخ دمشق: ٤٢: ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤، ميزان الاعتدال: ٤: ٤٨٠، المناقب للخوارزمي: ٦٥، كشف القيني: ٤٦٠، جواهر المطالب لابن الدمشقي: ١: ٢٣٠.

(١) وأما هذا الحديث فقد روَى بصيغة مختلفة وإليك الكتب التي أخرجهته: الصراط المستقيم: ٣: ١٠٧ وقال: أخرجه البخاري، بحار الأنوار: ٧: ٢٨٢ و ٢٢، أجوبة مسائل جار الله للسيد شرف الدين عليه السلام: ١٣، النص والاجتهاد: ٥٢٥، الغدير للأميني: ٢: ٢٩٦، أضواء على الصحيحين للنجمي: ٤٣٢، دراسات في الحديث والمحدثين للسيد هاشم الحسيني: ٨٧. ومن كتب العامة والجماعة: صحيح البخاري: ٤: ١١٠ و ٥: ١٩٢، جزء بقى بن مخلد لابن بشكوال: ١٤٩، أضواء على السنة المحمدية لأبي رية: ٣٥٤، جامع البيان للطبراني: ٢٢٠ و ٢٤٩، تاريخ مدينة دمشق: ٦: ٢٤٣ و ٢٤٥ و ٢٤٦، تهذيب الكمال: ٢٨: ٤٠٦، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٧: ٢٧١.

(٢) الأُمالي للصدوق: لا يراني بعد أن يفارقني، مجمع الرواند: ١: ١١٢، مستند ابن راهويه: ٤: ١٤٠، المعجم الكبير: ٢٣: ٣١٨ و ٣١٩، كنز العتَّال: ١١: ١٩٧ رقم ٣١٢١١، النهاية لابن الأثير: ١: ١٥٤، لسان العرب: ١٤: ٨٣.

(٣) وهذا الحديث رواه كثير من الشيعة ولكننا نتجاوزه من كتبهم إلى كتب الخصوم: المجموع للنووي: ١٤: ٢٣٠ و ١٩: ١٥٥، المحلَّى: ١١: ٣٩٩، سبل السلام لابن حجر: ٢: ٢١٤ و قال: أخرجه البخاري، نيل الأوطار للشوكاني: ١: ٣٧٧ و ٣٧٩ و ٣٨١ و ٣٨٣ و ٥: ١٥٦ وقال: رواه أحمد والبخاري، مستند أحمد: ١: ٢٤٠ و ٢: ١٤٠ و ٢: ٨٥ و ٨٧ و ١٤٠ بطريقين.. و ٤: ٣٥١ و ٣٥٨ و ٣٦٦ و ٣٥٦ بطريقين.. و ٥: ٣٩ و ٤٤٤ و ٤٥٥ و ٤٦٦ و ٧٣، سنن الدارمي: ٢: ٦٩، صحيح البخاري: ١: ٣٨ و ٢: ١٩١ و ١٩٢ و ٥: ١٢٦ بطريقين.. و ٧: ١١٢ و ٨: ١٦ و ٣٦ بطريقين.. و ٩١ بأربع طرق، صحيح مسلم: ١: ٥٨، سنن

وقف يوماً على الشهداء وقال: أنا الشهيد على هؤلاء، فقال بعض الأصحاب: ونحن أسلمنا أيضاً وجاهدنا معك ورجوه أن يقول فيهم ما قاله في شهداء أحد، فقال رسول الله ﷺ: إني لا أدرى ما تفعلون بعدي، وقال في حقهم تلك اللفظة. قال أبوذر رض: أصحاب العقبة قوم من أهل النار وإنني لا آسى عليهم إنما آسي

ابن ماجة ٢: ١٣٠٠، سenn أبي داود ٢: ٤٠٩، سenn الترمذى ٣: ٣٢٩، سenn النسائي ٣: ١٢٦ بطريقين.. و ١٢٧ بطريقين، المستدرک للحاکم ١: ٩٣، السسن الكبرى للبيهقي ٥: ١٤٠ و ٦: ٩٧ و ٨: ٢٠، مجمع الزوائد ١: ١٥٦ و ٣: ٢٦٦ و ٢٧٠ و ٤: ٢٧٣ و ٤: ١٧٢ و ٦: ٢٨٣ بطريقين.. و ٧: ٢٨٤ و ٥: ٢٩٦ بطريقين.. و ١٠: ٣٦٥، مسند الطیالبی: ٩٢، المصنف لابن أبي شيبة ٨: ٦٠٢ بطريقين.. و ٦٠٣، خلق أفعال العباد للبخاري: ٧٩، تأویل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٣، بقية الباحث لابن أبيأسامة: ١٢٨ و ٢٤٥، الأحاديث والمتانی للضحاک ٣: ٢٠٩ و ٢١٠ و ٣٠٢ و ٢١٠ و ٣٠٣.

وراجع: السنن الكبرى للنسائى ج ٢ و ٣، ومسند أبي يعلى الموصلى ج ٣ و ٧ و ٩ و ٧ و ٩، المتنقى لابن الجارود، صحيح ابن حبان ج ١ و ١٣، الحد الفاصل للرازى، المعجم الصغير للطبرانى ج ١، والأوسط ج ٤ و ٧ و ٨، والكبير ج ٢ و ٤ و ٦ و ٨ و ١٠ و ١٢ و ٢٢ و ٢٢، ومسند الشاميين له أيضاً ج ١، أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني، شرح ابن أبيالحديد ج ١، الأذكار النسوية، رياض الصالحين للنحوى أيضاً، الجامع الصغير للسيوطى ج ٢، كنز العمال ج ١ و ٥ و ١١ و ١٤، تفسير ابن كثير ج ٢، شواهد التنزيل للحسكاني ج ٢، الدر المنشور للسيوطى ج ٣، لباب النقول له، المحصول للرازى، الطبقات لابن سعد ج ٢ و ٣، ضعفاء العقيلي ج ١ و ٤، الثقات لابن حبان، الكامل لابن عدي ج ٤ و ٧، علل الدارقطنی ج ٥، تاريخ بغداد ج ٨، الإكمال لابن ماكولا ج ١، تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥، الموضوعات لابن الجوزى ج ١، أسد الغابة ج ٣، تهذيب الكمال للمرزى ج ٢١، ميزان الاعتدال ج ١، سير أعلام النبلاء ج ١ و ٩ و ٤ من له رواية في مسند أحمد، لسان الميزان لابن حجر ج ٢، تعجیل المتفعة له، كتاب الفتن للمروزى، البداية والنهاية لابن كثير ج ٥، السيرة النبوية لابن كثير ج ٤، لسان العرب لابن منظور ج ٥، تاج العروس للزبيدي ج ٣، غريب الحديث لابن قتيبة ج ١. كل هؤلاء أخرجوا الحديث وأما ابن الجوزى في الموضوعات فقد ذكره ضمن أقوال أمير المؤمنين يوم الشورى، ومثل هؤلاء بل أكثر من الشيعة الذين أخرجوا الحديث.

على من يضلّ بهم من خلق الله تعالى وهم كثير .
وقال : لقد تعااهدوا فيما بينهم أنه متى توقي محمد ﷺ لا ندع أهل بيته ينالون
الخلافة من بعده ونزل فيهم قوله تعالى : **﴿وَمَكَرُوا مُخْرَا وَمُتَزَّنَامُخْرَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾**
إلى قوله **﴿أَجْنِيَعِينَ﴾**^(١) .

قال حبيب بن أبي ثابت : قوله تعالى : **﴿الْفَلَائِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السُّوءِ﴾**^(٢) الآية ، قال حذيفة : الذين نفروا ناقة رسول الله ﷺ في العقبة لكي تلقىه
عن ظهرها وهم يقتلونه إذا بلغوه هم أربعة عشر نفراً : طلحة والزبير وأبو سفيان
وعتبة بن أبي سفيان وأبو الأعور والمغيرة وسعد بن أبي وقاص وأبو قتادة وعمرو
ابن العاص وأبو موسى الأشعري وعبد الرحمن بن عوف والخلفاء الثلاثة .
قال الواقدي - وهو ناصبي - : لما طعن عمر بن الخطاب رفعه عثمان من التراب ،
فقال عمر : دعني ، وقال : ويلي ويلي من النار ، الآن لو كانت لي الدنيا لافتديت بها
من النار ولم أرها ، ورواية الواقدي عن عمر حجة .

وهذا دليل واضح على علم عمر بكونه من أهل النار وهذا مصدق قول رسول
الله ﷺ : إذا كان يوم القيمة أرى رجالاً يختلجون دوني فيذهب بهم ذات الشمال ،
فأقول : يا رب ، أصحابي أصحابي ، إلى آخر الحديث ^(٣) .

ونزل فيهم قوله تعالى : **﴿يَظْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَاتَلُوا وَنَفَّذُ قَاتَلُوا كَلِمَةَ الْكُفُرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾**^(٤) ، **﴿فَقَاتَلُوا أُمَّةَ الْكُفُرِ﴾**^(٥) وسبب نزول الآية التالية هو أن طلحة والزير

(١) النمل : ٥٠ و ٥١ .

(٢) الفتح : ٦ .

(٣) ذكرنا مصادر صيغ الحديث فيما تقدم ونزيد عليها : كتاب السنة : ٣٤٠ ، مستند أبي يعلى ٧ : ٣٥ ، علل الدارقطني ٧ : ٢٩٩ .

(٤) التوبية : ٧٤ .

(٥) التوبية : ١٢ .

والثلاثة راسلوا اليهود أن يجروهم إذا نزلت الهزيمة بمحمد ﷺ، فأنزل الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا الْكِتَابَ فَلَا يَنْهَا عَنِ الْحَقِيقَةِ وَالْحَسَارَى أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١).

وقال عثمان طلحة يوماً - وقد جرى بينهما نزاع - إنك لأول أصحاب محمد تزوج يهودية، ونزل فيه:

﴿وَيَقُولُونَ آتَانَا اللَّهُ وَبِالرَّسُولِ وَأَطْعَنَا مُهَاجِرْنَا فَيَتَوَلَّنَ فِرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَخْكُمْ بَنِيهِمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُغْرِضُونَ﴾ (٢).

وكان عثمان قد اشتري أرضاً من أمير المؤمنين لله ثم ندم وأراد ردّها عليه فأبي على أن يقبلها وقال: ليس لك أن تردّها فقد بعتك أنا واشترت أنت فهلما إلى رسول الله نحتكم عنده، فقال عثمان: كلاً، بل نذهب إلى قضاة اليهود، فأنزل فيه:

﴿فَإِنْ يَكُنْ لَّهُمْ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قَلْوَبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣).

وقال طلحة وعثمان: أينكح محمد نسائنا ولا ننكح نسائه! إن هذا أمر لا يكون، وكان يطبع طلحة بعائشة وعثمان بأم سلمة (٤) فأنزل الله قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدَاهُ﴾ (٥).

ونزل في عبد الرحمن بن عوف قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَبْلَهُمْ كَفَرُوا أَيْدِيهِمْ إِلَى قَوْلِهِمْ إِلَى الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ (٦).

(١) المائدة: ٥١.

(٢) النور: ٤٧ و ٤٨.

(٣) النور: ٤٩ و ٥٠.

(٤) هذا التحرّص من المؤلف فلم يذكر أحد ذلك عن عثمان واقتصروا على ذكر طلحة فقط.

(٥) الأحزاب: ٥٣.

(٦) النساء: ٧٧.

أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في مكة أن يجلس كل واحد منهم إلى جنب مشرك فإذا ظفر المشركون المسلمين وقتلوا واحداً منهم فإنه يقتله مكان أخيه المسلم، وكان عبد الرحمن يتمتع القتال ويقول للنبي ﷺ: لَيْتَ أَنَا أُمِرْنَا بِالْقَتْالِ، فَلَمَّا هاجروا إلى المدينة وأوجب الله jihad كان عبد الرحمن بن عوف يقول: لو تركنا نموت على فراشنا كان أحبّ إلينا.

روى أبو جعفر أنّ فاطمة زَبَدَةَ ذهبت يوم الأربعاء - وهو اليوم الذي دفن فيه رسول الله ﷺ - إلى روضته، فقال لها أبو بكر: أصبح والله صباحك صباح السوء، وهذا القول شهادة منه بموت رسول الله ﷺ، لأنّ الأدب يتضمنه أن يقوم بتسليةها وإدخال العزاء على قلبها، وغرضه من هذا القول أنّ مُحَمَّداً ﷺ دُفِنَ بقبره في يوم نحس وهذا يدلّ على نفس حاله (نعود بالله من هذا القول).

أمّا ما يقال من أنّ أهل السنة والجماعة يذكرون عليناً وفاطمة في بلادهم فهذا صحيح إلا أنّهم يرونهما دون أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة، فإذا فاه بعدهم أحد دون أن يذكر أمّة القوم أو أنّه مدح الزهراء دون عائشة فإنه يُرمى بالرفض فوراً.

وقد وضع بنو أمّية نير العداوة والكفر على أنعاق الأُمّة في الشرق والغرب، وجهدوا في إخفاء مناقب عليٍّ، وحضروا على أحد ذكره ما دام العالم، وحوّلوا الاسم على أبي تراب حتى يتلاشى اسمه ولقبه من ذاكرة الأُمّة، ولكنّ الله ردّ كيدهم في نحورهم ولم يتحقق لهم ما أرادوا بعقتضي قوله تعالى: «يُبَيِّنُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْكَرَهُ الْمُشْرِكُونَ»^(١).

ولما علم أهل الخلاف بأنّ هذا عمل مستحيل عمدوه إلى ذكر مناقبه طوعاً

وكرهاً، وكتبها على أهله في دفاترهم، وليس ذلك راجعاً إلى سرّ حبّهم أو خلوص اعتقادهم بل بتوفيق من الله وتسخير منه سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١) لأنّ المشركين لا يقدرون على إنكار ذلك. وحرف علماء اليهود من التوراة النصّ المخاطب برسول الله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكِلَمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٢).

وإذا كان أبناء الشرك قد غيروا نصّ رسول الله وحرفوه وأخفوه فإنّ الأدهى من ذلك أنّهم عمدوا إلى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام فحوّلوها إلى أبي بكر وعمر وعثمان افتراًًا منهم على النبي، وحشدوا للأحاديث الواردة في غيرهم لهم وهم لا يعدلون عند الله شيئاً.

الفصل التاسع

قال محمد بن أبي بكر: قال أبي: قال لي رسول الله عليه السلام: إني أرى الآن جعفرأً في السفينية يجري في البحر، فقلت: يا رسول الله، أريني أنا، فسح على عيني فأبصرته، فحدث في قلبي أن قلت: إنّ محمداً ساحر عظيم.

قال الباقي عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْمُعْدُنِ﴾^(٣) أي بكلمة الشهادة ونبيّة محمد ﴿وَإِلْحَسَان﴾ أي ولایة عليّ بن أبي طالب ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ يعني الأئمة ﴿وَيَنْهَا عنِ الْفُحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ يعني أبا بكر وعمر وعثمان، وهؤلاء الثلاثة ظلموا آل محمد عليه السلام.

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُونَ عَلَى يَدِهِ﴾^(٤) الآية.

(١) لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨.

(٢) النساء: ٤٦.

(٣) النحل: ٩٠ إلى قوله «والبغى».

(٤) الفرقان: ٢٧.

﴿وَمَن يَغْشُ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيَضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(١).

والناس في ﴿الْأَمْ۝ أَخْسَبَ النَّاسَ أَن يُتَرَكُوا أَن يَقُولُوا آتَنَا وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ﴾^(٢).

وهو لاءُ الثلاثة ظالمون، ﴿فِي أَيِّ الْأَعْزَبِ كُلُّهُ تُكَذِّبَنَ﴾^(٣) وهو أبو بكر وعمر.

﴿هُذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٤) وهو المخاطبون بالآية.

والشهور عن عمر أنه قال لصاحبه أبي بكر يوم الحديبية: أتراه رسول الله وهو يردد المؤمنين، والنبي فعل ذلك في حال الضرورة وعمر يردد عليه.

روى هشام بن حسان البصري أنه قال لعمر: لم جعلت الأمر في الخلافة إلى هؤلاء الستة؟ قال: لأنّي سمعت رسول الله يقول: لا أقف يوم القيمة إلا ويد على ابن أبي طالب في يدي.

وجاء أبو بكر وعمر لعيادة رسول الله في مرض موته وكان عليّ حاضراً، فقال رسول الله ﷺ: لا يموت حتى توسعه غدرًاً وغيظاً ثم تجده صابراً، قال تعالى: ﴿إِذْنُكُمْ بِالْأَئِمَّةِ إِنَّمَا يُنَزَّلُ مِنْهُ آيَاتٌ مُّبَارَّةٌ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ يَعْلَمُ﴾^(٥) وهذا هو جواب الخصم الذي يقول: لم يقاتل عليّ أهل الشورى لما دخله عمر فيهم؟ نقول: لأنّه فقد للقدرة والنبي أمره بالصبر، وكذلك الحسن صبر ومضى على ما مضى عليه أبوه وقد قال رسول الله ﷺ: مرّتنا أهل البيت إعطاء من حرمنا والعفو عنّا ظلمنا.

قيل: إنّ الحسن بن عليّ خرج ذات يوم من بيته ميتاً مسجد رسول الله ﷺ

(١) الزخرف: ٣٦.

(٢) العنكبوت: ١ و ٢.

(٣) الآية متكررة في سورة الرحمن.

(٤) يس: ٦٣.

(٥) فصلت: ٣٤.

ومعه جماعة من أصحابه، فرأه شامي في الطريق، فقال: من هذا؟ قيل: الحسن بن علي عليهما السلام، قال: هذا الضال ابن الضال! فقال الحسن عليهما السلام: لعلك غريب! ولم يرد عليه شيئاً واتخذ طريقه إلى المسجد، فأقبل الشامي إلى المسجد وأعاد كلامه على الحسن عليهما السلام، فأحسن إليه الإمام للطفه وكرمه، فخجل الشامي ووقع على يديه ورجليه يقبلهما، فقال الحسن عليهما السلام: استعملنا فيه أدب الله تعالى كما قال: «ادفع باليدي
هي أحسن فإذا الذي بينك وبينك عداوة كانه ولئ حميم».

ذكر ابن الرواundi عن رجل من حجاج (كذا) (ولعله مذحج - المترجم)^(١) قال: قدمت المدينة بعد الحرب التي كانت بين أهل العراق والشام فرأيت رجلاً فسألته عنه، فقيل لي: هذا الحسن بن علي عليهما السلام، فحسدت عليهما أن يكون له مثله، فقلت له: أنت ابن أبي طالب؟ فقال: لا، أنا ابن ابنة رسول الله عليهما السلام، فقلت له، شتمته وشتمت أباها، فلم يرد على خلافاً، فلما فرغت أقبل عليهما فقال: أظنك غريباً، فلو استغثتنا أغثناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك.
قال الحمجي: فوليت عنه وليس على الأرض أحب إلى منه.

وفيهم نزلت هذه الآية: «وَالْكَافِرُونَ الْفَاسِدُونَ الْعَاقِبُونَ عَنِ النَّاسِ»^(٢) الآية.
وقال أمير المؤمنين عليهما السلام: «وَوَالْإِلَهُ وَمَا وَلَدَ»^(٣) «الوالد» رسول الله وأنا، «وما ولد» الحسن والحسين عليهما السلام.

وقال: لا يجتمع إمامان إلا وأحدهما صامت لا ينطق حتى يهلك الأول كالحسن والحسين ابني على عليهما السلام.

(١) الرواية يرويها السمعاني عن أبي المعافي الرجبي، حتى من همدان عن صديق له من أهل الشام، ولم يسمه ولم ينسبه. انظر: الأنساب للسمعاني ٣: ٤٧.

(٢) آل عمران: ١٣٤.

(٣) البلد: ٣.

الباب الثالث عشر

في حالات الرسول ﷺ وما يتبعه

اعلم أنَّ حالتَ الْأُولى يوم كان طفلاً يَتِيماً في حضن أبي طالب وزوجة فاطمة بنت أسد عليهم السلام، فقد تكفلَاه، وقاما بشأنِه خير قيام، فأَنْزَلَ الله فيه: **﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَأَوْيَ﴾**^(١) وهذا المأوى والمكان الآمن باتفاق المسلمين كان بيت علي عليه السلام.

الحالة الثانية: أيام بعثته وتحزب قريش ضده ومباغته في أذاه وكان مدده على والحمزة عمّه وأبا طالب أبا هاشم عليهم السلام جمِيعاً، وكان في حمايتهم بعد عناية الله به حتى استظرف بهم.

الحالة الثالثة: خطبه خديجة الكبرى عليها السلام وقام بهذا العمل اهتم عمّه أبو طالب عليه السلام وهيأ للنبي عليه السلام مجال الخطبة والزواج.

الحالة الرابعة: حصار الشعب، وهنا احتاج النبي ومن معه إلى مدد عظيم، وقال مخالفونا: كان علي عليه السلام يوم ذاك يعمل في حواضر اليهود فييسقينها ماءً من الآبار ويأخذ الأجرة ويجعلها طعاماً لرسول الله عليه السلام، وكان في حماية أبيه وأعمامه.

(١) الصحي: ٦.

الحالة الخامسة: يوم الهجرة فقد نزل جبرئيل عليه السلام على النبي و قال : يجمع أربعون شخصاً من قريش ليوقعوا بالنبي ﷺ فرّ عليهما بالنوم على فراشك و بارتداء ردائك ، وليتمثل بشكلك ، وهذا دليل على إمامته من وجوه عدّة جلية :

الوجه الأول: أنّ النبي ﷺ أمره ينام في مكانه في حال غيابه ولم تكن لأبي بكر هذه المنزلة ، وبحكم قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجِدُ لِسْتُنَا تَخْوِيلًا﴾^(١) لا بدّ من أن يقوم على مقامه في غيابه الدائم .

الوجه الثاني الجلي : شبهه عليّ نفسه ليائذن برسول الله ولم تكن لأبي بكر تلك المنزلة .

الوجه الثالث : إنّ الله تعالى حبى عليّاً عليه السلام الصبر العظيم وقوّة العزم والصلابة والجلاد المتناهي الشدة وهذه هي درجة الأنبياء : ﴿فَاضْبِرْ كُمَا صَبَرْ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢) وقال : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾^(٣) .

وكان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار بأمن عظيم ومع ذلك فقد أخبره رسول الله بسلامتهم ونجاتهم من القتل وهو خائف مضطرب وقد أمر الله العنكبوت فنسجت بيتها على فم الغار ونبت يامantan عشها على فم الغار أيضاً بوحي من الله تعالى ، وكلا الأمرين لم يزيلا الخوف من قلب أبي بكر ، فما زال يترقب الهمم أحشائه وهو مضطرب ، فتبين أنّ خوفه واضطرابه ناشئان من عدم ثقته بوعده الله ورسوله له ، وكان عليّاً آمناً لشنته بوعده الله له ، وكان الخصم وهو أربعون كافراً بأيديهم السلاح على مقربة منه يراهم ويرونه ، فلم يطرق له الخوف جوفاً ، وبين

(١) الإسراء : ٧٧.

(٢) الأحقاف : ٣٥.

(٣) السجدة : ٢٤.

أبى بكر والعدو مسافات بعيدة، إلى أن حمى الله عليناً من القتل بما ألقاه في قلوب القرشيين من الانصراف عن ذلك.

وقيل: إنَّ أبا هلب حال بينهم وبينه للرحم فلم يفعلوا.

الوجه الرابع الجلي: في ساعات الحرب وشن الغارات والغزو اتفق الرواية المؤرخون على أنَّ أبا بكر وعمر لم يهزما جيشاً ولم يدخلوا حرباً وإنما كانوا دائماً متاراً للفتنة في الدين بسبب هزائمهم كما حدث ذلك في حنين وخمير وذات السلاسل وبدر، وقد نزل في حقِّهم: «وَيُؤْلُونَ الدُّنْيَا»^(١).

الوجه الخامس الجلي: لم يكن غير عليٍّ حاضراً تجهيز رسول الله سواءً غسله وكفنه ودفنه، فلم يشهد ذلك منهم أحد بل اغتنموها فرصة ذهبيةً وذهبوا يلاطمون على الحكم ويبرمون عقد السلطان، وعلى هذا مقت عمل أبو بكر لله؟ وفي أيٍّ موضع نال رضا الله؟

بينة:

أعظم فتح جرى على يد عليٍّ عليه السلام في الجهاد هو يوم الأحزاب حتى قال رسول الله فيه: «فضرب» لضربة عليٍّ يوم الخندق خير من عبادة التقلين^(٢). ويوم خمير ويوم حنين ويوم أحد ويوم بدر فقد قُتِلَ في هذا اليوم يوم بدرٍ

(١) القمر: ٤٥.

(٢) مجمع الفائد للأردبيلي: ٣: ٢١٦، كتاب الإجارة، الأول، للخوني: ١: ٢٤٣، شرح أصول الكافي للمازندراني: ١٢: ٤١٢، الطرائف لابن طاوس: ٥١٩، عوالى الثنالى للإحسانى: ٤: ٨٦، الأربعين للقمى: ٤٣٠، بحار الأنوار: ٢: ٣٩، الغدير للأمينى: ٧: ٢٠٦، الإمام علي عليه السلام للرحمانى: ٣٣٩ ولهم: الإمام علي (فارسي): ٣٦٩، موقف الشيعة للأحمدى: ٣: ١٢٣، المناظرات فى الإمامة لعبدالله الحسن: ٥٠١، درر السمحان لابن الآبار: ٨٦، موسوعة التاريخ الإسلامي للبوسفى: ٤٩٢: ٢، كشف اليقين: ٨٣، وفيات الأنتمة: ١٢.

سبعون من المشركين قُتِلَ عَلَيْهِ وَحْدَهُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ شَخْصًاً وَشَرْكُ الصَّحَابَةِ فِي
الْأَرْبَاعِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «لَا يَسْتَوِي الْفَاقِعُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولَئِي الضُّرُرِ وَالْمُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضْلُ اللَّهِ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْفَاقِعِينَ
ذَرْجَةٌ وَكُلُّ أَوْعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضْلُ اللَّهِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْفَاقِعِينَ أَجْرًا عَظِيمًا»^(١).

وَهَذِهِ الْفَضْيَلَةُ بِاِتْفَاقِ الْمُسْلِمِينَ لَيْسَ لِغَيْرِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ عَلَيْهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
يَسْمَّيُهُمُ الْمُخَالِفُونَ الْعَشْرَةُ الْمُبَشَّرَةُ لَمْ يُؤْذَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ.

الباب الرابع عشر
في الغار وصاحبه

لا فضل لأبي بكر في آية الغار لأنَّ إبليسًا كان مع نوح في السفينة، وكذلك صاحبته في السفينة السباع والحوش والبهائم، وكان الكلب مع أصحاب الكهف في الغار، وأمرأة لوط وامرأة نوح صحبتا زوجيهما، ويدعم ذلك قوله تعالى: «يَوْمَ يُقْرَأُ الْمُرْءُ مِنْ أَخْيَهُ» و«أَمَّهُ وَأَبِيهُ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ»^(١) وجاء في سورة الكهف: «قَالَ اللَّهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتُ بِاللَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجْلَهُ»^(٢) وعلى هذا فما هو الفضل في مجرد الصحبة؟

ولقد عدلت وصاحبتي وحشتي تحت الرداء بصيرة بالشرف
ولقد دعوت الوحش فيه وصاحبتي محض القوائم من هجان هيكل
الصاحب هنا : الفرس .
وأما قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مُغْنِي»^(٣) فأي فضل فيها للرجل والله تعالى مع البر

(١) عبس: ٣٤-٣٦.

(٢) الكهف: ٣٧.

(٣) التوبه: ٤٠.

والفاجر كما قال تعالى: «مَا يَكُونُ مِنْ تَجْوَىٰ ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ زَانِهِمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ»^(١) فتبين أن هذه الآية «إِنَّ اللَّهَ مَعْنَاهُ» لا فضل فيها.

وأما قوله: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ»^(٢) فإنها عائدة على النبي ﷺ بوجوهه: الوجه الأول: بدليل عطف الملائكة على الجملة ومن الواضح البين أن الملائكة تنزل على رسول الله ﷺ لا على أبي بكر.

الوجه الثاني: جاء في الحديث أن القرآن يفسر بعضه ببعضًا، فقد فر الأصحاب يوم حنين إلا سبعة من بني هاشم: الأول العباس الذي أخذ بلجام البغله، وخمسة من المقاتلين الذين شهروا سلاحهم بين يدي النبي ﷺ وتقدموا بين يديه يحملونه من الرماة، وكان أمير المؤمنين في القلب، فرقة يحمل على القوم يقاتلهم من كل جانب ويحمل عليهم وبهزمهم ليحمي بيضة الإسلام ويخلص رسول الله من بين المشركين، فقص الله قصتهم فقال: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَّيَوْمَ حَنَّى إِذْ أَغْبَيْتُمُهُمْ كَثُرَتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَّضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحْبَتْ ثُمَّ وَلَيْلُمُ مُذَبِّرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ»^(٣) والمؤمنون هم على الأشخاص السبعة من بني هاشم، وهنا يظهر جلياً أن السكينة نزلت عليهم وعلى رسول الله، وكان على كلّها هزم فوجاً من المشركين تجمروا مع أصحابهم وتقووا بهم فأمد الله رسوله بالمعجزة وهم الملائكة الذين قاتلوا معه بنص القرآن الكريم، وضاقت الأرض بما رحبت على أبي بكر وعمر حيث سلموا رسول الله في هذا الموضوع الخيف للعدو وهردوا لا يلوون على شيء.

(١) المجادلة: ٧.

(٢) التوبية: ٤٠.

(٣) التوبية: ٢٥ - ٢٦.

ولو سلمنا بنزول السكينة على أبي بكر فليس فيها مدح له حيث أنه لم يكن واثقاً بقول رسول الله ﷺ ولم يصدقه بما قال، وكان ينوي الصرارخ من شدة خوفه في الغار لكي يسمع طالبي رسول الله ﷺ، فأنزل الله السكينة عليه حماية لرسول الله ﷺ، ولما كان حزنه خطأً كان معصية لله لأنَّ النَّبِيَّ لا ينهى عن الطاعة بل عن المعصية.

وفي صورة جواز الخطأ لو قال الخصم أنَّ الله خاطب موسى بقوله: «أفبْرِنْ وَلَا تُنْهَفْ»^(١) فإننا نقول في جوابه: الخصم يحيى صغائر الذنوب على الأنبياء وبعض المجرة يحيىون حتى الكبيرة، وبناءً على مذهبهم فإنَّ الله منع عن المعصية وهم لا يحيىون ذلك، أمّا على مذهبنا فإنَّ مؤلف هذا الكتاب يقول: إنَّ المعنى يشير إلى أنَّ القضية وقعت على وجه الإعجاز والغيب وما تحقق في العصا واليد البيضاء إشارة إلى أنها من تدبير الله تعالى لا من فعل الشيطان أو الخيال، آمنك الله.

وفي مذهبنا أنَّ النبي ﷺ لم يصطحبه معه اختياراً وإنما خرج بجهته الشريفة ورأه قادماً في الطريق فاصطحبه معه لئلا يشي به، ولقد قال المتني:

* ويستصحب الإنسان من لا يلامه *

لأنَّه لو تخلى عنه وتركه ينساب كالأرقط حيث يقصد لأخر المشركين عنه وصار سبباً للقبض عليه، لأنَّه كما يزعم أنصاره صديق والصديق كيف يكذب، فلو سأله أحد: أين خلقت النبي لدلل على مكانه وصار سبباً هلاكه.

والعجب من القوم أنه مع وجود هذى العيوب تراهم يتبااهون بيوم الغار ولا يذكرون علينا الباذل لجهته في سبيل الله والبائت على فراش رسول الله ﷺ حتى نزل فيه قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»^(٢).

(١) القصص: ٣١.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

يقول السيد المرتضى علم الهدى: وكما أنَّ إسماعيل استسلم لذبح إبراهيم الخليل فقد استسلم علىٰ لسيوف المشركين، مع أنَّ العادت جرت بعلم الولد برحمة أبيه إيتاًه فلن يقتله لاسيما إذا كان هذا الأب نبياً وله رتبة الخلقة مع ثقته بأنه لم يجنب ذنبًا ولم يقترف إثماً يستحق عليه القتل. وعدواً أمير المؤمنين المشركون والكافرون وهم غلاظ شداد لا دين لهم ولا اعتقاد، ويررون النبيَّ والوصيَّ يستحقان القتل بسبِّهما لا هم لهم، لاسيما علىٰ وقد أثار حيَّاتهم الجاهلية مكره بهم وتغريبه لهم، وتقويته النبيَّ الذي أفلت من أيديهم.

قال السيد المرتضى عليه السلام : فقام على الله يجالدهم وقد ظهر عليهم وأخذ يضرهم بكل قوته وهم يضربونه حتى نجى من شرّهم ، إذن فالإمام عليه السلام قام بأمرين عظيمين : فدى رسول الله بنفسه ، وقام مقامه في الرقاد على فراشه ، وكان الإمام يرد ذلك متباهياً به :

وقيت بنفسي خير من وطا الحصى
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله الخلق قد مكرروا به
فتحاجه ذوالطول الكريم من المكر
فبُثُّ أراغعهم وما يشتوني
وقد وطنت نفسي على القتل والأسر
وقال أبو بكر في معنى هجرته أبياتاً ذكرهن أبو إسحاق في كتاب السير من
تأليفاته:

(١) الصراط المستقيم :٣، ١٣٩ . ومدلع - بضم العين - قبيلة من كنانة ومنهم القافلة وأبو دليجة كنية ..
ولم نعثر على الآيات إلا في الصراط المستقيم ونقلناها منه لأن آيات المؤلف مغلوطة غلطًا يغير
المعنى .

فقد شهد على نفسه في شعره أنَّ النَّبِيَّ جعل حزنه فتنَةً وهي أكبر من القتل ولم يصدقه عليه.

الثاني: ظهر أنَّ حزنه فتنَةٌ وهي إثمٌ وخطيئةٌ عظمى فتبين أنَّ لا فخر له في هذه الآية مع أنَّ النَّبِيَّ قال: إنَّ الشَّيْطَانَ يُجْرِي مِنْ أَبْنَاءِ آدَمَ^(١) وَالشَّيْطَانُ ذَلِكَ الْمَلُوْعُونُ وَالْإِنْسَانُ هُوَ الْمَكْرَمُ «وَنَقْذَكَرْمَنَا بَنِي آدَمَ»^(٢) والعجيب من أمرهم أنَّهم يرون آية الغار أشرف آية في القرآن ونسوا الآية التي نزلت في أمير المؤمنين يوم بات على فراش رسول الله وهي قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ»^(٣) لبغضهم الشديد وعداوتهم له ولأولاده الطاهرين.

وآية الختم التي أعطاها الولاية وهي قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(٤) وآية المباهلة التي جعل الله فيها عليًّا نفس رسول الله ﷺ كما قال: «فَقَنْ خَاجَكَ فِيهِ» إلى قوله: «وَأَنْفَسْنَا وَأَنْفَسْكُمْ»^(٥) وسورة هل أَنِّي أَظْهَرَ اللَّهَ فِيهَا صفاتَ أَهْلِ بَيْتِهِ بِالْوَفَاءِ وَالسُّخَاءِ وَالصَّابَرِ وَالشَّكْرِ وَالْخُوفِ وَالْإِخْلَاصِ وَالإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ كَمَا عَبَرَ عَنْ عَمِيقِ اعْتِقَادِهِمُ الثَّابِتِ الْوَطِيدِ. وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَا مِنْ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ وَفِيهَا «يَا أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» إِلَّا وَلَعَلِيَّ^{عليه السلام} نَصِيبُ فِيهَا بَلْ سَيِّدُهُمْ وَرَئِسُهُمْ.

(١) نيل الأوطار: ٦٣٦٧ و ٣٦٧ عن أحمد والترمذى، فقه السنة للسيد سابق: ١: ٤٦٤، مستند أحمد: ٣٠٩ و ٢٨٥ و ٦: ٣٣٧، سنن الدارمى: ٢: ٣٢٠ بطريقين، صحيح البخارى: ٢: ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٤: ٩٣ و ٨: ١١٤، صحيح مسلم: ٧: ٨ بطريقين، سنن ابن ماجة: ١: ٥٦٦، سنن أبي داود: ١: ٥٢ و ٢: ٤١٧ و ٤٧٦، سنن الترمذى: ٢: ٣١٩، مجمع الزوائد: ١٠: ٢٢٢ وكتب أخرى كثيرة ولا أرى وجهاً لذكره هنا إلا أنَّ يشير المؤلف إلى قول أبي بكر: إنَّ لِي شِيطَانًا.. الخ، ولكن من دون تمهيد.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) العائد: ٥٥.

(٥) آل عمران: ٦١.

ولا يذكر الجهاد والمجاهدين إلا وجدت علياً في الطليعة .
 ولا يذكر الصالحون في القرآن إلا وعلى منهم .
 ولا تذكر عبادة فيه إلا وعلى القائم بها على أنه انفرد بآيات لم يشركه فيها أحد
 كآية الخاتم وأية المباهلة وأية الغدير وأية المناجات ، ولكن منعهم من إظهار ذلك
 شديد عداوتهم له ولأهل بيته .

قال رسول الله ﷺ : من قرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات فكأنما قرأ جميع
 القرآن ^(١) ، وقال في فاتحة الكتاب : كل صلاة بغير الفاتحة خداع ^(٢) .

وغير هذه الآيات ، فقد جاء بفضلها أحاديث كثيرة ونوهت هذه الأحاديث
 بعلو شأن الكثير من الآيات والسور وكثرة ثواب قارئها ، فلم يذكروا شيئاً من
 ذلك ولكن لآية الغار شأنًا عندهم فهي يرونهما أشرف آيات الكتاب ^(٣) .
 وقالوا : إن النبي ﷺ اصطحبه ليأنس به ، حاشا لله ولرسوله أن يفعل ذلك بل
 أخذه معه خوفاً من وشایته ولئلا تكون نفس رسول الله في خطر ، وإلا فؤنس
 النبي الملائكة والوحى الإلهي ^(٤) .

(١) المبسوط للسرخي : ٣٠ : ٣١١ .

(٢) المسائل الصاغية للمفید : ١١٩ ، الناصریات للمرتضی : ٢١٩ ، الرسالة السعدیة للحلی : ١٠٢ ، ذخیرة المعاد للسبزواری : ٢ : ٢٧٢ ، کشف اللثام للغافل الهندي : ١ : ٢١٦ ، الحدائق الناضرة للبحراني : ٨ : ٩٤ و ٤٠٠ ، كتاب الأم للشافعی : ١ : ١٢٩ ، المجموع للنبوی : ٣ : ٣٢٨ ، موطا مالک (لعنه الله) : ١ : ٨٤ ، المدونة الكبرى : ١ : ٦٨ لـ أيضاً ، تنوير الحالك للسيوطی : ١٠٥ ، الجوهر النقي للمارديني : ٢ : ١٥٩ ، المعنی لابن قدامة : ١ : ٦٠١ .

(٣) أقول لشيخنا المؤلف بلاه : بغضنا لأبي يكر لعنه الله لا يحملنا على معاداة كتاب الله نعوذ بالله من هذه الوسارات الباطلة .

(٤) أقول : ماذا في هجرته من الفضل حتى يبذل المؤلف هذا الجهد في التقليل من شأنها ، ويكتفى أن نقول فيها : ولابد للصياد من صحبة الكلب .

مسألة:

يقول الشيعة: يكفي في الدلالة على إمامية أمير المؤمنين آية الغدير ولكن جل المخالفين لا كلهم يقولون أنها نزلت في زيد بن حارثة. ولكن هؤلاء الجهلاء نسوا بأنّ زيداً بن حارثة استشهد في مؤته قبل نزولها بعده طویلة ونزلت آية الغدير: **﴿إِنَّمَا أُنزِلَتِ الْرُّسُولُ بِلِغَةِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُ فَمَا بَلَّغْتُ﴾**^(١) في حجة الوداع وهي ختام رسالة النبي ﷺ.

وقال أبو بكر بن مردويه المحدث والمفسّر الأصفهاني في كتاب المناقب: كان بين نزول آية الغدير وموت النبي مائة يوم لا زائد ولا ناقص مع أنه علق على الآية قائلاً: في هذه الآية جمع قوله تعالى في «ما بلّغت» الرسالة كلها فينبغي أن يكون ما يقابلها مثلها وهي الإمامة وحفظ الشرع وضبط الدين على طريقة العلوم.

مسألة:

إمامية علي عليهما السلام ثبتت بالنص من قبل الله ورسوله كالنص على الصلاة والزكاة والصيام إلا أنّ في هذا الواجبات لم يحدث خلاف ولكن حدث الخلاف هنا من أجل الخلافة فقد للناس رغباتهم فيها ومivo لهم الخاصة من ثم حدث الاختلاف وليس بسبب أمر آخر.

سؤال:

يقولون بأنّ النبي ﷺ لم ينص على أحد رحمة بالأمة لثلا تحالفه فتكفر: **﴿أَنَذَّرْنَاهُمْ رَسُولُكُمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾**^(٢).

الجواب:

إنّ رحمة الله بالخلق أكثر من رحمة رسوله ومع هذا فقد أرسل رسلاً وأنبياء

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) التوبة: ١٢٨.

فَكُفَّرَ أَكْثَرُ النَّاسِ بِخَالِقِهِمْ وَكَذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ دَعَا النَّاسَ إِلَى الشَّرَائِعِ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ أَكْثَرَ الْخَلْقِ لَا يَعْمَلُونَ بِمَا كَانُواْ هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ تَرْكِهِمُ الصَّلَاةُ وَالصَّيَامُ.

مسألة:

ورووا أنَّه: كُلَّ مَا رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوهُ قَبِيحًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ قَبِيقٌ^(١).

الجواب:

ومراده الإجماع على إماماة أبي بكر وهذا باطل لأنَّ أمير المؤمنين وجماعة بنى هاشم وطائفته من أكابر الصحابة لم يقبلوها بل قبحوها وكذلك الشيعة في الشرق والغرب فكيف تمَّ هذه الدعوى بأنَّ المسلمين جميعاً رضوا بها وحسنوها.

مسألة:

وقالوا بأنَّ رسول الله قال: لا تجتمع أمتي على ضلالٍ^(٢) فلا تجهل الأمة الفرض

(١) المبسوط للسرخسي: ١٢: ٤٥ و ١٣٨ و ١٥: ١٦٠، مسنَدُ أَحْمَدَ: ١: ٣٧٩، المستدرك للحاكم النسابوري: ٣: ٧٨، مجمع الزوائد: ١: ١٧٧، مسنَد الطيالسي: ٣٣، المعجم الأوسط: ٤: ٥٨، المعجم الكبير: ٩: ١١٣، شرح ابن أبي الحميد: ٦: ٣٩ و ٨: ١٢٣ و ١٢: ٨٦، نصب الرأبة للزيلعي: ١: ٢٠ و ٥: ٢٨٨ بطريقين، كنز العمال: ١٢: ٤٨٥ رقم ٣٥٥٩٠، تذكرة الموضوعات للفتنى: ٩١ وقال: موقف حسن على ابن مسعود، وقد رفعه ابن أبي الحديد والزيلعي أيضاً، فيض القدير: ٥: ٥٧٧، كشف الخفاء: ١: ١٦٩ مرفوعاً عن ابن مسعود: ٢: ١٨٨ وقال: رواه أَحْمَدُ في كتاب السنة وليس في مسنده لعله يزيد رواه مرفوعاً، أما المسند فقد ورد الحديث فيه عن ابن مسعود، تفسير ابن كثير: ٢: ١٨٠، الدر المثور للسيوطى: ٣: ٤٤، الأحكام لابن حزم: ٦: ٧٥٩، المستصفى للغزالى: ١٧٢ رفعه، المحصول للرازي: ٢: ٧٩ رفعه و ٣: ٢٢٠ مرفوع أيضاً: ٤: ٩٨ و ٨٠ و ٥: ١١٨، والأحكام للأمدي: ١: ٢١٩ و ٤: ١٥٦ و ١٥٩ بطريقين و كل ذلك رفعه، علل الدارقطنى: ٥: ٦٦، تاريخ بغداد: ٤: ٣٨٧ والحديث في الأصحاب عنده وقد رفعه، تاريخ مدينة دمشق: ٣: ٢٩٤ بطريقين، البداية والنهاية: ١٠: ٣٦١، سبل الهدى والرشاد: ١٠: ٢٧٧.

(٢) المبسوط: ١٢: ١٣٨، بذائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني: ٥: ٦ و ٣: ٥٨، كشف النقاع للبهوي: ٥:

والسنة لكي تجتمع على الخطأ.

الجواب:

الإمامية عندهم لا هي بالفرض ولا بالسنة فاجتمع الأمة لا يعد خطأ لأن الخطأ في الفرض والسنة هكذا يقولون، أو أن يكون الحديث خبراً بمعنى النهي كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَبْغَةَ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جَدَالٌ فِي الْخَجْ﴾^(١).

أو أن الإمامة ليست عامة وإنما هي خاصة بأهل البيت عليهم السلام، ولو كانت عامة فإن الاجتماع عليها لم يكن عاماً لأن أهل البيت وبني هاشم والخزرج شيعتهم لم يجتمعوا عليها أو أن عين «لا تجتمع» ساكنة والراوي نطقها بالضمّ عفواً أو أنه لا يعرف علم الإعراب وعنه أن معنى السكون في العين والحركة واحد من ثم ارتكب الخطأ المنهي عنه شأنه شأن التواهي الأخرى^(٢).

مسألة:

لا يجب على علي عليه السلام الإعلان عن إمامته لأن الإمام عليه السلام كالبحر أو كالكعبة يأتيه الناس لا أنه يأتي الناس، وكان على الله أن ينصب الإمام كما قال لإبراهيم عليه وعلى نبيتاً وآلـه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قَالَ وَمِنْ ذُرْيَتِي قَالَ لَا يَنْتَلِعُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣) فأوكل أمر الإمامة إلى نفسه سبحانه وأبان عن صفة الإمام من كونه غير ظالم، والخطئ ظالم أي مرتكب الخطيئة، ومن يجوز عليه ارتكابها لاسيما المشرك وعبد الوثن.

٥) ٩، مسند أحمد ١: ٣٩٦، سنن الدارمي ١: ٢٩، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٠٣، سنن الترمذى ٣: ٣١٥، المسند ١: ١١٥ في طرق كثيرة، مجمع الروايد ١: ١٧٧.

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) يزيد المؤلف أن «لا» هنا نافية وليس للنفي ولا النافية تجزم الفعل المضارع وعلامة السكون.

(٣) البقرة: ١٢٤.

قال تعالى : ﴿يَا ذاوْدِ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(١) ، وقال : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ بِالنَّاسِ إِقَاماً﴾ إنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْكَلَ أَمْرَ الْإِمَامَةِ وَالخِلَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَأَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يَرْدُونَ عَلَيْهِ حِينَ يَجْعَلُونَهَا مَوْكِلَةً إِلَى خَلْقِهِ ، أَلَا يَرَوْنَ أَنَّ الْخِلَافَةَ مِنْ آدَمَ إِلَى الْخَاتَمِ لَمْ تَكُنْ مَوْكِلَةً إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا اخْتِيَارُ النَّاسِ فِيهَا بَلْ هِيَ بِشَيْئِهِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ ﴿وَلَا تَجِدُ سُنْنَتَنَا تَخْوِيلًا﴾^(٢) وَهِيَ سُنَّةُ الْمُتَّكِّفِ .

مسألة :

وَقَالُوا : لَوْ كَانَ الْقَوْمُ عَلَى غَيْرِ الْهُدَى لَنَازَعُهُمْ عَلَيْهِ وَمَنْعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَهَذَا أَمْرٌ مُنْفِيٌّ ، وَلَا يَعْلَمُ النَّفِيُّ ، وَلَا يَكُونُ الْعَدْمُ عَلَيْهِ .

الثاني : صالح النبي ﷺ عام الحديبية بأية : ﴿فَاضْفَحِ الصَّفَحَ الْجَبِيلَ﴾^(٣) والصلح يحسن في حال عدم الناصر والعون وانقطاع المدد ، ولكنَّه حارب عندما تبدلت الحال بقوله تعالى : ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤) وكذلك الإمام علي عليه السلام فقد سالم مع فقدان الناصر ، ولما ثبت كونه إماماً منصوصاً عليه من الله ورسوله فالإنكار على ما فعل أو ما ترك إنكار على الله ورسوله وهو كفر محض .

وَمِنْ عَجَائِبِهِمْ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ : مِنْ كَذِبِ عَلَيْهِ مَتَعَمِّدًا فَلِيَتَبَوَّأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ^(٥) وكذلك روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : من عصى الله بمعصية ؛ صغرت

(١) ص: ٢٦.

(٢) الإسراء: ٧٧.

(٣) الحجر: ٨٥.

(٤) التربية: ٥.

(٥) المحلى لابن حزم: ١١١، سبل السلام لابن حجر: ٣، ٢٢٣، نيل الأوطار: ٨، ٨٥، ذخائر العقبى: ٧٦، مسند الشافعى: ٢٣٩ باختلاف فى ألفاظ الحديث، مسند أحمد: ١، ٤٧ و ٧٨ و ١٣٠ و ١٦٥ و ٤٠٢ و ٤٠٥ و ٤٥٤ و ٢١٣ و ٥١٩، ومثله الجزء الثالث والرابع و ١٦٧ و ٢٩٣ و ٣٢٣ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٥ و ٤٥٤ و ٢١٣ و ٥١٩، ومثله الجزء الثالث والرابع

أم كبرت ثم اتخذها ديناً ومضى مصرأً عليها فهو مخلد بين أطباقي الجحيم^(١)، ومع هذا فقد اتفقا على أنّ أبا بكر لم يكن خليفة رسول الله، وإنما كانت إمامته بالبيعة واختيار الأمة وإلا لكان قوله: «أقيلوني» كفراً ولم يقل رضيت لكم أحد هذين الرجلين: أبي عبيدة أو عمر، وهم يسمونه الحال هذه خليفة رسول الله ﷺ ولم يستخلفه النبي باعترافهم، وفتحوا له بسبب هذا الافتراض باباً على جهنم، وهم يقولون: مات رسول الله ولم يستخلف، ومن ثمّ كمثل الذي اشتري ملوكاً وبعد شرائه صار حاكماً عليه فهم الذين اختاروا أبا بكر وبايعوه بأيديهم فينبغي أن يكون الحكم لهم عليه لكن انعكسـت الآية فصار حاكماً عليهم.

والعجب في الأمر أنه خليفتهم ولكن نسبوه إلى رسول الله ﷺ، من أجل تحدير العامة لثلاً يطعنوا عليهم عداوة منهم لآل البيت ومع ذلك يأبون اعتباره حاكماً فإذا غضبوا عليه عزلوه كما فعلوا بعثمان ويقولون عنه: إنّ الإمام وكيل عن المسلمين ما داموا راضين بوكالته فإذا لم يرضهم نحوه عن وكتله.

ولا يقولون ولاية عباد الله بيد الله سبحانه وهو أولى بالتصريف في ملكه وأعلم بما يصلح عباده ولا يعلمون أن التصرف بملك الغير بدون إذنه لا يستساغ، وكذلك التصرف في عبده تصرف بغير إذنه ولا ترخيص منه، ومن فعل ذلك فهو غاصب وضامن وآثم.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾^(٢) ويقرؤون هذه الآية:

❸ والخامس فقد أخرجه فيها بعدة طرق، صحيح البخاري ١: ٣٥ بثلاثة طرق.. و٢: ٨١، صحيح مسلم ١: ٨، والحديث متواتر ولم يبق حافظ أو صاحب دراية إلا أخرجه سوى النزد اليسير منهم وقد تلقته الأمة بالقبول وأجمعت على صحته.

(١) حياة الإمام الرضا عليه السلام للقرشي ٢: ٢٧٢.

(٢) الأنعام: ١٢.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضُّلَالُ﴾^(١) ومن الواضح أنَّ الخليفة الذي لم ينصبه النبيَّ وإنما اختاره جماعة من الأُمَّةِ فيبني على أن يكون على باطل.

سؤال:

وأقوى حجَّةً قال بها القوم: إنَّ النبيَّ لو كان نصَّ على علَيْهِ السَّلَامُ لما خالفته الأُمَّةَ برمتها.

الجواب:

وما أكثر النصوص التي خالفتها الأُمَّةَ خلافاً من بعد خلاف، ثم إنَّ موسى استخلف أخاه هارون كما نطق بذلك كتاب الله ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُقْنِي﴾^(٢) وكان موسى تُرْجِي عودته بعد استخلافه أخيه وكان هارون عذب الحديث، فصحيحاً، مدرهاً، والقوم عبدوا العجل مع وجود هذين النبيين بين أظهرهم فلا عجب من ترك أُمَّةٌ نبيَّ لا تُرْجِي عودته خليفة والميل إلى السامرِي وعجله، وهناك: «عجلًا جسدًا له خوار»^(٣) أي أنه صنع أيديهم وليس فيه إلا خروج الصوت منه على غير ما جرت به العادة وهنا «عجلًا جسدًا له كلام» وهناك سامرِي واحد قام بالامر وهنا مائة سامرِي.

اعلم بأنَّ علَيْهِ السَّلَامُ جاهد في سبيل الله بين يدي رسول الله فلم يترك بيتاً ليس فيه واعية على واحد أو اثنين قتلهم على بسيفه من ثم قاموا ضده انتقاماً لقتلاهم وخالفوا النص مع أنَّ النص هنا منقول شفافاً ولا يحتاج إلا إلى دقة النظر وفي مسألة موسى وهارون خالفوا العقل والنقل وردوا نبوة النبيَّ وتركوا أقواله وكان

(١) يونس: ٣٢.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) الأعراف: ١٤٨.

النبيان يومئذ حين ومع وجود هذه الحجج المتعددة فقد ارتدَّ قوم موسى ولم يستحل ذلك عليهم فيكون ارتداد قوم لا يرون إلا حجة واحدة من طريق أولى.

مسألة:

يقول المخالفون: لو كان النص على عليٍّ متواتراً لكان العلم به ضرورياً لكلٍّ سامع كالصوم والصلوة، وهذا باطل إذ لم يحصل به العلم الضروري.

الجواب:

اعلم بأنَّ منكري نبوة النبي ﷺ يقولون: لو كانت معجزات محمد متواترة لحصل العلم بها من السامع بالضرورة وليس كذلك هي، وقالوا: وهي وإن صارت اليوم متواترة لكنَّها لم تستو أطرافها فقد رواها في أوَّل وقوعها فئة قليلة من الناس.

الجواب:

وهذا نفس ما ي قوله اليهود والنصارى أنَّ معجزات النبي وإن تواترت اليوم إلا أنَّ رواتها فئة قليلة في أوَّل وهلة، وجوابهم جوابنا لأنَّ شبهة القوم واحدة.

مسألة:

وقالوا: لماذا خصَّ عليٍّ بالنصَّ دون غيره؟

الجواب:

وهذا الكلام باطل ومنقوض بالأنباء، فإنَّ تخصيص محمد بالرسالة كتخصيص عليٍّ بالولاية، فهذا امتازاً عن سائر خلق الله تعالى «وَاللَّهُ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ»^(١) إنَّ النبوة والإمامية فضل من الله ومنته منه على عباده يؤتيها من يشاء والله أعلم.

الباب الخامس عشر

في اختيار الإمام

أجمعت الأمة على أن النبي لم يعهد إلى أحد اختيار رئيس أو أمير من أمرائه بل كان يتولى ذلك بنفسه فيرسلهم إلى المداين وعلى القبائل، فهو الذي يجيش الجيوش ويختار الأمراء، كما اختار جعفرًا قائداً حين بعث سريّة إلى مؤتة، وقال: إن قُتل فأميركم زيد بن حارثة، فإن قُتل فأميركم عبد الله بن رواحة، فكيف يسوغ عدم نصبه إماماً بعد موته ويترك الأمة هلاماً؟

ثم إن رحمته بالأمة كرامة الوالد بولده كما قال ﷺ: إنما أنا لكم كالوالد^(١)، وجاء في القرآن الكريم: «حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّجِيمٌ»^(٢) وعلى هذا فكيف يترك أمته بمضيّعة دون أن يقيم عليها إماماً بعد موته مع شديد عنایته بها وحبّه لها ومع حكمته ورأيه الوثيق؟

وهو بالضرورة أعلم من يليق لهذا المنصب بواسطة الوحي، ويصلح به أمر

(١) الغدير للأميني ٧: ٢٤٢ نقلًا عن تفسير الخازن ٣: ٣١٤، تفسير النسفي في هامش الخازن ٣:

٣١٤، كنز العمال ٩: ٥١٢ رقم ٢٧٢٠٨، الكامل لابن عدي ٦: ٤٦٥.

(٢) التوبية: ١٢٨.

الأمة، وتنظم شئون حياتها، وهو مؤهل لحمل هذا العبء الباهض، هذا مع علمه بما يجري في الأمة من النزاع والاختلاف لاسيما وقد أخبر الأمة بذلك حين قال: ستفترق أمتي على ثلات وسبعين فرقة والناجية منها واحدة^(١)، فلو لم يبين موقع النجاة لعُدّ مقصراً وحاشاه من ذلك في أمر الدين، وتكون آية: «النِّيَمُ أَخْمَلْتَنِّي
بِيَنْكُمْ»^(٢) كذلك، وفساد هذا الاعتقاد لا يخفى على العقلاء.

فتبين مما تقدم وجوب نصب الإمام على النبي لئلا يقع الفساد الذي وقع، وأخبر عنه قبل وقوعه، ومن قال: الإمام منصوص عليه، حصر الإمامة في عليٍّ وأولاده الأحد عشر إلى قائم آل محمد عليهم السلام.

مسألة:

وقالوا: ليس على الأمة تنفيذ الأحكام الدينية من إقامة الحدود وتجهيز الفيالق والجيوش لكنهم يختارون واحداً منهم يكون ذلك بعهده. والعجب أن الإمام واحد منهم، وحكم عدم الجواز يشمله فن أين أنتهى الرخصة في تنفيذ الأحكام؟ فمن اختيار الأمة له؟ وهو غير جائز.

مسألة :

وقالوا: يبقى عمل الأمة وتنفيذ الشرع معطلاً حتى يختار أهل الحلّ والعقد إماماً

(١) روى هذا الحديث غير الشيعة: أحمد في المسند ٢: ٣٣٢، سenn ابن ماجة ٢: ١٣٢١ و ١٣٢٢، سenn أبي داود ٢: ٣٩٠، سenn الترمذى ٤: ١٣٤، المستدرك للحاكم ١: ٦ و ١٢٨ بطربيقين، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، سenn البهقى ١: ٢٠٨ بطربيقين، مجمع الزوائد ١: ١٨٩ و ٧: ٣٢٣، المذكّر والمؤنّث لابن أبي عاصم: ٨٦، وكتاب السنة له ٧: ٣٢ و ٣٣، ومسند أبي يعلى ١٠: ٣١٧ و ٣٨٢ و ٥٠٢، صحيح ابن حبان ١٤: ١٤٠ و ١٥: ١٢٥، المعجم الصغير ١: ٢٥٦ و ٥: ١٣٧، الكبير ٨: ٢٧٣ و ١٨: ٥١ و ٧٠.

٣) المائدة:

لهم، وقالوا: فإذا اختير في كلّ بلاد واحداً لا يبق أمر الشرع معطلاً ولا مضطرب حيل الدين حتى يختاروا واحداً من هذا المجموع ثم يعملون برأيه. عجباً، إذا كان ذلك صحيحاً وسائغاً فما بال أصحاب السقيفة لم يصبروا حتى يفرغ بنو هاشم من عزاء رسول الله ﷺ لعلهم يشاركون في الاختيار ويدلون برأيهم كغيرهم وهم أولى من غيرهم بهذا الاقتراع لو تحقق بينما سارع القوم إلى خوض غمار هذه اللعبة بلا تمهّل أو انتظار، ولم يظهر على الأمة أية أعراض لفتنة مقبلة أو إحداث شغب أو خصومة لكي يجعلوا بذلك ذريعة لأعماهم المرتجلة أو يقولوا إننا عجلنا لإطفاء نائرة الفتنة.

فظهور أنّ الغرض الوحيد من هذه المسارعة هو اهتياط الفتنة قبل فراغبني هاشم كي لا تتغير الأحداث وتتبّدّل وجوهها، فقد لا يرضى بنو هاشم إلا باستخالفهم دون من عدتهم وحينئذٍ تفلت الدنيا من أيدي أركان السقيفة، وأخيراً اعترف عمر بن الخطّاب بهذا الأمر الذي دلت عليه قرائن الحال والمقال بقوله: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها؛ فن عاد إلى مثلها فاقتلوه...^(١).

وأعجب من هذا كله قوله: إنّ اختيارات الإمام يهدى علماء الأمة فإنّ اختيارات أبي بكر

(١) الاقتصاد للطوسي: ٢٠٨، السقيفة وفك للجوهرى: ٤٦ ونسب القول لأبي بكر بقوله: كانت بيعتى، مسند أحمد: ١: ٥٥، صحيح البخاري: ٨: ٢٥ و ٢٦، مجمع الرواند: ٦: ٥ قال ابن حجر: والفلته ما يُعْمَل بغير رؤية، مقدمة فتح الباري: ١٦٤، المصنف لعبدالرزاق: ٥: ٤٤٥ و ٤٤١، مصنف ابن أبي شيبة: ٧: ٦١٥ و ٨: ٥٧٠، سنن النسائي: ٤: ٢٧٢ و ٢٧٣، صحيح ابن حبان: ٢: ١٤٨ و ١٥٧ و ١٥٥ بطريقين وعقب الثاني بقوله: يزيد أنّ بيعة أبي بكر كانت منها من غير ملا، الخ، الفائق للزمخشري: ٣: ٥٠، شرح ابن أبي الحميد: ٢: ٢٣ و ٦: ٤٧ و نسبها لأبي بكر.. و ٩: ٣١ و ٣٢، كنز العمال: ٥: ٦٤٩ رقم ١٤١٣٧.

من أبي عبيدة، وعمر من أبي بكر، وعثمان من عبد الرحمن بن عوف، وليس أحد من العلماء كان حاضراً يوم ذاك، فهل حصلت شروط الاختيار هنا؟ والأعجب من هذا أنَّ الرجل في حياة النبي لم يكن ليستحق الصلاة في الناس جماعة، ولم تكن له أهلية تبليغ آية من سورة برائة لأهل الموسم وقد عزله النبي ﷺ في كلا الحالين فكيف استحق بعد رسول الله إماماً الناس أجمعين؟ ما أشدَّ وقاحة القوم !

مسألة :

وزعموا أنَّ رسول الله قال : اختاروا ولتكم فإنْهم وفودكم إلى الله^(١) ، وكذلك قال : يؤمّكم أقرأكم ، فقالوا : إن كانوا في القراءة سواء ؟ قال : فأفقههم^(٢) . وبهذه الرواية التي رواها يعلمون بأنَّ علياً كان حافظاً للقرآن ولم يكن أبو بكر كذلك ، وعلى أفقه منه في العلوم الدينية وحلَّ المشاكل وكان مفتى الصحابة ومعهذا فقد قدّموا أبا بكر لإماماً الصلاة وغيرها نقضاً للحديث المروي عنهم . ويعلمون أنَّ النبي سدَّ جميع الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب علي^(٣) .

(١) عثرت على رواية ذكرها أبو الفتح الكراجكي ﷺ : «وإنْ أنتُمْ وفودكم إلى الله فانظروا من تو Gundون في دينكم» (ص ١٥٢) أما الرواية التي ذكرها المؤلف فلم أغير عليها في مصدر وتركتها على حالها .

(٢) عثرت عليها عند الشيعة وفي السياق اختلاف في صياغة الحديث والمعنى واحد: تذكرة الفقهاء للحلبي ١: ١٧٩ وعزاه للإمام إلى ابن سيرين والثوري وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي وابن المنذر، الشهيد الأول في الذكرى: ٢٧٢، مجمع الفاندة ٣: ٢٥٢ وسمَّاه طريق العامة، مصباح الفقيه ج ٢ ق ٦٨١ و ٦٨٢، التعجب للكراجكي: ١٠، الغدير للأميني ٥٣: ١٠ . والظاهر أنَّ الرواية عامية وفيها إضافات وفي قبالها رواية شيعية في معناها .

(٣) عثرت على هذا الكلام المتقدم في كتاب التعجب لأبي الفتح الكراجكي (ص ١١ طبع سنة ١٤١١) **٥**

ثانية في مكتبة المصطفوي بقم) وأنا أنقله هنا لتعاضض به عن الترجمة، قال: ومن عجيب أمرهم أنهم يعترفون بأن الأمة ليس لها أن تعصي حكماً ولا تقيم على أحد حداً ولا تنفذ جيناً ويزعمون أن لها أن تجعل هذه لأحدها وترد إليها مالم يرد إليها، وتملّكه من الشريعة أشياء لا تملكها من غير أن يأذن لها في ذلك مالكها، وهذا من أطرف الأمور وأعجبها.

ومن عجيب أمرهم فيما ذهبوا إليه من الاختيار قد أجازوا إعمال أمر الأمة إلى أن يختار علمانها واحداً مع أنه لو اختار أهل مدن مختلفة عدة أئمة وجب عندهم أن يقف أمرهم إلى أن يتظروا من الأولى منهم فيقدموه ويبطلوا إماماً من سواه ويقطروه، فإن كان قد عقد لهم في وقت واحد سقطت إمامتهم كلهم فأباحوها بهذا ترك الناس في هذه المهلة بغير إمام، وربما تراخت وطالت واضطرب فيها أمر الأمة وحدثت أمور لا مدبر لها، وتولّد مضارّ عامة لا مصلحة لفسادها.

وقيل لهم على هذا الرأي: لمَ لَمْ يصبر أصحاب السقية عن المبادرة لإمام والمسارعة التي انفردوا بها عن الإمام ريشما يفرغ بنو هاشم من تجهيز النبي ﷺ ومواراته وقضاء مفترض حقه في مراعاته حتى إذا تنجّرت هذه الحال حضروا معهم العقد لشاركونهم في الرأي والأمر فإنهم إن لم يكونوا أخصّ بهذا الأمر فيه شركائهم، ونصبّيهم فيه على أقل الوجوه نصبيهم؟ فقالوا: إنما فعلوا ذلك مبادرة بالأمر الذي يخشى فواته، ويختلف المضارّ بتأخيره مع العلم العام بأنّهم ما اضطربوا في ذلك الوقت إلى هذا البدار ولم تختلف الكلمة لولا ما فعلوه اختلافاً يعظم به المضارّ ولا قصدهم من الأعداء قاصد ولا أحاط بهم عدوًّا ومعاند، فما هذه العجلة والبدار مع ما جيناه عنهم في شرائط الاختيار لو لأنّ القوم اغتنموا الفرصة فانتهزوها وبادروا المكنة فاختلسوها وإن مصوبتهم ناقضوا فعلهم وناصرتهم أو ضحوا لزّلهم مع أن رأيهم في الاختيار، وما ساقهم إليه أحکام التقى في هذا الزمان المخللة بنصبة الإمام قد أذأهم إلى إعمال أمر الأمة وتركهم بغير إمام.

ومن عجيب أمرهم قولهم أن اختيار الأئمة إلى العلماء وأن الجماعة يختارهم الذين لا يغطّون في اختيارهم ويعلمون مع هذا أن أبا بكر اختاره أبو عبيدة، وأن عمر اختاره أبو بكر، وأن عثمان اختاره عبد الرحمن وليس فيهم من حصل الشرط الذي ذكروا.

فصل: في أغلاطهم في اختيارهم أبا بكر

ومن عجيب أمرهم أنهم قصدوا إلى رجل أمر الله بتأخيره ولم يره أهلاً للنيابة عن رسول الله ﷺ

وقال عليه السلام: إنَّ الله تعالى أمر موسى بن عمران أن يَتَّخِذ بَيْتاً طَهْرًا لَا يَجْنَب فِيهِ إِلَّا هُوَ وَهَارُونَ وَابْنَاهُ شَبَرٌ وَشَبِيرٌ، وَإِنَّهُ أَمْرَنِي أَنْ أَتَّخِذ بَيْتاً طَهْرًا لَا يَجْنَب فِيهِ إِلَّا أَنَا وَعَلَيَّ وَابْنَهُ الْحَسَنُ وَالْحَسِينُ عليهم السلام، فَاجتَمَعَتِ الْخَصَالُ الْمُوجَبَةُ لِتَقْدِيمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي الْيَالِيَّةِ شِعْرِيَّ بَأْيَ فَضْلٍ قَدَّمُوا عَلَيْهِ أَبَابِكَرَ .

وَلَمَّا سُئِلَ هُوَ وَعُمْرٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : «وَأَبَابَهُ»^(١) فَأَحَارَ جَوَابًا وَلَمْ يَعْرِفْهَا مَعْنَىً .

وَأَبَوبَكَرُ هُوَ الْقَائِلُ : وَلَيْتَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرٍ كُمْ ، أَقْبَلُونِي أَقْبَلُونِي وَلَسْتُ بِخَيْرٍ كُمْ :

في تأدية تسع آيات من سورة برانة إلى أهل مكة وهم بعض الأمة ورسول الله حي موجود مع قوله عليه السلام: المؤمنون أكفاء؛ تساوى دمائهم ويُسْعى بذمتهم أدناهم، ويُجيز عليهم أقصاصهم، وهم يد على من سواهم، فلا يراه الله مع ذلك أهلاً لتأدية ذمة ولا منفذًا لأمر في مصلحة للأمة، وزعله عن جيش ظهر فيه غوله وعجزه ومنعه، سكن المسجد وسدَّ بابه وأخره عن الصلاة التي قدّمه بلال إليها بأمر عائشة ابنته فقدّمه بعد رسول الله عليه السلام رئيساً على جميع أئمته ورداً إلى أحكام ملته حيث يكون تنفيذ الأمم في يديه، وأحكام الشريعة مردودة كلها إليه، ويكون القائم مقام خير خلق الله تعالى محمد رسول الله عليه السلام والمنفذ لشرعه، إنَّ هذا الشيء عجيب يحجب فيه عقل الليب.

ومن عجيب أمرهم اعتقادهم أنَّ النَّبِيَّ عليه السلام أمر الناس أن يختاروا لأنفسهم إذا اجتمعوا إمام الصلاة ويررون عنده آنة قال: اختاروا أنتم فلأنهم وفديكم إلى الله عز وجل، وقال: يؤمنكم أقرأكم، وفي خبر آخر: قالوا له: فإن كانوا في القراءة سواء؟ قال: فأفقيهم، وصاحب المسجد أولى بمسجده، ثم يررون مع ذلك أنَّ من الواجب تقديم أبي بكر على أمير المؤمنين عليه السلام ويررون أنه أولى منه بالتقديم على الناس في الصلاة مع علمهم بأنَّ أبا بكر لم يكن حافظاً لكتاب الله وأنَّ أمير المؤمنين كان حافظاً بغير خلاف. ومع علمهم بأنَّ رسول الله سدَّ جميع أبواب الصحابة التي كانت إلى المسجد حتى سدَّ باب عممه وترك باب علي، وقال: إنَّ الله أمر موسى بن عمران أن يَتَّخِذ بَيْتاً طَهْرًا لا يَجْنَب فِيهِ إِلَّا هُوَ وَهَارُونَ وَابْنَاهُ شَبَرٌ وَشَبِيرٌ، وَإِنَّهُ أَمْرَنِي أَنْ أَتَّخِذ بَيْتاً طَهْرًا لَا يَجْنَب فِيهِ إِلَّا أَنَا وَعَلَيَّ وَابْنَهُ الْحَسَنُ وَالْحَسِينُ عليهم السلام.

(١) عبس: ٣١.

فإن استقمت فاتّبعوني، وإن اعوججت فقوموني، وإن لي شيطاناً يعتريني عند غضبي فإذا رأيتّموني مغضباً فتجنّبوني لا أؤثر في أشعاركم وأ Basharكم^(١). واختاروه مع قلة علمه ونقصان فهمه وفقهه في الدين على عليّ الذي بسط الله يده على العالم كافة مع كثرة العلم والقرابة من النبي ﷺ وزهده وطهارته كلّ ذلك يعلّمونه منه كما يعرفون الجهل من أصحابهم، ولكنّهم أخّروه ردّاً على الله ورسوله حيث قال: ﴿لَقَدْ زَرَنَا يَجْهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِينِ﴾^(٢).

مسألة:

وقال الأنصار: نحن أولى برسول الله ﷺ لنصرتنا إيه، وقال المهاجرون: بل نحن أولى به لقربنا وهجرتنا، ولم يدر بخلدتهم أنّ عليّ حوى الفصيلتين: فهو أنصاري مهاجريّ وقرشيّ هاشميّ، فقال عليّ عليه السلام: إنّ المهاجرين حاجوا الأنصار بقرب قريش من رسول الله فإنّ كانت حجّتهم ثابتة فقد كنت إذن أحقّ بها لأنّي أقرب منهم، ولما بلغته بيعة أبي بكر قال هذين البيتين من الشعر:

فإن كنت بالشوري ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون عَيَّبُ

وإن كنت بالقربي حجّت خصومهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب^(٣)

وقال عليه السلام: بم احتجّ المهاجرون على الأنصار؟ قالوا: بصحبة رسول الله ﷺ،

(١) راجع التعجب أيضاً (ص ٩) وليس فيه أقولوني أقولوني أثناء كلام الشيخ عن شيطانه، لا يعتريني الشك أنّ المؤلف عليه السلام أخذ من الكراجكي لتقديمه عليه فقد توفي الكراجكي سنة ٤٤٩ (راجع الذريعة للطهراني) ولكنه لم يشر إليه بل عمد إلى كلام الشيخ الكراجكي فقطع أوصاله وأفقده الوحدة وحشر في أثناءه كلاماً لا يبلغ مستوى معاوّق المترجم بحيرة مدحشة، واستمرّ المؤلف يكيل من كلام الكراجكي كلّما حلّ له، وربّما أغرض عنه بكلام ينشأ من نفسه، ولو أنه أشار إلى كتابه لأراوح واستراح عليه السلام.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) وقيل إنه قول قيس بن سعد، التعجب: ٩.

فقال : يا عجبا ! تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة !
ومن عجيب أمرهم دعواهم أن إماماً أبي بكر تثبت عن إذن من أهل الحل
والعقد واختيار وتأمل ، هذا مع سماعهم قول عمر بن الخطاب : كانت بيعة أبي بكر
فلترة وقى الله المسلمين شرّها ، وهذا القول يكذب مزاعمهم ، لأنَّ الفلتة التي هي
العجلة والبدار تضاد ما يدعون من التأمل والاختيار .

مسألة:

ومن عجيب أمرهم دعواهم أنَّ الْأُمَّةَ اجتmetت على إمامـة أبي بكر مع علمـهم بقلـة عدد المعاقدـها وتأخـر من تأخـر عنـها، وإنـكار المنـكـرين لهاـ، والخلفـ الواقعـ فيهاـ في حالـ السـقـيـفةـ وبعـدهـاـ، فيـقولـونـ: إـنـ مـنـ خـالـفـ مـنـ الأـنـصـارـ وـتـأـخـرـ مـنـ بـنـيـ هـاشـمـ الـأـخـيـارـ^(١) وـماـكـانـ مـعـ أـبـيـ بـكـرـ إـلـاـ نـفـرـ مـنـ قـرـيـشـ وـهـمـ عـمـرـ وـعـمـانـ وـعـبدـالـرـحـمـانـ بـنـ عـوـفـ وـخـالـدـ بـنـ الـولـيدـ وـسـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ الـقـرـشـيـ وـسـعـيدـ بـنـ الـعـاصـ الـقـرـشـيـ وـسـالـمـ بـنـ حـذـيفـةـ الدـعـيـ، وـجـمـاعـةـ مـنـ الـجـهـولـينـ حـسـبـاًـ وـنـسـبـاًـ، وـلـيـسـ مـنـ قـرـيـشـ إـلـاـ هـؤـلـاءـ الـعـشـرـةـ وـمـعـ ذـلـكـ يـسـتـوـنـهـ الـإـجـامـ.

ثم ينكرون أن يكون الإجماع حصل على حصار عثمان وقلعه وتکفیره وقتله، ولم يكن بالمدينة من أهلها ولا من کان بها من أهل مصر وغيرهم إلا محارب أو خاذل، ولم يحفظ عليهم في الإنكار إلا قول القليل، ويدعون أنه وعيده المحاصرين معه في الدار ومروان ابن عمّه قادحون في الإجماع، هذا وقد رام قوم من بني أمية أن يصلوا عليه فلم يتمكّنوا وهموا أن يدفنوه في مقابر المسلمين فلم يترکوه حتى مسوا إلى حشّ كوكب وهو بستان بقرب البقع ثم أتوا ليجزوا رأسه فصاح نسوة

(١) هذه عبارة الكراجكي في التعجب (ص ١٣) رأيناه أُجدر بالعنابة من عبارة الترجمة، حيث أن المؤلف أخذها بالترجمة بعد التحوير والتغيير.

من أهله وضربين وجوههن فتركوه وداسه عمر بن أبي صابي فكسر ضلعاً من أضلاعه ...^(١) فلم ينكر عليهم أحد، وهذا المعنى أولى باسم الإجماع، فظهر من هذا بأن إجماعهم ربما بني على الباطل والظلم وغصب حقوق المسلمين^(٢).

ومن عجيب أمرهم أنَّ رسول الله ﷺ أرسله إلى خيبر وأرسل بعده عمر فرجعوا منهزمين وكان على رأس الجيش، وأرسل النبي ﷺ أبا بكر مع جيش إلى وادٍ قريب من المدينة ليلاً فرجعوا منهزمين، فلم يحسن أن يدبر الجيش بعقله ويرضي الله ورسوله فكيف يصح تحكيمه بالأُمَّة وحكمه عليها؟

وقاد الجيش عليٌّ بعده فهزم أولئك اللعناء وفرق جمعهم وبدد شملهم وكفى الله المسلمين شرّهم به، وإنَّ رجلاً بهذه الصفة من حسن القيادة والحكمة أولى بالتقديم.

(١) هذه عبارة صاحب التعبّج (ص ١٣) وفيها عبارة المؤلف وزيادة.

(٢) عبارة الكراجكي: وبقي مكانه مرمتاً ثلاثة أيام لم يستعظم في بابه مستعظم ولا أنكره منكر، ومن تأمل هذا الحال علم أنها أحق وأولى بالإجماع (ص ١٣).

الباب السادس عشر

في صفات الإمام

وقالوا: إنَّ الْإِمَامَ قَدْوَةً فِي الشَّرِيعَةِ مَعَ جُوازِ جَهْلِهِ بِبَعْضِهَا، وَلَا يَجِيَزُونَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَعَ جَهْلِهِ بِجُمِيعِهَا وَقَوْلُهُمْ: إِنَّهُ يَرْجِعُ فِي الْبَعْضِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَى الْأُمَّةِ وَلَا يَجِيَزُونَ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُلِّ إِذَا مَا يَعْلَمُهُ إِلَى أَحَدٍ مِّنَ الْأُمَّةِ وَلَسْنَا نَخْدُ فَرْقًا بَيْنَ حَاجَتِهِ إِلَى رُعْيَتِهِ فِي بَعْضِ مَا لَا يَعْلَمُهُ وَبَيْنَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَا لَا يَعْلَمُهُ .
بل من العجب أن يكون الإمام محتاجاً إلى من هو محتاج إليه ، ومقددياً برعاية يقتدون به ، لأنَّ هذا عند العقلاء من المناقضة القبيحة وهو دور واضح .

ومن عجيب أمرهم أنَّهُم يررون عن رسول الله ﷺ أنه قال : من تولَّ شيئاً من أمور المسلمين فولَّ رجلاً شيئاً من أمورهم وهو يعلم مكان رجل هو أعلم منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، أي إنَّ من حكم المسلمين لزم عليه إسناد الحكم والرياسة إلى أعلمهم .

مع ذلك إنَّ أبا بكر وعمر لم يوليا أياماً لها علية ﷺ مع معرفتها بكمال علمه ، ويقدمان الجھاں في الولايات عليه ، ولا يستدلّون بذلك على خيانتها لله ولرسوله

وللمؤمنين^(١) وإنما نحوه لثلا يدرك الناس أنه الأولى بالأمر ، ولكن إذا نابتهم نائبة أو ألمت بهم مشكلة رجعوا إليه واعتمدوا عليه .. ولو أتّهم دعوه لتولى شأن من شؤونهم لما قبله وحاشاه من قبول ذلك إلا أن هذا لا ينبع من نسبة الخيانة إليهم .

مسألة :

ومن عجيب أمرهم قوله : إن علوم الشريعة متفرقة في الأمة وأنها قد أحاطت بها وهي الملجم والمفرع فيها مع ما يدعون من عصمتها ، ويستعظمون قولنا أن الإمام هو المحيط بها والعالم بجميعها والملجم والمفرع فيها ، وهو المسدّد المعصوم دونها (وما انكروه متأنّكرون منهم وما أوردوه علينا وارد عليهم في عصمة الأمة) ويقيمون أنفسهم في ذلك مقام المشركين قالوا فيما تضمنه الذكر المبين : «أجعل الآية إلهاً واحداً إنَّ هذَا الشَّيْءُ عَجَابٌ»^(٢) .

مسألة :

ورووا عن رسول الله ﷺ أنه قال : خذوا ثلث دينكم عن عائشة ، لا بل خذوا ثلثي دينكم من عائشة .

فيما عجبًا كيف يثبت لعائشة هذا الكمال الذي تميّزت به عن الأنماط واستحال مثله في الإمام^(٤) (وهو مدينة علم النبي) .

ومن العجب إنكارهم أن يكون خليفة رسول الله ﷺ على أمته والمنفذ بعده

(١) التعجب : ١٤.

(٢) ص : ٥.

(٣) لتأثّت عندي أن المؤلّف أخذ نصوصه من كتاب التعجب ولكنّ حذر العبارة وغيرها بالحذف والإضافة لتكون له ،رأيت نقل عبارة التعجب أولى وإن كنت لا أهمل زيادات المؤلّف فأضعها بين قوسين .

(٤) نفسه (١٥).

أحكام شريعته حافظاً لعلوم الشريعة محظياً بأحكام الملة، مستغنياً في ذلك عن الرعية، ويدعون أنَّ شيخهم الجاحظ لعنه الله^(١) على سخافته وهزله وخداعته وصلاحته وقيع فعله ومشتهر فسقه قد عرف كُلَّ علم، وصنف الرياضيات ورسوم الأدبيات إلَّا وقد خاض فيه وعرف متصرفاته وعجائبه ومعايشه^(٢) الخ لأنَّ الجاحظ أظهر عداوة أمير المؤمنين عليه السلام وعداوة أهل بيته وكتب في ذلك الكتب منتقاصاً بها علياً وأهل بيته... وقد ذكر في عدّة مواضع أنَّ النبيَّ قال: أنا مدينة العلم وعلى بابها^(٣) وكذلك قوله عليه السلام: على مع الحق والحق مع علي، اللهم أدر

(١) اللعنة التي أصابت الجاحظ من الكراجكي المؤلف وأنا أقول: ألف ألف لعنة عليه.

(٢) نفسه: ١٥.

(٣) هذا الحديث أنكره أولاد الروانى والعواهر حتى قال آخرهم وهو نكرة ظهر علينا في أحد مواقع الانترنت «البرهان» بصفحات تافهة جداً ستتها مناظرة مجهلة الزمان والمكان والأطراف وكان لا يعبر عن مناظرية بأسمائهم لذا يفتضج طبعاً وإنما يسمّيهم «سيدهم» و«أحدهم» وهكذا، ولو كانت المناظرة صحيحة أو كان هو الغالب فيها كما يدعى لما تردّد في ذكر أسماء مناظرية، وعلى كل حال اسم المناظرة «انتصار الحق» وصاحب القلم الذي خطّها خادم السنة (طبعاً سنته معاوية) مجدي محمد علي محمد... وفيها: أحدهم السائل: من أعلم الصحابة؟

العبد لله: أبو بكر أعلم الصحابة.

السائل: ما دليلك على ذلك؟

العبد لله: النبيَّ قدّمه للصلة بالناس عند مرضه الأخير ومعلوم في الفقه أنَّ الذي يؤمن القوم أعلمهم وتقديم أبي بكر للصلة بال المسلمين أعظم شهادة من الرسول المعصوم بأنه أعلم الناس وأفضلهم.

السائل: أليس الرسول عليه السلام يقول: أنا مدينة العلم وعلى بابها وهذا أدُلَّ على أنَّ علياً عليه السلام هو أعلم الصحابة؟

العبد لله: هذا الحديث لا يثبت عندنا فلا يصح الاحتجاج به.

السائل: لكن هذا الحديث موجود في كتبكم!

العبد لله: علم الحديث عندنا ليس بالسطحية التي هي عليها الآخرون بل هو علم واسع ألفت فيه كتب ومؤلفات لا تحصى لكثرتها، وأفني فيه علماء كثيرون أعمارهم لجمع الحديث - إلى أن يقول: - وحديثك هذا غير ثابت.. الخ، ثم يعلق عليه في الهاشم: بل هو مكتذوب موضوع عند رجوعي إلى منزلي بحثت فيه فوجده قد أورده ابن الجوزي في الموضوعات... الخ (ص ٤١ و ٤٢).

صححة الحديث:

أقول: مجده محمد هذا قد طبع الله على قلبه فلا حاجة إلى تذكيره لأنَّه من الذين جحدوا بها واستيقنُتُها أنفسهم، فالحديث معه ضرب على حديد بارد، ولكنَّي أخاطب أصحاب القلوب الوعية، فأقول: الرواية أخرجها الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه، وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال: بل موضوع، قال: وأبوالصلت ثقة، قلت: لا والله لا ثقة ولا مأمون (اه). وإنما ضعفوا الحديث ورموه بالوضع نظراً لرواية أبي الصلت له، وتكلموا فيه بغير هذا الحديث وكذلك فعل ابن الجوزي فإنه لم يورد له في الموضوعات سوى حديثين وهو منهم تحامل لا دليل عليه ولا موجب له سوى مواليه لأهل البيت كعادتهم مع غيره، فإنه لم ينفرد بهذين الحديثين حتى يتهم بهما ويتحامل عليه من أجلهما.

قال السيد الغماري: وأمَّا ابن الجوزي فهو مقلدٌ لمن سبقه فلا ينبغي أن يعدَّ في الحاكمين على الحديث بالوضع لأنَّه لم يقل ذلك عن اجتهاد فهو بمنزلة العدم كحال كل مقلد، ولو فرضنا أنه حكم بذلك اجتهاداً فتساهله وتهوّره معلوم حتى قال الحافظ فيه: إنه حاطب ليل لا يدرِّي ما يخرج من رأسه، وقد كثُرَ الاعتراض الناس عليه وتعقبه فيما حكم عليه بالوضع والتحذير من الاغترار به كما بسطته في غير هذا الموضوع وقد تعقبوه على هذا الحديث كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

وأمَّا الذهبي فلا ينبغي أن يقبل قوله في الأحاديث الواردة بفضل علي عليه السلام فإنه سامحه الله (بل لعنه وأخزاه - المترجم) كان إذا وقع نظره عليها اعتبرته حَدَّةً اتفقت شعوره وغضبه أذهب وجданه حتى لا يدرِّي ما يقول، وربما سبَّ ولعن من روى فضائل علي عليه السلام كما وقع منه في غير موضوع

من الميزان، وطبقات الحفاظ تحت ستارة أن الحديث موضوع، ولكنه لا يفعل ذلك فيمن يروي الأحاديث الموضوعة في مناقب أعدائه، ولو بسطت المقام في هذا الذكر للك ما تفضي منه بالعجب من الذهبي رحمه الله (بل لعنه الله - المترجم) ويكفي في رد كلامه أنه قال في الميزان: عبد السلام بن صالح الهروي، الرجل الصالح إلا أنه شيعي جلد، انتهى، فما وصفه بضعف ولا رماه بکذب ثم ذكر عند ذكر هذا الحديث في المستدرك: أقسم بالله أن عبد السلام بن صالح ما هو ثقة ولا هو مأمون، فكيف الجمع بين هذا وذاك؟! وقد تعقبه الحافظ في حكمه على هذا الحديث بالوضع في ترجمة جعفر بن محمد الفقيه فإنه أورده هذا الحديث، وقال: موضوع، فتعقبه الحافظ في اللسان بقوله: وهذا الحديث له طرق كثيرة في مستدرك الحاكم أقل أحوالها أن يكون للحديث أصل فلا ينبغي أن يطلق عليه القول بالوضع، انتهى.

وقد سبق قول الحافظ السيوطي في الجامع الكبير: كنت أجيب دهراً عن هذا الحديث بأنه حسن إلى أن وقفت على تصحيح ابن حرير لحديث علي في تهذيب الآثار مع تصحيح الحاكم لحديث ابن عباس فاستخرت الله تعالى وجزمت بارتقاء الحديث من مرتبة الحسن إلى مرتبة الصحيح (اه).

ونقل في الثاني المصنوعة عن الحافظ العلائي أنه قال في أجوبته عن الأحاديث التي تعقبها السراج القرزوني على مصابيح البغوي وادعى أنها موضوعة، ما نصه: حديث «أنا مدينة العلم وعلى بابها» قد ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات من طرق عدة وجزم ببطلان الكل وكذلك قال بعده جماعة منهم الذهبي في الميزان وغيره، والمشهور به روایة أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي عن أبي معاوية عن الأعمش عن ابن عباس، وأبوالصلت مختلف فيه لكنه توبع فبرئ من عهده، وأبو معاوية ثقة مأمون من كبار الشيوخ وحافظهم المتفق عليهم وقد تفرد به الأعمش فكان ماذا؟ وأي استحاله في أن يقول النبي ﷺ مثل هذا في حق علي عليه السلام ولم يأت كل من تكلم في هذا الحديث وجزم بوضعه بجواب عن الروايات الصحيحة عن ابن معين في توثيقه وتصحيح حديثه ومع ذلك فله شاهد: رواه الترمذى في جامعه وسنده حسن فكيف إذا انضم إلى حديث أبي معاوية، ولم يأت أبوالفرح ولا غيره بعلة قادحة سوى دعوى الوضع دفعاً بالصدر (اه) باختصار. راجع: أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، فتح الملك العلي، وهو كتاب جدير القراءة والحفظ، هذا ما يقوله العلماء أصحاب الدين والاجتهاد،

الحق معه حيثما دار.

وأتفقوا على أنَّ علَيْناً أعلمُهم، وعبدالله بن عباس واحد من تلامذته، فقد كان عمره مع ما هو عليه من جاه الخلافة يفتقر إليه في المسائل ويقول: «غص يا غواص»، واعتبر برجل تلميذه غواص فإنه بالأعلمية أولى.

وقال له عمر بغير خلاف لما ردهُ أمير المؤمنين عليه السلام عن مواضع ظهر منه فيه الأغلاط: لولا عليَّ هلك عمر.

مسألة:

قالوا عن عليٍّ وأهل بيته المعصومين: إنَّ هذه العصمة إنْ كانت منهم جاز أن يقع في غيرهم فيساوهم في منزلتهم، وإنْ كانت من الله سبحانه فجبرهم وأضطرّهم ولم يستحقوا ثواباً على عصمتهم.

والجواب:

إنَّ هذا قول باطل، لأنَّها متساوية لعصمة النبي صلوات الله عليه وهم مع ذلك معترفون بأنَّ النبيَّ معصوم في التأدية والتبلیغ ومعصوم عَمِّا سوی ذلك من جميع كبار الذنوب في حال نبوّته وقبلها، وما يحيّبون به عن عصمة النبيِّ فإنه جوابنا بعينه بلا أدنى فرق.

الجواب:

ومن العجب قولهم أنَّ العصمة ثابتة لجميع الأمة منتفية عن كلَّ واحد منها مع علمهم بأنَّ آحادهم جماعتها وأنَّها إذا كانت مؤمنة بأجمعها كان الإيمان حاصلاً لا حارباً، ولو كفر جميعها لكان الكفر حاصلاً مع كلَّ واحد منها.

وقد قال أحد المعتزلة يوماً وقد سمع هذا الكلام: فرق بين العصمة وما ذكرت

⇒ الباحثون عن الحق، أمّا أعراب نجد وأتباعهم من أهل العناد كصاحب المنازرة فهم أشدَّ كفراً ونفاقاً وأجرد أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله.

من الكفر والإيمان، وذلك أنَّ ما ثبت لكلَّ واحد منها فهو ثابت لجماعتها، وليس كلَّ ما ثبت لجماعتها ثابت لكلَّ واحد منها، فلذلك إذا آمنَ آحادها كان جميعها مؤمنين، وإذا كفرَ آحادها كان جميعها كافرين، وليس إذا ثبت العصمة لجماعتها يكون آحادها معصومين.

فقلت له - الكراجكي - : ما رأيت أعجب من أمرك وانصرافك عن مقتضى قضيتك إذا كان ما ثبت لكلَّ واحد من الأُمَّة ثابتاً لجميعها فقد ثبت عندي وعنكم الحكم على كلَّ واحد منها بجواز الخطأ والنسيان وتعتمد الغلط في الأفعال والأقوال فاحكم بشبوت ذلك بجميعها وأسقط ما ادعى من عصمتها، فلم يدر ما يقول بعدها ...^(١).

ومع هذا يجيزون الخطأ على الآحاد ويدعون العصمة للمجموع، وما الفرق بين الآحاد في جواز اجتاعهم على الكفر وتبرئة الأُمَّة من ذلك بادعاء عصمتها؟ وهل هذا إلا محض عنادٍ.

ومثال ذلك الماء فإنَّ النقطة منه إن كانت رطبة فينبغي أن يكون المجموع كذلك، وكذلك الزنج فإذا كان أحدهم أسود فإنَّ المجموع كذلك، وهذا من صور البساطة كون حكم الجزء والكلَّ واحداً بخلاف المركب، ولما كان آحاد الأُمَّة يجوز عليهم الخطأ فجوازه على الأُمَّة كذلك وهي محتاجة إلى الإمام كآحادها، ولما كان جواز الخطأ في الكلَّ قد يُحاجَّ إلى إمام معصوم، فإنَّ لم نفترض عصمته احتاج إلى إمام معصوم يكون عليه يرده عن الخطأ وإلا لاحتاج إلى إمام آخر لا يخطأ وهكذا يؤدِّي الحال إلى التسلسل.

(١) التعجب: ١٦. وهذا الكلام حاوٍ لكتاب المؤلف وزباده، وإنما نقلته بالتفصيل فلأنَّ المؤلف أخذ منه كلَّ أقواله ولم يشر إلى ذلك، ورأيت ما اختزله المؤلف لا يؤدِّي المعنى المراد لصاحب الكتاب.

وإِنَّهُمْ جَعَلُوا حِجَّتَهُمْ فِي عَصْمَةِ الْأُمَّةِ وَفِي أَنَّ إِجْمَاعَهَا صَوَابٌ وَحِجَّتَهُمْ خَبْرٌ نَسْبِوْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ أَنَّهُ لَا تَجْتَمِعُ أُمَّةٌ عَلَى ضَلَالٍ، وَهَذَا الْخَبْرُ لَا يَكُنُونَ عَلَى أَصْلِهِمْ أَنْ يَدْعُوا فِيهِ التَّوَاتِرَ إِذَا كَانَ غَيْرُ مُوجَبٍ لِسَامِعِيهِ عَلَى الضرُورَةِ بِصَحَّتِهِ فَهُوَ لَا حَالَةَ مِنْ أَخْبَارِ الْأَحَادِيدِ فَهُمْ إِذَاً قَدْ جَعَلُوا دَلِيلَ الدَّعْوَى بِأَنَّ الْأُمَّةَ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالٍ قَوْلُ بَعْضِهَا وَالْحَجَّةُ عَلَى عَصْمَتِهَا شَهَادَةُ وَاحِدٍ مِنْهَا وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْخَلَافَ فِي قَوْلِ جَمِيعِهَا يَتَضَمَّنُ الْخَلَافَ فِي قَوْلِ بَعْضِهَا وَالتَّخْطِئةُ بِسَائِرِهَا يَدْخُلُ فِي التَّخْطِئةِ بِوَاحِدِهَا...^(١) وَيَكُنُ أَنْ يَكُونُ قَوْلُ هَذَا الرَّاوِي وَاجْدُ الْخَطَاوَةِ وَكَذِبًاً فَيَكُونُ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَى الْكَذْبِ.

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِمْ لَا يَجِيزُونَ إِمامَةَ الْفَاسِقِ وَيَجِوزُونَ أَنْ يَكُونَ الْإِمامُ بِاطِّنَهُ فَاسِقًاً، وَيَحْتَجُونَ فِي نَفِيِّ مِنْ ظَهَرِ فَسَقِهِ بِأَنَّهُمْ لَا يَأْمُنُونَهُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَدُودِ وَلَا يَتَّقُونَ بِهِ فِي حَفْظِ الْأَمْوَالِ وَصَرْفِهَا فِي الْوَاجِبَاتِ ثُمَّ يَأْتِنُونَ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ يَجِوزُونَ عَلَيْهِ الْفَسَقِ وَالْفَجُورِ وَارْتَكَابِ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَمِنْ لَا يَخِيلُونَ أَنْ يَكُونُ فِي بَاطِّنِ أَمْرِهِ عَلَى ضَلَالٍ وَكُفْرٍ وَإِشْرَاكٍ^(٢).

وَالْعَجْبُ مِنْهُمْ أَنْ لَا يَجِيزُوا إِمامَةَ الْفَاسِقِ مَعْلَنَ الْفَسَقِ وَيَجِيزُونَ إِمامَةَ الْكَافِرِ فِي الْبَاطِنِ وَبَنَاءً عَلَى هَذَا لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ بِاَبَانِنَا وَإِذَا لَمْ تَجِزْ إِمامَةَ الْفَاسِقِ فَكَيْفَ تَجِزُّ إِمامَةَ الْكَافِرِ^(٣)!

مَسَأَلَةُ :

وَقَالُوا: يَجِوزُ تَقْدِيمُ الْمُفْضُولِ عَلَى الْفَاضِلِ، وَهَذَا يَسْتَنْكِرُهُ الْعُقَلَاءُ وَيَقْبَحُونَهُ

(١) التَّعْجِبُ: ١٧.

(٢) التَّعْجِبُ: ١٧.

(٣) وَعِبَارَةُ صَاحِبِ التَّعْجِبِ هَكُذا: وَمِنْ عَجِيبِ الْعَجِيبِ امْتِنَاعُهُمْ مِنْ إِمامَةِ مَنْ عَلِمُوهُ فَاسِقًاً وَتَجْوِيزُهُمْ أَنْ يَكُونُ فِي بَاطِنِهِ كَافِرًا... إِلَخْ (ص ١٧).

وغررهم من هذا الأمر المخالف للعقل والشرع تقديم أبي بكر الفاقد لكل خصلة حميدة ومزية مجيدة على عليٍّ وهو الأعلم والأشجع والأكمel والأكثر عملاً والأشد خوضاً في ميدان الجهاد ونصر دين الله^(١) ومع ذلك قدموه عليه على أنه لا نسبة بينه وبين الإمامة، ويلزم أن يكون رعيته فصيروه راعياً، ومن له التقدم جعلوه رعيية، ومنعوه من أجل مراتبه وهي الإمامة، ولم يقبلوا أمره ونفيه، وصيروه تابعاً للجهال، ومتناهٍ كمثل الذي أعطى المعلم للمتعلمين يعلمونه، والنبي جعله تابعاً للموالٰي والعبيد، وهذا شأن ينكره العقل ويقتبحه العقلاء^(٢) وقد استغاث فيهم أمير المؤمنين علٰى متظلاً وشكاهم إلى الله مستعدياً فقال: اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قطعوا رحبي وأكفوا أثاثي وأجمعوا على منازعي حقاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إنَّ في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه فاصبر مغموماً أو مِثْ متأسفاً.

ومن عجيب أمرهم تحالفهم الباطل في الاعتذار لتقديم المفضول على الفاضل، قوله: إنَّ العاقدين خافوا أن يلي الفاضل عليهم فيرتد إلى الكفر قوم منهم لما في نفوسهم عليه من الأحقاد وما بينه وبينهم من الغائل والتراط فوجب تأخيره وتقديم من دونه ليؤمن من وقوع هذه الحال وتسكن نفس من يخاف منهم الارتداد^(٣).

(١) وجاء في كتاب التعجب: «فصلٌ في أغلاطهم في إمامـة المفضول»: فمن عجيب أمر القائلين بإمامـة المفضول... الخ، وهو كلام نفيس جداً أخذ منه المؤلف بعض عباراته ومعناه وأضاف إليه كلاماً دون مستوى (ص ١٧).

(٢) أخذ المؤلف عبارة التعجب الجزلة الحاوية للمعنى الدقيق فتصرَّف فيها تصرفاً غير محمود حتى مثل المعلم والمتعلمين فقد جاء عند الكراجحي هكذا: وما زلت نسمع العامة تقول: يأتي الناس زمان يسلم فيه المعلم إلى الصيـان ويسوق فيه البـغل على الطـحان... الخ (ص ١٨).

(٣) التعجب: ١٨ - ١٩.

الجواب :

وهذا باطل بإرسال الرسل^(١) فقد نسوا ما قد أجمعوا عليه معنا ولم يخالقونا فيه من أن الحكيم يجب أن يفعل أفضل الأمور وأعلاها وأشرفها وأولاها، وإن ضلّ من ضلّ وكفر من كفر بإرساله سبحانه الأنبياء إلى من يعلم أنهم يقتلونهم ويزدادون في غيّهم، وتبليغه أطفالاً يعلم من حاهم أنهم يكونون كفاراً إذا بلغتهم وتتكليفه قوماً قد علم أنهم يضلّون إذا كلفهم فكيف صار من الحكمة والعدل فعل هذه الأمور وإن ضلّ معها الجمهور، ومن الظلم والجور تقديم المفضول على الفاضل خوفاً من ضلال قليل من كثير ولا انقادوا إلى هذا الفاضل واتبعوا في ذلك الواجب، فيكون المحبة من خالف وعائد.

(قال المؤلف^(٢)): وعلى هذا ينبغي أن لا يكلف الله عباده بطاعة أمر رسله، لأنّه عند إرسال الرسل عاندهم الناس وكفروا وارتددوا ومع هذا فقد أرسل الله إليهم أفضل الناس.

وذلك نقول: لو لا التكليف لكان الناس في بال من الأوامر والتواهي ومثله العقل إذ لو لا له لكان الناس مجانين وعاشوا في أمن من التكاليف وكان الناس جمياً من أهل الجنة ...

جواب آخر :

إنّ الذي يدرا الشرّ والخبث والنفاق هو اتّباع الفاضل والانقياد لأوامره ونواهيه، لكي يتّنفع الفساد والارتداد، ألا ترى أنّ موسى حين أزمّع الغيبة نصب

(١) وهذا ينبغي علينا نقل عبارة «التعجب» لأنّها أكمل من عبارة المؤلف وأوصل للمعنى، انظر ص ١٩.

(٢) قارن بين العبارتين.

أخاه هارون على بني إسرائيل مع علمه أنّ بني إسرائيل سوف يرتدون ويعبدون العجل واختار هارون لأنّه الأفضل لا واحداً من بني إسرائيل^(١).

ويزعم الخصم: أنّ الأُمّة لو قالت لا نؤمن حتى تخرجوها هذا المؤمن من بيننا ووجب حينئذٍ إخراجه كما فعل عثمان بأبي ذر الغفارى من بين الصحابة من أجل تسلية خاطره وهو حبيب رسول الله وردّ طريد رسول الله من النفي لكي لا يضل الناس بزعمهم «نعوذ بالله من هذه الضلاله»:

لو سَلَّمُوا لِوَلِيِّ الْأَمْرِ أَمْرَهُمْ يَأْسِلُ^(٢) بَيْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ سِيفَان

مسألة:

ومن عجيب أمرهم اعتقادهم على هذا الاعتزاز مع علمهم باختلاف الناس بأبي بكر لما تقدم وكراهيتهم له مع علمهم ومعرفته بما كان من أهل الياءة لخالد بن الوليد: والله لا أطعنا لأبي فضيل أبداً، وقول خالد: والله لأرفع السيف عنكم حتى تتأمروا بالفحل للأكبر، فكان من أمرهم معه ما قد اشتهر من الحرب المبرة والفتنة العظيمة وسفك الدم وسي الحريم وهلاك من لا يحصى^(٣).

وقالوا: السبى غنيمة وهذا الارتداد ما كان لو لا تقديم أبي بكر على الناس،

(١) إليك عبارة التعجب التي أغار عليها المؤلف: أوليسوا مقرئين بأنَّ الله تعالى قد علم من قوم موسى أنَّهم يكفرون إذا قدم عليهم أخاه هارون ويتحدون العجل إليها من دون الله تعالى ولم ينبه عن تقديمهم ولا منعه من استخلافه وتركه فعل الأفضل في حكمته وليس لهم أن يقولوا بأنَّه هو إبى الله دون العباد وتقديمهم الفاضل (ص ١٩) والبيت الذي ذكره المؤلف مأخوذ من التعجب أيضاً وهو كما يلي:

لو سَلَّمُوا لِوَلِيِّ اللهِ أَمْرَهُمْ مَاسِلَ بَيْنَهُمْ فِي النَّاسِ سِيفَان

(٢) كذا. وال الصحيح: ماسل.

(٣) التعجب: ٢٠.

ومن العجب نسيانهم عند هذا الاعتذار كراهية الناس تقديم أبي بكر عمر عليهم، ونفورهم من نصبه عليهم حق حلفوه الله عزّ وجلّ وقالوا له: ما أنت قائل إذا لقيته وقد وليت علينا فظاً غليظاً، والله ما كنا نطيقه وهو رعية فكيف إذا ملك الأمر فاتّق الله ولا تسلّطه على الناس، فغضب وقال: أبا الله تخوّفوني؟!! أقول: يا ربّ، وليت عليهم خير أهلك^(١)!

وهذا من العجب أن يكون تقديم هذين مع كراهة الأمة لها لا يقتضي تأخيرهما وكراهية بعضهم لعلٍّ تقتضي تأخيره...⁽²⁾.

ومن العجب اعتذارهم في تأخير الفاضل بما قد اعتذروا به مع ساعهم قصة طالوت المذكورة في القرآن وتلاوتها عليهم ما اتصلت الأيام ولا ينتهي بها من رقدة الضلال حيث كره الناس وقالوا: ﴿أَئِنَّ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ بِمِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعْةً مِّنَ الْمَالِ﴾^(٣) فلم يمنع كراهتهم له من تقديمه، وأخر الله سبحانه وبإلهامه رياسته عليهم وتقديمه، فقال: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْهِمْ وَرَأَدَهُ بِسُبْطَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالْجِنْسِ﴾^(٤) فأخبرهم أن الله آتاه من علمه وقوته اقتضى تقديمه في حكمته فكيف لم يعتبروا بهذا من قول الله سبحانه فيعلموا أنهم على ضلال في تقديم من عرف ضعفه في علمه وجسمه على من حصل الاجتماع على أن الله تعالى قد جعله في

(١) التَّعْجِبُ:

(٢) عبارة التعجب: ومن العجب فضل عمر بن الخطاب عند أبي بكر يقتضي تقديمها مع العلم بكراهيته الناس له ولا يكون فضل أمير المؤمنين عليه عند جميع الأمة تقتضي تقديمها عليهم وإن ظهر كراهيته بغضهم، الخ (ص ٢٠).

(٣) المقدمة: ٢٤٧

۲۷۸ : الْأَنْوَافُ (۴)

١٢٧

بسطة من العلم والجسم كطالوت في قومه^(١).

مسألة:

ومن عجيب أمرهم أنهم اعترفوا بأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام الفاضل بحكم الله أعلى الناس قدراً وأرفعهم محلاً وذِكْرًا، وأزكاهم عملاً وأولاهم بالمدح والثناء، وأنه لا يحل استنقاصه ولا يسوغ ذمه ثم أجمعوا مع ذلك على كفر الخارجين من طاعة أبي بكر واستحلال دم ما يعتد (كذا) الزكاة وسيحرِّيهم ولم يقيموا للشاك في إمامتهم عذراً، ثم بسطوا عذرًا للشاك في إمامه أمير المؤمنين عليه السلام والمنتعن عن نصرته الخارجين عن وجوب طاعته كسعد بن أبي وقاص وحسان بن ثابت وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلم وأسامة بن زيد القاعدين عن إمامته والخاذلين الناس عن نصرته^(٢).

هؤلاء الذين خرجوا على عليٍّ الأفضل عليه السلام نحتوا لهم الأعذار وأقاموا لهم اليممات على أنهم مصيرون وتابوا، نعم إنهم تابوا ولكن في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿فَاغْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾^(٣) وقال: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْفَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي

(١) التعجب: ٢١. والعبارة التي أنقلها تزيد على عبارة المؤلف وقد يكون المؤلف اختصرها بسطرين ولكنهما لا ينبعان غلبة بل ربما أدى إلى تغيير المعنى وتشويهه، اللهم إلا بعض العبارات التي يضيفها من عنده ربما كانت ذات ذات دلالة قوية ولست أرى مانعاً في نقل العبارة التي اعتمد عليها المؤلف واقطع أجزاء منها وإن لم ترد في كتابه لأنها أمانة في عنقي وجدت لراماً على ردّها إلى أهلها والمؤلف أهل الإشارة إلى المصدر. وكأنه هو صاحب هذه المعاني التي ألبسها ثياباً فارسية فقط فقد تطول وقد تقصّر ونسبها إلى نفسه رحمة الله عليه.

(٢) التعجب: ٢٣.

(٣) المؤمن: ١١.

خُنَّا نَفْعِلُ^(١) وقالوا: إنَّ الَّذِينَ قاتلُوا عَلَيْنَا هُمْ وَإِيَّاهُ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْ أَعْدَاهُنَا عَايَشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ وَحُسَنَانَ بْنَ ثَابِتَ وَمُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرَ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصِ، وَيَعْتَبِرُونَ هُؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَهُمْ مجتهدون في قتالهم لعلٍّ وَتَطْلُّبُهُمْ لِقْتَلِهِ وَقْتَلَ أَهْلَهُ وَبَنِيهِ وَهُمْ مُصَبِّبُونَ أَيْضًاً.

والعجب أنَّ الشاكَ في خلافة المفضول يوجب الكفر وإباحة دم الفاضل والشاكَ في خلافة الفاضل وإعلان الحرب عليه شرع ودين «فَاعْتَبِرُوا يَا أَوَّلِ الْأَبْصَارِ مِنْ خَرَافَاتِ الْأَشْرَارِ» ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

الباب السابع عشر

في إمامـة أبي بـكر عـلـى عـهـد رـسـول اللـه

قال بعض المخالفين عن عائشة أنها قالت: لما نقل رسول الله ﷺ وعجز عن الخروج إلى الصلاة أمر أبا بكر بأن يصلّي بالناس، فلما كبر تكبيرة الإحرام سمعه النبي ﷺ فقام ورجلان تخطّان في الأرض وهو متوكّي على رجلين أحدهما الفضل ابن العباس، فأخر أبا بكر عن المحراب.
وقال بعضهم: أتّم أبو بكر صلاته.

وهذا غير جائز بعدد من الحجّاج الجليلة:

الأول: قوله تعالى: «بِاِنْهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقَمُوا بَنِينَ يَدِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(١) فإذا كان أبو بكر قد تقدّم فعلاً فإنه خالف قوله تعالى.
الثاني: «لَا تَزَفِفُوا أَصْنَوْعَ اتَّقُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ»^(٢) فإذا كان أبو بكر إماماً فلابدّ من رفع صوته فوق صوت النبي ﷺ وهو مخالف لقول الله تعالى وذلك كفر.

(١) الحجرات: ١.

(٢) الحجرات: ٢.

ويقول خصومنا: إنّها كانت صلاة الصبح.

الثالث: **«وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ»**^(١) ولما كان النبي ﷺ عازماً على الخروج فقد كان الأجر بأبي بكر الصبر حتى يخرج النبي إليهم ولكنه عمل على خلاف قول الله تعالى.

روي أنّ رسول الله قال: إنّ الصلاة جائزة خلف البر والفاجر ومع هذا لا يجيزون للفاجر أن يتولى الإمامة العامة وإمامة الصلاة داخلة في الإمامة العامة إذن بالنسبة إلى إمامرة الصلاة يجوز أن يكون الإمام فاجراً، وبناءً على هذا المذهب يقتضي أن يكون هذا الشخص فاجراً وغير فاجر في نفس الوقت، وحيثئذ يجب أن يكون الإمام العام غير مقيم لصلاة الجماعة.

قالت عائشة: ولما سمع رسول الله صوت أبي بكر في المسجد يصلّي بالناس جماعة قام وهو مريض واتكلأ على منكب عليّ والفضل ورجله يخطّان في الأرض حتى بلغ المسجد وتقديم وصلّى بالناس وحيثئذ لما عزله الرسول في آخر أيامه عن صلاة الجماعة فلا تكون إمامته عامّة ولا يعلمون بأنّ النبي حين استأنف الصلاة بعد تنحية أبي بكر دلّ ذلك على بطلان صلاته وصلاه من اقتدی به.

وقول عائشة هنا يدلّ على أنه تقدم للصلاه من دون إذن النبي وإلا لما عزله. وحيثئذ يكenna الجزم بأنه تقدم للصلاه بتدبیر عائشة حيث أرسلت إليه بلال وآذنه بالصلاه.

مسألة:

روى هؤلاء أنه وقع تنازع بين قبيلتين من قبائل الأنصار فذهب النبي ﷺ ليصلاح بينهما فتأخر عن صلاة العشاء، فقدموا عبد الرحمن بن عوف ليأمّهم في

الصلوة فجاء النبي واقتدى بعبدالرحمن بن عوف ولما سلم لم يرض المسلمين أن يأتم النبي بوحد من أمته فلما فرغ، قالوا: يا رسول الله، أتصلي خلف رجل من أمتك؟ فقال: ما يموت النبي من الأنبياء حتى يصلى خلف رجل من أمته...^(١).
فإن صحت هذه الرواية كان عبدالرحمن أولى بالإمامنة والخلافة من أبي بكر، لأنَّه لم يعزل عبدالرحمن هنا باتفاقهم واقتدى به في الصلاة وأتم صلاته وهناك لم يقتد بأبي بكر وقطع صلاته. وهناك أجمعَت الأُمَّة على إمامَة عبد الرحمن ورضيه رسول الله إماماً، وهنا اختيار عائشة وعزل رسول الله وعبد الرحمن بزعمهم مرضى رسول الله عليه السلام، وأبوبكر صلى صلاته متنازعاً فيها ولم يتتها، وعبد الرحمن إمام النبي والأُمَّة ولا شيء من هذا لأبي بكر.

مسألة:

قال الخصم: كان عليّ يعظّم الصحابة وهذا دليل على صحة إمامتهم.

الجواب:

من الظاهر المعلوم بأنَّ الحسن والحسين طلاق، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَةِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَجَابِرَ بْنَ عَبْدَ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَغَيْرَهُمْ يَعْظِمُونَ معاوِيَةَ مِنْ أَجْلِ التَّقْيَةِ وَهَذَا لَا يَدْلِلُ عَلَى صَحَّةِ إِمَامَةِ معاوِيَةَ، وَحَالُ عَلَيْهِ مَعَ الْقَوْمِ كَحَالِ هُؤُلَاءِ مَعَ معاوِيَةِ ..^(٢)

(١) أبوالفتح الكراجكي، التعجب: ٢٢.

(٢) من المؤسف حقاً أن يأخذ الشيخ هذا الكلام من كتاب التعجب ويوجزه إيجازاً مخلاً ثم لا يشير إلى الكتاب بكثير أو قليل، ونحن إنما نقول نقل لك جانباً من هذا الكلام من كتاب التعجب: فمن عجيب أمر المعتزلة ظاهر ظلمهم ودعواهم أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يمدح أبياً بكر وعمر في وقتهما وبعدهما، وأن ولده وشيعته كانوا يعظمونهما ويثنون عليهما، و يجعلون هذه

ولما نال عليّ الحكم غيرَ كثيراً من الأحكام التي ابتدعواها في الإسلام وما عجز عنه تركه على حاله كشأن نوافل شهر رمضان وكانوا يصلونها جماعة فنعتهم على طلاقة من ذلك فصاحوا صيحة واحدة (واعمره نهينا من سنة عمر) وسموا البدعة سنة.

وقال علي طلاقة: لو تسببت قدماي لغيرت أموراً كثيرة^(١).

❸ الدعوى دليلاً على صوابهما، ورضاه أمير المؤمنين طلاقة وذرئته بتقديمهم هذا مع المروري المشهور من ضد هذا، فإذا قيل لهم على وجه تسليم الدعوى: ما ننكر أن يكون ما ذكر تمور ورد على سبيل التقىة منهم مداراة لهما في وقتها واستعظاماً لشيعتهم من بعدهم استعظموا هذا القول واستبعدوه وأنكروه وجحدوه، فإذا سمعوا من سواهم من الحشوية أن الدليل على صواب معاوية بن أبي سفيان بعد صلح الحسن طلاقة ما ظهر من الحسن والحسين ومحمد بن علي طلاقة وعبد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وجاiper بن عبد الله الأنصارى وأبي ذر الغفارى وأبي أيوب الأنصارى وغيرهم من التعظيم له والإجلال وإظهار الأتباع وترك الإنكار، قالوا لهم: إن كان هذا ممن ذكرتموه على وجه التقىة من معاوية لما كانوا عليه في أيامه من أحكام الضرورة الملحقة إلى الاستعطاف والاستمالة ولما علموا من المصلحة في ترك المثافة والمخالفة فيعتمدون نظير ما ينكرون ويستعملون الاحتجاج الذي يجحدون قلة تأمل بوجه المناقضة وعدم انصاف وديانة... الخ.

انظر كيف أخذ المؤلف بعضاً من هذا الكلام الفاخر النفيس الذي رد به المؤلف على المعتزلة وليس أهل السنة والجماعة، لأن رأي هؤلاء في معاوية كرأيهم في الثلاثة بخلاف المعتزلة الذين يكفرون معاوية ومن ثم صحيحة احتجاجه عليهم.

(١) وهذا أيضاً أخذه من كتاب التعجب وإليك العبارة التي اقتطف منها المصطف عبارته: ومن العجب قولهم: إذا كان أبو بكر وعمر وعثمان قد تركوا كثيراً من الأحكام وأظهروا البدع في الإسلام قلّم طلاقة يغير ذلك أمير المؤمنين لما أنهى الأمر إليه بعد عثمان ولا يطلعون أنهم نهاهم عن الجماعة في صلاة نوافل شهر رمضان فتفرقوا عنه وصاحوا: واعمره نهينا عن سنة عمر بن الخطاب، فإذا كانت هذه حالة معهم في النبي عن أمر يعلمون أن عمر ابتدعه يتحققون أن النبي طلاقة نهى عنه وأنكروه و يجعلون البدعة من عمر سنة فكيف لو غير أكثر من هذا بدل لو غير بدعهم كلها... الخ (التعجب: ٢٤).

وكذلك قال : فإن ترفع عننا وعنهم محن البلوى أحملهم من الحق على محضه ، وإن تكن الأخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله علیم بما يصنعون^(١) (ولا تأس على القوم الفاسقين - المؤلف).

ويظهر من هذه الأخبار أنه ﷺ لم يتمكّن من التغيير وإنفاذ حكمه ، والدليل الأشدّ وضوحاً من هذا والأكثر صراحة من هذه الرواية الخاصة والعامة أن علياً عليه السلام قال : والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوارثهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتى ينطق (يزهد - المؤلف) كل

كتاب ويقول : يا رب ، قضى عليٌّ فينا (في هذا - المؤلف) بقضائك ...^(٢).

ومن هنا يعلم جيداً أنّه لم يكن قادرًا على تنفيذ الأحكام الشرعية لذلك كان يقول لقضاته : اقضوا بما كنتم تقضون حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي^(٣).

مسألة :

وهم لا يحيزون التقية على الإمام ويقولون : هو حجة في الحرام والحلال والخطأ والصواب والأمر والنهي ، من هنا لا تجوز التقية عليه .

مسألة :

ويقولون : إنَّ الأئمَّةَ صفةُ أخْيَارٍ وطائفةُ أَبْرَارٍ والتَّقِيَّةُ عَلَيْهِمْ جَائِزَةٌ إِذَا اعْتَرَضَتِ الأَسْبَابُ وَإِجْمَاعُ الْأَمَّةِ حَجَّةٌ ، وَالْأَمَّةُ مَعْصُومَةٌ كَالْإِمَامِ عَنْدَنَا ، وَمَا يَقُولُونَهُ فِي الْجَوَابِ هُنَّا فِي جَوَابِنَا ، وَمَعَ هَذَا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسْتَعْمَلُ

(١) نهج البلاغة ٦٤ : تحقيق محمد عبده ، نشر دار المعرفة - بيروت.

(٢) نفسه : ٢٤.

(٣) رسائل المرتضى ١: ٣٩٣ ، تحقيق السيد مهدي رجائي ، ط دار القرآن ١٤٠٥ هـ - مطبعة سيد الشهداء .

الثقة في الشعب وفي الغار كما أنّ فرار موسى من فرعون كان محض تقية «فَفَرِزْتُ مِنْكُمْ لَمَا خَفْتُكُمْ»^(١) وقال تعالى: «فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ»^(٢) كما أنّ الأنبياء مارسوا الثقة كلّ بحسب ظروفه وما صاحبته من قرائن الأحوال، قال الله تعالى: «لَا إِذْرَاةَ فِي الدِّينِ»^(٣) و «لَكُمْ وَيَنْتَمْ وَلِيَ دِينِ»^(٤) وهذه عين الثقة، ولا تنس الصلح يوم الحديبية^(٥).

(١) الشعراء: ٢١.

(٢) القصص: ٢٠.

(٣) البقرة: ٢٥٦.

(٤) الكافرون: ٦.

(٥) سبحان الله! أخذ المؤلّف هذا كله من كتاب التعجب ونحن نذكر عبارة التعجب هنا لتمكنك المقارنة بين القولين، قال الكراجي: ومن عجيب أمرهم قولهم كيف جازت الثقة على الإمام وهو عندكم حجّة فيما فعل وقال به يقطع الخطأ من الصواب، وهم يعتقدون مع هذا أنّ في الأمة جماعة هم الصفة الأخيار، والحجّة لله على العباد، وبهم يعرف الحق والصواب، والثقة عليهم جائزة إذا اعترضت الأسباب، فقد أقاموهم في كونهم حجّة مع الإمام، وأجازوا عليهم من الثقة مالم يجزوا على الإمام، وهذا هو جور الأحكام.

وربما قالوا أيضاً: إذا جازت الثقة على الإمام فلم لا تجوز على النبي ﷺ فإذا قرّبنا بينهما في هذا الباب قالوا ليس بصحيح لكم فرق لأنّ عندكم هما حجتان.

إذا قيل لهم: أليس قد أجزتم الثقة على الطائفنة الأخيار والصفوة الأئمة الأبرار الذين قولهم بعد النبي حجّة في الحلال والحرام فلم لا تجزونها على النبي ﷺ وما عندكم حجتان إن تعاطوا الفرق الذي عابوا نظيره واضطروا للتثبت بما أكروا وإبراده.

ومن العجب إنكارهم جواز الثقة على الأنبياء ﷺ في شيء من الأحوال مع علمهم أنّ النبي ﷺ استتر في الشعب والغار ومن قبله هرب موسى وأخبر الله تعالى أنه قال: «فَفَرِزْتُ مِنْكُمْ لَمَا خَفْتُكُمْ» وكلّ قدانتي غيره من الأنبياء لكنّ القوم ليس من شأنهم الانصاف (التعجب: ٢٤). فأنّ ترى أنّ المؤلّف أخذ عبارات الكراجي إلا أنه صاغها صياغة جديدة ونحو بها نحو آخر فلم يحظ بإجادته ولا أناد فائدته.

الباب الثامن عشر

فوائد تلقيق بهذا الكتاب

روى عبد الله بن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ﴾^(١) قال: نزلت هذه الآية بشأن علي عليه السلام.

وروى مجاهد عن أبيه: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ﴾^(٢) محمد ﴿وَصَدُّقَ بِهِ﴾ على علي.
وروى أيضاً عن ابن عباس، والاتفاق حاصل على ذلك: الصديقون ثلاثة: حبيب بن مرثي النجاشي وهو مؤمن من آل يس، (مؤمن من الحواريين - المؤلف)^(٣) وعلى بن أبي طالب وهو أفضلهم.

وأجمع المحدثون على أن النبي عليه السلام قال: ما أفلت الغبراء ولا أظللت الخضراء على ذي هجة أصدق من أبي ذر^(٤).

(١) الحديد: ١٩.

(٢) الزمر: ٣٣.

(٣) هذه الروايات الثلاث وردت تباعاً في التعجب، وذكرها المؤلف على التعاقب كما وردت في الكتاب المذكور إلا أن المؤلف خالفه في موضعين، قوله: «مؤمن من الحواريين» وقوله: مجاهد عن أبيه (ص ٣٤).

(٤) التعجب: ٣٤.

ولا يسمى أبوذر مع ذلك صديقاً، وجرت عادتهم على الاستهانة بأمر محبي علي عليهما السلام ورد حديثه^(١)، ويسمون أبا بكر خليفة رسول الله مع اعترافهم بأن رسول الله لم يستخلفه، فتبين على هذا أن في مذهبهم يسمون من ليس بأمين ولا هو بقاضٍ أو عالم ولا رسولاً لرسول الله، أميناً وقاضياً وعالماً ورسولاً... ولما خرج النبي إلى تبوك، قال: يا علي، إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وقال: أما ترضى أن تكون مني بنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(٢).

ولم يختلفوا في هذا الحديث بشيء قطّ، ومع هذا لم يستخلف، وقد تعجب أمير المؤمنين عليهما السلام من استقالة أبي بكر ونصحه على عمر حيث قال: فواعجبنا ببنتها هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته (والغافل يعلم أن هذين الفعلين في غاية التناقض لأن الاستقالة تدل على التبرّي والكرابة، والنصح على الرغبة) وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لِيَخْمِلُوا أَوْرَازُهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٣) ... ﴿وَأَنْقَلَامَعَ أَنْقَالِهِمْ﴾^(٤). ومن العجب أن يؤمر النبي عليهما السلام أسامي بن زيد على جماعة من أصحابه فيهم

(١) أخذه من كتاب التعجب: إن بغضهم لأمير المؤمنين عليهما السلام حملهم على تفضيل محاربيه وتجليل أعاديه ومعانديه، وإهمال ذكر أوليائه والمنسوبين إليه من أصفيائه (ص ٣٤).

(٢) سبل السلام ١: ٤٤، ذخائر العقبي: ١٢٠، فضائل الصحابة: ١٣ بثلاث طرق.. وصل ١٤ بثلاث طرق أيضاً، صحيح مسلم: ٧، ١٢٠ بثلاث طرق.. وصل ١٢١، سنن الترمذى ٥: ٣٠٢ و ٣٠٤، مجمع الروايد ٩: ١٠٩ و ١١٠ بطرنيين.. وصل ١١١ بطرنيين، مستند أبي داود الطیالسي: ٢٨ و ٢٩ بطرنيين..، مستند الصنعاوي ٥: ٤٠٦ و ١١: ٢٢٦ بطرنيين، مستند الحمیدي ١: ٣٨، مستند ابن الجعفر: ٣٠١، مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٤٩٦ بخمس طرق.. و ٨: ٥٦٢، مستند ابن راهويه ٥: ٣٧، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٤ بطرق متعددة، خصانص أمير المؤمنين له أيضاً: ٤٨ بطرق كثيرة، مستند أبي يعلى ١: ٢٨٦ وغير ذلك.

(٣) النحل: ٢٥.

(٤) العنكبوت: ١٣.

أبوبكر وعمر، ثم يموت ولم يعزله فلا يسمى أمير رسول الله ... وقد روي أنَّ أساميَّ يوماً غضب على أبي بكر وقال: إنَّ رسول الله ﷺ أمرني عليك فلن استعملك علىَّ، فشى إليه هو وعمر حتى استرضياه، فكانا يسميانه مدة حياته أميراً^(١).

وقال النبي ﷺ: هذا فاروق أُمتي يفرق بين الحق والباطل^(٢).

وجاءت الرواية عن النبي ﷺ في حق عليٍّ عليه السلام أنَّ محبته عَلَم على طيب الولادة وبغضه عَلَم على خبث الولادة^(٣).

وروي في الصحيح عن رسول الله ﷺ: ما كنَا نعرف المنافقين إلَّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلُّف عن الصلاة الخمس والبغض لعليٍّ بن أبي طالب^(٤).

وطالما قال عليٌّ عليه السلام عن نفسه: «أنا الصديق الأكبر، أنا الفاروق الأعظم».

ومن عجيب أمرهم مثل هذا قوله أنَّ عثمان بن عفان ذو النورين واعتقادهم من نحله هذا بأنَّه تزوج بابنتين كانتا فيا زعموا رسول الله من خديجة بنت خويلد، وقد اختلفت الأقوال فيها: فمن قائل أنها ربياته، وأتها ابنتا خديجة من سواه،

(١) هذا وما قبله أخذته من التعجب: ٢٥.

(٢) اختزل المؤلف هذا الحديث من كلام المؤلف نقيس ذكره لك لتكون على بصيرة من أمره: ومن عجيب أمرهم تسميتهم عمر بن الخطاب بالفاروق وليس في نحله هذا الاسم لأحد منهم حجَّة ولا لناصره شبهة، ولا ورد في رواية، ولا أوجه لعمر دلاله، ولا هو مشتق من بعض أفعاله فيستحقه على وجه الاستحقاق، ولم يسموا أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليهما الفاروق وقد قال فيه النبي ويده في يده: هذا فاروق أُمتي، يفرق بين الحق والباطل (ص ٢٥).

(٣) عبَّث المؤلف بعبارة الكراجكي فأأخذ جزءاً وأهمل أجزاء، وأضاف إليها جزءاً، وإليك العبارة من كتاب التعجب: وروي عن ابن عمر أنَّ ما كنَا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلَّا ببغضهم عليهما السلام . وفي رواية أخرى: إنَّ محبته عَلَم على طيب المولد، وبغضه عَلَم على خبث المولد (ص ٢٥).

(٤) وهذا الحديث تناوله المؤلف من كتاب التعجب، وأضاف إليه الجزء الأخير من كتاب آخر، انظر (ص ٢٥) أول الصفحة.

ومن قائل أنها ابنتا أخت خديجة من أمها وأن خديجة ربتهما لما ماتت أختها في حياتها^(١) ... (ولا يقولون أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام ذوالنورين وهو أبو السبطين^(٢)).

وسئى الله نساء النبي جميعاً أمها المؤمنين وهم خصوا عائشة بهذا الاسم؛ لأن باقي النساء لم يحاربن علياً عليهما السلام، بينما خديجة أول الناس إسلاماً وأنفقت ألف الدنانير وجملة من الجوائز الثمينة في سبيل الله، وقال رسول الله : ما نفعني مال كهاها، ورزقني الله الولد منها ، ولم يتزوج في حياتها إكرااماً لها ، وكان يكثر من ذكرها والثناء عليها ، ولكنها ما كان يذكرها قالت له عائشة يوماً : تكثر من ذكر خديجة وقد أبدلك الله من هو خير منها ، فقال : كلا ، والله ما بدلتك بها من هو خير منها : صدقني إذ كذبني الناس ، وأوتني إذ طردني الناس ، وأسعدتني بما لها ، ورزقني الله منها الولد ولم أرزق (الولد) من غيرها^(٣).

(١) نفس عبارة التعجب (ص ٣٤) إلا بتقديم بعض العبارات وتأخير البعض الآخر، وكلامي هنا مع الكركي حيث يقول: «قد اختلفت فيما الأقوال ... الخ» كلاماً، لم تختلف فيما الأقوال وإنما هي فريدة ظالمة أطلقها صاحب كتاب الاستفانة وأنا أتحدى اليوم من يأتيوني بقول لعالم أو ظالم أو حتى سوقي قبل صاحب الاستفانة يقول هذا القول، ولو تبصرروا قليلاً لعلموا أنه قول واه يحرم على أحد أن يقوله لاسيما من نسبهما إلى هالة أخت خديجة، فإن زينب عليهما السلام تزوجت أبي العاص بن الربيع وهو ابن هالة أخت خديجة فهل يجوز أن تزوج ابنة رسول الله أخاهما من أمها على شريعة المجروس، وقد عالجت هذه المسألة في كتابي «فاطمة الزهراء» علاجاً كافياً شافياً وبإسهاب أيضاً، فمن أراد فليرجع إليه ليزداد علماً بالموضوع.

(٢) هذه عبارة التعجب (ص ٣٧) والمؤلف لم ينقلها إنما نقل جزءاً منها مسخ المعنى، فقال في ختام قوله: ومن قائل: أنهما ابنتا خديجة من زوج آخر ويسمون عليهما أبو السبطين .. الخ، ولا شك أنه خطأ من الناسخ أمّا إن كان من المؤلف فقد جاء بجملة من كلام الكراجكي ووضعها في غير موضعها فصارت بلا معنى.

(٣) الحديث موجود في التعجب (ص ٣٦) كما أنّ معنى الكلام بجملته مأخوذ منه ولكن الاختلاف

وعائشة (وحفصة - المؤلف) مذيعة سرّ رسول الله ﷺ التي شهد القرآن بأنّها وصاحبتها قد صفت قلوبهما وأنّها ظاهرتا عليه وتحاملتا^(١) «فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُهُنَّا فَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْنِي فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مُؤْلَهٌ وَجِبْرِيلٌ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢) وهو عليّ بن أبي طالب رض، وقال تعالى: «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْنَاهُ أَنْ يُنْدَلِّهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ مُسْلِمَاتٍ»^(٣) ويظهر من مفهوم الآية أنها ما كانتا مؤمنتين، ولا مؤمنتين، ولم يكن عندهما إيمان وتوبة.

ولما قال لها رسول الله ﷺ: لتقاتلين عليّاً وأنت ظالمة له (مع قول الله تعالى «أَلَا لَغْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»^(٤)) وكيف استحقت هذه أن يعلن القول بأنّها أم المؤمنين وينادي بفضيلتها على رؤوس العالمين، فإنّا لا نعرف فعلاً استحقت به هذا التمييز اللهم إلا أن تكون استحقت بذلك بحرها أمير المؤمنين رض ومجاهرتها بعاداته والقدح فيه^(٥) [وعداوتها لفاطمة رض].

وإنّهم يقولون إنّ معاوية بن أبي سفيان حال المؤمنين، ويقولون إنّه استحق بذلك بسبب أنّ أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان إحدى أزواج النبيّ الذين هنّ بنص القرآن للمؤمنين أمّهات ولا يسمون محمد بن أبي بكر^(٦) ولا عبدالله بن عمر،

❸ بين المؤلف وصاحب التعجب في الجزء الأخير من الحديث فهو عند الكراجمكي: «ورزقة الله الولد منها».

(١) عبارة التعجب نفسها: ٣٧.

(٢) التحرير: ٤.

(٣) التحرير: ٥.

(٤) هود: ١٨.

(٥) حصرنا كلام التعجب بالقوسين وما كان مشتركاً بينهما تركاه بلا حصر، وما جعلناه بين حاصرتين للمؤلف وحده، وراجع ص ٣٧ من التعجب.

(٦) التعجب: ٣٧.

والسبب في ذلك أن معاوية شهر السيف في وجه عليّ وأنه قاتله .
وقال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم معاوية على منبره فاقتلوه ، وبعد ظهور الإسلام استسلم معاوية قبل وفاة النبي ﷺ بخمسة أشهر أو ستة أشهر ، وقد هرب يوم فتح مكة إلى اليمن ، يطعن على رسول الله ﷺ ويكتب إلى أبيه صخر يعنيه بإسلامه^(١) بعد أن كتب إليه أبوه يستقدمه ويطلب منه أن يسلم ، فكان جوابه يذكر فيه أموراً منكرة في حق النبي^(٢) وطرح نفسه على العباس بن عبدالمطلب فسأل فيه رسول الله ﷺ فعفا عنه ثم شفع له أن يشرفه ويضيفه إلى جملة الكتاب فأجابه ، وكان أمير المؤمنين عليّ^{عليه السلام} وغيره كاتباً للوحي ثلاثة عشرين سنة فما سمه كاتب الوحي وسموا معاوية كاتب الوحي ، ولم يزّ عليه في الكتابة إلا ستة أشهر ، وكان كتاب الوحي أربعة عشر كتاباً أقرّ بهم من رسول الله وأححبهم إليه أمير المؤمنين^{عليه السلام} ، وقضى معاوية عمره منافقاً ناقلاً على الإسلام .

إن مجرد الكتابة لا يحصل بها الفضل ما لم يقارنها صحيح الإيان لأنّه قد كتب لرسول الله عبدالله بن أبي سرح ثم ارتدَّ مشركاً ، وفيه نزل : « ولئنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَنِيهِمْ غَصَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ »^(٣) ، ومثله النصراني الذي كان كاتب الوحي فارتدَّ من الإسلام ومات على الكفر ودفن فلم تقبله الأرض ... فعل به ذلك ثلاث مرات ، ولما طلع الصباح وأقبلوا على قبره وجدوه مرمياً في الصحراء ، فقال إخوانه النصارى : هذا من عمل محمد وأصحابه ، ولكنهم علموا أن ذلك عمل دنيء لا يفعله النبي ولا الأصحاب بل كان على أثر ارتداده وكفره ، وتركوه

(١) التعجب : ٢٤ .

(٢) وقد ذكر الكراجكي (ص ٣٩) هذه الأمور ومنها أبيات من الشعر أولها :
يا صخر لا تسلمن يوماً فتضحنا بعد الذين بدر أصحابوا مرقا

(٣) التحل : ١٠٦ .

بلا دفن حتى أكلته السباع، وكان معاوية واحداً من هؤلاء^(١).
 (والمأثور أنَّ رسول الله لعنه على منبره وأخبر أنه يموت على غير ملته).
 وروي عن عبدالله بن عمر أنه قال: أتيت النبيَّ ﷺ فسمعته يقول: (يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي) يطلع عليكم من هذا الفجحَ رجل من أهل النار، فطلع معاوية^(٢).

وأخذ معاوية بيده أبيه يوماً والنبيَّ يخطب، فقال: لعن الله القائد والمقود...
 والمشهور أنه هلك على حالة السكر وشربه سبع سنين، ووضع الصليب في عنقه
 يتداوي به وكان قد طلبه من يوحنا (كنيسة يوحنا) -التعجب (٣٩) وعلقه في عنقه.
 وروي أيضاً أنه تشفى بلح المخنزير فأكله قبل موته، وغير ذلك.
 وإذا شكت بهذه الأخبار فاعلم يقيناً أنه قتل في يوم من أيام صفين سبعين
 صحابياً أحدهم عمار بن ياسر الذي قال في حقه رسول الله: خالط الإيمان لحمه
 ودمه، وقال: يا عمار، تقتل الفتنة الباغية^(٤).

(١) هذاكلة أخذه المؤلف من الكراجكي وزاد عليه، وزاد في العبارة ونقص منها، ولست أدري السبب الداعي لذلك لحد الآن، راجع ص ٣٩ من التعجب.

(٢) نفس السياق تقريباً إلا أنه قدم وأخر في الأحاديث وخالف التعجب في الثالث (ص ٣٩).

(٣) مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان: ٢، شرح الأخبار للنعماني: ٢، ١٤٧، بحار الأنوار ٣٣: ١٩٦، ٢٠٩، مناقب أهل البيت للشيرازي: ٤٦٥، الغدير للأميني: ١٠، ١٤١، مجمع الروايد ١: ١١٢ وقد غيروا في ألفاظ الحديث فجاء مكان لفظ «معاوية»، فطلع غيره، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٧٦ «طلع معاوية»، ضعفاء العقيلي ٣: ٣٧٩ وأشار إلى الحديث ولم يذكره، لسان الميزان، وأشار إلى الحديث وقال: في إسناده نظر.. ٤: ١٨٢، تاريخ الطبرى ٨: ١٨٦، مؤسسة الأعلمى تحقيق نخبة من العلماء، وقعة صفين لابن مازام المتقرى: ٢٢٠، النصائح الكافية لمحمد بن عقيل: ٢٦١، تقوية الإيمان: ١٣٧.

(٤) المعيار والموازنة: ٣٠٠، وأما الحديث الثاني فقد أخرجـه عدد من الحفاظـ من الفريقيـن منها

وقتل أويس القرني في ذلك اليوم .
وسن سبّ عليّ على المنابر في المحافل ، وبراً من أهل بيت النبوة ، وحمل الناس
على البراءة .

أليس شخص بهذه المثابة يكون التظلم منه واجباً ، وقال النبي ﷺ : عليّ سيف
على أعداء الله ، ورحمته لأوليائه .

وقال على المنبر : أنا سيف الله على أعدائه ورحمته لأوليائه ^(١) .

وأما خالد فقد سماه أبو بكر سيف الله يوم قتل مالك بن نويرة وزفي بزوجته ،
ومن المعلوم عند العلماء أنه كان السبب في قتل المسلمين في يوم أحد ، وما ابتلي به
الرسول من الأذى حتى كسرت رباعيته وأدمي فيه وشجّت جبهته ، وقتل حمزة
وسرى القتل في أنصاره ، لأنّه هجم على المسلمين بعaci راكب من ثغرة الجبل ،
وكمن للمسلمين حتى إذا خلت الثغرة من الرماة ولم يبق إلا قائد them عبد الله بن
جبيه فقتله واستشهد معه جماعة من المسلمين على يد خالد بن الوليد ، وما دخل
على الإسلام من وهن كان من ذلك اليوم المشوم .

وكان سيفه يقتل المسلمين والنبي على قيد الحياة وبعد وفاته ، ثم لما ظهر
بالإسلام بعثه النبي إلى بني خزيمة ليأخذ منهم صدقاتهم ، وكان بينه وبينهم عداوة ،
وذحل في الجاهلية ، فخانه في عهده وخالقه على أمره ، وقتل المسلمين واستعمل في
ذلك ترة كانت بينه وبينهم في الجاهلية حتى قام النبي خطيباً بالإنكار عليه رافعاً
إلى السماء يديه حتى رُفِي بياض إبطيه ، وهو يقول : اللهم إني أبراً إليك مما صنع

❷ ذخائر العقبى : ٣٣٠ ، فضائل الصحابة : ٥١ ، مسند أحمد ٢: ١٦١ و ١٦٤ ، صحيح البخارى ٣: ٢٠٧ .

صحيح مسلم ٨: ١٨٦ .

(١) التعجب : ٤٠ .

خالد، ثم أنفذ إليهم بأمير المؤمنين عليه السلام ليلاً في فارطه وأمره أن يدنس القوم ويستررضهم، ففعل ذلك إليهم، وبلغ به مبلغاً سرى به عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١). ولما قبض النبي وأنفذه أبو بكر لقتال أهل اليمامة قتل منهم ألفاً وأ Majority نفس (ألفين وأ Majority نفس - المؤلف) وهم على ظاهر الإسلام، وقتل مالكاً صبراً وهو مسلم^(٢).

وأراد قتل أمير المؤمنين بأمر أبي بكر حتى كفاه الله شرته. ولما مضى بسوء عمله ورث ابنه عبد الرحمن عداوة أمير المؤمنين عليه السلام وبازره مع معاوية بالحرب وجاهر بسبه.

والعجب من مخالفينا أنهم يروون قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من لقي الله وفي قلبه مقت (بغض - المؤلف) لعلي بن أبي طالب لقى الله يهودياً (وهو يهودي - المؤلف) وهم يعلمون بأن خالداً لعنه الله يبغض علينا عليه السلام ومع ذلك يسمونه سيف الله.

ومن العجب أن تقنع بنو حنيفة من حمل الزكاة إلى أبي بكر ولم يصح عندهم إمامته فيسمونهم أهل الردة ويستحلون دمائهم وأموالهم ونسائهم (وي فعل فيهم خالد ما قصصناه عليك وعلمه - المؤلف) ثم ينكث طلحة والزبير بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ويخرجان مع عائشة يستنفرون الخلق ويتناهون مع منتبعهم في حربه ولا يسمون مع ذلك أهل الردة (ولا يتحللون من فعلهم هذا أي غرم، وتصبح رميم مشاهد تزار من أهل السنة والجماعة، ويسمونهم مؤمنين، وبين حنيفة لمن لهم الزكاة عن أبي بكر يستحقون أن ينزل بهم منزل) وقد بلغهم قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حربك يا علي حربى، وسلمك سلمى، وقد علمنا أن من حارب

(١) التعجب: ٤١، وطابقت عبارة المؤلف ما في الكتاب إلا لفاظاً لم يذكرها المؤلف لا تغير المعنى.

(٢) التعجب: ٤١.

رسول الله ﷺ كافر [فيجب أنَّ من حارب أمير المؤمنين كافر كذلك] ^(١).
 والعجيب من أمرهم أنَّهم يأخذون الدين وشريعة رسول الله بالقياس
 واجتهادات الرأي لآحاد الناس وبأهوائهم وفتاوي علمائهم متضادة ومع ذلك
 يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة، والشيعة العاملون بنصوص الأئمَّة
 المعصومين وبها يفتون ويرفضون القياس واجتهاد أهل السنة والجماعة ^(٢).

مسألة:

لماذا يدعُ عليًّا إلى نفسه في خلافتهم وقد كان الدين والأمة معه؟

الجواب:

لقد جاءه العباس، فقال: يا بن أخي، ابسط يدك حتى أبايعك فيقول الناس عمَّ رسول الله بايع ابن عمَّه فلا يختلف عليك اثنان، فأجابه عليٌّ عليه السلام: إنَّ رسول الله عهد إليَّ أن لا أدعو أحداً حتى يأتوني، ولا أُجرِّد سيفاً حتى يبايعوني، فإنما أنا

(١) العبارات كلها لصاحب التعجب، وقد أدخل بينها المؤلَّف عباراته فوضعتها بين قوسين، وما انفرد به صاحب التعجب جعلناه بين حاصلتين، وإليك الكتب التي خرجت الحديث (جريدة حربي): رياض المسائل ١: ٤٨١، الأمالي للصدوق: ١٥٦ و٦٥٦، تهذيب الأحكام للطوسي ١: ١٠، شرح أصول الكافي للمازندراني ٧: ١٣٤ و٨: ٣٥٣ و٣٥٤، مستدرك الوسائل ١: ١٩، الغارات ١: ٦٢، مناقب أمير المؤمنين ١: ٢٥٠، المسترشد للطبرى: ٦٢١، شرح الأخبار للقاضي نعman ١: ٢١٦ و٦٢ و٣٠٦ و٣٨٢ و٣٩٧، تفضيل أمير المؤمنين: ٢٤ و قال المحقق: انظر سنن الترمذى ٥: ٦٩٩ رقم ٣٨٧، وسنن ابن ماجة ١: ٤٥ رقم ١٥٢، ومسند أحمد ٢: ٤٤٢، والمستدرك ٣: ١٤٩.

(٢) عبارة صاحب التعجب في هذا المعنى أفضل والمؤلَّف ألم بالمعنى وخالف باللفظ، قال (ص ٤١): ومن عجيب أمرهم أنَّهم يسمون أنفسهم بالسنة وقد غيروها وبدلواها واستحدثوها بأرائهم وعقولهم ما ليس منها، ويدَّعون أنَّهم أهل الجماعة مع أقوالهم المختلفة وقياساتهم المتضادة، وتكون الشيعة عندهم أهل بدعة وأقوالهم متفقة ومعهم النص في كل حاجة.

الكعبة أقصد ولا أقصد، ومع هذا فلي برسول الله أسوة حسنة^(١).

ونقول أيضاً: لما علم طهراً أنَّ القوم بغاة فلا تؤثر فيهم الدعوة لزمه حينئذٍ ترك الدعوة كما فعل هارون في قوم موسى أي بنى إسرائيل، والدليل على ذلك أنه عليهما لما وجد أنصاراً بعد مقتل عثمان دعا إلى نفسه وحاربهم.

مسألة:

أما كونه لم يغير أحكامهم فإنه بسبب عجزه عن ذلك وقد صالح رسول الله عليهما الشركين في الحديبية لوم مختلف معهم ولم يخالفهم.

وفي يوم قتل فيه عثمان استخف الإمام عن الناس في حائط بالمدينة لثلا يقول الناس أنه راغب في الأمر وطلبها لنفسه، فلما فرغ الشايرون من أمر عثمان أقبلوا إليه يطلبونه وغلبوه على أمره فأظهر الامتناع من القبول، فهدّدوه بالقتل إن أبي، وعبر الإمام عن ذلك بهذه العبارة: حتى أتي الحسان وشقت أعطافهم وقيل لي: إن لم تجينا أحقناك بابن عفان، الحق أنَّ علينا لم يزل خائفاً حتى وفاه الأجل^(٢).

مسألة:

حكم عمر في قضية واحدة أحكاماً عدّة لا يشبه الواحد منها الآخر، وقال له

(١) روي هذا القول بسياقات مختلفة وإليك الكتب التي أخرجه من الفريقيين: بحار الأنوار ٢٨: ٢٨٩ و ٣٢٩، الغدير ٥: ٣٤٣، شرح نهج البلاغة ١: ١٦٠ و ٩: ١٩٦، الدرجات الرفيعة لابن معصوم: ٨٤، وفيه بعض سياق المؤلف ونسبة السيد للخاصة، الإمامية والسياسة لابن قتيبة ١: ٢١ و ١٢: الأول تحقيق الشري، والثاني تحقيق الزيني، الجمل للشيخ المفيد، النزاع والتخاصم للمقرizi: ٧٨، تقوية الإيمان لمحمد بن عقبيل: ٢٠٥، وبالطبع اختلفت الفاسط هذه الرواية ولم يرد سياق المؤلف إلا بعض منه عند ابن معصوم.

(٢) المذكور في نهج البلاغة: فما راعني إلا والناس على كعرف الضبع حتى لقد وطا الحسان وشق عطفاً، والمُؤلف هنا غير الكلام ولم نعلم من أين أخذه فصيير الشق إشراق وترجمه بـ «ترسيم» والعطف لم يترجمه بل صيير الجملة هكذا «وترسيم از اعطاف ايشان» ولا أعرف ماذا يقصد بها.

يوماً رجل وقد حكم في قضية: أصبت والله يا أمير المؤمنين، فقال عمر: وما يدرىك أنني أصبت فوالله ما يدرى عمر أصاب أم خطأ^(١).
وقال عمر: إني أستحيي من الله أن أخالف أبا بكر، قال عمر هذه الجملة بعد أن أفتى في الكلالة وقال: هم الورثة غير الأولاد والأبوين، وخالف أبا بكر في ذلك، وخالفه في مائة قضية، كما أنه في أهل الردة كان على خلاف مع أبي بكر ولا بد من كون أحدهما مصيباً والآخر خطأ، لأن الحق لا يكون إلا واحداً، ولا حياء في قول الحق أو فعله^(٢).

ولما سُئل أبو بكر عن معنى الأب، قال: أي سماء تظليني وأي أرض تقلني أم أين أذهب أم كيف أصنع إذا قلت بأية من كتاب الله بغير ما أراد الله^(٣).
ولما سُئل عن الكلالة، قال: أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأً فمن قلبي، الكلالة ما دون الولد والوالدين^(٤).

(١) جاءت الرواية في المسترشد للطبراني الشيعي على النحو التالي: قدم نصر بن عبدالله التقفي على عمر من الطائف ومعه ناس من أصحابه، فقال لهم: لا تبدوا أمير المؤمنين بشيء حتى يسألكم، فجاءه رجالان يختصمان فحكم بينهما فقالا: أصبت أصحاب الله بك، فقال عمر: وما يدرىكما فوالله ما يدرى عمر أصاب أم خطأ.. ص ٥٤١.

(٢) لا حصر في هذين الأمرين إذ قد يكون كلامهما على باطل، كما لو قال زيد: العشرة تنقسم إلى ثلاثة خمسات وقال الآخر لا بل إلى أربعة.

(٣) العين العبرة لابن طاوس: ٩، المستجاد من الإرشاد للحلبي: ١١٦، تفسير القرطبي ١: ٣٤، ونقل عن أبي بكر الأنصاري قوله: وقد كان الأئمة من السلف الماضي يتوزعون عن تفسير المشكل من القرآن الخ، ثم ساق الخبر غير إشارة إلى أبي بكر وعمر، تذكره الحفاظ للذهبي ١: ٣ وصاغ الرواية صياغة أخرى تحرز كرامة أبي بكر، كشف اليقين للعلامة الحلبي: ٦٩.

(٤) الفصول المختارة للشيخ المفيد: ٢٠٦، مناقب ابن شهر آشوب ١: ٣١٢، بحار الأنوار ٤: ١٤٩.

الباب التاسع عشر

في غلوّهم في حب الصحابة

اعلم بأنَّ القوم نسبوا الكفر والزندة إلى الله تعالى ووضعوا الأنبياء في مقام الفاسقين والفاجرين كآدم ويونس ونوح وإبراهيم وي يوسف ويعقوب وموسى وهارون وداود وسلمان وإدريس وأبيتوب عليه السلام، فقد نسبوا إلى كلّ واحد من هؤلاء الأنبياء ما قدروا عليه من المعاصي، لاسيما ما نسبوه إلى النبي ﷺ من الهوس الجنسي بالنساء وأشياء أخرى لا يحل ذكرها وهي مستحبة جدًا، وقاتلها من أهل السنة والجماعة بجميع أبعاده، وينسبون الرفض إلى من نزَّه الله سبحانه وتعالى واعتقد العصمة للأنبياء، ويرونه عدواً لهم، وهذا من فرط محبتهم للصحابة، ويرؤونهم من الظلم الذي لحق بأهل البيت منهم، ولا يؤمنون بقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اضطُّقَنِ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»^(١) وقوله تعالى: «وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُضْطَفَينَ الْأَخْيَارِ»^(٢) وأمثال هذه الآيات، وذلك من أجل الصحابة لأنَّهم أهل خطأ وعصيان، وكانوا مشركين فرجعوا عن الشرك إلى الإسلام

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) ص: ٤٧.

فينسبون المعصية إلى الأنبياء ليدرؤوا العيب عن الصحابة ويصححون أخطائهم، ويهونون معااصيهم وذنوبهم، ويتمسكون بالتشابه من القرآن لدفع غائلة الشيعة عنهم، وما علموا أنَّ الله تعالى قال : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ أَبْيَقَةً فَتَنَّتْ وَابْتَغَاءً تَأْوِيلِهِ﴾^(١) ، ولا يرون العقل حجةً ويتمسكون بآراء الرجال وبالقياس لصور علمهم وكثرة جهلهم ، وقد قال رسول الله ﷺ في شأنهم : إِنَّ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لَا يَرَنِي بَعْدَ مَا يَفَارِقُنِي^(٢) .

وهم الذين تركوا خطبة النبي أثناء صلاة الجمعة كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَازَةً أَوْ نَهْرًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرْكُوكَ فَأَنْهَا﴾^(٣) ، كانوا يضحكون ويسخرون وراء رسول الله لهم في صلاة الجمعة.

وتقاعدوا عن حرب بدر وكرهوا القتال حتى أنزل الله في حقهم : ﴿كَمَا أَخْرَجْتَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ يُجَاهِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَانُوكُمْ يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ^(٤) .

وكانوا بعكتة يستحقّون النبي على الحرب والرسول يأبى ، ولما نزل المجهاد في المدينة كرهوه وأبواه حتى نزل قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُوا أَيْدِيهِمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزُّكَارَةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ خَحْشِيَّةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَحْشِيَّةً وَقَالُوا رَبُّنَا لَمْ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخْرَقْنَا إِلَى أَجْلٍ قَرِيبٍ﴾^(٥) .

وكانوا مصداق الآية التالية فقد كانوا أمام رسول الله يظهرون بظاهر الأمانة

(١) آل عمران: ٧.

(٢) سبق تخریج هذا الحديث بصیفه المختلفة.

(٣) الجمعة: ١١.

(٤) الأنفال: ٥ و ٦.

(٥) النساء: ٧٧.

ولكتهم يخونونه في السر : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَاناتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَغْلِفُونَ﴾^(١).

وترکوا الجهاد وطمعوا بالغنائم كما قال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَتَّخُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ ثُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(٢). وقال تعالى : ﴿لَنُؤْلِكَنَّا بَأْ مِنَ اللَّهِ سَبِقَ لَمْسَكُمْ فِيمَا أَخْذَنُتُمْ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٣).

وفي حرب الخندق كذبوا بوعد رسول الله وشكوا به ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِذَا جَاءُوكُمْ مِنْ فُوقَكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾^(٤).

وعاهدوا الله تحت الشجرة أن لا ينهزوا فكانت هزيمتهم أظهر من الشمس كما فعلوا في حرب خيبر : ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْنُوا وَلَا يَكُونُ﴾^(٥).

وهرموا عن رسول الله في حرب حنين وترکوه مع سبعة أو تسعه من أصحابه بيد العدو وولوا الأذبار : ﴿وَيَوْمَ خُنِيَّ إِذَا أَغْبَنَنَّكُمْ كَثُرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَنَّتْمُ مُذَبِّرِينَ﴾^(٦).

وقال النبي ﷺ : لتبعن سبيل الذين من قبلكم شبرا شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لا تبعتموهم ، فقالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : فَنَ إِذن^(٧).

(١) الأنفال: ٢٧.

(٢) الأنفال: ٦٧.

(٣) الأنفال: ٦٨.

(٤) الأحزاب: ١٠ - ١٢.

(٥) الأحزاب: ١٥.

(٦) التوبه: ٢٥.

(٧) للحديث صيغ متعددة وإليك تخرجه عند الفريقيين : الاقتصاد للطوسي : ٢١٣ ، الرسائل العشر :

وقال في حقهم أيضاً: سيجيء ب الرجال من أمتى فيؤخذ ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعده، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقهم، ومنه قال الله تعالى: **وَمَن يَنْقِلْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَن يَضُرَ اللَّهُ شَيْئًا**^(١)، وقال: **أَفَإِنْ ماتَ أُوْفِيَ اتْقَلَبْتُمْ عَلَى أَغْفِلْكُمْ**^(٢) الآية.

وقال النبي ﷺ: بينما أنا على الحوض إذ مرت منكم زمرة فتفرق بكم الطرق فأنا ديككم: ألا هلموا إلى الطريق، فنادي مناد: إنهم بدلوا بعده، فأقول: ألا سحقاً ألا سحقاً.

وقال قبل وفاته مراراً: جهزوا جيش أسامة، فلم يفعلوا الثالثة فرصة الخلافة.

وقال في مرضه: آتوني بدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي، فقال عمر: دعوه فإنه يهجر في مرضه.

وهوئاء الذين أظهروا الإيمان والإسلام لم يكونوا في الباطن كما هم عليه في الظاهر، ولما كان عذاب نساء النبي في حال ارتكابهن للفاحشة مضاعفاً لقربيهن

❸ ١٢٧، دعائم الإسلام للقاضي نعمنا ١: ١، خاتمة المستدرك ١: ١٥٨، الإيضاح: ٢١٠، المسترشد للطبراني الشيعي: ٢٢٩، مسائلان في النص على علي للمفيد ٢: ٣٠، سعد السعدي لابن طاووس: ٦٤، ومن كتب السنة: صحيح البخاري ٨: ١٥١، صحيح مسلم ٨: ٥٨، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢٢، المستدرك للحاكم ١: ٣٧ و ١٢٩ و ٤: ٤٥٥، مجمع الزوائد للهيثمي ٧: ٢٦٠ و ٢٦١ بطرىقين، مستند الطيالسي: ٢٨٩، المصطفى للصنعاني ١١: ٣٦٩، بغية الباحث للحارث بن أبيأسامة، كتاب السنة لابن عاصم: ٣٦ و ٣٧، مستند أبي يعلى ١١: ١٨٢، صحيح ابن حبان ١٥: ٩٥، المعجم الكبير ٦: ١٨٦ و ١٧: ١٣، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٨٦، الجامع الصغير للسيوطى ٢: ٤٠١، كنز العمال ١: ٢١١ رقم ١٠٥٩ وغيرها كثيرة.

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الآية نفسها.

من النبيَّ كان عذاب الصحابة كعذابهن لأنَّ سبب المضاعفة واحد، قال الله تعالى: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنْ بِفَاجِحَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِيقَنْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا»^(١) ويقولون: إنَّ بعضهنَّ ثُبَّنَ مَا جرى منهنَّ، ولكنَّ الكفر مشهور، والتوبة مظنونة، والمقطوع به لا يعارضه المظنون.

قال الله تعالى: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السُّفْرَةَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْنُواً لَهُ»^(٢)، وقال تعالى: «إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَنْظَمُونَ»^(٣).
رَدُّوا الجَهَالَ إِلَى السُّنَّةِ وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمْعِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا رِيبَ فِيهِ»^(٤).

وينكرون العقل والشرع في الحكم بالجنة لعائشة وحصة بجرد إثبات الزوجية هنَّ، ألا يعلمون ما قاله الله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةُ نُوحٍ وَامْرَأَةُ لُوطٍ كَانَتَا نَحْنُ ثَخَنْتَ عَنْهُنِّ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَنِّ»^(٥) وأسم امرأة نوح والعة، وأسم امرأة لوط والهة، ودخل كلاهما النار ولم تغُتن عنهما نبوة زوجهما.

وجاءت هذه الآية في حقَّ ابن نوح: «لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ»^(٦).

(١) الأحزاب: ٣٠.

(٢) الإسراء: ٣٦.

(٣) الزخرف: ٨٦.

(٤) ورد الحديث في الكافي على النحو التالي: خذوا بالجماع عليه فإنَّ المجمع عليه لا ريب فيه. وهذا القول من المؤلف مأخوذ من كلام للكراجكي في المعنى، قال: وأحسن أحوالها - ما ورد في توبه القوم - أن توجب الظنَّ لسامعها من غير علم ويقين يحصل بها، ويتحققون بها من اليقين إلى الظنون، وينصرفون من المعلوم إلى المجهول، يوالون بالظنَّ من عاده باليقين (التعجب: ٣٠).

(٥) التحرير: ١٠.

(٦) هود: ٤٦.

وقال النبي ﷺ : يا فاطمة بنت محمد، اعمل فـإِنِّي لا أُغْنِي عنك من الله شيئاً . يا عباس، يا عم رسول الله، اعمل فـإِنِّي لا أُغْنِي عنك من الله شيئاً^(١) . وخطاب الأُمّ و هو على المنبر: أَهِمَا النَّاسُ، لَا يَدْعُ مُدَّعٌ وَلَا يَتَمَنِي مُتَمَّنٌ وَالَّذِي بَعْثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَا يَنْجِي عَمَّ إِلَّا مَعَ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَوْ عَصَيْتَ هُوَيْتَ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغَتْ - قَاهَا ثَلَاثَةً - وَهُؤُلَاءِ لَا تَظْلَمُهُمْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ إِلَّا عَشِيرَتُهُمْ﴾^(٢) .

ومن عجب أئمّهم يكرهون خروج فاطمة ؓ من بيتها إلى مسجد أبيها ولا تعدل المسافة خمسة أذرع، تطالب بحقها في فدك، ويحسنون خروج عائشة مع عشرة آلاف مقاتل من الرجال من أقليم إلى أقليم، ويصوّبون فعلها، ويرون أنها تائبة، فبعداً للقوم الظالمين.

ومن العجب قول المعتزلة أن سلمان قبل ولادة المدائن من عمر وهذا دليل على صحة إمامته عمر^(٣) .

(١) تجد صيغة لهذا الحديث فيها اختلاف مع صيغة المؤلف؛ أحاديث عائشة ٢: ٢٩٥ .

(٢) المجادلة: ٢٢ .

(٣) ورد هذا القول في التعجب بصورة أحلى وأجل: ومن عجيب أمر المعتزلة وظاهر مناقضتهم أنهم يجعلون تصرف بعض وجوه الشيعة في الصدر الأول من قبل عمر بن الخطاب في الظاهر دليلاً على مواليتهم القوم في الباطن كولاية سلمان المدائني وعمارة الكوفة، ويقولون: لو لم يتوالهم ويعتقدوا صوابهم ما تصرّفوا تحت واحد منهم ولا تولّوا عملاً من قبل من هو ظالم عندهم، ولا يلتقطون مع هذا إلى اعتقادهم أن الخيرة من أصحاب رسول الله ﷺ تصرّفوا من قبيل معاوية بن أبي سفيان وأظهروا أتباعه وسموه بامرة المؤمنين وعظموه وأجلوه ومعاوية عند جميع المعتزلة ظالم فاسق يستحق الخلود في نار جهنّم، ويعلمون أنه عقد لابنه يزيد الإماراة على وجوه الصحابة في حياته. وأنفذهم إلى قتال الروم تحت رايته حتى بلغوا قسطنطينية ممثلين أمره، منقادين إلى طاعته، متصرّفين تحت حكمه وتدييره، منهم عبدالله بن عباس وعبد الله بن عمر.. الخ. (ص ٣٢)

مسألة:

معاوية في مذهبنا كافر وفي مذهبهم فاسق، وكان الصحابة بأجمعهم يعظمونه ويدعونه بأمير المؤمنين، وكانوا يقبلون ولايته على الولايات والأقاليم، وذهبوا إلى قتال الروم تحت إمرة يزيد وبلغوا القسطنطينية منهم عبدالله بن العباس وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري وأبو هريرة وعمرو بن العاص وأمثالهم، وكان أبو هريرة قاضياً لمعاوية ووالياً على المدينة من قبله وغالب بن فضالة والياً على خراسان والمغيرة بن شعبة على الكوفة وسمرة من قبل عبيدة الله بن زياد على البصرة^(١)، والعجب أنهم لا يقيمون العذر عن هؤلاء ولا يستدلون بهم على إيمان معاوية وإسلامه لأنَّه كافر عند جماعة من المعتزلة «وأنا أيضاً على ذلك من الشاهدين» ونستنتج من ذلك أنَّ وضع سليمان مع عمر بن الخطاب كوضع أولئك مع معاوية.

(١) تابع هذا الكلام عند الكركي ثم اعجب من المؤلف الذي لم يشر إلى المصدر بحرف واحد وقد أخذ كلَّ هذا منه: وكذلك جماعة مُنْ يفضلهم المعتزلة قد تصرَّفوا من قبل معاوية مثل أبي هريرة في ولايته على المدينة، وغالب بن فضالة الذي تولَّ إماره خراسان والمغيرة بن شعبة الذي كان أميراً على الكوفة وسمرة الذي كان أميراً من قبل زياد على البصرة، وكلَّ ما أعلم من تصرَّف شيخ المعتزلة من قبل الولاية الظلمة في قضاء وعماله بل يقيمون لهم المعاذير ويخرجون لهم الوجوه التي لا تجد مثلاً لها في تولي سليمان وعمار من قبل عمر بن الخطاب... الخ. (ص ٣٢)

الباب العشرون في أسمائهم وصفاتهم

وهم يدعون بأنّ ولائهم لأهل البيت أكثر من ولاء الشيعة، وموتهم تزيد على موتهم لهم، ومع هذا فهم ينبعون بالرفض من يذكر منقبة من مناقب أهل البيت أو فضيلة من فضائلهم، وإذا نسبها إلى شيوخهم صدّقوه وقالوا: حرام ذكر تقديم ذكر عليٍّ على الشيوخ.

وروي أنه قال رجل لعليٍّ عليه السلام: أحبك وأتولى عثمان، فقال له: الآن أنت أعور فإما أن تعمي وإما أن تبصر^(١).

وإذا سمعوا من يقول: اللهم العن ظالمي آل محمد، يغضبون ويقولون: هذا تعريض ورفض وتشريد وبغض المسلم لا يكون لقاناً، والأفضل من اللعن التسبيح، ومع ذلك يلعنون الشيعة اللعن الصريح..^(٢) (ويقولون اللعن حرام والتسبيح أولى من اللعن، ويلعنون الشيعة والمعزلة.. المؤلف).

ومن عجيب أمرهم وظاهر بغضهم لأهل البيت عليهما أتمهم إذا ذكروا الإمام الحسن بن عليٍّ عليهما السلام الذي هو ولد رسول الله وريحاناته وقرّة عينه والذي نحمله

(١) الصوارم المهرقة: ٢٤٨.

(٢) التعجب: ٤٢.

الإمامية وشهد له بالجنة حذف من اسمه الألف واللام ويقال: حسن بن عليٍّ والأولاد أولاد حسن استصغاراً له واحتقاراً لذكره، ثم يقولون مع ذلك: الحسن البصري، فيثبتون في اسمه الألف واللام إجلالاً له وإعظاماً وتفخيم الذكره وإكراماً، وذلك أنَّ هذا البصري كان متتجاوزاً عن ولادة أهل البيت عليهما السلام وهو القائل في عثمان قتله الكفار وخذله المنافقون، ولم يكن في المدينة يوم قتله إلا قاتل أو خاذل، فنسب جميع المهاجرين والأنصار إلى الكفر والنفاق^(١).

وحصل الكلام أنَّهم لو كانوا يحبون أهل البيت لم يحملوا في قلوبهم هذه العداوة لهم ولابد من أن يكون الصديق صديق الصديق وهنا نرى القضية بعكس ذلك «والحسن البصري تختلف عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام» (تختلف عن علي والحسن والحسين ولما وقف على واقعة الحسين خرج مع قتيبة بن مسلم في جند الحجاج إلى خراسان.. المؤلف)^(٢).

ويقال أنَّ في ديار العرب مدينة تسمى قرطبة يأخذ شبابها في ليلة العاشر رأس بقرة ميته و يجعلونه على عصى ويحمل ويطاف به في الشوارع وقد اجتمع حوله الصبيان يصفقون ويلعبون ويقفون به على أبواب البيوت (ويغتنون) ويقولون: يأمسه العروسة اطعمينا المطنسة، يعنون القطائف، وأنَّها تعد لهم

(١) لما أخذ المؤلف محتوى كلامه كلَّه من كتاب التعجب آثرنا عبارة صاحب التعجب لأنَّها أكثر تأدية للمعنى، وعبارة المؤلف قاصرة وإليكمها: وإذا ذكروا الحسن والحسين حذفوا من اسمهما الألف واللام تحيراً، فإذا ذكروا اسم الحسن البصري أقصوا به الألف واللام لأنَّ الحسن البصري من أعداء أهل بيته.. الخ. راجع التعجب ص ٤٣ وقارن بعبارة المؤلف.

(٢) التعجب: ٤٣ ولم يذكر واقعة الحسين التي ذكرها المؤلف وربط بها خروج الحسن مع قتيبة بل قال: ثم خرج مع قتيبة بن مسلم في جند الحجاج إلى خراسان.. الخ وما الذي يقصده المؤلف في واقعة الحسين: هل يريد واقعة كربلاء فأين هي من زمن الحجاج، والذي أراه أنَّ الخطأ من الناسخ وقد سقطت جملة أو جملتان من العبارة.

ويكرمون ويتبَرّكُون بما يفعلون ... ويعنون به رأس الحسين^(١)، المشهور أنَّ ستةَ العراق وخراسان يكتحلون يوم عاشوراء ويطبخون الحبوب من سبعةِ أصنافٍ ويطبخون الطعام الفاخر المتنوع ويتربيتون بألوان الزينة ويلبسون أفضل الشياب، وهذا هو الحَبُّ الذي حدثنا عنه حيث يجعلون اليوم الذي قُتل فيه آل الرسول يوم فرح واستبشر ويسْمُونه عيداً مع وجود آية : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُؤْدَةُ فِي النَّفَرِ﴾^(٢) في القرآن يتلوها ولكنهم لا يعملون بها لأنَّ أُمّتهم لشدة عداوتهم لأهل البيت يزعمون أنها من المنسوخ وهذه الآية تكذب ما ادعوه لأبي بكر من أنه أنفق ماله على رسول الله وعلى أصحابه.

بنية :

لا يزال أولاد قتلة الحسين معروفين بالشام إلى اليوم وهم معظموه ومكرّمون عندهم بمناثبة سادات بنى هاشم فنهم في الشام بنو السراويل لأنَّ جدَّ جدهم نهب سراويل الحسين عليه السلام.

وبنوا السرج وهم أولاد الذين أسرجوه خيولهم ودارسا صدر الإمام وكسروا عظامه، ووصل بعض هذه الخيل إلى مصر فقلعت نعاعها من حوافرها وسُررت على أبواب الدور للتبرّك بها وجرت بذلك السنة عندهم حتى صاروا يعتمدون على نظيرها على أبواب دور أكثرهم.

وبنوا سنان وهم أولاد الذي حمل الرمح الذي على سنان رأس الحسين عليه السلام.

وبنوا الملحي وهم الذين ذروا الملح على جسد الحسين.

وبنوا الطشي وهم الذين وضعوا رأس الإمام بالطشت.

(١) نفس عبارة التعجب : ٤٤، والحق أنني أدركني التعجب من المؤلف لعدم إشارته إلى الكتاب.

(٢) الشورى : ٢٣.

وبنوا القضيبي وهم أولاد الذين أتوا بالسلط إلى يزيد لعنه الله ليضرب ثنابا
الحسين وهي قبل النبي ﷺ.

وبنوا الدرجي فأولاد الذي ترك الرأس في درج جিرون.
وبنوا المكري فهم أولاد الذي كان يكتب خلف رأس الحسين وهو بدمشق مع
بني الملحي معروفون. ونظم شاعر هذا المعنى فقال:

جاووا برأسك يابن بنت محمد مسترملأ بدمائه ترميلا

وكائما بك يابن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاناً ولم يتربقا في قتلك التنزيل والتأنيا

ويكتبون بأن قُتِلَت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليل

وقد بلغنا أن رجلاً قال لزين العابدين عليه السلام: إنا لنحبكم أهل البيت، فقال عليه السلام:

أنت تحبونا حب الستورة من شدة حبها لولدها تأكله.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أول من يحيث يوم القيمة للخصوصة ..^(١).

ولا يحاولون مسائلة أنفسهم عن هذا الحقد على علي وأهل بيته ما سببه؟ ومن
أين أتأهّم؟ وما هي دواعيه التي حملتهم على لعنه على منابرهم ألف سنة فلم ينكر
عليهم مسلم واحد، ولم يرد عليهم بقول أو عمل، ولم يسائلهم عن المبررات
المبيحة للعنه وكيف استحقّها، وهنا من يلعن ظاللي على أو ينطق به لسانه يهبون
فوراً لخصوصته.

فصل

ومن أتعاجيبهم أنّهم زعموا أنّ رسول الله عليه السلام قال: إنّ في جنبي عمر ملكين

(١) تجد هذا كله سوى الشعر موجوداً في التعجب (ص ٤٦) فما قبلها، وذكر ابن شهر آشوب أنَّ
الشعر لخالد بن معدان (المناقب ٣: ٣٦٣).

يسدّدانه ويُتّقيه، وإنَّ ملِكًا ينطَقُ على لسانه مع أَنَّهُم يُنْسِبُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَإِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالْحَقِيقَةِ وَيَبْرُؤُونَ سَاحَةَ عُمَرٍ مِنَ الْمُعَاصِي لِجَهَنَّمَ إِيَّاهُ وَلَا هُمْ غَايَةٌ فِي الْجَهَنَّمِ، وَتَنَاسَوْا إِسْلَامَهُ يَوْمَ أَسْلَمَ وَهُوَ سَكَرَانٌ، وَعِبَادَتَهُ لِثَلَاثَةَ وَسَيِّنَ صَنَاعَةً.

وَفِي يَوْمِ الْحَدِيبِيَّةِ شَكَّ فِي نِبْوَةِ مُحَمَّدٍ - كَمَا مَرَّ - حَتَّى آذَى النَّبِيَّ فَاسْتَقْبَلَ عُمَرٌ قَائِلًا لَهُ: أَيْنَ كُنْتُمْ يَوْمَ أَحَدٍ إِذْ تُصْعَدُونَ وَلَا تَلَوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ (وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ) ^(١) وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ: «إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فُوقَهُمْ وَمِنْ أَنْفَقَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْنَاصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرُ وَتَنَطَّلُونَ بِاللَّهِ الظُّلُومَاتِ» ^(٢).

وَلَمَّا رَأَى عُمَرَ لِعْنَهُ اللَّهُ غَضَبَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، وَاللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ رَكِبٌ عَلَى عَنْقِي، فَكِيفَ يَرْكِبُ الشَّيْطَانَ عَلَى عَنْقِي مِنْ بَيْنِ عَيْنِيهِ مَلِكٌ (مَلِكَانِ) يَسِّدِّدُهُ؟!

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَخَذَ النَّبِيَّ بِالْحَقِيقَةِ مَفْتَاحَ الْكَعْبَةِ وَقَالَ: ادْعُوا لِي عُمَرَ، فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ: أَيُّ عُمَرٍ، هَذَا الَّذِي كُنْتُ قَلْتُ لَكُمْ، وَكَذَلِكَ لَمَّا عَرَفَ فِي حَجَّهُ الْوَدَاعَ أَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ . وَرَوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: مَا شَكَّتْ مُثْلِ يَوْمَئِذٍ ^(٣) وَهَذَا مِنَ الْعَجَبِ أَنَّ النَّبِيَّ يَحْتَاجُ إِلَى الْوَحْيِ وَمَلِكَانِ يَلَازِمَانِ عُمَرَ.

(وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِمْ فِي مِثْلِ هَذَا دُعَواهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ، فَكِيفَ يَصْحَّ هَذِهِ الدُّعَوَى وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي إِمَارَتِهِ فِي الْحَدَّ بِسَبْعِينَ قَضِيَّةٍ يَخَالِفُ بَعْضَهَا بَعْضًاً، وَقَالَ: لَا تَغْلُوا فِي مَهْوِرِ النِّسَاءِ فَتَجَاوِزُوا أَرْبَعَيْنَ دَرْهَمًا حَتَّى قَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّسَعَ أَمْ قَوْلُكَ؟ قَالَ:

(١) اقتباس من الآية ١٥٣ من سورة آل عمران.

(٢) الأحزاب: ١٠.

(٣) التعبّج: ٦٠ و ٥٩.

بل كتاب الله ، فقتلت عليه قول الله تعالى : **﴿وَآتَيْتُمْ إِخْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِثْقَالَ شَيْئَنَّ﴾**^(١) ، فقال لما استمع ذلك : ثكلتك أمك يا عمر ، كل أحد أفقه منك حتى النساء ^(٢) (و عند المؤلف أن عمر قال) : ما علمت بهذا . فقالت المرأة : ثكلتك أمك يا عمر ، كل أحد أفقه منك حتى النساء .

و حكم يوماً بين رجلين فقال أحدهما : أصبت يا عمر ، فقال : لا يعلم عمر أصاب أم خطأ بل الله يعلم ذلك .

ورووا عن النبي أنه قال : ما من أحد إلا وله شيطان يلازمته ^(٣) ، فاستبدلوا الملائكة بالشياطين الملازمين لعمر بن الخطاب الحاضرين لدى عينيه ، ولكن أين كان هذان الملائكة يوم كان مشركاً يعبد اللات والعزى ؟ !
مسألة :

وممّا يقدح في عمر ما قاله في أهل الشورى التي لا يقوها أحد في أحد «وقال لكل واحد قوله لا يصح معه أن يرد إليه إماراة مدينة ولا تدبير ضيعة ..»^(٤)

(١) النساء : ٢٠.

(٢) التعبّج : ٦٠.

(٣) المروي عن النبي وجاء في عوالي الثنائي ٤: ٩٧: ما منكم أحد إلا وله شيطان ، فقيل له : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : وأنا ولكن أعناني الله عليه فأسلم ، ونبيه محقق الكتاب إلى أحمد بن حنبل ١: ٢٥٧ س ٢ وقال : قيل معناه : إن شيطاني أسلم أي صار مسلماً فلم يعارضني في شيء ، وقيل معناه : آتي أسلم منه باعنة الله تعالى لي عليه فلم يضرّني بشيء ، وكانته أراد بالشيطان هنا القوة الوهيمية المخالفة لأحكام العقل كما تقوله أهل الإشارة ، لأنّهم يقولون أن المراد بآدم العقل وبابليس هو الوهم والمراد بالملائكة باقي القوى الإنسانية الظاهرة والباطنة ، والمراد بالسجود الإذعان والطاعة (ص ٩٧) . وأقول : فات المحقق عن أن يسأل أهل الإشارة عن حواء وما من شك سوف يقولون : إنها النفس رجمًا بالغيب ، إذ لا دليل على هذا إلا الأوهام والتخرّصات .

(٤) التعبّج : ٦٠. قارن بعبارة المؤلف .

(لا يصح مع وجود هذه العيوب التي نسبها إليه أن يسند إليه إدارة بيت أو خوان طعام أوأتون حمام، فما بالك بذلك العالم - المؤلف). ومع ذلك فقد عهد إليه بإدارة الحكم وإماماة الناس. فدعا طلحة ووصفه بالنخوة والكبر ، والزبير بالجفاء، وقال عنه: مؤمن الرضا كافر الغضب ، ووصف سعداً بأنه صاحب مقتب وقتل ، وأنه لا يقوم بتدير قرية^(١) (وعبدالرحمن بضعفه - التعجب) ووصف عثمان بأنه يحمل أهله على رقاب الناس وقال: إن روثة خير منه ، ووصف عليّ بن أبي طالب عليه السلام بأنه ذو لطافة وفكاهة (ويطالة) يقول هذه الجملة الخبيثة في إمام معصوم مفترض الطاعة على العالم ، وكان يقول - وعلى حاضر والحسنان والعبايس - دامأ: لو كان سالم مولى حذيفة ا بن اليهان حيّاً ما يخالفني فيه الشك (وبحضرته أمير المؤمنين والعبايس فتخالجه الشكوك فيها..) ولم يدركه الحباء من أهل بيته النبي مع عصمتهم وطهارتهم وجعل الأمر شورى بين المسلمين فلا هي من الله ولا من رسوله .

وأعجب من هذا ما قاله في مرشحه للخلافة: إن اختلفو ثلاثة وثلاثة فالحق في الثلاثة التي فيها عبدالرحمن وقتلوا الثلاثة الأخرى !! (لأنه يعلم أن هوى عبدالرحمن مع عثمان وليس مع علي عليه السلام لأن بين الاثنين عبدالرحمن وعليّ عداوة ، وبينه وبين عثمان صدقة وصهر ، وقال : اقتلوا التي ليس فيهم عبدالرحمن ، فهل هذا إلا قصد لقتل عليّ ...^(٢)).

(١) أخطأ المؤلف في فهم العبارة فترجم المقتب بالمعنى أي الكره ، والقتل بسوء الأفعال هكذا: «وسعد راصفت كرد به مقت وافعال بد !!» راجع ص ٨٩ من الكامل وص ٦٠ من التعجب . والمقتب جماعة الخيل والفرسان ، وقيل هي دون المائة ، وتقرأ بالكسر . لسان العرب ١: ٦٩٠ بتصرف .

(٢) هذه عباره المؤلف وهي نفس عباره التعجب لكن بإجراء شيء من التغيير ، راجع ص ٦٠ من التعجب .

وأعجب منه حين يأمر بقتل جماعة يزعمون أنهم من أهل الجنة بدون ذنب جنوه ولا جريمة ارتكبوها: إنها الجرأة على الدماء وعلى محظورات الدين.

ومن العجب قوله الحق في الشلاتة التي فيها عبدالرحمن مع ساعده قول النبي ﷺ: علىَّ معَ الْحَقِّ وَالْحَقِّ مَعَ عَلَيَّ يَدُورُ حِينَهَا دَارٌ^(١).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٨٨ و ١٨: ٧٢.

الباب الواحد والعشرون

في بعض فوائد كتاب الفتوح لأبي محمد أعثم الكوفي

اعلم : أنَّ ابن الأعْثَمَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ السَّنَةِ وَهُوَ مُتَعَصِّبٌ لَهُمْ إِلَى الْدَرْجَةِ الْأَعْلَى
يَقُولُ فِيهَا فِي كِتَابِ الْفَتْوَحِ هَذِهِ رَوْاْيَةُ أَهْلِ السَّنَةِ وَلَا أَرَوْيَ الرَّوَايَاتِ الْأُخْرَى لِأَنِّي
أَخْشَى أَنْ تَقْعُدْ بِي الدِّرْجَةُ الْأَعْلَى فَتَكُونْ حَجَّةً عَلَيْنَا .

ويقول في أول كلام السقيفة إسناداً إلى الهيثم مالك بن التيهان الأنباري^(١) أنَّ
رسول الله لما توفي شمت فيه اليهود والنصارى وأظهر المنافقون الذين كانوا حول
المدينة مردوا على النفاق فاقهم وهبوا الإتلاف الدين ولكن لم يشر إلى هؤلاء
المنافقين من أي فرقـة هـم ، أمـا عبد الله بن سلـول فقد هـلك في عـهد النـبـيـ وقد أخـبرـ

(١) يبدأ كتاب الفتوح بقول المؤلف : الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عداون إلا على
الظالمين وصلى الله على سيدنا ونبيتنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه
أجمعين : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا تَوَفَّى قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدِهِ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرَ الصَّدِيقُ وَقَدْ بُوَيْعَ لِبِالْخَلَافَةِ فِي
الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ النَّبِيُّ بِسْقِيفَةِ بْنِ سَعْدَةِ ... الْخَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنَ التَّيْهَانَ الْأَنْبَارِيَّ هَذَا . راجع
الفتوح ١: ٣ ط دار الكتب العلمية ١٤٠٦ - أولى ، تقديم وتعليق نعيم زرزور ، والكتاب طالته يد
التحرـيفـ وغيـرتـ حتىـ عـبارـاتهـ وورـدتـ فـيـ كـلـمـةـ مـلـيـونـ وـهـيـ كـلـمـةـ لـمـ تـعـرـفـهاـ العـربـيـةـ إـلـاـ فـيـ
الـعـصـرـ الـحـدـيثـ .

الله تعالى عن هذا الوضع بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ - إِلَى قَوْلِهِ - فَلَنْ يَضُرُّ اللَّهُ شَيْئًا﴾^(١) ونظير هذه الآية فتبين من هذا أن ظهور النفاق لم يكن سوى أبي بكر وجماعته، فقال قال: أَيُّهَا النَّاسُ (من كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لَمْ يَمُتْ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ) ... أَلَا وَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَلَا يَدْرِي هَذَا الْأَمْرُ مَنْ قَائِمٌ يَقُولُ فَدَبَّرُوا وَانظُرُوا وَهَاتُوا رأِيكُمْ (رحمكم الله) فناداه الناس من كل جانب: نصْبُونَهُ وَنَظَرُونَ فِي ذَلِكَ إِنْ شاءَ اللَّهُ .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ الْخَابِرَتْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمَهَاجِرِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَانْحَازَتْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ إِلَى سَعْدَ بْنِ عَبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ وَجَلَسَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَعْمُومًا بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ نَفْرٌ مِّنْ بَنِي هَاشِمٍ وَفِيهِمُ الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ^(٢) .

ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ خَزِيمَةَ بْنَ ثَابَتَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَقَالَ: يَا مَعَاشِرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّكُمْ إِذْ قَدَّمْتُمُ الْيَوْمَ ...^(٣) (قَرِيشًا) صَارُوكُمْ مَقْدَمِيْنَ عَلَيْكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (وَأَنْتُمُ الْأَنْصَارُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَيْكُمْ كَانَتِ الْهِجْرَةُ، وَفِيهِمْ قَبْرُ النَّبِيِّ ﷺ) فَأَجْمَعُوكُمْ عَلَى رَجْلِ تَهَابِهِ قَرِيشٍ وَتَأْمِنَهُ الْأَنْصَارُ . قَالَ: فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: صَدِقتِ يَا خَزِيمَةَ، إِنَّ الْقَوْلِ لِعَلِيٍّ مَا تَقُولُ: رَضِينَا بِصَاحِبِنَا سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ

ثُمَّ وَثَبَ أَسِيدُ بْنُ حَضِيرِ الْأَنْصَارِيِّ الْأُوْسِيِّ (ونصَحَّ نَصَائِحَهُ ثُمَّ قَالَ): إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قَرِيشٍ دُونَكُمْ فَنَقْدَمُوهُ فَقَدْمُوهُ، وَمَنْ أَخْرَوْهُ فَأَخْرَوْهُ، قَالَ: فَوَثَبَ إِلَيْهِ نَفْرٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ فَأَغْلَظُوهُ لِهِ فِي الْقَوْلِ وَسَكَّتُوهُ فَسَكَّتُ .

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الفتح ١: ٣ و ٤.

(٣) قال الناشر: بياض في الأصل.

ثم وَثَبْ بشير بن سعد الأنصاري الأعور وكان أيضًا من أفالضل الأنصار -
فقال : إِنَّمَا أَنْتُمْ بِقَرِيشٍ وَقَرِيشٌ بِكُمْ ، وَلَوْ كَانَ مَا تَدْعُونَ حَقًّا لَمَا اعْتَرَضْ عَلَيْكُمْ
فِيهِ ، فَإِنْ قَلَمْتُ بِأَنَا آوِينَا وَنَصَرْنَا فَمَا أَعْطَاهُمْ (الله) خَيْرٌ مَمَّا أَعْطَيْتُمْ فَلَا تَكُونُوا
كَالذِّينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفَّارًا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارَ جَهَنَّمَ ، الْآيَةِ . (وَكَانَ يَمْيلُ
لِتَقْدِيمِ قَرِيشٍ) .

ثُمَّ وَثَبْ عَوِيرُ بْنُ سَاعِدَةَ الْأَنْصَارِيِّ - وَهُوَ مِنَ الظِّينَ أَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ فِي مَسْجِدِ
قَبَاءِ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(١) - فَقَالَ : يَا مَعْشِرَ
الْأَنْصَارِ ، إِنَّكُمْ أَوْلُ مَنْ قاتَلَ عَنْ هَذَا الدِّينِ فَلَا تَكُونُوا أَوْلَ مَنْ قاتَلَ أَهْلَهُ عَلَيْهِ ،
إِنَّ الْخِلَافَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ النَّبَوَةِ فَاجْعَلُوهَا حِيثُ جَعَلَهَا اللهُ (جَعَلُوهَا) إِنَّهُمْ
دُعُوةٌ إِبْرَاهِيمَ .

قَالَ : ثُمَّ وَثَبْ مَعْنُ بْنُ عَدِيِّ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ - وَكَانَ هُوَاهُ فِي أَبِي بَكْرٍ - : (يَا
مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ ، إِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ لَكُمْ مِنْ دُونِ قَرِيشٍ فَخُبِّرُوهُمْ بِذَلِكَ حَتَّى
يَبَايِعُوكُمْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِكُمْ فَسُلِّمُوهُمْ لِهِمْ فَوَاللهُ ! مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ
حَتَّىٰ صَلَّى بَنَى أَبُوبَكْرَ فَعَلِمْنَا أَنَّهُ رَضِيَّهُ لَنَا لِأَنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ^(٢) ؟
فَبَيْنَا الْأَنْصَارُ كَذَلِكَ فِي الْمَحاوِرَةِ إِذَا أَقْبَلَ أَبُوبَكْرَ وَعُثْمَانَ وَأَبُو عَبِيدَةَ بْنَ
الْجَرَاحَ وَجَمَاعَةَ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ إِذَا هُمْ بِسَعْدَ بْنِ عَبَادَةَ قَدْ زَمَلُوا بِالثِّيَابِ فِي سَقِيفَةِ
بَنِي سَاعِدَةَ مِنْ عَلَّةَ كَانَ يَجْدِهَا فِي بَدْنِهِ ، قَالَ : فَقَعَدَ الْمَهَاجِرُونَ وَسَكَتُوا سَاعَةً
لَا يَتَكَلَّمُونَ بِشَيْءٍ ، فَتَكَلَّمَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شَمَاسِ الْأَنْصَارِيِّ ... فَقَالَ : يَا مَعْشِرَ

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) أعرض المؤلف عن هذا الكلام ولقد أجاد في ذلك لأنَّ أبا بكر لم يأمره النبي بالصلوة وهذا كلام
موضوع .

المهاجرين، لقد علمتم وعلمنا أنَّ الله تبارك وتعالى بعث نبيه محمدًا ﷺ وكان في بدء أمره مقيمةً عبَّةً على الأذى والتكميل لا يأمره الله عزَّ وجلَّ إلَّا بالكتف والصفح الجميل، ثمَّ أمره بعد ذلك بالهجرة وكتب عليه القتال، ونقله من داره، فكانت أنصاره وكانت أرضنا مهاجره وقراره، ثمَّ إنَّكم قدمتم علينا فقاسمناكم الأموال، وكفيناكم الأعمال، وأنزلناكم الديار، وأثرناكم بالمرافق؛ فتحنَّ أنصار الله وكتيبة الإسلام. إلى أن قال: وقد خرج من الدنيا ولم يستخلف رجلاً بعينه وإنما وكل الناس إلى ما وكلهم الله إليه من الكتاب والسنة الجامعة، والله تبارك وتعالى لا يجمع هذه الأمة على الضلال...^(١).

جواب:

إذا كان النبي توفي ولم يستخلف فكيف صار أبو بكر أولى بها منبني هاشم والأنصار؟! فإن كان قرشيًّا فإنَّ علياً قرشيًّا وهاشميًّا وعالم. وأبو بكر ليس بهاشميًّا.

جواب آخر:

فن دعاه خليفة رسول الله فقد كذب على رسول الله لأنَّه خليفة الصحابة فينبغي أن يخاطب بهذا الاسم وإلَّا فإنه مسئول يوم القيمة عن هذه التسمية بالضرورة: «وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُون»^(٢).

نعود إلى قصة السقيفة: فلما فرغ ثابت بن قيس من كلامه أقبل عليه أبو بكر فقال: يا ثابت، أنت لعمري كما وصفت به قومكم لا يدفعهم عن ذلك دافع، ونحن الذين أنزل الله فينا: «يَنْفَرُ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَنْتَهُونَ فَضَلْ

(١) الفتوح ٤: ٥ و ٦.

(٢) الصافات: ٢٤.

مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَّا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ^(١) وقد أمركم الله في آية أخرى أن تكونوا معنا حيث يقول: «بِاَئِهَا الَّذِينَ آتَنَا تَقْوَاهُ اللَّهُ وَكَوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»^(٢).

جواب:

وصف الله تعالى المهاجرين هنا بالفقراء ويزعم الخصوم أنَّ أبا بكر لم يكن فقيراً بل كان موسراً متمكناً، ومثله عثمان؛ لأنَّ أبا بكر - كما يزعمون - أفق أربعين ألف درهم في المدينة، وعثمان جهز جيش العسرة فهياً لهم عددة الحرب من الزاد والراحلة، وعلى هذا فلن يليك هذه الألوف من الدراهم وهذه القدرة على تجهيز جيش لا يعتبر من الفقراء، فعلم من هذا أنَّ الآية لا تشملها بناءً على ما ادعاه الخصم لها.

عجب من هؤلاء ينقلبون عند المباحثات والمفاخرة إلى موسرين وعند طلب الخلافة إلى فقراء؛ إما شاكراً وإما كفوراً. فينبغي عليهم أن يثبتوا على حالة واحدة لكي ننجيهم وإلا فإنَّ الترك للتناقض.

جواب:

قال: «وينصرون الله ورسوله» متى نصر أبو بكر رسول الله صلوات الله عليه وسلم؟ هل كان النبي يأوي إلى بيته منذ الصغر حتى بلغ الأربعين؟ وهل كان في زمن الحصار في الشعب عنده؟ وهل أغان على الحرب كيدر وحنين وأمثالهما؟ حاشا وكلابه بل كان في كل المروب عاجزاً مقهوراً مولياً للدب هارباً «يولون الدبر». فإنَّ عدنا إلى طفولة

(١) الحشر: ٨.

(٢) التوبية: ١١٩.

النبيَّ فَإِنَّ كَافِلَيْهِ وَالْمَدْعُولَيْهِ ﴿أَلَمْ يَجْنَدْ يَتَبَيَّنَ فَأَوْيَ﴾^(١) أَيْ - وَاللهُ أَعْلَمْ - أَنْ عَمَّكَ أَبَا طَالِبَ آوَّلَ وَخَطَبَ لَكَ خَدِيجَةَ لِلتَّقْوَى بِعَالَمَهَا ﴿وَزَوْجَنَكَ عَابِلًا فَأَغْفَنَى﴾^(٢). وَفِي حَصَارِ الشَّعْبِ كَانَ نَاصِرَهُ أَبَا طَالِبَ وَجَعْفَرًا الطَّيَّارَ أَخَا عَلَيِّ^(٣)، وَأَغْنَى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ فِي الْحَرُوبِ كُلَّهَا^(٤) ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفَتَنَ﴾^(٥) بْلَىٰ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٦). إِذَا أَرَادَ بِهَذِهِ النَّصْرَةِ مَا كَانَ بَعْدَ وَفَاتَ رَسُولَ اللهِ^(٧) فَإِنَّهُ ذَهَبَ يَلَاطِمُ عَلَى الْمَلَكِ وَتَرَكَ رَسُولَ اللهِ عَلَى الْمُغْتَسِلِ وَلَمْ يَشْهُدْ جَنَازَتَهُ لَثَلَّا تَفُوتَهُ الْفَرْصَةُ، فَتَنَصَّرَ رَسُولُ اللهِ؟ وَأَيَّ يَوْمٍ مِّنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ نَصَرَهُ بِهِ؟

جواب آخر:

وَقَالَ: إِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِفُنِي، وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصَّفَةِ فَكَيْفَ يَصْنَفُ مِنَ الصَّادِقِينَ مُطْلَقًا، وَالْمَرَادُ مِنَ الصَّادِقِ مَنْ صَدَقَ مُحَمَّدًا^(٨) وَهَذِهِ صَفَةٌ مُشَتَّرَةٌ بَيْنِهِ وَبَيْنِ الْأُمَّةِ، وَالْبَارِي تَعَالَى لَا يَأْمُرُ بِاتِّبَاعِ الصَّادِقِينَ الَّذِينَ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الْخَطَا لِعَدَمِ التَّقْرِبِ بِقَوْلِهِ أَوْ فَعْلِهِ لِطَرْوَ الْخَطَا عَلَيْهِمَا، إِذَا مِنَ الْجَائزِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا قَالَهُ أَوْ فَعَلَهُ مُحْضٌ خَطَا وَانْخِرَافٌ وَمَعْصِيَةٌ، وَعَلَى هَذَا لَا يَصْحَّ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُ دَائِمًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَكْمُ حَكْمًا مَقِيدًا - أَيْ كَوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ - وَلَا دَلِيلٌ عَلَى تَقْيِيدِهِ بِلِ الدَّلِيلِ قَائِمٌ عَلَى إِطْلَاقِهِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ.

وَدَلِيلُ مَا أَثَبَنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ كَلَامَهُ حِيثُ يَقُولُ: إِنَّ اسْتَقْرَمْتُ فَاتَّبَعْنِي، وَإِنَّ اعُوجَجْتُ فَقَوْمَنِي، وَلَا جَرْمَ أَنْ يَكُونَ عَلَى اعُوْجَاجِ دَائِمًا لِوُجُودِ هَذَا الشَّيْطَانِ الَّذِي يَعْتَرِفُ بِهِ، فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا أَنَّ الصَّادِقِينَ هُمُ الْمَعْصُومُونَ وَهُمْ عَلَيْهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ

(١) الضَّحِى: ٦.

(٢) الضَّحِى: ٨.

(٣) ذَكَرَ الْمُؤْلَفُ بِأَنَّهَا أَرْبَعُ وَثَمَانُونَ حَرَبًا.

(٤) الْأَحْزَاب: ٢٥.

بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١). دليل آخر:

الحديث الصحيح: من أراد أن يحيى حياته ويموت موقتاً ويسكن جنة الخلود التي وعدني ربّي فليتولّ عليّ بن أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلاله.

ومنه: إِنْ وَلَيَتَمُواهَا عَلَيَا فَهَادِيْ مَهَدِيْ يَقِيمُكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ^(٢) وأمثال هذه الأحاديث المروية في كتب القوم التي تجلّ عن العدّ والحصر، المعبرة عن عصمة عليّ وطهوره.

فلما ثبت أنّ الفقراء المذكورين في الآية ليسوا لهم، ثبت أنّهم علىٰ (أولاده) عليه السلام والدليل على ذلك ما ورد عن طريق الخصوم بأنّ علياً تصدق بثلاثة أقراص من الشعير فأنزل الله تعالى سورة هل أتي في حقه، وأعطي عشرة دراهم ونزلت آية النجوى فيه، وأعطي أربعة دراهم ونزل قوله تعالى فيه: ﴿الَّذِينَ يُسْقِفُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّلِيلِ وَالنَّهَارِ سِرَّاً وَغَلَانِيَةً﴾^(٣) قيل: كان لعليّ أربعة دراهم فتصدق بدرهم منها ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً فنزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الحاكم: ٣ ١٢٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المعجم الكبير للطبراني: ٥ ١٩٤، كنز العمال: ١١: ٦٦١ رقم ٣٢٩٦٠، خصائص الولي المبين لابن البطريق: ٣٠، التفسير الصافي للفيض الكاشاني: ٢: ٣٥٧.

وأما الحديث: «إنْ وَلَيَتَمُواهَا عَلَيَا» فقد أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣ ١٤٢ وقال: وهذا حديث صحيح على شرط الشیخین ولم يخرجاه. والحسکانی في شواهد التنزيل: ١: ٨٥ وليس فيه صدر الحديث بل اقتصر على الصحيح وهو: «إنْ وَلَيَتَمُواهَا عَلَيَا فَهَادِيْ مَهَدِيْ يَقِيمُكُمْ عَلَى صِرَاطِ

مُسْتَقِيمٍ».

(٣) البقرة: ٢٧٤.

يُنفِقُونَ) الآية، في حَقِّهِ، ولئن كانت الدرارِم التي أَنْفَقَهَا يَسِيرَةً وَلَكِنَّ الْآيَاتِ النازلة فيَهِ كثِيرَةٌ، وَكُلُّها مَقْبُولَةٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى.

نَعُودُ إِلَى قَصْةِ السَّقِيقَةِ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذِينَ الرَّجُلَيْنِ: عَمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَوْ أَبَا عَبِيدَةَ بْنَ الْجَرَاحِ فَبِإِيمَانِهِ شَتَّمُوا. قَالَ: فَقَالَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ: يَا مَعْشِرَ الْمَاهِرِيْنَ، أَرَضَيْتُمْ بِمَا يَقُولُهُ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: قَدْ رَضَيْنَا، فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، لَيْسَ يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَتَسَبَّبُوا أَبَا بَكْرٍ لِعَصِيَانِ رَسُولِ اللهِ تَعَالَى، فَقَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: لَا تَكُونُمُ ذَكْرَتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ تَعَالَى اخْتَارَهُ وَرَضَيَهُ لَكُمْ فِي حَيَاتِهِ فَقَدْمَهُ لِلصَّلَاةِ وَلَمْ يَفْعُلْ ذَلِكَ إِلَّا وَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْكُمْ فَقَدْ عَصَى أَبُوبَكْرَ رَسُولَ اللهِ تَعَالَى بِإِخْرَاجِ نَفْسِهِ مِنَ الْخَلَافَةِ وَقَوْلِهِ: قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذِينَ الرَّجُلَيْنِ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَأَبَا عَبِيدَةَ بْنَ الْجَرَاحِ «فَكَيْفَ لِكُمَا قَدْوَةُ الْلَّتَيْنِ»^(١) وَقَدْ اخْتَارَهُ رَسُولُ اللهِ تَعَالَى وَفَضَّلَهُ عَلَيْهِ، وَلَعَلَّكُمْ يَا مَعْشِرَ الْمَاهِرِيْنَ أَنْتُمُ الَّذِينَ عَصَيْتُمُ اللهَ تَعَالَى فِي شَهَادَتِكُمْ عَلَى نَبِيِّكُمْ أَنَّهُ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ.

(فَقَالَ الْمَاهِرُوْنَ: لَقَدْ قَدْمَهُ رَسُولُ اللهِ تَعَالَى فِي أَصْلَاهُ وَهِيَ الْإِمَامَةُ أَيْ إِمَامَةُ الصَّلَاةِ.. فَقَالَ ثَابِتُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ مُرِيضاً وَأَبُوبَكْرٍ يَصْلِي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ صَوْتَهُ قَامَ مِنْ مَكَانِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَذَهَبَ إِلَى الصَّفَّ الْأَوَّلِ وَتَقدَّمَ لِلصَّلَاةِ وَصَلَّى بِالنَّاسِ فَكَانَتْ تِلْكَ الصَّلَاةُ بِإِمَامَةِ رَسُولِ اللهِ تَعَالَى وَلَيْسَ بِإِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ، فَصَدَّقَهُ الْمَاهِرُوْنَ بِأَجْمَعِهِمْ)^(٢).

فَقَالَ ثَابِتُ أَوْ الْمَاهِرُوْنَ: لَقَدْ عَلِمْتُمْ يَا مَعْشِرَ الْأَنْصَارِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ عَبَدَ اللهَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَآمَنَ بِرَسُولِ اللهِ تَعَالَى أُولَائِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ مِنْ بَعْدِهِ

(١) قال الناشر: كذا في الأصل.

(٢) هذه الفقرة ممحوقة من الكتاب.

بهذا الأمر^(١) (وأولى بالتقديم). وهذه القصة مذكورة في كتاب الفتوح لابن أعشن الكوفي وهي حجّة ظاهرة على بطلان دعواهم.

قال : فوثب الحباب بن المنذر بن الجموح الأنباري وصاح فيبني عمه صيحة ثم قال : يا معشر الأنصار ، انظروا لا تخدعوا عن حقّكم ، فوالله ما عبد الله عالنباة إلا في بلادكم ، ولا اجتمعتم الصلاة إلا في مساجدكم - إلى أن قال - فإن أبي هؤاء القوم ما نقول ، فتنا أمير ومنكم أمير .

قال : فوثب أُسيد بن حضير وبشير بن سعد فقالا : بئس ما قلت يا حباب ، وليس هذا برأي أَن يكون أميران في بلد واحد ... فقال الحباب : (والله يا أُسيد ويَا بشير بن سعد ما أردت بذلك إلا عزّكما ...) فقال عمر : «الله واحد ، والدين واحد ، والإسلام واحد ، والكتاب واحد ، والنبي واحد ، فيينبغى أن يكون الإمام واحداً...»^(٢) لاتئه إن جرى اليوم إمامان جرى غداً إمامان - إلى أن قال عمر - لا يصلح لها إلا أبو بكر ، فأنكر عليه الحباب قوله وراح يحرّض الأنصار على أخذها وتقديم سعد بن عبادة الحزرجي ، وجرى بين عمر وحباب مهارات

وشتائم ، فكان عمر يميل إلى أبي بكر ، وهو حباب في سعد .

إِلَّا أن قال عمر : ألم تسمعوا ما قاله رسول الله لكم : الأئمة من قريش ، ولا يكون هذا الأمر إلا فيهم^(٣) ؟ فقال بشير بن سعد : بلى والله قد سمعنا ذلك (ولا نخالقه) . فقال أبو بكر : أحسنت رحمك الله وجزاك عن الإسلام خيراً ، إني لست أريد هذا الأمر ، هذا عمر بن الخطاب (وهذا) عبيدة بن الجراح فأيهما شئتم بايعوا (عمر أو أبي عبيدة) .

(١) الفتوح ١: ٦٧ .

(٢) لم يرد كلام عمر في الفتوح بل ورد معناه ، راجع ١: ٨ ، ولذا وضعناه بين هلالين وأنا الكلام بعد فهو للفتح .

(٣) هذا القول قاله معن بن أبي عدي الأنباري في الفتوح ١: ١٠ ، والمُؤلف نسبه إلى عمر .

قال عمر وأبو عبيدة: لا يتولى هذا الأمر أحد سواك، أنت أفضل المهاجرين وثاني اثنين في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، فمن ذا الذي يتقدّمك ويتوّل هذا الأمر عليك؟ أبسط يدك حتى نبأيك.

قال بشير بن سعد الأنصاري: والله ما يبأيعه أحد قبلي، ثم تقدّم بشير فصفق على يدي أبي بكر بالبيعة، فقال له الحباب بن المنذر: يا بشير، ما الذي أحوجك إلى ما صنعت؟ أنفست على ابن عمك سعد بن عبادة أن يكون أميراً؟ فقال بشير: لا والله ولكتني كرهت أن أنازع قوماً حقاً جعله الله لهم دوني. قال: فضرب الحباب ابن المنذر يده إلى سيفه فاستله من غده وهم أن يفعل شيئاً، فبادرت إليه الأنصار فأخذوا بيده وسكنوه، فقال: أتسكّنونi وقد فعلتم ما فعلتم؟ أما والله وكأني بأبنائكم وقد وقفوا على أبوابهم يسألون الناس الماء فلا يُسقون.

قال: فقال أبو بكر: ومني تخاف ذلك يا حباب؟ فقال: إنّي لست أخاف منك ولكني أخاف من يأتي بعدك. فقال أبو بكر: فإذا كان ذلك ورأيت ما لا تحب فالأمر في ذلك الوقت إليك. فقال الحباب: هيهات ذلك يا أبا بكر من أن يكون ذلك، إذا مضيت أنا وأنت وجاءنا قوم من بعد يسومون أبناءنا سوء العذاب والله المستعان.

قال: وتابعه الأنصار بالبيعة لأبي بكر وانكسرت الخزرج خاصة لما كانوا عزموا عليه من أمر صاحبهم سعد بن عبادة. قال: فازدحم الناس بالبيعة على أبي بكر حتى كادوا أن يطشو سعد بن عبادة بأرجلهم، فقال رجل من الأنصار: يا هؤلاء، اتقوا سعداً فإنه على شديد العلة (وحمل سعد من السقيفة إلى بيته. قال: وأقبل عبد الرحمن بن عوف الزهري حتى وقف على جماعة من الأنصار فقال: يا معاشر الأنصار، إنكم إن كنتم ما ذكرتم من الفضل والشرف والنصرة فوالله لا ينكر لكم ذلك .. الخ.

فقال له زيد بن أرقم الأنصاري : يابن عوف ! إننا لا ننكر فضل من ذكرت وإنَّ مَنْ لِسَيْدَ الْخَزْرَجِ سَعْدُ بْنُ عَبَادَ .. أَخْ . يابن عوف ، لو لا أَنَّ عَلِيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَغَيْرَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ اشْتَغَلُوا بِدُفْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِحَزْنِهِمْ عَلَيْهِ فَجَلَسُوا فِي مَنَازِلِهِمْ مَا طَعَمَ فِيهَا ، فَانْصَرَفَ وَلَا تَهْتَاجَ عَلَى أَصْحَابِكَ مَا لَا تَقُومُ لَهُ .

قال : فانصرف إلى أبي بكر فخبره بما كان من مقالته للأنصار وبردهم عليه ، فقال أبو بكر : لقد كتبت غيتاً عن هذا ، أن تأتي قوماً قد بايعوا وسكتوا فتذكرة لهم ما قد مضى ^(١) .

جواب :

هذا الذي قدمناه هو رواية ابن أعمش الكوفي حرفاً بحرف ، وهو مخالف للإجماع المدعى على خلافة أبي بكر ، ومع هذا الجدال العنيف كيف يكون الإجماع حاصلاً ، مع أنَّ الخزرج أنكروا خلافة أبي بكر حتى موته ولم يكونوا حاضرين ، وحال من حضر قد كشفه ابن الأعمش وقد سمعته وقرأته وحيثئذٍ كيف يحصل الإجماع مع كثرة المخالفين .

ودلل كلام زيد بن أرقم على رجوع الأمر إلى بني هاشم والذين غلبو الأنصار بدعوى القرب من النبي بالقرشية لم ينصفوا بني هاشم ، ولم يراعوا كونهم أقرب منهم إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

والذي عليه الشيعة أنَّ القوم ائتمروا بينهم متى توفي النبي فإنَّهم يغتنمون اشتغال بني هاشم فرصة ويشبون على الخلافة ، وما قاله أبو بكر من رضاه بأحد اثنين : عمر وأبي عبيدة للأمة فإنَّه لم يكن رضاً بالمعنى الحقيقي بل القلب كاره لما قاله مع أنَّ رضاه لم يرض لأنَّ أبا عبيدة لم ينزل الحكم ، اللهم إلا أن يقول بأنَّ الرضا بجلب

(١) ابن أعمش ، الفتوح ١: ١١ و ١٢ .

الأتباع وتكثير السواد وتطييب المخاطر، وغصب حقّ بنى هاشم، أو أنَّه التزود للآخرة بهذا الزاد الوبيء. وصدق الله حيث قال : ﴿وَقَالَ الُّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْرَادٌ أَفْتَرَاهُ وَأَعْنَاهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا اظْلَمًا وَزُورًا﴾^(١).

الفصل الأول

يقول ابن الأعثم : ثُمَّ أَرْسَلَ أَبُوبَكَرَ إِلَى عَلَيْهِ فَدْعَاهُ فَأَقْبَلَ وَالنَّاسُ حَضُورٌ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ لَهُمْ : دُعُوكُونِي ؟ فَقَالَ عُمَرُ : دُعُونَاكَ لِلبيعةِ الَّتِي قَدْ أَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ . فَقَالَ عَلَيْهِ : يَا هُؤُلَاءِ، إِنَّمَا أَخْذَتُمْ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ الْأَنْصَارِ بِالْحَجَّةِ عَلَيْهِمْ وَالْقِرَابَةِ (مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الْأَئِمَّةَ مِنْ قَرِيشٍ) فَأَعْطُوكُمُ الْمَقَادِةَ وَسَلَّمُوا إِلَيْكُمُ الْأَمْرَ (وَتَرَكُوا الْلَّجَاجَ) وَأَنَا أَحْتَجُ عَلَيْكُمْ بِالَّذِي احْتَجْتُمْ بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ : نَحْنُ أُولَئِكَ مَنْ هُدِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَمَنْ هُدِيَ إِلَيْهِ فَإِنَّكُمْ تَخَافُونَ اللَّهَ فَانْصِفُونَا وَاعْرُفُونَا فِي هَذَا الْأَمْرِ مَا عَرَفْتُهُ الْأَنْصَارُ لَكُمْ .

قال : فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ أَيْهَا الرَّجُلُ ، لَسْتَ بِمُتَرَوِّكَ أَوْ تَبَاعِيْكَ كَمَا بَاعَ غَيْرَكَ . فَقَالَ عَلَيْهِ تَعَالَى : إِذَا لَا أَقْبَلَ مِنْكَ وَلَا أَبَايِعُ مِنْ أَنَا أَحْقَقُ بِالْبَيْعَةِ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عَبِيدَةُ بْنُ الْجَرَاحَ (لَعْنُهُ اللَّهُ) : وَاللَّهِ يَا أَبَا الْحَسْنَ ، إِنَّكَ لِحَقِيقِ هَذَا الْأَمْرِ لِفَضْلِكَ وَسَابِقَتْكَ وَقَرَابَتْكَ ، غَيْرُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ بَاعُوا وَرَضُوا بِهِذَا الشَّيْخَ فَارْضُ بِهِ رَاضِيَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ . فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ تَعَالَى كَرَمُ اللَّهِ وَجْهُهُ : يَا أَبَا عَبِيدَةَ ، (أَنْتَ أَمِينُ هَذِهِ الْأَمْمَةِ^(٢)) فَاتَّقُ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّ هَذَا الْيَوْمَ لَهُ مَا بَعْدُهُ مِنَ الْأَيَّامِ وَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا سُلْطَانُ مُحَمَّدٌ تَعَالَى مِنْ دَارِهِ إِلَى قَعْدَتِكُمْ فِي بَيْوَنَتِنَ زِلْ القُرْآنَ وَنَحْنُ مَعْدُنُ الْعِلْمِ

(١) الفرقان : ٤.

(٢) لَوْ كَانَ أَمِينُ هَذِهِ الْأَمْمَةِ لَمَا خَانَهَا بِهِذِهِ الْمُؤَامِرَةِ الدِّينِيَّةِ ، وَهَذِهِ الْجَمْلَةُ لَمْ يُذَكِّرْهَا الْمُؤَلفُ^{بِهِ}.

والفقه والدين والسنّة والفرائض ونحن أعلم بأمور الخلق منكم، فلا تتبعوا الهوى فيكون نصيبكم الأحسن.

قال : فتكلّم بشير بن سعد الأنباري ، فقال : يا أبا الحسن ، أما والله لو أنّ هذا الكلام سمعه الناس منك قبل البيعة لما اختلف عليك رجالن ولباعيك الناس كلهم ، غير أنّك جلست في منزلك ولم تشهد هذا الأمر فظنّ الناس أن لا حاجة لك فيه ... الح . قال : فقال عليّ : ويحك يا بشير ! أو كان يجب أن أترك رسول الله ﷺ (من غير تجهيز وأخرج الأطام على سلطانه ..) ^(١) .

قال : فأقبل عليه أبو بكر فقال : يا أبا الحسن ، إني لو علمت أنّك تغازعني في هذا الأمر ما أردته ولا طلبه وقد بايع الناس فإن بايعتني بذلك ظنّي بك ، وإن لم تبايع في وقتك هذا وتحبّ أن تنظر في أمرك لم أكرهك عليه فانصرف راشداً إذا شئت . قال : فانصرف عليّ إلى منزله فلم يبايع حتى توفيت فاطمة عليها السلام حتى بايع بعد خمس وسبعين ليلة من وفاتها ، وقيل : إلى بعد ستة أشهر ، والله أعلم أي ذلك كان . (وتقول عائشة : إنّ عليّاً بايع بعد ستة أشهر) ^(٢) .

أما الصيغة العربية لهذا الكلام والتي تحتاج بها الشيعة فقد رواها ابن الأعمش كما

يليه :

قال عليّ عليه السلام : يا هؤلاء ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار بالحجّة عليهم بالقرابة ، لأنّكم زعمتم أنّ محمداً منكم فأعطوكم المقادرة وسلموا إليّكم الأمر ، وأنا أحتج عليّكم بالذي احتجتم به على الأنصار ، نحن أولى بمحمد عليه السلام حيّاً وميتاً ، لأنّا

(١) العبارة في الفتوح غير مفهومة وهي : أترك رسول الله من بيته إلى حضرته وأخرج أنازع الناس بالخلافة . (ص ١٣)

(٢) الفتوح ١: ١٣ و ١٤

أهل بيته وأقرب الخلق إليه فإن كنتم تخافون الله فانصفونا واعرفوا لنا في هذا الأمر ما عرفت لكم الأنصار^(١).

فقال عمر: أيها الرجل، لست بمتروك أو تباعي كما بايع غيرك. فقال عليه السلام: إذاً لا أقل ما يقول عمر، فلما فرغ من عمر أقبل على أبي عبيدة وقال: وليس ينبغي لكم أن تخرجوا سلطان محمد^{صلوات الله عليه} من داره في بيوتنا نزل الفرقان ونحن معدن العلم والفقه والسنة، ونحن أعلم بأمور الخلق منكم، فلا تتبعوا الهوى فيكون نصيبيكم الخسر.

وقال أمير المؤمنين^{عليه السلام} في جواب بشير: أو كان يجب علىي أن أترك الرسول ولم أجده في حفرته فأخرج فأنازع الناس للخلافة؟!

فقال أبو بكر في هذه الحالة: يا أبا الحسن، لو علمت أنك تنازعني في هذا الأمر لما أردته وما طلبته وقد بايع الناس..^(٢)

جواب:

وهذا الحديث مبطل لما احتج به القوم علينا من أن علياً لم ينفرد عنهم وكان راضٍ بخلافتهم وكذلك ما احتج به الفخر الرازي وغيره من أن علياً لو كان يعلم بأن الحق حقه لخرج مطالباً به. أجل، طالب عليٌّ بحقه بشهادة الحديث المتقدم. وما يقوله الشيعة من اغتنام القوم الفرصة بانشغال عليٍّ^{عليه السلام} وبني هاشم بتجهيز النبي فزروا على الحكم والسلطان يؤيده الحديث المتقدم.

ويؤيده أيضاً ما قاله الشيعة من غياب القوم عن دفن النبي، ويدفع قول عمر لعليٍّ: أيها الرجل لست بمتروك حتى تباعي ما زعموه من بيعة عليٍّ بمحض اختياره

(١) الفتوح ١: ١٣.

(٢) مَرْهُداً تَوَأَّمْ مِنَ الْفَتْوَحْ.

ورغبته وهذا يدلّ على أنه مكره على البيعة ، والشيعة يذهبون إلى أن الإمام علياً لم يبايع أبي بكر أبداً.

وأنا قول أبي بكر لعلي عليه السلام : لو علمت أنك تنازعني في هذا الأمر لما أردته ، وما طلبته وقد بايع الناس فإنه من الأعاجيب حيث تقدم للحكم ارتجالاً وبلا رؤية ، ثم هو يندم الآن ويطلب الإقالة .

وهذا كله يدلّ على صحة قول عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها فلن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، ولو كان الرجل يحسب للآخرة حسابها ويخاف يوم المعاد ﴿وَقَفُوْهُمْ إِنْهُمْ مَسْؤُلُون﴾^(١) لأرجع الحق إلى أهله ، ولم ينazuء أهل بيته النبي فيه ، وما كان ينبغي له يخالف النبي أن يعمل عملاً يؤول به إلى الندامة في الدنيا والآخرة .

الفصل الثاني

لما طرق النبي الوجع استدعى أسماء بن زيد وأمره على القوم وأمره بغزو بلاد الشام وكان أبو بكر و عمر لعنها الله تحت لوائه ، وسوف يأتي بيان ذلك .

ولما انطلق النبي عليه السلام إلى الرفيق الأعلى قال عمر لأبي بكر : أرى أن ترك بعث أسماء لأنّ أعراب المدينة ارتدوا وأخشى أن نحتاج إليه .

فأجابه : وكيف أفعل ذلك وقد أمر النبي ببعشه وعبارته كالتالي : لو علمت أن السباع تأكلني في هذه المدينة لأنفذت جيش أسماء كما قال النبي : أمضوا جيش أسماء ، فقال عمر : لو خفت هذا العام عن كاهم القوم من بعض الزكاة لرجونا عودتهم إلى حضيرة الإسلام . فقال أبو بكر : والله لو منعوني عقال ناقة مما كان

يأخذه منهم النبي ﷺ لقاتلهم عليه أبداً ولو كره المشركون . فقال عمر : ارفق بهم يا خليفة رسول الله ، فإن النبي ﷺ قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا إله إلا الله وأنّي رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحساهم على الله . وهؤلاء الجماعة يصلون ولا يزكّون أو يذكّرون ولا يصلون^(١) فأبى أبو بكر وقال : لا أقاتلها ، كما نصّ على ذلك ابن الأعثم في الفتوح .

الجواب :

لقد ظهر الخلاف بين الرجلين الخليفة وظهيره .. مسكينة هذه الرعية فإلى من منها تميل ؟ فإن مالت إلى أبي بكر وهو محق فإن عمر مبطل حقاً والعكس صحيح ، ولما استباح أبو بكر الحرب على عقال ناقة لا بدّع أن يستبيح على ﷺ الحرب من أجل ملك الشام مع معاوية (لعنه الله) وكما وجب قتال من خالف أبا بكر كذلك وجب قتال من خالف علياً فيكون معاوية على الباطل .

وكذلك نقول عن عمر لما أمر بتعطيل جيش أسماء أنه داخل تحت مفهوم هذه الآية : «فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ»^(٢) ومن لم يرض بمحكم النبي فإنه معلوم الحال ولا يحتاج إلى سؤال .

الفصل الثالث

و جاء في كتاب الفتوح أنَّ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدَ وَجَهَ جَيْشَهُ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ وَلَمَّا اسْتَخْلَفَ أَبْوَبَكَ قَالَ لِأَسَامَةَ : امْضِي رَحْمَكَ اللَّهُ لَوْجَهَكَ الَّذِي أَمْرَكَ النَّبِيَّ وَلَا

(١) أخطأ المؤلف في نسبة ذلك إليهم لأنَّ أبا بكر لم يقاتلهم على ذلك ، بل قاتلهم على بيته لأنَّهم أنكرواها وقالوا : لا نبایع أبا فضیل .

(٢) النساء : ٦٥ .

تقصر في أمورك، وإن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطاب بالمقام عندي، فإني
أشتأنس وأستعين برأيه. قال أسامة: فقد فعلت.

الجواب:

فاعتبروا يا أولي الأ بصار أن عمر بشهادة الخصم رعية لأسامة بأمر النبي
فكيف يتأنّر عليه؟ ولو علم النبي بأنّ عمر أجدر بها من أسامة لم يؤمنه عليه
ولم يجعله رعية له إلّا لكي يرشد الأمة إلى عدم صلاحيته للخلافة.
وإذا كان أبو بكر يطلب الإذن من أسامة لعمر فلما ذالم يطلبه لنفسه، اللهم إلّا أن
يكون بالحكم المستثنى من الإمارة، ولكن كيف يصح للمتمرّد على حكم النبي
والمنتزى على حق غيره الخروج من أمر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ أمر أسامة
عليهم وحكم النبي وأمره باقيان على حالهما إلى يوم القيمة وكلاهما خالف حكم
رسول الله حين أعرضوا عن الطاعة بعدم الخروج مع أسامة ...

الباب الثاني والعشرون

في موت الخلفاء وكيفية قتلهم عليهم ما يستحقون

(من لعائن الله - المترجم)

قال ابن الأعثم في الفتوح : واشتدّ المرض بأبي بكر ... ودعا أبو بكر بدowa
وبياض فكتب خلافة عمر ثم دفع الرقعة إلى رجل من المسلمين فقال : أخرج بهذه
الرقعة إلى الناس فخبرهم بما فيها ، وأقبل طلحة بن عبيد الله حتى دخل على أبي
بكر ، فقال : يا خليفة رسول الله ، تستخلف على الناس عمر بن الخطاب ؟ فقال :
ولم لا تستخلفه يا طلحة ؟ قال : لأنك قد رأيت الناس من صرامته وغلظته فكيف
إذا مضيت أنت وصار الأمر إليه ؟ ثم قال : وبعد فإنك قادم على ربك فإنه سائلك
عن رعيتك .

فسكت أبو بكر ساعة ثم رفع رأسه إلى طلحة ، فقال : أبالموت تفزعني أم بربّي
تخوّفي ؟ (نعم إذا أقدم على ربّي وسألني عن رعيتي أقول : يا ربّ ، استخلفت
عليهم خير أهلك» ودار بينهما حوار وراح أبو بكر يوصي بوصاياه وأخيراً قال :
إذا أنا مت فاغسلوني وكفنوني وحنطوني وصلوا علي ثم ائتوا بي إلى قبر حبيبي
محمد فاستأذنو وقولوا : السلام عليك يا رسول الله ، هذا أبو بكر بالباب فإن أذن

لهم في دفني إلى جنبه فادفنوني وإن لم يأذن لكم في ذلك فأتوا بي مقابر المسلمين (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ^(١). وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً

الجواب:

صدق الله حيث قال: «وَنَحْنُ لَا تَجِدُونَ النَّاصِحِينَ» ^(٢) لما أدى طلحة بمحنته عن عمر وإن الرجل لا يليق بالخلافة فكان جوابه فرض خلافة عمر على الأمة، ولما خوفه بالله كان جوابه: أبا الله تخوّفني ومعناه أني لا أخاف الله، وقال الله تعالى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوهُ» ^(٣)، وقال: «إِنَّ أَوْبِأَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ» ^(٤)، وقال: «وَتَخَشَّى النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخَشَّى» ^(٥) وأمثال هذه الآيات كلها تدل على أن العبد الصالح هو من خاف الله تعالى، ومن هنا - أي من انعدام الخوف من الله في قلوبهم - ظلموا أهل بيته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك فعل لا يخفى على أحد لاسيما ظلم فاطمة وأمير المؤمنين، وينبغي أن يلابسه الخوف ولو قليلاً عند موافاته السياق.

وأما قوله: ادفنوني عند رسول الله إن أذن لي فإن الله سبحانه منع من ذلك في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعجيب من الرجل حين نسيه فضيّعه فهل أنساه ذلك طول العهد؟ كلام قد خاطب الله المسلمين عن بيوت النبي بقوله: «لَا تَذَرُوا بَيْتَ النَّبِيِّ» ^(٦)، وقال: «لَا تَذَرُوا بَيْتَ النَّبِيِّ تَغْزِيَنَّ بَيْتَكُمْ» ^(٧).

(١) الفتوح ١: ١٢١ - ١٢٣ بتصريف من المؤلف.

(٢) الأعراف: ٧٩.

(٣) آل عمران: ٥٠.

(٤) الأنفال: ٣٤.

(٥) الأحزاب: ٣٧.

(٦) الأحزاب: ٥٣.

(٧) النور: ٢٧.

وما قاله من طلب الإذن فإن حصل وإلا فادفنوني في مقابر المسلمين، فلم يردننا في كتاب أو مرجع أن الإذن حاصل له، وبناءً على هذا فإنه غصب المكان وفعل عمر فعله لأنّه وصيّه، بل صنع خلاف صنعه ولم يستأذن، لعله عرف بأنّ المكان المغصوب لا يحتاج إلى الاستئذان بل جرأ على ارتقاها من دون طلب الإذن (وكم مثلها ارتكبها وهي تصغر) ومنها غصب الخلافة والتآمر على أهل بيته النبي . أم أنه أراد أن يغصب البيت من الأولاد كما غصب فدكاً من فاطمة لتتم حبكة السقيفة .

وإن أراد بالإذن من عائشة فإنّها قالت: ليس لرسول الله ما يرث ولا يورث . وإن قصدوا به آل الرسول فلم يحصل ذلك منهم وما تا ظالمين لهم مانعهم لحقهم . والعجب أن يلحد أبو بكر إلى جانب النبي وهو بعيد القصي عنـه ، ويُدفن الحسن ببعده عن جده وهو ولده وفلذة كبدـه .

الفصل الأول

في قتل عمر بن الخطاب

كان للمغيرة بن شعبة غلام يدعى أبا لؤلؤة وهو مجوسيٌّ، ولما عاد المغيرة إلى المدينة شakah فิروز غلامه إلى عمر وقال: إنّه يضطهدني بما يحملني من الغرم الفادح في كل شهر مرسوم علي دفع مائة درهم إليه وأنا لا أطيق دفع هذا المبلغ الباهض فاشفع لي عنده لتخفيه .

فأحضر عمر المغيرة وقال: التخفيف من الإنصاف وإن كان عن كافر فخفف عنه بشفاعتي ، ففعل ، ثم قال للملوك: لقد خفف عنك صاحبك^(١) والآن قل لي:

(١) الظاهر من روایات المؤذخين أنّ عمر رداً لؤلؤة ردّاً خشنأً ولم يستمع إلى شكواه ولذلك أضمر الرجل قتله .

ماذا تجيد من الصنعة؟ فقال: إني أجيد عدداً منها مثل التجارة وصناعة الأرجحية. فقال عمر: هل لك أن تصنع لي رحى في بيتي. فقال الغلام: سوف أصنع لك رحى تتحدث عنها الناس في المشرق والمغرب.

فانزعج عمر من قوله هذا و قال لمن حضره: هل سمعت ما قاله العلوج، فإني مت شاهدته يحدث الرعب من مرآه في نفسي، إلى أن رق المنبر ذات يوم وقال: رأيت في النام ديكأً أحمر اللون ضربني بمنقاره مرتين أو ثلاثاً فعلمت أنَّ رجل من علوج فارس يقتلني بطعنة أو طعنتين. فقال الحاضرون: خيراً رأيت يا أمير.

وأثما فيروز فقد صنع لنفسه خنجراً بحدّين واندنس بين الناس، فلماً أقيمت الجماعة أخرج الخنجر من محزمه وحمل على عمر فطعنه ثلاث طعنات في السرة وفوقها وتحتها ثم هرب فتعقبه ثلاث عشرة إنساناً فقتل منهم جماعة وأمسك به أحدهم فلماً شعر بأنه مقبوض عليه طعن نفسه طعنات حتى هلك.

وأمر عمر عبدالرحمن بن عوف أن يصلّي في الناس جماعة وبقي عمر حياً في بيته ثلاثة أيام وأوصى بوصاياه وأمر صهيباً بالصلوة عليه، واستدعى ولده عبدالله وقال له: إني مدین لبيت المال بقدر من الدنانير الذهبية فاقضها عنّي. ثم قال: يا بني، لو أنك رأيت غداً أباك يقاد إلى النار أما تفديه؟ فقال عبدالله: بل بجميع ما ملكت. ثم قال: إن أذنت لي عائشة فادفني مع صاحبِي وإلا فادفني في البقع. فقالت عائشة: إني ادّخرت هذا المكان لنفسي ولكن أوثر به عمر. فتوفي يوم الأربعاء لأربع خلون من ذي الحجة سنة ثلاط وعشرين، وكان عمره ثلاثاً وستين عاماً.

ولماً طعن عمر حضر عنده طبيب مسلم فقال: أسلقوه نبيذاً حلواً، فلماً تحرّعه خرج من جرمه فقال قوم ممّن حضره: إنَّ الدم فأحضروا له طيباً متتصراً فسقاه لبناً فخرج من جرمه بلون اللبن، فاتفق الطيبان على هلاكه وأمره بالوصيّة.

الجواب:

فياللعجب كيف يكون البيت لعائشة بدون حجة ولا بيعة، وتحرم فاطمة من نخلتها في فدك مع شهادة الشهد العدول أصحاب العصمة. سلّمنا فإنّ حقّها التسع من الثن والباقي مقتضب.

يقول ابن أثيم الكوفي: فدفن عمر إلى جنب أبي بكر فأوّلهم النبي ﷺ والثاني أبو بكر ورأسه قريب من كف النبي ﷺ، والثالث عمر ورأسه قريب من كتف أبي بكر. قال: وقد ضاق البيت لما دفن فيه عمر فصارت رجلاً عمر تحت حائط البيت من موضع الأساس^(١).

فخرموا جانباً من حائط البيت، فهل أذن لهم النبي في خراب بيته والله تعالى يقول: ﴿لَا تَنْدُخُوا بَيْوَثَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾^(٢) وكيف يأذن لهم النبي وهو ميت؟ أما قوله لولده عبد الله: لو أنك رأيت غداً أباك يقاد إلى النار أما تفديه .. الخ، ويحده أما سمع قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ خَبِيرٌ خَبِيرًاٰ يَنْصَرُونَهُمْ بِوَدُّ الْمُجْرِمِ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِنَبِيِّهِ وَصَاحِبِتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيَهُ كَلَّا إِنَّهَا نَفْنِي نَزَاعَةٌ لِلشَّوَّى﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِذَيَّةً﴾^(٤) ونبي عبد الله أباه كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونٌ إِلَّا مَنْ أَنَّ اللَّهَ بِلِقَابِ سَلِيمٍ﴾^(٥). وكذلك عبد الله أماقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ فَرَادِيَ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوْلَ

(١) الفتوح ٢: ٣٣١.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) المعارج: ١٠-١٦.

(٤) الحديد: ١٥.

(٥) الشعراوي: ٨٩ و ٨٨.

مَرْءَةً وَتَرَكْتُمْ مَا خُوْلَنَّا كُمْ وَرَاءَ ظَهُورِكُمْ»^(١) وحيث قال: «وَلَوْ أَنْ يَكُلُّ نَفْسٍ ضَلَّمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَفَتَدَثِّبَ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَاءَةَ لَمَارًا وَالنَّعَذَابَ وَقُبْضَيْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^(٢).

أما ما قالوه عن النبيذ وشربه فإنه يعلم أنه خمر معروف وهذا مسلم ولكن النبيذ الحلو غير المسلم فهو لا يخلو من كونه خطأ، وهذا يصدر أحياناً في الأخبار، وأما كون القائلين به من أهل السنة والجبرية وهم شيعة الخليفة لذلك أرادوا الاعتذار منه بوصف النبيذ بالحلو.

رواية أخرى في قتل عمر

جمع شهريار بن يزدجرد ملك العجم ثلاثة وثلاثين ألفاً من قواته وعزم على مهاجمة المدينة والمصادمة مع عمر بن الخطاب، فلما بلغ عمر الخبر خاف منه وصعد المنبر وخطب في أصحابه وقال في آخر خطبته: إني جئت أستشيركم بأمر «شهريار» ومحاربته.

فقام عثمان بن عفان من بين الجمع وقال: أنت رجل ميمون النفقية، فإذا أردت حربه فاختر بنفسك إليه وقاتلته فإنك تظفر به . فلم يرض قوله عمر . ثم قام آخر وقال: أيتها الخليفة، أرسل إليك الجيش . فلم يقع هذا القول من نفس عمر موقعاً حسناً ، وكان ينظر إلى أمير المؤمنين يلتمس رأيه ، فلم يقل على عليه السلام شيئاً في هذا الموقف ، فنزل عمر عن المنبر وأقبل على أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: الرأي عندك يا أبا الحسن .

قال على عليه السلام: إن كنت تخاف على الإسلام فإني أرى أن ترسل إلى التغور كثغر

(١) الأنعام: ٩٤.

(٢) يونس: ٥٤.

الروم وفارس والأهواز وحيث تقاتل عساكر الإسلام فتستدعي من العسكر نصفه وتبقي نصفه الآخر قبلة العدو، وأقم أنت بالمدينة وأرسل الفيالق فإن الله تعالى وعد بقهـر الكفر وظهور الإسلام عليه حيث قال: ﴿لَيُبَطِّلُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ
كَرَهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١) فأعجـبهـ الرأـيـ وعملـ بهـ فاستدـعـيـ نـصـفـاـ منـ فـيـالـقـ واستـبـقـ النـصـفـ الآـخـرـ تـقاـتـلـ العـدوـ، فـاجـتـمـعـ عـنـدـهـ ثـلـاثـوـنـ أـلـفـ أـمـرـ علىـمـ النـعـمـانـ بنـ مـقـرـنـ وـقـالـ: إـنـ قـتـلـ فـالـأـمـيرـ حـذـيـفةـ، إـنـ قـتـلـ فـامـيرـ الـقـومـ جـابـرـ بنـ عـبـدـ اللهـ.
قالـ علىـيـ ﷺ: ابـعـثـ مـعـهـ عـمـرـ بنـ مـعـديـ كـرـبـ وـطـلـحـةـ بنـ خـوـيلـدـ وـلـيـحـتـالـواـ ماـ وـسـعـتـهـ الـحـيـلـةـ إـنـ رـأـيـهـ إـلـىـ صـوـابـ.

فلـماـ تـقـابـلـ الـعـسـكـرـانـ وـضـعـ اللـهـ الرـعـبـ فـيـ قـلـبـ عـسـكـرـ شـهـرـيـارـ، فـأـسـرـ شـهـرـيـارـ وـأـمـرـ قـوـمـ بـجـفـرـ الـخـنـدقـ مـنـ حـوـلـهـ وـأـجـرـىـ فـيـهـ الـمـاءـ خـوـفـاـ مـنـ عـسـكـرـ الـإـسـلـامـ ثـمـ بـدـأـتـ الـحـرـبـ، فـاسـتـشـارـ النـعـمـانـ عـمـراـ وـقـالـ: مـاـذـاـ نـصـنـعـ وـنـخـنـ قـلـةـ وـالـمـدـدـ يـأـتـيـاـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ وـقـدـ بـعـدـتـ شـقـقـهـاـ وـالـعـدـوـ مـاـ زـالـ يـأـتـيـهـ الـجـمـعـ بـعـدـ الـجـمـعـ وـتـصـلـ إـلـيـ الـمـؤـنـ وـالـذـخـائـرـ باـسـتـمـارـ، وـقـدـ قـارـبـ زـادـنـاـ النـفـادـ. فـقـالـ عـمـرـ: الرـأـيـ عـنـدـيـ أـنـ نـنـادـيـ بـمـوـتـ عـمـرـ مـلـكـ الـعـربـ لـكـيـ يـجـدـ الـعـدـوـ الـجـرـأـ عـلـىـ قـتـالـنـاـ فـيـخـرـجـوـاـ مـنـ خـنـادـقـهـمـ لـقـتـالـنـاـ فـنـنـكـشـفـ بـيـنـ أـيـدـيـهـمـ لـكـنـ بـصـفـوـفـ مـنـظـمـةـ فـإـذـاـ مـاـ بـلـغـتـنـاـ عـسـاـكـرـهـمـ كـرـرـنـاـ عـلـيـهـمـ وـقـاتـلـنـاهـمـ.

فلـماـ أـصـبـحـ الصـبـاحـ أـعـمـلـوـاـ الـحـيـلـةـ مـعـ الـعـدـوـ فـخـرـجـ شـهـرـيـارـ بـجـيـشـهـ لـقـائـهـمـ وـلـكـنـ اـخـتـطـ الـظـلـامـ فـحـجـبـ بـيـنـ الـمـتـقـاتـلـيـنـ، فـلـماـ أـصـبـحـ الصـبـاحـ رـكـبـ النـعـمـانـ فـرـسـهـ وـأـقـبـلـ وـعـلـيـهـ عـهـامـةـ بـيـضـاءـ وـحـامـ حـولـ الـعـسـكـرـ وـأـخـذـ يـحـضـ النـاسـ عـلـىـ الـجـهـادـ وـقـالـ: أـيـهـاـ النـاسـ، عـلـيـكـمـ بـجـمـيـعـهـ الـعـربـ فـإـنـهـاـ تـأـنـفـ مـنـ الـفـرـ دـونـ الـكـرـ، وـقـاتـلـوـاـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ.

رسوله فإن بيضة الإسلام بكم قائمة، وإياكم أن تولوا الدبر لأنكم إن فعلتم ذلك فإنكم هالكون حتاً عن بكرة أبيكم، ولن يرجع واحد منكم إلى المدينة لأنها نائية الشقة فانهضوا وكرروا بالخيل على العدو بعد أن تشدوا حزمتها وسرجها، وأقليوا في ظلها ساعة حتى تهب الصبا فعندئذِ نحمل حملة واحدة وندع ما كان يفعله العرب في الحرب ولنأخذ بمقاييس العجم في الحرب فإنهم يحملون بأجمعهم على العدو حملة واحدة ولكن قتالكم لكم بالرماح فستكون لكم الغلبة عليهم، فإذا قُتلت فاكتموا خبiri عن العدو وعموا عليه، فرضوا بقوله، وصادف أن أصيـب النعمان يومها فقتل فليس حذيفة ثيابه وأخفى عن العجم موته وخباوه عن أعين الناس.

ونادى فيهم طلحـة بن خوـيلـد: أيـها الأـصحابـ، هـلـمـواـ يـكـونـ عـشـائـنـاـ فـيـ الـجـنـةـ، هـلـمـواـ إـلـىـ الرـوـاحـ لـيـضـعـ ثـلـاثـوـنـ أـلـفـ أـسـنـتـهـمـ بـيـنـ آـذـانـ خـيـوـهـمـ وـلـيـحـمـلـوـهـ عـلـىـ الـعـدـوـ حـمـلـةـ رـجـلـ وـاحـدـ، وـنـضـرـهـ فـيـ الـقـلـبـ، وـكـمـ سـوـىـ الـعـجمـ صـفـوـهـمـ وـأـحـكـمـوـهـمـ فـيـ الـحـمـلـةـ الـأـوـلـىـ وـأـسـرـوـاـ فـيـروـزـ مـرـةـ ثـانـيـةـ وـكـانـ قـائـدـ عـسـكـرـ شـهـرـيـارـ، وـأـسـرـوـاـ اـبـنـةـ شـهـرـيـارـ شـاهـ زـنـانـ الـقـيـ تـشـرـفـتـ بـعـدـ ذـلـكـ بـالـإـسـلـامـ وـاقـرـنـتـ بـالـحـسـينـ، وـغـيـرـتـ اـسـهـاـ فـكـانـتـ شـهـرـ بـانـوـيـهـ.

قتل من العسكر جماعة وفرّ الباقيون، فبعث حذيفة ببشرارة الفتح إلى عمر بن الخطاب، وكان عمر يخرج كل يوم إلى المدينة يتسمّ أخبارهم، فرأى ذات يوم أعرابياً على راحلة فأخبر عمر عن الفتح وهو لا يعرفه، فأقبل يركض وراء الأعرابي فرسخاً فلما وصل المدينة نزل إليه أصحاب الدكاكين بحيونه، فنزل الرجل من راحلته وسلم على عمر واعتذر إلى عمر وبلغه خبر الفتح، ولما بلغته الغنائم أراد بيع «شاه زنان» فنها الإمام وقال: ليس البيع على أبناء الملوك.

فائدة جلية

فی زواج الحسین مطیع من شهر بانویه

قال عمر: أجلسوا شاه زنان على قارعة الطريق وأعرضوا المسلمين عليها فلن رغبت فيه فزوجوها منه ومرّ هو عليهما فسألت: من هذا؟ قيل لها: هذا هو الخليفة، فأعرضت عنه وقالت: شيخ لا يليق بي. وأخذ كبار القوم وأعيانهم يعرضون أنفسهم عليها فتأباهم حتى اجتاز بها أمير المؤمنين عليه السلام فقالت: من هذا؟ فقيل لها: هذا عليّ صهر رسول الله على فاطمة وابن عمّه، فقالت: هذا جدير بي ولكنّي أستحيي من فاطمة يوم القيامة، فرّ الحسن من بعده، فقالت: من هذا؟ فسألت عن سائر شئونه فأعلموها ولكنّها امتنعت منه وقالت: الحسن كبير الشأن ويحتاج إلى نساء كثراً، فرّ بها الحسين عليه السلام فقبلته وقالت: يمكن لهذا الشاب الجميل أن يكون زوجاً لي.

فأمر عمر بإقامة مراسم الزواج في المدينة ثلاثة أيام، وحملوا الحسين على فرس وقيل: حمل عمر غاشية الحسين على متنه وأقبل بصحبته ينحو المدينة إلى ثلاثة أيام وفي اليوم الثالث أطلقوا على المرأة اسم «شهربانویه» وعقدوا عليها للحسين عليه السلام وبنی عليها، وكانت في كل ليلة تعود عذراء كالحور العين في الجنة، وقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: من كان من الحسن ولحسين زوجته تعود عذراء في كل ليلة، فإنّ الأئمّة من صلبه لذلك تزوج الحسن عليه السلام نساءً كثیرات فلما لم يجد عندهن السر الموعود طلقهن وقال الحسين عليه السلام للحسن ذات يوم: لا تحزن يا أخي، فإنّ ما كنت أنت طالبها فإني وجدتها، فعلم الحسن أنّ الأئمّة ليسوا من صلبه^(١).

(١) عفى الله عن المؤلف حين يأتي بخبر موضوع لا أساس له من الصحة ويستخرج منه قاعدة

الفصل الثاني

ولما قسمت الغنائم صار أبو لؤلؤة فiroز من نصيب المغيرة بن شعبة وكان صيقلاً ماهراً، وصارت له علاقة بأمير المؤمنين عليه السلام فكان يزوره بين الحين والحين، فوضع عليه المغيرة ضريبة ثقيلة إذ كان عليه أن يدفع للمغيرة دائرين من الذهب، ثم صيرهما نصف دينار، فكان يدفع ذلك، ثم رفع الضريبة إلى أربعة دوانيق فأعطهاها، ثم خمساً فأعطهاها، وان عمر يفعل ذلك وقال له : إن قطعت زيارتك لعليّ حررناك من الضريبة ، فلم يرض أبو لؤلؤة بذلك . وأقبل يوماً على عمر وقال : أيها الخليفة ، إني لأعجب منك ومن عليّ أن يكون له سيف مثل ذي الفقار وإني لقادر على صنع ما هو خير منه لك بشرط أن لا تتحجبي عنك ، فقال عمر : افعل . وقال : سأصنع السيف من معادن سبعة ، وأخذ جملة من الحديد وبدأ بصنع السيف وكان يبكر إلى عمر في كل يوم ويأتيه مراراً ويريه السيف الذي صنعه إلى أن تم صنع السيف ، وكان ما تزال حرارة الضرب فيه ، فأقبل على عمر بعد أن انقض المجلس ولم يبق فيه سواه وكان غلاف السيف من المخشب الأبيض ، وقد ثقب قريباً من قائمه ثقباً وأنبت فيه مسحراً بحيث لا يستطيع أحد أن يسلله إلا صاحبه الذي صنعه ،

➊ معرفة الأنمة . أترى أن النبي أوكل إلى الحسينين معرفة الصلب الذي يخرج منه الأنمة بهذه اللعبة ! حاشاه . أليس قد أخبرنا بأسمائهم واحداً واحداً السابق واللاحق ، وعندنا مئات الأحاديث حول ذلك وقد أشارت إلى أن الأنمة من صلب الحسين فكيف رضي المؤلف بهذا السخف الذي لا يستحق العبر الذي كتب فيه ورجل فاضل مثله يتورع عن ذكر أخبار مضحكة بهذه الأخبار . ألا يعلم أن زواج الحسين من شهرابانيه ردة جل العلماء قالوا قضية مكذوبة لا أصل لها إنما وضعتها الشعوبية لترمي إلى غرض في نفوسهم ، وهو الوراثة التي كانت عند ملوك الفرس ليجعلوا الإمامة بالتوارث أخذنا من الفرس مع أسرتهم المالكة .

فلماً أعطاه عمر أراد أن يجرده من القمد فعسر عليه ذلك ، فقال أبو لؤلؤة : ناولنيه ، فلماً تسلمه أزال عنه المسار ونظر عينياً وشملاً فلم يجد أحداً معها فعند ذلك حمل على عمر وأغمد السيد في بطنه وتركه عليها وهرب .

قيل : أقبل ركضاً إلى بيت علي عليه السلام وكان على جالساً على باب داره ، فقام من مكانه وقعد في مكان آخر ، فلماً أقبل الناس يطلبون القاتل أقسم علي عليه السلام أنه منذ أن جلس في هذا المكان لم يشاهد أحداً ، وحمل الإمام أبو لؤلؤة على دلدل وقال له : أينما وقفت دلدل فقف هناك ، ونفس الليلة استدعى امرأة وبعث معها رسالة إلى أهل قم وفيها : إذا بلغت قم فانكحوها منه ، ولماً حال الحول وجاؤوا يطلبونه إلى قم وجدوه قد تزوج المرأة وأولدها ولداً ، فعلموا أن هذه من معاجز علي عليه السلام .

وهذه الرواية لا صحة لها ، وإنما بقي أبو لؤلؤة في المدينة ونهى عمر عن قتله وقال : لا يكون العبد ثاراً لي ، وأمر بإطلاق سراحه .

وجوهر القول أن عمر بقي جريحاً ثلاثة أيام وهلك في اليوم الرابعة ، وكان المغيرة يحضره كل ليلة وتأخر عنه ليلترين ، فسألته عمر عن سبب ذلك ، فقال : وقع الناس في فتنة من يختلفون ، فقال عمر : يا مغيرة ، الناس يقولون ماذا ؟ فقال : منهم من يراها لعلي ، ومنهم لعثان ، وأخرون يرون طحة أهلاً لها ، وقوم تعلقوا بسعد وعبدالرحمن بن عوف .

قال عمر : ماذا يقال في علي ؟ إلا أن هذا الأمر لا يتم به لحداثة سنّه ولعداؤه قريش له وهو أيضاً شديد التمسك برأيه ، وأراها تتم بعثمان لأنّه رأسبني أميّة ، أمّا الزبير فرجل جبار ومن كان مثله لا يليق لإمامـة الناس ، وطلحة ساقط الهمة لا شأن له ، وسعد بن أبي وقاص زئر نساء ، وعبدالرحمن مليح الظاهر .

ثم أمر بإحضار رجل وأمره على مأة رجل وقال : إني أجعل الخلافة شورى بين ستة ، فأحضرهم في المسجد ، فن بايعه عبدالرحمن فعلى الباقيين مبايعته وإن

لم يفعلوا فا خرب أعناقهم ، وكان يعلم أنّ هوی عبدالرحمن ليس مع عليّ لما بينها من العداوة السالفة .

فليا حضروا في المسجد قال عبدالرحمن لعليّ عليه السلام : أبا ياعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيره عمر بن الخطاب . فقال : بل على كتاب الله وسنة رسوله ، ولا أرضي بسيرة عمر لأنّه أحدث أموراً لا بدّ من تغييرها ، فأعاد القول عليه ثانية فأجابه عليّ بما أجاب به أولاً ، إلى ثلاثة مرات ، ثمّ أمسك يد عثمان وبايده ..^(١) على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة عمر ، وكان هوی عبدالرحمن مع عثمان لأنّه صهره على أخته أم كلثوم من أمّه ، وبایع طلحة والزبير ونهض علىّ بعد أن مسح بيده على أيديهم وخرج من بينهم .

وقال عبدالله بن عباس^(٢) : لم دخلت الشوري معهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ذلك لا يُظهر كذب عمر لأنّه قال : سمعت رسول الله يقول : نحن معاشر الأنبياء لانثر ولا نورث ، والإمامية والنبوة لا تجتمع في بيت واحد ، فإن كنت لا تستحقها فلم دعاني معهم ، ولا يُظهر باطه إلا بهذا .

وليثبت للملأ كذبه على رسول الله عليه السلام ، وكانت مدة خلافته عشر سنوات وسبعة أشهر وسبعة أيام ، وقيل : كان عمره ثلاثة وستين سنة^(٣) .

(١) لعن الله عبدالرحمن بن عوف فإنه كان يطبع بها من بعد عثمان لعنة الله ، والآن دعني أن أسأل أصحاب الضمان الرحمة لو أنّ عبدالرحمن بن عوف لعنة الله قال لعثمان لعنة الله عليه : أبا ياعك على التلمود وسيرة إبليس أكان عثمان يقول لا ؟ كلا والله من هنا يعلم أنّهم تمالأوا على أهل البيت وأوقعوا الأمة في هذا الشقاق الدائم من أجل نزوة في نقوسهم حرمهم الله منها وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً .

(٢) ذكر المؤرخون أنّ القول لأبي العباس .

(٣) قالوا ذلك ليوافق عمر رسول الله عليه السلام ومثله قالوا عن سن أبي بكر ، وقد ثبت زيف ذلك عند المؤرخين كافة .

الفصل الثالث

في خلافة عثمان

ولما نال الخلافة أرسل وراء مروان بن الحكم فأقدمه من منفاه وأسند إليه وزارته وكان طريد رسول الله ﷺ، لأن اللعين هجا رسول الله ﷺ فقال النبي : لا أُحِبَّ أَنْ أَرِي مروان فطرده من المدينة إلى مكان يبعد عنها بعشرين فرسخاً^(١)، فلما استخلف أبو بكر أبعده عشرين فرسخاً آخر، فلما استخلف عثمان رده آواه وأعطاه الوزارة حتى قيل عنه : آوى طريد رسول الله وطرد أباذر حبيب رسول الله ﷺ.

(١) بل طرده رسول الله وأباء لحادثة أخرى معلومة.

الباب الثالث والعشرون

في ذكر طرد عثمان (لعنه الله) أباذر الغفاري رحمة الله عليه

قال الإمام الصادق عليه السلام : كان سبب نفي عثمان أباذر أنه حضر عنده فرأى بين يديه مائة ألف درهم ، فسأله : ما هذا المال يا عثمان ؟ فقال : لبيت مال المسلمين وأريد أن أضيف إليه عدداً آخر ثم أضعه حيث أختار ، وكان قد جمع حوله بني أمية . فقال أبوذر : أما تذكر يا عثمان حين دخلنا أنا وأنت على رسول الله صلوات الله عليه وسلم فوجدناه كثيراً مغفوماً ودخلنا عليه في اليوم الثاني فوجدناه مستبشرًا مسروراً ، فقلت له : روحي فداك يا رسول الله ، فيم غمك أمس وسرورك اليوم ؟ فقال عليه السلام : قسمت بيت المال فبقيت فيه بقية لم أقسمها وهي أربعة آلاف دينار فكان غمي لها أن أكون ملوماً عند الله واليوم قسمتها ففرحت من أجل ذلك ، ومائة ألف درهم أكثر من أربعة آلاف دينار .

وكان كعب الأحبار عند عثمان فأقبل عليه عثمان وقال : يا كعب ، هل ترى من حرج على المرء إذا أعطى ما وجب عليه أن يستيقن الفاضل من المال ؟ فقال كعب : كلاماً إذا أدى ما وجب عليه فله أن يصوغ الباقى آجراً من ذهب وفضة .

قال أبوذر : أيها اليهودي ، ما أنت وهذا الأمر ، إنما أنت يهودي ، فكيف تفتى في

الإسلام، إنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَذَّبَ حِيثُ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَزِنُونَ الدُّمَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُوهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يَوْمَ يُخْمَنُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ إِلَيْهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَتَزْتُمْ لَأَنْفِسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْتُمْ تَخْتَزِنُونَ﴾^(١) ورفع عصاه وأهوى بها على رأس كعب.

فقال عثمان: لو لم تكن صاحب رسول الله وأنت شيخ قد خرفت لضربت عنك. فقال أبوذر: كذبت يا عثمان ليس ذلك إليك فإنَّ النبيَّ أخبرني بأنَّكم غير قاتلي ولكتكم مخرجي من البلاد وإذا بلغ آل العاص ثلاثين اتخذوا دين الله دغلاً وفسروا كتاب الله برأيهم.

قيل: فكذب من حضر من الصحابة أبادر من أجل عثمان، فقال عثمان لعن الله: أحضرولي علياً، فلما حضر عنده، قال له عثمان: أسمعت يا عليَّ هذا الحديث من النبيَّ فقد أجمع الصحابة على عدم سماعه منه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إني سمعت رسول الله يقول: ما أطلت الحضراء وما أقلت الغباء على أحد أصدق هجة من أبي ذر...^(٢) وأبوزر لا يكذب أبداً.

فصدق الحاضرون أمير المؤمنين فقالوا سمعناه من رسول الله عليه السلام، عند ذلك بكى أبوذر وقال: الحمد لله ما كنت كاذباً.

فقال عثمان: أقسمت عليك بحقِّ رسول الله أيَّ الْبَلَاد أحبَّ إِلَيْكِ؟ قال: الحرمان فقد عبدت الله فيها وأخبرني النبي بإيعادي إلى الرينة وقال: تعيش وحدك وتموت وحدك وتبعث أمة وحدك وتحشر وحدك وتدخل الجنة وحدك، ويحضرك جماعة

(١) التوبة: ٣٤ - ٣٥.

(٢) الكليني الكافي: ٢٧، مسنون أحمد: ٢١٧٥ و ٢٢٣، سنن ابن ماجة: ١٥٥، المستدرك: ٣١٦١، ٣٤٤، ٣٤٢، الفائق للزمخشري: ١٣٢٨، كنز العمال: ١٣٣١١ رقم ٣٦٨٨٧، فتح الملك العلي:

من أهل العراق عند موتك فيجهزونك ويدفونك، أخبرني بذلك في غزوة تبوك.
 فأمر عثمان جلاوزته بترحيله إلى الربذة وهي مكان في البادية موحش تقع بين الشام وببلاد الروم (كذا) فلم يخرج لتشيعه إلا الإمام أمير المؤمنين والحسنان عليهم السلام
 وبقي أبوذر في الربذة زماناً قصيراً ثمّ مرض، فقال له بعضهم: ماذا تشتئي؟ فقال:
 رحمة ربّي، قالوا: ممّن تشكو؟ قال: مرض ذنبي، فقال: أنجيتك بطبيب؟ قال:
 الطبيب أمرضني^(١)، فبكّت ابنته وهي عند رأسه، فقالت: ابته من لي في هذا القفر
 الموحش؟ فقال أبوذر: بنّي، إذا أنا متّ فضععي البساط على وجهي وقفني على
 قارعة الطريق إلى العراق، فسوف يصل إليك تجّار فأخبرهم بحالِي فإنّهم يلون
 أمري، فامتثلت الفتاة أمر أبيها وإذا بتتجّار قد أقبلوا عليها فقامت في وجوههم:
 أيّها الناس، أبوذر صاحب رسول الله فارق الحياة فأعينوا على تحهيزه.

فلما سمع القوم اسم أبي ذر ترجلوا بأجمعهم عن دوابهم وشرعوا في البكاء وكان أحدهم جاء معه بأربعة آلاف حلة فانتزع إحداها وكفنه بها ثمّ شيعوه إلى قبره ودفنه بخير تجّلة. أُنظر إلى صنع خليفة رسول الله، بخٌ بخٌ لهذا الخليفة، وبخٌ بخٌ لهذا الصلاح.

فصل

في قتل عثمان بن عفان

اعلم بأنّ عثمان حين استتبّت له الأمّرة أرسل عَمَّاله إلى الولايات والأقاليم في بلاد العرب والعجم فبعث إلى مصر عاماً من أقرب قرباء مروان لم يدخل الإيان جوفه وكان مدمناً، كثير الزنا والفحوج، لا يكاد يفارق المثل، واسمه عبد الله، فسُكِر

(١) تنسب هذه لغيره وقيل هذا الحوار جرى بين ابن مسعود وعائده.

ذات ليلة إلى الصباح فصلّى بهم الصبح أربع ركعات وقرأ مكان الفاتحة:

عشق القلب الربابا بعد ما شافت وشابة

ثم سلم والتفت إلى المصلين وقال: هل أزيدكم^(١) أنا سكران فإن شتم صليتها ثانيةً، فاجتمع الناس، قيل: ثلاثة وعشرون إنساناً، وقيل: ثمانون ألف رجلاً، وقصدوا المدينة فلما وصلوا إلى المدينة كان عثمان على المنبر فصاحوا بعثان: اعزز امرنا أو اعدل وغير عَالنا. فقال: لا أنزع قيضاً أليسني الله^(٢)، وتشاجر القوم معه وأخيراً قبلوا بتأمير محمدٍ على مصر، وكتب عثمان معه كتاباً بتأميره، وكتب كتاباً آخر سراً، وفيه: إذا جاءكم محمد بن أبي بكر فاقتلوه.

وقال أمير المؤمنين محمد: كن من القوم على حذر واحتظ لنفسك فإنك لا تصل مصر، لأنّهم يضمرون قتلك.

وعاد محمد إلى مصر وفي الطريق شاهدوا راكباً مسرعاً، فأحضره محمد وطالبه بالكتاب، فأنكره، فقال له محمد: أخبرني به من لا يكذب، وفتشوه فوجدو الكتاب معه وقد وضعه في شنْ بالية، ولما قرأوه عادوا بأجمعهم إلى المدينة فوجدوا عثمان على المنبر، فقرأوا الكتاب على الناس وهو يستمع، فاعتذر عثمان مروان

وقال: هو صاحبها، فقال الناس: ادفع إلينا مروان، فقال عثمان: لا أفعل، فصاحوا

(١) ما قصه المؤلف علينا يخالف ما رواه الرواة والمؤرخون فهذا الذي سمّاه عبدالله ونسبه إلى رحم مروان وولاه على مصر إنما هو الوليد بن عقبة والي عثمان على الكوفة وأخوه من أنه وكان معاقراً ومدمداً للشراب ومولعاً بالزنزا، ومشهوراً بذلك، فشرب الخمر ليلة ودخل المسجد ليوم الناس لصلة الصبح، فصلّى بهم أربعين ثم التفت إلى العاملين ف قال: هل أزيدكم؟ حتى أنه كان في الصلاة الكذائية فأنشد أبياتاً عشقية.. الخ. (أصوات على الصحيحين للنجمي: ٢٩٨ عن أحمد ابن حنبل، وشرح ابن أبي الحديد: ٤٧٢)

(٢) لست أدرى كيف أليس الله هذا الكلب القميص؟ ومني أليسه إيه؟ وهل أليسه القميص ليدي سوانة لعنه الله؟

به ، فنزل مسرعاً عن المنبر واختبأ في بيته ، فحاصروه ثلاثة أيام ومنعوا عليه الماء^(١) ، وفي اليوم الثالث دخل عليه محمد وضربه ضربات جارحة وهجم عليه المهاجرون والأنصار مجتمعين واستباحوا دمه وقتلوه ، وتركوه ملقاً في بيته ثلاثة أيام يمأذنوا بdeathه.

وقيل : ربطوا في رجله حبلًا وسحبوه في الأسواق^(٢) فنعت أمير المؤمنين من ذلك وقال : هذا لا يليق بنا فإنَّ أهل الكتاب يعيوننا ويقولون : انظروا إلى ما يصنعه المسلمون بإمامهم ولكنَّهم لا يعرفون عن ظلمه شيئاً وكيف كانت سيرته ، ودفن في مقابر اليهود بالقرب من يدعى كوكب (كذا) ، فلما استخلف معاوية لعنه الله الحق المكان في مقابر المسلمين ومن هذه الجهة قال بعض الصحابة : قتلناه كافراً.

والعجب من مقاييس القوم فإنَّهم يجعلون إجماع أهل السقيفة حقاً وإجماع يوم الدار على قتل عثمان باطلًا ، والحق طرح الاثنين واعتقاد الحق مع عليٍّ عليهما السلام فنقول :

الحق مع عليٍّ عليهما السلام في الحالين .

وقيل : لما رجع محمد وجد عثمان على المنبر فقال : ما قولك فيما يدعى الإسلام وإمامة المسلمين ثم يأمر بقتل أخيه المسلم من غير ذنب ؟ فقال عثمان : يجب قتله إن صحة الذي تقوله ، فأخرج حينئذٍ محمد كتابه وقرأه على المهاجرين والأنصار ، فصاحوا بعثمان وحملوا عليه فقتلوه وقالوا : لا يُدفن في مقابر المسلمين .

(١) تحدَثنا عن هذه المزاعمة فيما سبق وقلنا المدينة لا تشرب من نهر تقوم على ضفافه وإنما تشرب من الآبار وما من بيت إلا وله بئر يستعذبها الشرب وبئر أخرى لحاجاته الأخرى ، وعثمان في بيته آبار لا بئر واحدة فكيف مات عطشاناً ، وإذا صحت ذلك فإنَّ الله قتله عطشاً حين سلط النار على جوفه .

(٢) هذا القول لم أتعثر عليه عند أحد وقد تظلموا العثمان كثيراً فلم يذكروا في ظلامته سحبه في الأسواق ولا ندرى شيئاً عن مصادر المؤلف .

وكان الإمام في ذلك اليوم قد اجتنب الفتنة وخرج خارج المدينة، فلما قتل عثمان تمحروا في المسجد وقالوا: أنتم تعلمون بما جناه عثمان على الأمة ونرى الصلاح في مبادئه على بن أبي طالب عليه السلام لأنّه أهل لها وهو صالح وعالٌ وعابد، وكان الحقّ حقّه، فقال عمر وأبو الهيثم بن التهان ورفاعة بن نافع ومالك بن العجلان وأبو أيوب وخالد بأجمعهم: الرأي ما رأيتم ونحن معكم فأخرجوا بنا إلى بيت علي عليه السلام، فاجتمعوا على بابه فضجر من هذا الوضع أمير المؤمنين لأنّه على علم بعدر طلحة والزبير، فقال له الناس: إن لم تقبل البيعة أحقناك بعثمان، وأول من سايعه طلحة والزبير (عنهم الله) وكان طلحة يعاديه إلى آخر حدّ، فالتفت علي إليهما وقال: دعوني والتساو غيري، وقال أيضاً: لا أرضي بسيعتم لأنّي غير آمن من شرككم وبایع القوم طائعين غير مكرهين.

وكان طلحة خازن بيت المال وصاحب البهم والصدقات والزكاة أيام عثمان^(١) ولما قتل عثمان أرسل المفاتيح إلى عائشة ولجأ إليها.

وبايّع أهل المدينة جميعاً - قلباً ولساناً - أمير المؤمنين وكان اجتماعهم على البيعة لا نظير له حتى كاد القوم أن يهلكوا، فقال أمير المؤمنين: أرى من الصلاح أن نذهب إلى المسجد ليعلم الناس كلّهم بالبيعة ويرغبوا بها.

الفصل الثاني

في ذكر بعض أحوال أمير المؤمنين عليه السلام

ولما تمت البيعة لعلي عليه السلام خطب الناس خطبة بلغة وأمر الناس بطاعة الله

(١) لم يُسند إلى طلحة هذا المنصب أيام عثمان والمؤلف يقول من غير علم ويخالف إجماع المؤرخين ولا يرشد إلى المصدر.

رسوله وطاعته، وقال: إنكم تعلمون أن الحق حق، وأنه غصب متي بالظلم والجور، ثم نزل عن المنبر وأول خطوة خطاها عزل ولاة عثمان وترك أبا موسى الأشعري لأن مالكاً تشفع فيه ثم ولّ قثم بن العباس على مكة وولّ (عبدالله) عبيد الله بن العباس اليمين، ولّ عثمان بن حنيف على خراج البصرة والحارث بن قدامة على إمامية صلاتها.

ويقال: إنه ولّ عبد الله بن العباس على الشام فامتنع وقال: لا أقدر على ذلك، لأن فيها معاوية وهو ابن عم عثمان وأدنى غدره أن يحبسني، فشاوره أمير المؤمنين في الشام وأهله، فقال: اكتب كتاب تولية معاوية على الشام ليعلم بذلك أهل الشام ثم ابعثني إليه أعزله. واستدعى المغيرة وشاوره في أمر الشام، فقال المغيرة: الرأي أن ترك الشام لمعاوية وتولي طلحه والزبير على البصرة والكوفة، وكان عبد الله بن عباس لا يرى رأي المغيرة وقال: يا أمير المؤمنين، البصرة والكوفة هما السواد الأعظم، وطلحة والزبير عدوك فليس بعيداً أن يجمعوا الرجال ويخرجوا عليك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الرأي ما رأيت، فاستاء المغيرة من ذلك وقال: لا أشاركك الرأي بعد اليوم ولو كان بقدار نفس واحد أي لا أشير عليك ما دمت حياً.

وعلم عبد الله بن عباس فكتب كتاب التولية إلى معاوية سراً فلما علم به أمير المؤمنين لامه فقال: إن رد الكتاب فإنما يرد كتابي، وإن قبله فإن النفع صائر إليك، فكتب أمير المؤمنين كتاباً إليه وقال: بايعني المهاجرين والأنصار وعليك أن تقدم بأهل الشام على للبيعة ولولاية الشام لك^(١).

(١) هذا القول لم يقله أمير المؤمنين وما كان ليولي معاوية الشام وهو يعرفه حق المعرفة فإنه يكون حيث لا يدركه في جناباته التي لا حصر لها، وقال أمير المؤمنين لمن أشار عليه بإبقاء معاوية كلمة واحدة «وما كنت متّخذ المضلين عضداً» وهذا هو الموقف لعصمة أمير المؤمنين وإمامته، أما

ولما قرأ معاوية كتاب أمير المؤمنين أنكره وقال: لا ولأية لعليَّ علَيَّ، وقال قوم: رضي معاوية بتفويض أمر الشام إليه كما جرت عادة الخلفاء من قبله ولكن الإمام عليه السلام لم يرض بذلك وشفع له عبدالله بن عباس أن يترك الإمام ولاية الشام له ثمّ يعمل بعد ذلك بما شاء، فقال أمير المؤمنين: ما عذرني إلى الله غداً يوم القيمة وما جوابي لرسول الله عليه السلام حين أتركت على المسلمين والياً مثل معاوية بن أبي سفيان. وأنا - المؤلف - آخذ بهذا القول وأعتمد عليه لأنَّه الجدير بالعصمة والتقوى، وأمّا القول الأوّل فهو المكر والدهاء، وهذه السياسة لا تلامِم مقام العصمة، وإن كانت إلى الساسة أقرب، ولما بلغ الإمام عليه السلام إباء معاوية عن بيته جمع أهل المدينة وحرّضهم على حرب معاوية.

الفصل الثالث

في قتل (شهادة) عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام

جاء في الروايات أنَّه بعد إبرام الصلح بين عليٍّ عليه السلام ومعاوية (لعنه الله) اجتمع جماعة من الخوارج في بيت الله الحرام وراحوا يتذكرون قتلاهم في النهر وان ويترحمون عليهم ويدذكرون مناقبهم ويصلّون عليهم، فقام ابن ملجم من بينهم وقال: أنا أكفيكم عليَّاً، وقال عبدالله بن سليمان: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر التميمي - التميي - اعهدوا إليَّ بقتل ابن العاص، واتّعدوا مع بعضهم البعض وجعلوا الموعد ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، وصلّوا على عثمان والزبير،

❸ إطلاق الشام لمعاوية فهو كذب وافتراء ولا ندرى من أين أخذ المؤلف لأنَّه لا يذكر المصدر إلا نادرًا.

وقال : سنتقم لدماء هؤلاء^(١).

وحدث لعمرو بن العاص ليلة الموعد عارض من علة فاستناب مكانه للصلوة عبد الله بن خارجة التيمي فقتله عبد الله بن سليمي خطأ كما قيل.

وضرب عمر بن بكر التيمي كتف معاوية - ضربه على عجيزته - فلم ي العمل السيف فيه فأرادوا قتل عمرو فقال : يا معاويه أطلقني فإنّ لك عندي بشارة ، فقال معاويه : ما هي ؟ قال : ستأتيك غداً نباً قتل عبدالرحمن بن ملجم عليناً ، فقال معاويه : إن صدقت فإني مطلقك وأمر بحبسه ، فلماً بلغه قتل عليًّا أطلق سراحه . وأماماً حكايه عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله فإنه ذهب إلى الكوفة وخبأ نفسه فيها وكتم سره ، وصادف أن جائت قطام اللعينة إلى البيت الذي فيه عبدالرحمن ملجم ، فلما رآها هو يها فخطبها إلى نفسها ، فقالت له : إنّ مهري ثقيل . فقال عبدالرحمن : وكم عساه يكون ؟ فقالت : ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة وقتل عليًّا . فقال : ما أسهل المال ولكن ما أصعب قتل عليًّا . فقالت : اطلبه حتى تصيب غرّته فإن قتلته لذك العيش معى ، وإذا قُتلت فلا تعدم ثواب الآخرة . فطلبت له شبيب وهو من الخوارج ليعينه ، وأفضى هؤلاء للعناء بالسر إلى الأشعث بن قيس وكانت قطام قد اعتكفت في مسجد الكوفة وقد توشحت بالسواد وكان الإمام قد قتل أباها وأخاها في النهر وان فحققت على الإمام جراء ذلك حقداً شديداً . وكان حجر مقيماً في المسجد تلك الليلة يصلّي ، فارتات بهم ، فخرج مسرعاً ليخبر أمير المؤمنين ، فاختلط معه في الطريق .

(١) أثأرأي الخوارج في عثمان فهو على النقيض مما ذكره المؤلف وإنهم ليعلمهونه لعنة كثيرة لاعتقادهم بأنه أول من أبدع في الإسلام وألحد في الدين ورأيهم في أهل الجمل لا يختلف عن رأيهم في نعشل .

قالت أم كلثوم: إرق أبي تلك الليلة فلم يغمض له جفن، وقضى ليته مصلياً ويخرج بين فترة وفترة ويقول: ما كذبت ولا كذبت. قالت أم كلثوم: فقلت له: ما الذي جرى لك يا أبااته لم تنم الليلة؟ فقال: غداً تعلمين ما الذي يجري على أبيك. وكان في رمضان الذي قتل فيه أعراض عن الأكل واقتصر على ثلاث لقمات، فقيل له: يا أمير المؤمنين، مالك لا تأكل؟ فقال: أشتري أن ألقى الله ورسوله وأنا خ Yusuf Al-Qasim يخص البطن، وكان إذا بلغ الألم به أشدّه من رعيته يقبض على لحيته الكريمة: متى ينبعث أشقاها فيخضب هذه من دم رأسي.

قال أبو صالح: سمعت علياً يقول: رأيت النبي في النوم وشكوت له أمنته، فقال لي: لا تحزن فإنك عن قريب تلقاني وتتجو من غدرهم، فما مرّ على تلك الرؤيا ليتان حتى خضبه ابن ملجم لعنه الله بسيفه.

ولما سمع الأذان أمير المؤمنين عزم على الخروج إلى المسجد، فقالت له أم كلثوم: أرى أن ترسل إلى جعدة بن هبيرة للصلوة وتقيم أنت في البيت، فقال: حسناً رأيت ولكن استثنى من ذلك وقال: لا مهرب من الموت.

أشدد حيازيمك للموت فإذا الموت لا تريك

ولا ترجع من الموت إذا حلَّ بِواديك

قيل: لما جاء ابن ملجم للبيعة، أخذ الإمام البيعة منه سبع مرات، فقال الإمام الحسن: لم تفعل بأحدٍ من الناس ما فعلته بهذا؟! فقال: لو بايع مائة مرة فإنه لا يترك فعلته.

وكان هذا اللعين يماشي الإمام عليه السلام فوقفت ذاته، فأمر الإمام بإبدالها بأحسن منها، ولما اعترض ابن ملجم صهوتها وأدبر، قال أمير المؤمنين:

أُريد حبائمه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مرادي

كان عمر بن الخطاب يروي رواية ويقول: إذا شركت بمولد طفل هل هو

لسفاح أو لنكاح فقد قال رسول الله ﷺ: ضعفه أمام عليٍّ فإذا تبسم وضحك فهو ابن حلال، وإن بكت فـهو لغير رشده.

قال رسول الله ﷺ: قال لي إبليس: قل لعليٍّ يرد لي حقّي، فقال أمير المؤمنين: وما حقّ هذا اللعين - يا رسول الله - علىٍ؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّه قال: ما من عدو لعليٍّ إلا وأشارت أبااه فيه، قال الله تعالى: ﴿وَشَارِكُوكُمْ فِي الْأَفْوَالِ وَالْأَقْلَادِ﴾^(١) والحقيقة أنّ عدو أهل بيـت النبـي لا يمكن أن يكون إلا لغير رشـدة.

ولما خرج أمير المؤمنين خـرج وهو يـردد «أشدـد حـيـازـيك لـلـموت» ولـما توـسـطـ صـحن الدـار صـخـنـاـ إـوـزـ أـهـدـيـنـ لـلـحسـنـيـنـ فـي وجـهـهـ فـزـجـرـتـهـنـ أـمـ كـلـشـومـ، فـقـالـ أمـيرـ المـؤـمـنـيـنـ: دـعـيـهـنـ يـا بـيـتـيـ، فـإـنـهـنـ يـنـبـحـنـ عـلـيـ.

وجوهر القول أنّ الإمام لما بلغ المسجد كان النغل الزنـيم راقداً في يـرـقبـ غـرـةـ الإمامـ، فأـخـذـهـ النـوـمـ فـأـقـبـلـ الإـمـامـ وـنـادـيـ بـرـفـيـعـ صـوـتـهـ «الـصـلاـةـ أـيـتـهـ الـجـمـاعـةـ» فـنـهـضـ شـبـيـبـ حـيـنـ دـخـلـ الإـمـامـ مـحـرـابـهـ وـشـرـعـ فـيـ الصـلاـةـ فـضـرـبـهـ شـبـيـبـ ضـربـةـ خـفـيـفةـ لـمـ تـؤـثـرـ فـيـهـ وـلـادـ بـالـفـارـ، وـكـانـ الإـمـامـ إـذـ دـخـلـ فـيـ الصـلاـةـ انـقـطـعـ عنـ العـالـمـ، حـتـىـ جـائـهـ عـبـدـالـرحـمانـ بـنـ مـلـجمـ عـلـيـهـ اللـعـنـةـ وـضـرـبـهـ ضـربـةـ شـدـيـدةـ فـخـفـفـ فـيـ الصـلاـةـ وـقـدـ جـرـىـ الدـمـ عـلـيـهـ الشـرـيفـ فـكـانـ يـأـخـذـ الدـمـ وـيـسـحـ بـهـ الجـدارـ، يـقـالـ: إـنـ هـذـاـ الدـمـ مـاـ يـزـالـ ظـاهـرـاـ فـيـ ذـلـكـ المـكـانـ.

ثـمـ هـرـبـ ذـلـكـ اللـعـنـ وـدـخـلـ شـبـيـبـ بـيـتـهـ وـأـخـذـ يـحـلـ الـحـرـيرـ عـنـ صـدـرـهـ وـكـانـ لـهـ ابنـ عـمـ مـسـلـمـ، فـقـالـ لـهـ: يـاـ عـدـوـ اللهـ، كـأـنـكـ قـتـلـتـ أمـيرـ المـؤـمـنـيـنـ، فـأـرـادـ أـنـ يـقـولـ لـاـ، فـقـالـ: نـعـمـ، فـضـرـبـهـ اـبـنـ عـمـهـ بـالـسـيـفـ حـتـىـ أـلـقـهـ بـجـهـنـمـ. وـهـرـبـ عـبـدـالـرحـمانـ فـأـرـتفـعـ النـدـاءـ فـيـ الـكـوـفـةـ بـأـنـ عـبـدـالـرحـمانـ قـتـلـ عـلـيـاـ^(٢).

وجاء حاتمي وبيده بساط فلما رأى ابن ملجم يعدو هارباً ألقى البساط على عنقه وأخذ يجره حتى قدم به على الحسين فأوقدوا مشعلاً وحملوا الإمام إلى بيته وأمر جعدة ابن أخت الإمام أن يصلّي بالناس فجاؤوا الإمام بشراب من اللبن ، فقال : احملوا ابن ملجم مثله لأنّه خائف .

فصاح الناس به : أَيَّهَا اللَّعِينُ، لَمْ قُتِلَ الْإِمَامُ؟ فَقَالَ : مَا أَنَا الَّذِي قُتِلَتْهُ، وَجَاؤُوا
بِجَرَاحٍ لسْبَرْ جَرَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَلَمَّا أُرْسِلَ الْمَسْبَارُ فِي جَرَحِ الْإِمَامِ عليه السلام
وَأَخْرَجَهُ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْصَى وَصِيَّتِكَ إِنَّ سَيفَ الْمَلْعُونِ نَفَذَ إِلَى الدِّمَاغِ،
لَآتَهُ قَالَ : اشْتَرَيْتَ سَيْفًا بِالْأَلْفِ، وَسَمِّمْتَهُ بِالْأَلْفِ، ثُمَّ أَوْصَى الْإِمَامَ وَصِيَّةً لِلْحَسَنِ عليه السلام
وَهِيَ الْوَصِيَّةُ الَّتِي أَوْصَاهُ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ : يَا حَسَنَ، أَنْتَ وَصِيَّيِّ
وَالْحَسَنِيْنَ مِنْ بَعْدِكَ وَصِيَّكَ، وَمِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ، وَأَخْيَرًا
قَالَ : إِنْ سَلَمْتَ مِنْ ضَرْبَةِ ابْنِ الْمَلْجَمِ فَأَنَا أَوْلَى بِدَمِيِّ؛ إِنْ شَئْتَ اقْتَصَصْتَ إِنَّ
شَئْتَ عَفْوتَ، وَإِذَا أَنَا مَتُّ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَهُ بِضَرْبَهِ، فَإِذَا قُتِلْتُمُوهُ فَأَحْرِقُوهَا جَثْتَهُ
كَفَّاتِي الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ جَثْتَهُمْ تَحْرِقُ بَعْدَ قُتْلَهُمْ، ثُمَّ تُوْفَىُ الْإِمَامُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَعَمِلَ الْحَسَنُ
بِوَصِيَّةِ أَبِيهِ وَضَرَبَهُ ضَرْبَهُ وَاحِدَةً وَاسْتَوْهَبَتْ أُمُّ الْهَيْثِمِ وَهِيَ امْرَأٌ مُؤْمِنَةٌ جَثْتَهُ مِنْ
الْإِمَامِ الْحَسَنِ عليه السلام وَأَحْرَقَتْهَا.

وتوفي أمير المؤمنين في الواحد والعشرين من شهر رمضان وأوصى: إذا غسلتموني فكفنوني واحملوني إلى الغري ، فسيرتفع المقدم فارفعوا المؤخر ، وحيثما وضع المقدم فضعوا المؤخر ، وادفنوني هناك ، فلما توفاه الله إليه قام الإمام الحسن عليه السلام بتجهيزه فغسله وكفنه وتقديم للصلوة عليه وصلى ورائه مواليه ، ولما حملوا جنازته سمعوا للملائكة دوياً كدوياً التحل ، وحملوا النعش إلى الغري ، ودفن هناك حيث قبره الآن في النجف .

ولماً بلغوا الموضع لاحت لهم صخرة بيضاء تدلّ على القبر فاشتغلوا بحفره، فلماً حفروا وقدر ذراعين ظهر لهم قبر محفور ولحد مشقوق وساجة منقوره وكتب عليهما:

هذا القبر من نوع لأخيه علي^(١) بن أبي طالب وصيّي محمد، فدفونه فيه وضيّعوا القبر بأمر الإمام حيث أوصاهم بإخفاء القبر لعلمه أن الحكم يؤول إلى بني أمية وأآل مروان وإذا علموا به فإنّهم يحفرونها.

ولما رجع المؤمنون من دفنه وشاهدوا معجزة القبر الذي حفره نوح قبل آلاف السنين له، بقي من لم ير ذلك في شوق زائد إليه، حتى إذا ظهر القبر للعيان رغب مواليه في زيارته ورؤيه هذه المعجزة فزاروا وشاهدوها.

وقال جماعة ذهبوا لزيارته وتحرّروا رؤية القبر فلم يقعوا على أثر له لأنّ الله تعالى أخفاه وبقي مستوراً حتى أيام هارون الرشيد، وذات يوم خرج الرشيد يصطاد فرأى قطبيعاً من الضباء تجثم على ذكرة بيضاء فلما بصرت بهم تفرقّت بيناً وشملاً فأرسلوا عليهم كلاب الصيد فإذا بلغن موضع الذكرة تراجعن إلى الوراء. فتحير هارون في أمرهنّ فبني أطبابه هناك وأرسل إلى الكوفة وراء شيخ طاعن في السنّ وسأله عن جلية الحال، فقال: إني سمعت أسلامي يقولون: هاهنا قبر عليّ بن أبي طالب. فأقام هارون ثلاثة أيام هناك، وشرع في الصلاة والتضرّع والزيارة، ومن طلب حاجة من الله هناك فإنّها تُقضى له.

وقيل: إنّ الإمام الصادق عليه السلام في المدينة فاستدعاه^(٢) وأمره بتعيين قبر أمير المؤمنين إلى أن أقام عليه هارون قبة فأصبح اليوم قبلة ذوي الحاجات. قيل: لما رجع الحسان من دفن أبيها سمعاً أنّينا عالياً فقصدوا مقصدتها، فرأيا شيخاً أعمى عاجزاً، فقال له: ممّ أنتيك يا شيخ؟ قال: أنا شيخ أعمى كبير عاجز وكان رجل يأتيني ويتناهدي بالرعاية، فيحمل لي طعامي ومائي، وهذه ثلاثة أيام افتقدته فيه ولست أدرى ما الذي حدث له.

(١) فيعجب لهذا المؤلف، أما علم أنّ علياً بن نوح وليس أحده.

(٢) استشهد الإمام الصادق عليه السلام في عصر المنصور جد الرشيد فكيف غفل المؤلف عن هذا.

فقال له الإمام الحسن : أما سأله عن اسمه ؟ قال : سأله ، فأجابني : عبداً من عباد الله تعالى . فإذا جاءني أحس بإشراقة باطنية تستولي علىَّ ويدرك هذا البيت بعرف عصمنته .

فبكى الحسان ومواليها وقالا : هذه صفة أبينا ، فقال الرجل : من أبوكم؟ ومن أنتا؟ فقالا : نحن الحسان وأبونا عليّ بن أبي طالب . فقال الشيخ : وما الذي جرى لأبيكم؟ فقالا : الآن فرغنا من دفنه وأقبلنا من قبره ، فرفع الشيخ يده وبضم على تلايبه وقال : بحق أمير المؤمنين إلا ما أخذتوني إلى قبره ، فحملوه إلى القبر ، فوضع الشيخ رأسه على القبر وبكي بكاءً شديداً وقال : اللهم أسألك بعصمة أمير المؤمنين وطهارته إلا ما قبضت روحي فإني لا أحب الحياة هذه ، دعا بهذا الدعاء ثم أسلم الروح فقام الحسان على تجهيزه ودفنه عند قبر أمير المؤمنين . وكان عمره الشريف ثلاثة وستين سنة ، ولد قبلبعثة عشر سنين وعاش بعد البعثة مع النبي ﷺ ثلاثة وعشرين سنة ، وثلاثين سنة بعد وفاة النبي ﷺ ، ومدة خلافته خمس سنوات وأشهر^(١) . عاش بعد البعثة يعاني الشدائدين مع المشركين ، وفي أيام خلافته عليهما الطاهريّة عانى دائمًا من خبث معاوية وطلحة والزبير والخوارج وأمثالهم ، ولم يلقي أحد قبله ولا أحد بعده بأمير المؤمنين^(٢) ولم يجاهد جهادهنبيّ ولا وصيّنبيّ ، ولم يكن في شجاعته أحد من الناس .

زوجته فاطمة الزهراء مربّة رسول الله محمد المصطفى منذ طفولته إلى يوم وفاته ، أولاده الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة ، وحباه الله بكثرة النسل بما لم يحب به أحداً من الناس وهم السادات الكبار المعروفون بالاسم والنسب وليسنبيّ ما له من الذرّية الطاهرة ، ويتصّلون برسول الله بواسطة الزهراء فاطمة عليهما السلام .

(١) المعروف أنّ العام الخامس من ولادته لم يتمّ .

(٢) أما الذين تلقوا به قبل الإمام وبعده فإنّهم تلقوا به ظلماً وعدواناً وزوراً .

الباب الرابع والعشرون

في تعين تاريخ أعمار الخلفاء الأربع

اعلم أنَّ أباً موسى الأشعريَّ كان والياً لعمر بن الخطاب في بعض النواحي فكتب إلى عمر : إنَّ كتبك تصل إلَيَّ ولست عارفاً بتاريخها ، فجمع عمر أصحابه وشاورهم في الأمر فقال بعضهم : نجعل أَوْلَ التَّارِيخَ مبعث الرَّسُول ، فلم يرضى عمر ذلك واستشار علياً عليه السلام ، فقال علي عليه السلام : خرج الرَّسُول من أهل الشرك وهو يوم هاجر ، فرضي بذلك عمر وجعله أَوْلَ التَّارِيخَ وكتب إلى الولايات والأقاليم به ، فكان يوم الهجرة معتبراً في أَوْلَ التَّارِيخَ .

الفصل الأول

وذكر الشيخ أبوالحسن الفارسي الناصبي في كتابه تاريخ الخلفاء أنَّ اسم أبي بكر عبدالله ، واسم أبيه عثمان ، ولقب بعتيق وهو عبدالله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن لوّي ، وكنية أبيه أبو قحافة ، وأمه سلمى بنت صخر ، وزير عثمان بن عفان في بيت المال وأمثاله ، ووزير تدبير الملك والقهر وتولية الولايات والعزل وتعيين النواب على البلاد عمر بن الخطاب .

واستقال أبو بكر مرات بقوله : «أقليوني» فلست بخیركم وعليّ فيكم . ولم يترك عمر الناس كي يقليلوه وقالوا : لا نقيلك ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام ، وقيل : ثلاثة عشر يوماً .

أخذ البيعة من الناس في سقيفة بني ساعدة في اليوم الأول ، وسانده جماعة من أعداء أهل البيت ، توفي في اليوم السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشرة وعمره ستون سنة^(١) ، وكان أبوه حياً يوم وفاته ، ولم يستخلف أحد من الخلفاء وأبوه على قيد الحياة سواه ، وليس ذلك لخير يريده الله به لأنّ آباء أمرئ غير معصوم من الخطأ فقد يخطأ ويرتكب معصية توجب عليه الحدّ فإن أقامه عليه ابنه فقد عصى الله في قوله : ﴿فَلَا تُقْتَلُ لَهُمَا أَفْ وَلَا تُنْهَزُ هُمَا﴾^(٢) وإن ترك الحد عصى في تركه^(٣) .

أما يوسف ونظائره من الأنبياء فإنّ نبوتهم أتتهم بعد وفاة آبائهم ، سلّمنا أنّ منهم من كان نبياً في حياة أبيه ، إلاّ أنه من ذوي العصمة الذي لا يظنّ بهمسوء ، ثم إنّ يوسف وأشياهه نواب آبائهم في حياتهم ولم يكونوا أنبياء على الاستقلال^(٤) . أما ما يقال من أنّ أبا بكر كان في مبعث النبي ابن الأربعين عاماً وبقى مع النبي

(١) سبق أن ذكر المؤلف عمره ثلاثة وستين عاماً.

(٢) الإسراء : ٢٣.

(٣) لا أرى وجهاً لهذا القول لأنّ تحريم «الأف» في الآية لأمور تعود إلى النفس وتدعى إلى التذمر وإقامة الحدّ يعود إلى حق الله فلا يدخل تحت مفهوم الآية.

(٤) سبحان الله! إنّ هذا الرأي بارد أجل المؤلف عنه لأنّنا لو سلّمنا له بما قال عن الأنبياء وآبائهم فإنّ الإشكال باقى مع أنّهم أئمّة ، وحقوق الأمّ إن لم تزد على حقوق الأب فإنّها لا تقلّ عنه ، وكلّ ما قاله من نبوتهم بعد موت آبائهم ونوبتهم عن آبائهم لا يصلّ له ، فمنهم من تنبأ وأبوه حي أو ليس ببني أبيه ، وحيثبت بباقي الإشكال الذي ساقه على أبي بكر على حاله ، اللهم إلّا شيء واحد ينفي أن يقتصر عليه وهو عصمتهم بخلاف ابن أبي قحافة ذي المعاصي وصاحب الشيطان.

ثلاثةً وعشرين سنة مدةّبعثة وبقي سنتين وثلاثة أشهر وأياماً بعد وفاة النبي فكان يوم وفاته له من العمر خمس وستون عاماً وثلاثة أشهر وأياماً فإنّ هذا هو المعتمد لا الرواية الأولى .
وكان أبو بكر منبني «تيم اللات».

الفصل الثاني

وكنية عمر «أبو حفص» وقالوا: عمر بن الخطاب بن نفيل ابن عبدالعزيز بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، ووزيره زياد بن مسلم، دامت خلافته عشرة أعوام وستة أشهر وأربعة أيام، وقتلها أبو لؤلؤة غلام المغيرة في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاثة وعشرين من الهجرة، وكان له من العمر ثلاث وستون سنة، وصلّى عليه صهيب مولى عبد الله بن جدعان. سأله الإمام الصادق عن أبي بكر وعمر كيف استقامت لها الأمة ولم تستقم لعثمان، فقال عليه السلام : عدل الرجال مع الناس إلا مع أهل بيته، أما عثمان فكان ظلمه عاماً، لأهل البيت وللناس قاطبة، من هذه الجهة اجتمع الناس عليه فقتلوه^(١)، وسلبت ثقة الناس فيه، اللهم إلا ما يذاع عنه من أفعال محمودة ليس لها واقع بل أنشئت كراهية للشيعة وأهل بيته الرسول وأذاعتها جماعة تطلق على نفسها العثمانية وكان عمر عدوياً.

(١) لعل الإمام يريد بعدلهما مقياساً إلى ظلم عثمان فهما خير منه سيرة وسلوكاً، أما العدل من حيث هو عدل فلا لأنّ حروب ما يسمى بالردة وما جناه أبو بكر على يدي السفاح خالد بن الوليد من قتل الناس وإحرافهم والتمثيل بهم لم يترك للرجلين رائحة من العدل.

الفصل الثالث

وكنية عثمان أبو عبدالله وهو عثمان بن أبي العاص بن أمية يعني عثمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف^(١)، يويع في أول المحرم سنة أربع وعشرين، ودامت خلافته اثني عشر عاماً إلـا ثمانية أيام، وقتل بالمدينة بإجماع المهاجرين والأنصار لاثني عشر ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وكان عمره ثمانين سنة وهو أول ملوك بنى أمية

الفصل الرابع

كانت خلافة مولانا حجّة الله على الخلق عليٰ أربع سنين وثمانية أشهر وتسعة عشر يوماً، ودفن يوم الجمعة ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان، وهو هاشمي الأبوين، عليٰ بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، ابن عمّ الرسول شقيق والده عبدالله، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وعمره الشريفي ثلثة وستون عاماً، وقيل: خمسة وستون.

الفصل الخامس

قال أبو عنان مالك بن إسماعيل الهندي ويسمى الراهب أو الواهب: حضر محمد بن أبي بكر عند أبيه في السياق وهو ينماز سكرات الموت، فقال له: أراك يا أبي بحال لم تكن عليها من قبل، فقال: يا بني، للرجل على مظلمة إذا حلّني منها رجوت أن أفيق^(٢).

(١) تبعه هذا النسب على المؤلف فإن ورد فيه خطأ فعليه وزره.

(٢) كان عم محمد صلوات الله عليه وآله وسالم عندما هلك أبوه ستة

وحاديشه سقیم ، فقال محمد: من ذلك الرجل يا أبي؟ فقال: عليّ بن أبي طالب، فقال محمد: أنا الضامن لعليّ أن يحاللك لأنّه رجل سليم ، ثمّ أقبل محمد على أمير المؤمنين عليه السلام وقال: تركت أبي على شرّ حال وضمنت له أنّك تعفو عنه وتبرء ذمته ، إن كان ذلك من رأيك ، وترتحم عليه وتعفو عنه .

فقال أمير المؤمنين : «كرامة لك» ولكن قل لأبيك أن يرق المنبر ويخبر الناس بهذا الخارج من ذمامي ، فعاد محمد إلى أبيه وقال: قد استجيب الدعاء فقد قال عليّ: كيت وكيت ، فقال أبو بكر : ما أحبّ أن لا يصلّي عليّ بعدي اثنان^(١) فإني إن أقل هذا القول أبق لعنة على ألسن الناس إلى يوم القيمة .

سأل أمير المؤمنين يوماً مهداً بن أبي بكر: أما سمعت أباك يقرأ هذه الآية: ﴿وَجَاءَتْ سَكُنْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحْيِدُ﴾^(٢) وقال عمر لك أحذر يا بني أن يسمع منك ابن أبي طالب ما قال أبوك فيشمت بنا؟ فقال محمد: صدقت يا علي ، وقال: أنا سمعت (أبي) يلعنه ويقول: أنت أوردتني الموارد ، فقال: بلى ..^(٣)

(١) ينبغي أن تكون العبارة هكذا: أتحبّ أن لا يصلّي عليّ اثنان.

(٢) ق: ١٩.

(٣) من أجل الحقيقة وحدّها يجب أن لا نمرّ بهذه الأحاديث من الكرام ، فإنّ اليقين خير من الشك ، والصدق خير من نقشه ، ولابدّ من معرفة العمر الحقيقي لمحمد بن أبي بكر عند موته أبيه ، فقد أجمعـت كلـمة المؤرخـين عـلى صـغر سنـه عند موـت أبيـه . قالـ الخـوئـي فـي معـجم رـجالـ الـحـدـيـث عـنـ وـعـظـ مـحـمـد لـأـبـيه عـنـ موـتـه: إـنـ عـمـرـ مـحـمـد وـقـتـذـ كـانـ أـقـلـ مـنـ ثـلـاثـ سـنـينـ (٩: ٢٣٠) ، وـقـالـ أـيـضاـ عـنـ رـجـالـ الشـيـخـ: مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ بـكـرـ وـلـدـ فـي حـجـةـ الـوـدـاعـ وـقـتـ بـمـصـرـ سـنـةـ ٢٨ـ مـنـ الـهـجـرـةـ فـي خـلـافـةـ عـلـيـ السـلـاـمـ ، وـإـذـ كـانـ فـي وـفـةـ أـبـيهـ بـهـذـهـ السـنـةـ التـيـ لـاـ تـجـاـوزـ سـنـ الـبـنـ فـكـيفـ أـمـكـنـهـ مـحـاـورـهـ أـوـ وـعـظـهـ وـنـصـيـحـهـ ، وـالـمـؤـلـفـ يـوـردـ الـرـوـاـيـةـ وـيـتـرـكـهـ مـطـلـقـةـ دـوـنـ تـحـكـيمـ الـعـقـلـ بـنـقـدـهـ ، وـإـنـ هـذـاـ الـأـمـرـ مـرـيـبـ وـسـرـ عـجـيبـ .

الفصل السادس

وجاء في كتاب « فعلت فلا تلم »^(١) أنَّ أباً بكر وعمر ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح أدركهم الموت وهم في الويل والثبور .

وقال محمد بن أبي بكر : قال أبي عند الموت : هذا محمد وعلي قد حضرا عندي وهما يبشراني بالنار ، وفي يد محمد صحيفه هي التي كتبنا فيها عهودنا وهم يقرءان فيها ويبشراني وعمر ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح بجهنم ، وكانت عائشة وعبدالرحمن بن أبي بكر وعمر حاضرين عند أبي بكر ، فقال عمر : إنَّ لي هجر ولكن اكتموا هذا السر لثلا يشمّت بكم علي وبنو هاشم .

قال محمد : فقال أبي : يا عمر ، إنَّ لا أهجر ، ألا تذكر عندما كنت معه في الغار قال لي : إنَّ لأرى سفينه جعفر تجري في بحر الحبشه ، فقلت : يا رسول الله ، أرنها ، فسح بيديه على عيني فرأيتها ، فقلت في نفسي : هذا الرجل ساحر ، ولما رجعت إلى المدينة قلت لك بما في نفسي ، واتفقنا أنا وأنت في الرأي عمرنا كلَّه على أنه ساحر ؟

فقام عمر من عنده وذهب خارج الدار .

قال محمد : قلت له : يا أبت ، قل لا إله إلا الله ، فقال : والله لا قلتها ولا أستطيع قوله حتى أدخل النار وأكون في التابوت ، فذكر التابوت فقلت في نفسي : إنَّ لهجر ، فسألته : وما التابوت ؟ فقال : إنَّ تابوت يكوت تحت طبقات جهنم ودركاتها وفيه اثنا عشر شخصاً : أنا وأبوبكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد إلى أن

(١) كتاب « فعلت فلا تلم » في المثالب ، لأبي الجيش المظفر بن محمد البلخي الخراساني المתוقي سنة ٣٦٧ . قال في الفهرست : وهو كتاب كبير ، وينقل عنه في الكامل البهاني في ٦٧٣ ويقال له : قد فعلت فلا تلم ، راجع الذريعة ١٦ : ٢٧٧ .

عد آخرهم، ثم قال: إذا أمر الله النار أن تشتب فإن هذا التابوت يخرج من موضعه المستني بالعنق.

قال محمد: قلت له: «يا أبت هذى؟» قال: والله ما أهذى، لعن الله ابن (الضحاك) صهاك هو الذي صدّنى عن الذكر بعد ما جائني فبيس القرین، ووضع وجهه على الأرض ونادى بالويل والثبور إلى أن هلك، فجائني عمر وأخي عبدالرحمن وسألاني: هل قال شيئاً آخر؟ فقصصت عليهما ما قال، فقال: احذر أن تبلغ علينا قوله.

قال محمد: وأخبرني علي عليه السلام بحالات أبي كاتفا النبي عليه السلام يأتيه كل ليلة في النوم فيخبره بما يكون عليه حال القوم أو أنه كان يحدّثني من الجفر الجامع للعلوم، أو أن ملكاً يأتيه فيحدثه كما كان يأتي مريم أم عيسى، أو أم موسى، أو زوج إبراهيم ساره التي كلّمتها الملائكة ورأتهما، وهذا كلّه مذكور في القرآن.

قال معاذ بن جبل عند موته: أتعذرنا في حجة الوداع وتعاهدنا أن لا نترك عليكَ يبلغ الخلافة، وكان بشير بن سعد وأسيد بن حضرير في هذا العهد، فلما توفي النبي عليه السلام، قال معاذ: أنا أكفيكم الأنصار وأنتم اكفونا قريشاً.

تنبيه:

قال عبدالله بن عمر: أحضر أبي علي عليه السلام عند موته وطلب منه إبراءً لذمته، فقال علي عليه السلام: أفعل إن رضيت بشهادة عدلين على ذلك، فحوال أبي وجهه إلى الحائط وسكت ساعة ثم أعاد القول ثانية، فأعاد علي عليه السلام قوله، فحوال أبي وجهه إلى الحائط ثم نهض علي خارجاً من المكان.

ولما كانت الطعنة شديدة على عمر أُتي بلبن فشربه فخرج من جرمه، فقصد جماعة وبشروعه بالجنة، فتنفس عمر الصعداء حتى كادت روحه أن تخرب، ثم قال: والله لو أُتي ما في الأرض من صفراء وبقضاء لافتديت بها من هول المطلع. وهذه رواية ابن عباس.

وروبي أنه قال: لوددت أنني لا أدخل النار، وأمثال هذه الروايات. ودلائل قول أمير المؤمنين: ما زلت مغصوباً (حق) منذ قبض الله رسوله ولقد مات وإني والله لأولى الناس بها مني بقميصي هذا. وكان يقول دائماً: والله لو كان حمزة وجعفر حينما طمع فيها أبو بكر وعمر ولكن ابتليت بحالفين حافيين عقيل والعباس^(١) ورواية هذا الخبر أبو جعفر محمد الباقي عليه السلام.

الفصل السابع

جاء في كتاب « فعلت فلأعلم » أنَّ أبا بكر ندم في مرض موته وكان يقول: ليتني لم أؤمِّن الأشعث بن قيس ولم أزوجه أختي.

والقضية التي ملأت قلب الشيخ بالحسرة هي أنَّ الأشعث كان قد ارتدَّ وكان قد صدر الأمر بقتله، فاستشار أبو بكر أبا قحافة وكان أبو قحافة قد عرض عليه الإسلام في ذلك اليوم، وقال لأبي بكر: آمنه وزوجه أختك عسى أن تنال بذلك رفعةً وفخراً، ولو كنت في الجاهلية لما تيسّرت لك هذه الحال، ففعل أبو بكر ذلك طليباً للملك والجاه وأجرى عليه حكم الإسلام، فقال الأصبح بن حرملة الليبي:

أُتيت بكندى قد ارتدَّ وارتقى إلى غاية من نقض ميثاقه كفرا

وكان ثواب النكث إحياء نفسه أكان ثواب الكفر تزويجه البكرا

فلوأنه يأتي عليك نكاحها وتزويجه يوماً لأمهرته مهرا

ولوأنه رام الزسادة مثلها لأنكحته عشرأً وأتبنته عشرأ

فقل لأبي بكر وقد شئت بعدهما قريشاً وأحملت النباءة والذكرا

أما كان في تيم بن مرّة واحد تزوجه لولا أردت به الفخر؟

(١) لعلهما حليفين حافيين، ولكن المؤلف ترجمتها بقوله: «دو سوگند خورنده و پابرهنه».

ولو كنت لما أن أتاك قتلتها لأحرزتها ذكرًا وقدمتها ذخرا
 فأضحي يرى ما قد فعلت فريضة عليك فلا حمدًا حويت ولا أجرا^(١)
 الندم الثاني قوله: «وليتنى لم أكشف بيت فاطمة»^(٢).

الجواب:

هذا ليس ذنبه هو بل ذنب صاحبه عمر و خالد بن الوليد لينال عمر المكافأة ثم يقول: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرّها فلن عاد إلى مثلها فاقتلوه»
 أما يوم الجزاء لا ينفعه صاحبه ولا يغيثونه، يوم يفرّ المرء من أبيه.

ومن سرتنا نال مثنا السرور ومن ساعنا ساء ميلاده
 ومن كان غاصبنا حقنا في يوم القيامة ميعاده

التأسف الثالث قوله: ليتنى لم أُولّ السقيفة^(٣). وهذا يدلّ على ظهور عاقبة أمره لعينه وإن كاشفها له بحكم قوله تعالى: «فَكَسَفْنَا عَنْكُمْ طَاغِيَّكُمْ فَبَصَرُكُمْ حَدِيدٌ»^(٤) ويدلّ أيضًا على أنّ فعله لم يكن بأمر الله ورسوله ولا بمشاورة المؤمنين وإلا فالنبي ﷺ يقول: «ما خاب من استشار»^(٥) ودليله قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة.. الخ.

(١) الغدير: ٧١٧٥ نقلًا عن تاريخ الطبرى: ٣، ٢٧٦، وثمار القلوب للشعالبي: ٦٩، الاستيعاب: ١: ٥١، الكامل لابن الأثير: ٢: ١٦٠، مجمع الأمثال للميدانى: ٢: ٣٤١، الإصابة: ١: ٥١ و ٣: ٦٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠: ٢٤، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٣: ٤٢٠، ميزان الاعتدال: ٣: ١٠٩، لسان الميزان: ٤: ١٨٩، تاريخ الطبرى: ٢: ٦١٩.

(٣) تاريخ الطبرى: ٢: ٦١٩، لسان الميزان لابن حجر: ٤: ١٨٩، ميزان الاعتدال: ٣: ١٠٩، تاريخ دمشق: ٣: ٤٢٠.

(٤) ق: ٢٢.

(٥) نور البراهين للجزانى: ٢: ٣٣٠، شرح مسند أبي حنيفة لملا علي القارى: ٥١٧، كشف الخفاء للعجلوني: ٢: ١٨٨.

ولقد قال الله تعالى: «يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَغْزِرُهُمْ وَلَهُمُ الْغُنْتَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»^(١) وقوله تعالى: «أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ»^(٢). الندم الرابع قوله: وددت أني لم أكن حرقـت (محارب) الفجاءة السلمـي وقتلـته سريحاً أو خليـته نجيـحاً؛ لأنـ التعذـيب بالـنـار مـخالف لـقول الله ورسـولـه عـلـيـهـسـلـامـوـآلهـسـلـامـوـآلهـسـلـامـ^(٣).

الفصل الثامن

في أنهمـا دـفـنا في مـوضـع غـصـب

وـدلـيلـه قولـه تعالى: «لَا تَدْخُلُوا بَيْوَتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِيْنَ إِنَّهُ وَلَكُنْ إِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوا إِنَّمَا طَعِيْمَتُمْ فَانتَشِرُوا»^(٤). الاستدلال:

منع الله تعالى من دخـول بـيـتـ النـبـيـ في حالـ حـيـاتـه إـلاـ بـإـذـنهـ فـكـيفـ يـجـلـ الدـخـولـ وهوـ فيـ الرـفـيقـ الأـعـلـىـ، فـنـكـونـ الـحـالـ لـلـرـجـلـيـنـ أـنـهـمـ دـفـنـاـ فيـ مـكـانـ خـالـفـاـ فـيـهـ اللهـ وـرـسـولـهـ، وـالـبـيـوتـ بـيـوتـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـسـلـامـ فـقـدـ سـمـاـهـاـ اللهـ «بـيـوتـ النـبـيـ»ـ فأـضـافـ الـبـيـوتـ إـلـيـهـ.

وـأـمـاـ قـوـلـهـ خـرـجـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـسـلـامـ مـنـ حـجـرـةـ عـائـشـةـ، فـلـاـ يـدـلـ هـذـاـ القـوـلـ عـلـىـ التـقـلـيـكـ لـأـنـ الإـضـافـةـ بـعـلـاقـةـ التـقـيـزـ الـمـلـابـسـةـ كـمـاـ يـقـولـونـ: خـرـجـ مـنـ حـجـرـةـ لأـدـنـيـ مـلـابـسـ إـذـ مـقـطـوـعـ بـأـنـ الـخـارـجـ لـمـ يـكـنـ فـيـ حـجـرـةـ كـلـهاـ سـاعـةـ خـرـوجـهـ.

(١) المؤمن: ٥٢.

(٢) فاطر: ٣٧.

(٣) تاريخ دمشق: ٣٠، ٤٢٠، تاريخ الطبرـيـ: ٦١٩: ٢.

(٤) الأحزـابـ: ٥٣.

لا يقال: بأنّهما دفنا في حصة ابنتيهما عائشة وحفصة لما هما من الثن وسنهما من الثن «التسع» أي تعطى كلّ واحدة منها التسع من الثن وهو لا يقوم بشبر واحد بل دون الشبر فكيف يتسع الشبراً لقبرين؟

ثمّ ألم يقولوا: إنّ النبيَ لم يورث بل كان إرثه صدقة على المسلمين وحينئذ يتسع الحرق على الراقب حيث يكونان قد دفنا في أرض المسلمين ولعلَّ من المسلمين من لا يرضى بدهنها في أرضه مع النبيَ ﷺ وقال النبيَ ﷺ: نحن أهل بيته لا يحُلُّ لنا الصدقة^(١).

لا سيما إذا مرت على ذلك سنون عدّة فتبين من هذا أنَ الرجلين دفنا في أرض مخصوصة.

وإن قال الخصم أنَ الحجرتين ميراثهما من رسول الله فوهبتهما إلى أبيهما.

الجواب: وهذا قول باطل، واعلم أنّهما إن جاز ميراثهما من رسول الله فقد جاز للزهراء عليها السلام أيضاً ولكنَ الخصم يزعم أنَ النبيَ لا يورث. ما أعجب هذا القول: لا ترث ابنة رسول الله أباها وتترث ابنة عمر وابنة أبي بكر رسول الله، إنَّ هذا لمضحك من القول وشرِّ المصائب ما يضحك.

وإن كانت حجرتاهم ميراثاً ووهبتهما للنبيَ عليه السلام فإنَّ الهمة لا يجوز الرجوع بها «الراجع في هبته كالكلب يعود في قيئه»^(٢) وبناءً على هذا يكون نقضاً لعهد النبيَ عليه السلام.

(١) إنَّ كان غرضه من هذا القول أنَ الشقيقتين لا تحلَّ عليهما الصدقة فهذا خلاف الواقع لأنّهما كانتا تأكلانها وتدفع إليهما باعتبار كونهما من غير أهل البيت المحرمة عليهم الصدقة.

(٢) مسنَد أحمد: ٢، ٢٠٨، سنن النسائي: ٦، ٢٦٧، مسنَد ابن المبارك: ١٢٤، السنن الكبرى: ٤، ١٢٤، شرح معاني الآثار لابن مسلمة: ٤، ٧٨، صحيح ابن حبان: ١١، ٥٢٣، المعجم الأوسط: ٤، ١٧٣، فيض القدير للمناوي: ٦، ٥٠٢، الكامل: ٣، ٦٨، إصلاح المنطق: ٩٤.

الاستدلال الثاني: إن الله لم يأذن لأحد أن يقيم في بيت النبي ساعة من النهار ومن فعل ذلك لامه الله وأدبه فكيف يسوغ لها بدون إذن من الله ورسوله النوم هناك وقال الله تعالى في ختام الآية: ﴿إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾^(١) وقال في حق من آذاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٢).

وجه آخر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ قُوْمٌ فَوَقَ صَوْتُ النَّبِيِّ﴾^(٣) وبقيت هذه السنة إلى الآن لا يرفع القراء أصواتهم في مسجد النبي ﷺ احتراماً له وامتثالاً لأوامره وهؤلاء فعلوا ما فعلوا في محضر الرسول ووطأوا بساط النبوة وكانت أصواتهم ونغماتهم تخترق المسافات حتى تغطي مساحة نصف المدينة، نسأل الله أن يرزقهم الحياة. وكان النبي مادام على قيد الحياة فهو في عسر معهم وبعد أن توفاه الله إليه زادوا الطين بلة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادَوْنَكُمْ مِنْ وَزَاءِ الْحَجَرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَفْقِلُونَ﴾^(٤) إن الله لم يرض بمناداة النبي من وراء الحجرات فكيف يرضى لهم النوم في حجرته، وتنطلق الأصوات هناك كأنها الصواعق منهم.

بيان:

بقي النساء اللواتي كن يسكنن الحجرات في حجراتها بعد وفاته تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ في بَيْوِتِهِنَّ﴾^(٥) ما عدا عائشة فإن النبي ﷺ أخرجها من البيت. وسر هذا الأمر واضح فإن كان يعلم بما يجري منها من ركوب الجمل، وغزوها وقتاها لتنال بذلك الثواب وفضلها القوم على غيرها بقصدها عليناً وحسناً وحسيناً

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

(٣) الحجرات: ٢.

(٤) الحجرات: ٤.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

للقتال وغيرهم من الصحابة ممّن نصرهم، وأبى باقي النساء أن يسلكن مسلكها وينبغى على صاحب هذا المعتقد أن يستحيي من الله إن كان يعرف ما هو الحياه». ولما عرف النبي ذلك بالوحى وعلم أن ذلك على حساب شرفه عليه السلام وحياته حيث تقدّر زوجه جيشاً وترتب ميمنته وميسرتها وقلبه لذلك أوكل أمر طلاقها إلى أمير المؤمنين فامتثل الإمام هذا الأمر لأنّه إذا فقدت البيت فقد العائل أيضاً^(١).

الفصل التاسع

في إسلام علي عليه السلام

سبق على أبي بكر وعمر وعثمان بالإسلام، وعبد الله بعدهم حيث هلكوا قبله، وبقي يعبد الله بعدهم بل لم يصل العالم إلى العبادة الحقة إلا بفضل جهاده عليه السلام. وقال رسول الله عليه السلام: «ضربة على خير من عبادة الشقليين»^(٢) وما يقال من أنه كان طفلاً حين أسلم، الجواب: إن لم يكن لإيمان الطفل اعتبار فإنّ فطرته من نوع العبرت فطرت الله التي فطر الناس عليها^(٣) ومثلها الحديث: «خلقت عبادي كلهم حنفاء»^(٤) والحديث: ما من مولود إلا يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه

(١) أنا أتوقف في هذه المسألة لأن ذلك يخفف من ذنبها حين تخرج من عصمة رسول الله وتكون امراة عادية بالطلاق أضف إلى ذلك أنّ الطلاق لا يكون إلا والزوج على قيدة الحياة والنبي غير مستثنى من هذه المسألة.

(٢) مجمع الفائدة: ٣، ٢١٦؛ شرح أصول الكافي: ١٢، ٤١٢، الطراف: ٥١٩، عوالي اللئالي: ٤: ٨٦، كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمي: ٤٢، بحار الأنوار: ٣٩: ٢، الغدير للأميني: ٧: ٢٠٦، كشف البقين: ٨٢، وفيات الأنتمة: ١٢.

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) المحلى لابن حزم: ٣٨٩، المصطفى لعبد الرزاق الصنعاني: ١١: ١٢٠، الأحاديث والمثاني للضحاك: ٢: ٤٠١، مجمع البيان للطبرسي: ١٠: ٢٨، تفسير نور الثقلين: ٥: ٣٣٨.

أو يرجسنه^(١)، مع أنَّ درجة النبوة أعلى الدرجات وكانت للطفل جائزة فيكون الإيمان أقرب للجواز.

أعطى الله النبوة ليعيي وهو طفل وقال سبحانه: ﴿يَا يَخْنِي حَذِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةِ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِّيًّا﴾^(٢)، وأعطى عيسى النبوة وهو طفل: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي شَيْئًا﴾^(٣) وهذه المعانٰ يمكن أن تكون بالإيمان، وكانت حال يوسف مشبهة لحال هؤلاء كما خاطبه وهو في البئر: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لِتُنَبَّهَ مِنْ أَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤) وإذا أمكن أن يكون الطفل صاحب وحيٍّ أمكن أن يكون صاحب إيمان بطريق أولى.

جواب آخر:

كان على عَلَيْهِ عِنْدُهُ عِينُ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ بِحُكْمِ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَفْرِيدُوكُمْ﴾^(٥).

جواب آخر:

وعندنا اليوم لا يقال لمن ولد بين المسلمين قد أسلم لأنَّه ولد على ذلك، وأشبّهت حال على عَلَيْهِ عِنْدُهُ ذلك، لأنَّه ولد بين يدي الرسول ولم يسجد لصنم أو يعبد صنماً أبداً، وكان أبوياً يعبد الأصنام ستاً وأربعين سنة، ومن كان مثله يجب عليه أن يؤمن.

(١) الخلاف ٣: ٥٩١، مختلف الشيعة ٦: ١٠٨، تذكرة الفقهاء ١: ٤٢٥، العبسوت للسرخي ٥: ٤٤، البحر الرائق ٢: ٣٣١، حاشية رَدِّ المختار لابن عابدين ٣: ٢١٦، المغني ٦: ٣٧٧، مسنـد أحمد ٢: ٣٦٤ و ٣١٥، صحيح البخاري ٢: ٩٧ و ٩٨، ١٠٤ و ٦: ٢٠، و ٧: ٢١١، صحيح مسلم ٨: ٥٢ و ٥٣، سنن أبي داود ٢: ٤١٦، سنن الترمذى ٣: ٣٠٣، سنن البيهقي ٦: ٢٠٢ و ٢٠٣، مجمع الزوائد ٧: ٢١٨، مسنـد الطیالسي ١: ٣١١، مسنـد الحمیدي ٢: ٤٧٣، المعجم الكبير ١: ٢٨٣.

(٢) مريم: ١٢.

(٣) مريم: ٣٠.

(٤) يوسف: ١٥.

(٥) النساء: ٥٩.

جواب آخر:

كان عمر عليٰ عند الوفاة خمساً وأربعين سنة سلخ منها ثلاثةً وعشرين عاماً مع النبي ﷺ وتسعاً وثلاثين عاماً سوى خمسة أشهر عاشها بعده، ويصحّ البلوغ في الثالثة عشرة ويبداً الفنون في سن العاشرة، سلّمنا أنه لم يكن بالغاً عند ما أسلم ولكنه لم يكفر كغيره ولم يستظلّ بظلّ الشرك - وحاشاه من ذلك -.

جواب آخر:

سلّمنا بطقوته إلّا أن إسلامه بنحو الإلهام أو لا؟ فإن كان الأوّل فيكون إيمانه أعلى مراتب الإيمان، وإن كان الثاني فلابدّ من كونه بطلب ودعوة من النبي والنبي لا يفعل ذلك إلّا بأمر الله كما قال الله تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى» إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى»^(١) وقال: «مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّفِينَ»^(٢) وقال: «وَلَوْ تَقُولُ عَلَيْنَا بِغَضْبِ الْأَقْوَاعِيلِ لَاَخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ» ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينِ»^(٣).

وتحصيصه من دون فتيان العالم بالدعوة لابدّ من كونه لخاصية في شخصه ودرجة عالية له بين الناس. وعندنا أنّ عنایة بهذه تختصّ بالأنبياء أو الأئمة ويشهد الإعلام عند ما يبلغ المعتنى به أشدّه كما فعل عيسى عند بلوغه من البشارة بمحمد ﷺ إظهاراً لنبوته، وهذه البشارة من أعلام نبوة المسيح على نبّيتا وأله عليه السلام إلّا لو افترضنا بأنّ إيمان عليٰ ﷺ كان بالوحى أو من تلقاء نفسه فإنّها فضيلة لا تبلغها العقول، ولا يحيط بها خاطر، لأنّ التور ملأ قلبه في بيته يغمرها الشرك، وتطغى عليها موجة الكفر.

(١) النجم: ٤ و ٣.

(٢) ص: ٨٦.

(٣) الحافة ٤٤: ٤٤.

جواب آخر:

اتفق المسلمون على أن الله تعالى بعث نبيه للمكلفين البالغين لا للصبيان دون البلوغ ولا للجانين ، والنبي ﷺ دعاه - باتفاق العلماء - إلى الدين فلابد من كونه واصلاً حدّ البلوغ المكلف.

جواب آخر:

خاطب الله نبيه بقوله سبحانه : «وَأَنْزِزْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»^(١) فكان على النبي أن يبدأ ب قوله أولاً بحكم هذه الآية ومتضها إذ العادة قاضية بأنه ليس من الصحيح أن يتطلب المرء إرشاد الغرباء وهدائهم بالوعظ والنصيحة ويترك أهله وذويه على طرف الضلال مع أن الله تعالى يقول : «وَأَمْزُ أَهْلَكَ بِالصَّلَةِ وَاضطَرِّزْ عَنِيهَا»^(٢) ، وقال : «فَوَانْفَسْكُمْ وَأَهْبِكُمْ ثَارَكُمْ»^(٣) .

وتفقوا على أن علياً كتب إلى معاوية :

سبقتكم إلى الإسلام طرأ غلاماً ما بلغت أوان علمي

ونزل الوحي على النبي يوم الاثنين وأسلم على ﷺ يوم الثلاثاء وصلّى معه.

وقالوا : لما دعا النبي علياً^{عليه السلام} قال : أمهلي حتى أشاور أبي ، فقال له النبي ﷺ يا علي ، إنها أمانة ، فقال علي^{عليه السلام} : إن كانت أمانة فقد أسلمت.

وقال ابن عباس : لما دعا رسول الله علياً إلى الصلاة والإسلام قال : إن هذا دين يخالف دين أبي حتى أنظر فيه وأشاور أباطيل ، فقال النبي ﷺ : انظر واكتم ، فكث هنية ثم قال : أجييك^(٤) ، وهذا الأمر من التفكير وحفظ السر ومشاورة

(١) الشعراء : ٢١٤.

(٢) طه : ١٣٢.

(٣) التحرير : ٦.

(٤) الفصول المختارة : ٢٨٠ ، سعد السعود : ٢١٦.

الأب، والصبر والتمهّل، وإدراك كون هذا الأمر لا ينبغي أن يشاور فيه، دليل على أن إسلام عليم يكن بالتقليد والاتّباع بل بالدليل الملزم والبرهان القاطع، والطفل لا يملك حاسة التميّز بين الحق والباطل.

ولو لم يكن علىَ بالغاً مبلغ الرجال لما أوصاه النبي ﷺ بكتاب السرّ ولم يأْتِ به، ولما كان النبي قد ائْتَنَا فِيْنَبْغِي أن يكون واثقاً به وقد أوضحت ذلك في كتاب «مناقب الطاهرين» وأشبعت هذا الباب بحثاً فاطلبه هناك.

وَتَيْجَةُ الْقَوْلِ : إِنَّ عَلَيْهَا مُلْكًا كَانَ تَحْتَ ضُغْطِ الْمَنَافِقِينَ وَلَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا أُوذِيَ نَبِيًّا كَمَا أُوذِيَتْ^(١) وَهَذَا يَرْهَنُ عَلَى أَنَّ وَصِيَّ النَّبِيِّ وَهُوَ عَلَيْهِ مَا أُوذِيَ وَصِيَّ بَشَّلُ مَا أُوذِيَ بِهِ وَصِيَّ مُحَمَّدٍ .

الفصل العاشر

ومن الترّهات ما رواه رواتهم من أنّ شاعراً أنشد النبيّ الشعر فلما طلع عليهم عمر أمره بالإمساك، فلما ولى أمره بالإنشاد فأنشد وأخذ يتغنى بشعره، وعاد عمر ثانية فعاد النبيّ يأمر الشاعر بالإمساك، ولما ولى قال له: أنشد، فلما عاد قال له: أمسك، فقال الشاعر: من هذا يا رسول الله؟ إذا جاء أمرتني بالإمساك، وإن ذهب أمرتني بالإنشاد، فقال رسول الله: إنه عمر وإنه لا يحب الباطل. لقد حملهم حبّهم لعمر على نسبة الباطل إلى رسول الله فكيف يصحّ هذا أنّ النبيّ

(١) كتاب التمحص لمحمد بن همام الإسکافي: ٤، العوائد والفوائد للسيد مصطفى الخميني: ٤٥، كامل الزيارات: ٢٠١، مناقب ابن شهر آشوب: ٤٢: ٣، بحار الأنوار: ٥٦: ٣٩، مستدرک سفينة البحار: ١٠٢، فتح الباری لابن حجر: ٧: ١٢٦، الجامع الصغیر: ٢: ٤٨٨، کنز العمال: ٢: ١٣٠، رقم ٥٨١٧ و ٥٨١٨ و ١١: ٤٦١ رقم ٣٢١٦٠ و ٣٢١٦١.

يحب الباطل وعمر لا يحبه، وإذا جاز حمل الباطل على النبي في مورد - وحاشاه من ذلك - جاز حمله عليه في كل الموارد، والذي يهون الخطب أنَّ الله سبحانه وتعالى في مذهب القوم فاعل لجميع القبائح والمظالم، والغرض من هذا كله تزويه عمر، وإذا نَزَّهُوا عمر ونسبوا الباطل للنبي وأسمعوا الباطل فلا عجب من سوء مذهبهم، ومع هذا يروون عن عمر قوله: «أحب الأشياء إلى الشعر»، وقال أيضاً: علِمْوا أولادكم الشعر فإنه ديوان العرب ومعرفة أنسابكم وحفظ مناقبكم.

وقيل: إنَّ سارية بن درهم^(١) كان يقاتل في نهاوند وهو القائد على جيش المسلمين فأرسله عمر إلى غزة فغلبه المشركون؛ وهزم عسكره، فعلم عمر وهو في المدينة بما جرى عليه، فناداه: يا سارية الجبل هذا، فسمع سارية والتوجه إلى الجبل^(٢)، فإذا كان سارية سمع صوت عمر مع هذا البعد الشاسع فإنه أفضل من عمر حين أُتي حده السمع هذه.

والغرض من هذا تشبيه عمر برسول الله لما أُخبر عن شهاده جعفر في غزوة مؤتة بوعي من الله وكشف الحجب له وثني من بعده بزيyd بن حارثة ومن بعده عبد الله بن رواحة، وهكذا فعل حين أُخبر عن سارية وأمره باللجوء إلى الجبل. وقالوا: سَيَحُّ الْحَصَى بِكَفِّ عَثَنٍ وَالغَرْضُ مِنْ هَذَا الْاِفْتَرَاء مَسَاوَة عَثَنٍ (البَوَالُ عَلَى عَقْبِيْهِ - المترجم) برسول الله ﷺ ولو كذبوا مئات بلآلافاً لما بلغوا

(١) سَمَّاه ابن قتيبة في مختلف الحديث «سارية بن زنم» ص ١٥٢.

(٢) كنز العمال ١٢: ٥١٧، رقم ٣٥٧٨٩، فيض القدير ٤: ٦٦٤، كشف الخفاء ٢: ٣٨٠، الإكمال لابن ماكولا ٣: ٣٩٥، تاريخ مدينة دمشق ٢: ٣٦٦ و ٢٠، أسد الغابة ٢: ٤٢٤ و ٤: ٦٥، لسان الميزان ٥: ٣٠١، ذكر ذلك استطراداً في حوار بين مؤمن الطاق وأبي حنيفة، الإصابة ٣: ٥، معجم البلدان ٥: ٩٩، تاريخ المدينة لابن شبة ٢: ٧٥٤، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٦، تاريخ الطبرى ٣: ٢٥٤، البداية ٦: ٩٣.

فضل سورة هل أتي وآية المباهلة حيث دعا الله عليه نفسم النبي ﷺ وجاء في ذلك أحاديث شتى مع معجزات جليلة صدرت من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. ولقد بلغت رتبة علي عند الله والناس درجة ادعى بعضهم له الربوبية لعنهم الله وعلى الفرقة التي تعاديه والذين لا يرضون بإمامته بعد الرسول بلا فصل.

ومع ما يستندونه إلى شيوخهم من الترّهات إذا سمعوا مثا في مناقب أهل البيت رفعوا عقيرتهم بنبذنا بقول (رافضي) فيا للعجب نحن الذين نزّه ذات الباري من القبائح وثبت للأنبياء العصمة والأئمّة روافض، وهم الذين يخالفون هذه العقيدة يعتبرون أهل السنة خالصين مسلمين وكذلك يتخيّلون.

وقالوا: أنفق أبو بكر على رسول الله أربعين ألف درهم أو دينار.

الجواب الأول:

إن الله أغنى بيته بفضله عن مال أبي بكر حيث قال: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَنَه﴾^(١).

الثاني: أغناه بالأطفال كما قال الله تعالى: ﴿فَلِلأَنْفَالِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢).

الثالث: بالخمس، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَنِيمَةٌ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خَمْسَةً وَلِرَسُولِهِ﴾^(٣) والصدقة محّرّمة على رسول الله وأهل بيته كما قال: نحن أهل بيت لا تحمل لنا الصدقة.

وقال رواتهم: كانت لأبي بكر راحلتان فأعطي إحداهما لرسول الله في الهجرة فلم يقبلها رسول الله ﷺ وقال: لن أقبلها إلا بشمها فإما أن تبيعها علي أو تؤجرنيها فإني لا أركب بغيراً ليس لي.

(١) الضحى: ٨.

(٢) الأنفال: ١.

(٣) الأنفال: ٤١.

ولقد كان أبو بكر أفقر بيت في أهل مكة، وكان معلمًا للأطفال آداب المهاجرة، وكان سمساراً كما زعم الشعبي ويسعى الكرايس، وأبوه صياداً، فلن أين جاءته هذه الثروة ليت شعري. وكان أكثر أهل مكة قوم من الفقراء: **﴿وَإِنْ خَفْتُمْ عَيْنَةً فَسَوْفَ يُغْنِيْكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾**^(١).

ولما تلى أمير المؤمنين سورة برأة على أهل الموسم ونهى المشركين من الطواف في الكعبة ومنعوا من زيارتها، شكى أهل مكة الفقر وقالوا: كنا نؤمن حاجتنا من نفقات الزوار فأعطاهم الله تعالى الجزية المستوفاة من اليهود والنصارى وجعل ذبح المهدى لازماً، وأعطي للقانع والمعرى من فرائهم.

وتوجه المدح من الله إلى فقراء المهاجرين في كلّ موضع أثني فيه على الصحابة: **﴿إِنَّفَقَرَاءِ الْمَهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾**^(٢)، وقال: **﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِنْخَافَهُ﴾**^(٣) وقال: **﴿إِنَّيُؤْمِنُ أَكْفَلْتُ لَكُمْ بَيْنَكُمْ وَأَنْتَمْ عَلَيْكُمْ بِعَمَّتِي وَرَضِيَتِي لَكُمُ الْإِسْلَامُ وَبِيَنَكُمْ﴾**^(٤).

وقال رسول الله ﷺ على المنبر في آخر عمره: اللهم هل بلغت، ويظهر من قول النبي ﷺ هنا أنه لم يتوان عن التبليغ ولقد بلغ الأمر والنهي والحلال والحرام والشرائع بجملها، فلا مجال حينئذٍ للقياس والاجتهاد والاستحسان وهي أمور باطلة وعلل شرعية مندكة في قوله تعالى: **﴿وَمَنْ لَمْ يَخْحُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾**^(٥).

(١) التوبة: ٢٨.

(٢) الحشر: ٨.

(٣) البقرة: ٢٧٣.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) المائدة: ٤٤.

فالله واحد، والنبي واحد، والشريعة واحدة، ولكن قضى عليهم القياس أن يتفرقوا إلى مذاهب كأنهم لم يقرؤوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالذِّينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُقُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكُمْ النَّبِيُّنَاتُ﴾^(١) فأبطلت هذه الآية كل اختلاف جاء بالطوائف والفرق لأن الحق واحد لا يتجزأ، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٣).

وقالوا: قال رسول الله ﷺ: اختلاف أمتي رحمة، وهذا من العجائب أن يكون اختلاف الأمة رحمة واتفاقها واتحادها ليس رحمة، ولا حرج عليها من الاختلاف، وفي الحديث: من حكم في وزن عشرة دراهم فأخطأ حكم الله يجيء يوم القيمة مقطوعاً يداه..

ونقيض هذه الرواية صحة الاجتهاد: إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإذا اجتهد فأصاب فله أجران^(٤)، وقالوا: كل مجتهد مصيب^(٥)، ولما انكشفت تناقضات أئمتهم للملأ اخترعوا مثل هذه الأحاديث ليغطوا على أخطائهم فأضلوا أنفسهم.

والعجب من هؤلاء أئمتهم يعتقدون كل من اجتهد في مسألة في العالم مصيبة إلا

(١) آل عمران: ١٠٥.

(٢) يونس: ٣٢.

(٣) النساء: ٨٢.

(٤) الأم للشافعي ٢١٦:٦ و ٧:٩٩، الرسالة للشافعي: ٤٩٤، مختصر المزني: ٢٩٩، مجموع التوروي ٣: ٥٣، مغني المحتاج للشريبي ٤: ٣٧٢، فتح المعين للهندي ٤: ٣٩، البحر الرائق ٧: ٧٦، المغني لابن قدامة: ٢٧، المحلى لابن حزم ١: ٦٩ و ٧٠، سبل السلام ٤: ٧٧٨ وقال: متفق عليه، مستند أحمد ٤: ١٩٧، صحيح البخاري ٨: ١٥٧، صحيح مسلم ٥: ١٣١.

(٥) روضة الطالبين ٧: ٤٢١، حواشى الشرواني ١: ٥٠، المبوسط للسرخسي ١٠: ١٩١ و ١٢: ٦٩، المحلى لابن حزم ١: ٧٠، بداية المجتهد لابن رشد ١: ٥١.

الأئمة الشيعة وعلمائها كالإمام زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى ابن جعفر وعلي بن موسى وأمثالهم عليهم السلام مع أنهم أهل العصمة والطهارة ومن أهل البيت النبوى فإنهم لم يذكروا لهم مسألة واحدة في أصل أو فرع.. ومع علمهم أيضاً بأن علمائهم كأبي حنيفة والشافعى من تلامذة الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء أن يكون اجتهد السقى حقاً واجتهد الإمام الصادق الذى روى عنه أربعة آلاف راوٍ موثق منهم أبو يزيد البسطامى وأبو حنيفة الكوفي، سبحان الله ! ما أعظم هذه العداوة لهذه الضلالة مع عترة الرسول، مع أنه ورد في كتابهم بأن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال : إني مختلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بها لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي . وقال عبدالله بن عباس : أول من قاس إبليس ، وقال النبي : «أهل بيتي .. الحديث» وكذلك قال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتى ^(١) .

ومع ما يروون من هذه الأخبار الآخذة بالأعناق يتمسكون بأذيال الشافعى وأبي حنيفة ومالك وابن حنبل بنشر للظالمين بخلافه ^(٢) ، ولم يلقو بالأخبار العترة من الأئمة المعصومين عليهم السلام ويرونها من أخبار الآحاد وما يرويه أبو هريرة أو المغيرة أو أبو موسى الأشعري فهو حق ومتواتر مع أنهم يقولون عن النبي أنه قال لأبي هريرة : إن فيك شعبة من الكفر ^(٣) ، وزنى المغيرة وشهد عليه ثلاثة عند عمر ،

(١) كشف الغطاء للشيخ جعفر ١: ٨، فقه الصادق ٧: ٣٧٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٠، مقتضب الأثر للجوهرى ١٥، التعجب ٦٥، الاحتجاج ٣: ٤٨، العمدة ٣٠٨، الطراف ١٣١، شرح الزيارة الجامعة للشتر ١٨١، خلاصة عبقات الأنوار ١: ٤٨١ و٣١٥ و٣١٨، المستدرک للحاکم ٤: ٢٢٧، المعجم الأوسط ٤: ٤٤٨ و٣: ١٤٩.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) جاء الخبر في مجمع الزوائد هكذا: عن أبي هريرة قال: سببت رجلاً في الإسلام بأم له في

وأخاف عمر الرابع فكتم الشهادة وتجلج بها لأنّ المغيرة صاحب عمر واجتمعت سلحة الرجلين على بعض على طلاقاً، وهدد الشاهد وأرهبه حتى دفع شهادته، وقال النبي عن أبي موسى: إنه إمام الفرق المذهبية (كذا).

وهم يروون عن حذيفة وعن سليمان عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: ستفرق أمتي على ثلاث فرق: فرقة على الحق لا ينقبض الباطل منها شيئاً، يحبونه ويحبون أهل بيتي، مثلهم مثل الذهب الحمراء أو قد عليها صاحبها فلم تزد إلّا خياراً، وفرقة على الباطل لا ينقبض الحق منها، يبغضونه ويبغضون أهل بيتي، مثلهم مثل الحديد أو قد عليه صاحبها فلم تزد إلّا شراراً، وفرقة مذهبة فيما بين هؤلاء وهؤلاء يقولون لا مساس إمامهم الأشعري.

ويروون أيضاً عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: ما وليت أمّة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا...^(١). ومع هذه الرواية فقد تركوا عليناً وهو الأعلم واختاروا غيرهم وهم جهال وسوف يرجعون في عهد صاحب الزمان إلى ما تركوه.

۞ الجاهليّة فاستعدى علي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: فيك شعبة من الكفر. فلما ذكر الكفر اضطربت رجلاً فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أسبّ مسلماً بعده أبداً^(٢).

(١) مستدرك الوسائل ١١: ٣٠، كتاب سليم بن قيس: ٢٠٥، المسترشد: ٦٠٠، كنز الفوائد للكراجكي: ٢١٥، التعجب له: ١٤، الأمالي للشيخ الطوسي: ٥٦٠، الاحتجاج ١: ٢١٩، حلية الأبرار ٢: ٧٧ و ٨٠، مدينة المعاجز للبحرياني ٢: ٨٧، بحار الأنوار ١٠: ١٤٣ و ١١٣: ٢٧، الغدير للأميني ١: ١٩٨، ينابيع المودة ٣: ٣٦٩، الأنوار العلوية: ٣٣٦، صحيفة الإمام الحسن: ١٨٤.

الفصل الحادي عشر

في بيان جانب من الواقع والظلمات التي أنزلوها في آل الرسول ﷺ

اعلم بأنّ الرجال أكثر عطفاً على النساء في جميع قضيّاتهم، وبناءً على هذا فإنّ فاطمة ؓ مع جلالة قدرها وقربتها من رسول الله وقرب عهدها منه خرجت تستغيث من ظالمهم بهم واحداً واحداً فما أجاها واحد منهم . ولما خرجت عائشة تزيد قتل على وحسين وحسين ؓ اجتمع عليها ألف من المهاجرين ، وكان غرضهم من سلب الخمس منهم تركهم فقراء ملقين لثلا يجتمع الناس عليهم .

قال أبو بكر لفاطمة : ايتيني بأحمر أو بأسود ليشهد لك مع أنها صاحبة اليد وهي المتصرفة ، وجاءت أبو بكر بعلي وحسين وحسين وأم أمين يشهدون لها ، فقال أبو بكر : على وولدها يجررون النار إلى أقراصهم ، وأم أمين امرأه ، ولقد سمع رسول الله ؓ يقول : على مع الحق والحق مع على اللهم أدر الحق معه حيثا دار ، وقال في حق الحسن وحسين ؓ : الحسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنة وهذا إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منها^(١) .

وقال في حق فاطمة ؓ : فاطمة بعضة مني ، من آذها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، وإن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها^(٢) .

(١) بحار الأنوار ٣٩: ٩٠، الإمام علي للرحماني: ٣٠٦ و ٣٥٠، كنز العمال ١٢: ١٢٢ رقم ٣٤٢٩٣ وجميعها خلت من جملة: هما إمامان قاما أو قعدا، وهي كما أعلم حديث مستقل.

(٢) فوائد الأحكام للحلبي ١: ١٢٢، مسند زيد: ٤٥٩، أمالى الصدوق: ١٦٥، كفاية الأثر: ٣٧ و ٦٥، ذخائر العقبي: ٣٧، الصراط المستقيم ١: ١٧٠ و ٢: ١١٨ و ٢٨٢ و ٢٨٩، فضائل الصحابة

وقال في حق أم أيمن: أنت على خير أو إلى خير.
ولم يمض طويلاً وقت حتى جاءه مال من البحرين وكان جابر بن عبد الله الأنصاري إلى جانبه فقال له: يا أبا بكر، قال رسول الله ﷺ: إذا أتاني مال البحرين حبوت لك^(١)، فاستدناه أبو بكر وحتى له من ذلك المال الذي في كل درهم منه حق لفقر وسهم لجائع ثلاثة حثوات، بلا حاجة أو سبب، ولم يطالبه بشاهد واعتقد صدقه.

والعجب أنهم يرون أبا بكر مصيباً ويرون المعموم وقد شهد له المعموم مخاطئاً وكاذباً مع أنَّ عدداً من الآيات تدلُّ على صدق فاطمة ؑ وصحَّة دعواها.
ها هنا أعطى مال المسلمين لآخر بدون بيتة، وهنا غصب مال المستحق مع وجود البيتة، وفي كلام الحالين ادعَت فاطمة ملكية أرض أخْلَهَا إِيَّاهَا رسول الله ؑ وادعَى جابر وعد رسول الله وطلب إنجازها، وتلك صاحبة اليدين ودعوى جابر خارجة عن التصرُّف؛ فاعتبروا يا أولى الألباب.

وكذلك لما ادعى سعد بن زيد زعم أنَّ النبي ﷺ شهد لجماعة بالجنة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة^(٢) ولم يشهد له أحد من الصحابة بصحة ما قال ولم يصدقه أحد، ومع كونه

❸ للنسائي: ٧٨، مسنده لأحمد ٤: ٥، صحيح البخاري ٤: ٢١٠ و ٦: ١٥٨، صحيح مسلم ٧: ١٤١، سنن ابن ماجة ١: ٦٤٤، سنن أبي داود ١: ٤٦٠، سنن الترمذى ٥: ٣٥٩، المستدرك ٣: ١٥٩، والمذَّفَ ذكر حديثين في سياق واحد، والثاني: إنَّ الله يغضُّب لغضب فاطمة، الحديث وأخرجه زيد في مسنده: ٤٥٩، عيون أخبار الرضا ١: ٥١، بتابع المؤذنة ٢: ٥٦، اللمعة البيضاء: ١٢٣، ونسبة صاحب حقوق أهل البيت الشيخ محمد حسين الحاج إلى كنز العمال ١: ٢١٩.

(١) لعلها حبَّوت لك.

(٢) لم يرشح للجنة مثل عمَّار والمقداد وسلمان وخباب بن الأرت وسعد بن عبادة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر، ورشح لها هؤلاء، إنَّ هذا الأمر عجيب!

ادعى هذه الدعوى للحصول على النفع والجاه لأنّه منهم وهو شاهد لنفسه فقبل قوله ولم يردوا دعواه، وردوا دعوى فاطمة وما علموا أنّ مال الزوج والزوجة لا يصل إلى الأولاد إلا بالميراث أو التحليـة، وكلّ الناس يرث بعضهم بعضاً.

ويشهد على السابق إلى الإيمان والإسلام الذي لم يشرك بالله طرفة عين، وسبق الناس بالعلم والزهد بعد رسول الله أباً أمّاً شرك ستّاً وأربعين عاماً من عمره، وقدّم عبادة الأصنام على عبادة الله، وأكل لحم الخنزير طول عمره ولم يكن ذا علم أو عمل صالح أو ورع، وكان يتلّكاً عن الجهاد وهو أثقل عليه من الموت، وإذا سبق إلى الجهاد كأنّه ونظرائه يساقون إلى الموت، وتواتت عزائمه ونكث عهـد رسول الله ﷺ، ورجل هذه صفاتـه يردّ شهادة على ﷺ !!

ولا تعجب منه واعجبـ من الأوّيـاش الذين يشـتون له الإمامـة ويروـنـه مصيـباً، ويرـونـ مثلـ علىـ مخطـطاً، وكذلكـ يـرونـ أنـ عليـاً طـلبـ ماـ ليسـ لهـ .

والأعـجبـ منـ هـذاـ أـنـهـمـ يـجـرـدونـ النـسـاءـ منـ كـلـ عـلـمـ لـاسـيـاـ عـلـمـ الفـقـهـ وـيـقـولـونـ هـذـاـ وـقـعـتـ فـاطـمـةـ فـيـ الـخـطـأـ وـالـسـهـوـ،ـ يـقـولـونـ هـذـاـ عـنـهـاـ وـهـيـ مـعـصـومـةـ،ـ وـيـقـولـونـ عـنـ عـائـشـةـ بـأـنـ النـبـيـ قـالـ فـيـ حـقـهـ:ـ خـذـواـ ثـلـثـ دـيـنـكـمـ عـنـ عـائـشـةـ لـاـ بلـ خـذـواـ دـيـنـكـمـ كـلـهـ عـنـ عـائـشـةـ^(١).

سبـحانـ اللهـ وـيـاـ للـعـجـبـ أـنـ تـكـوـنـ بـنـتـ أـبـيـ بـكـرـ عـالـمـةـ إـلـىـ هـذـاـ الحـدـ وـبـنـتـ رـسـولـ اللهـ وـزـوـجـ عـلـيـ وـأـمـ الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ جـاهـلـةـ -ـ حـاشـاهـاـ -ـ إـلـىـ درـجـةـ لـاـ تـعـرـفـ مـسـأـلـةـ وـاحـدـةـ،ـ مـاـ أـصـلـفـ هـؤـلـاءـ الـقـوـمـ وـمـاـ أـقـلـ حـيـاءـهـ !

ويـقـولـ الـخـصـمـ عـنـ عـلـيـ أـنـهـ بـابـ مـدـيـنـةـ عـلـمـ الرـسـوـلـ،ـ وـمـعـ وـفـورـ عـلـمـهـ لـاـ يـعـرـفـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ مـعـ أـنـهـمـ يـعـقـدـونـ فـيـ الـمـرـشـدـ لـأـبـيـ بـكـرـ وـعـمـ وـعـثـانـ،ـ وـيـزـعـمـونـ أـنـ

(١) التعجب: ١٥. وما زال الرجل يغير غارة شعواء على صاحب التعجب فيأخذ منه العبارات الطويلة ويطعم بها كتابه.

النبي لم يعلم فاطمة عن حاها في النحلة والميراث ولا أعلم غيرها من أهل بيته مع أن الله تعالى يقول : «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»^(١) ، ومن العجب أن يعلم ويؤدب بنات الأمة ويترك آله وذويه على طرف الجهل مع أن الله تعالى يقول : «وَأَمْرَأَهُنَّ بِالصَّلَةِ»^(٢) وقال : «أَنْفَسْكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا»^(٣) الآية ، وقال رسول الله ﷺ : بعثت إلى أهل بيتي خاصة وإلى الناس عامة^(٤) . فنسبوه إلى التقصير في تبليغ الوحي مع أنه جرت عادته إذا أراد سفراً أن يذهب إلى بيت فاطمة ويطيل المكث فيه ، ثم يخرج منه إلى مقصده تيمناً وتبركاً به ، وإذا عاد من سفر بدأ ببيت فاطمة عليها السلام ثم يخرج منه إلى باقي نسائه .

والعجب أن الرجل يطلب من فاطمة البيتنة على دعواها ثم يأتي بفرية «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» فلا يطالب نفسه بالبيتنة على ما ادعاه ، وفي القرآن عدة مواضع ترد هذه الافتراء ، وهذا تحامل على أهل البيت وغمز في دين الرجل . ومن عجائب الأمور تأتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ تطلب فدكاً وتظهر أنها تستحقها فيكذب قوله ولا تصدق في دعواها وترد خاتمة إلى بيتها ، ثم تأتي عائشة بنت أبي بكر تطلب الحجرة التي أسكنها بها رسول الله ﷺ وتزعم أنها تستحقها فيصدق قوله وتقبل دعواها ولا تطالب بيته عليها ، وتسلم هذه الحجرة إليها فتصرّف فيها وتضرّب عند رأس النبي ﷺ بالمعاول حتى تدفن تيمأ وعدياً فيها ..^(٥) .

(١) الشعراو: ٢١٤.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) التحرير: ٦.

(٤) التعجب: ٥٤.

(٥) رأيت عبارة صاحب التعجب أرشق وأجمع والمؤلف أخذ عبارته منه يدل على ذلك قوله : «كلنگها کشیدند» قابل بها جملة وتضرّب عند رأس النبي عليه السلام بالمعاول ، انظر ص ٥٦ من التعجب .

والأعجب من هذا لما انتقل الحسن إلى الرفيق الأعلى وصى بحمله إلى جده في روضته بعد تغسيله ليجدد به عهداً ثم منه ينقل إلى البقع ويُدفن هنالك عند جدّه فاطمة بنت أسد^(١) ولما حملوا نعشة وأمّوا به روضة النبي ﷺ ركبت الغازية المحايدة عائشة على بغلتها واستدعت مروان مع جيشه الأموي وقالت: لا ندعهم يدفونه عند قبر جده (لا تدخلوا بيتي من لا أحب) فقال عبد الله بن عباس: الحسن أجلّ شأنًا من ذلك، وأن يؤذى رسول الله وهو في قبره بضرر المعاول عند رأسه ولكنّه طلب تجديد العهد بجده بدخوله الروضة، فخاخصت عائشة عبد الله على ذلك، وقالوا: إنّ عائشة أخذت من مروان قوسه ثمّ رشقت جنازة الحسن بالنبل.

تجملت تبقلت ولو عشت تفقلت للك الشّعْن من الشّعْن فهي كلّ تقطعت وأعجب من هذا أنّهم غصباً نحلاة فاطمة التي أعطاها رسول الله لها وأولادها ونبيوا الخامس الذي هو حقّها وحقّ زوجها وأولادها وطعنوا في القرآن الكريم بأنّه منسوخ وتركوا أولاد فاطمة لا يملكون عيشة الكفاف وفي أضيق حال فلم يصلهم أحد على الجوع والغرى إلاّ نفر صالح مظلوم مثلهم من المؤمنين وأقرّوا لعائشة وحفصة اثني عشر ألف درهم في كلّ سنة لكلّ واحدة ستة آلاف، بعث إمام مثل هذا يوم المسلمين وبعث خليفة رسول الله يجتمع ابنة رسول الله وأولادها.

(١) هذه العبارة مسلوحة من عبارة التعجب وإليكمها: ثمّ تمنع الحسن بن رسول الله بعد موته منها ومن أن يقربوا سريره إليها وتقول: لا تدخلوا بيتي من لا أحبه وإنما أتويا به ليبرك بوداع جده فصّدّته عنه (ص ٥٦).

الباب الخامس والعشرون

في ذكر عائشة وطلحة والزبير على طريق الإيجاز

اعلم أنَّ ابن وائلة أبا الطفيلي عامراً يقول: سمعت من أمير المؤمنين يقول: سمعت رسول الله ﷺ وسمعته عائشة أيضاً: لعن أهل الجمل وأصحاب صفين وأهل النهر والنهران. قال عمر: سمعت هذا من أمير المؤمنين ﷺ يقوله في البصرة بعد ظفره بأصحاب الجمل فخرجت منه ودخلت على عائشة وسألتها الخبر، فقالت عائشة: وأنا أيضاً سمعت ذلك من رسول الله ﷺ كما سمعه عليٌّ ولكنني لست من أهل الجمل، وظهر عليها الحباء والانفعال.

وروي عن الإمام الصادق ع(١) قال رسول الله ﷺ: إنَّ امرأة موسى ع(٢) (صфорاء بنت شعيب) خرجت على وصييه يوشع بن نون، فظفر بها فأشار عليه من حضر بما لا ينبغي فيها، فقال: أبعد مضاجعة موسى لها؟ ولكن أحفظه فيها.. (٣) ثم قال النبي ﷺ: وإني لأخشى أن تخرج واحدة من نسائي على وصيي من بعدي وتقاتله فيظفر بها ويأسرها فيحسن أسرها. فشاع الخبر بين أزواج

(١) الرواية عن أبي جعفر الباقر ع.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ١٧٩، مستدرك سفينة البحار: ٣٢٨، بحار الأنوار ١٣: ٣٦٩.

النبي ﷺ فذهبت جماعة منهن إلى النبي ﷺ وقلن له: ادع الله لنا أن لا تكون الخارجة إحدانا. وقال: عليكم بتقوى الله ولا ترکن الجمل بعدي وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى.

ثم قال النبي: والذي يعثني بالحق نبياً إن جبريل أخبرني بأن أصحاب الجمل ملعونون على لسان كلّ نبيٍّ بعثه قبله وقد خاب من افترى.

وجاء أمير المؤمنين إلى النبي على الفور فلما رأه النبي ﷺ قال: يا علي، إنك المظلوم بعدي، ثم أقبل على أصحابه وقال: أشهدكم أنّي سلم من سالمه، وحرب من حاربه، وأقبل عليه وقال: من حاربك فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله، ومن فارقك فقد فارقني ومن فارقني فقد فارق الله.

نكتة:

اعلم أنّ في مذهب الشيعة يكفر من خرج على أمير المؤمنين أو آذاه عامداً قاصداً وهو من أهل النار، والدليل على ذلك أنّ أهل اليمامة لما خرجو على أبي بكر حكم عليهم بالارتداد والكفر في مذهب مخالفينا فكذلك الخارج على إمامنا في مذهبنا، والخبر كما يلي:

لما استخلف أبو بكر أرسل الجباة لجمع الزكاة، فقال الناس: نحن في زمن النبي كنّا نطعمها فقراء قبائلنا ومساكينها وسوف نفعل بها اليوم ما فعلناه أمس، ولو أننا أعطينها لغيرنا فلا ندفعها إلا لمستحقّها وهو خليفة رسول الله والقائم مقامه، وأنت لست من ذلك في شيء وإنما تأمرت على الأمة بظلم وب بدون رضاها، ولم ينطقو بأكثر من هذا ولم يحاربوا أحداً ولم يشتموا مسلماً ولم يسلوا سيفاً في الإسلام، فبعث أبو بكر خالداً بن الوليد ومعه عسكر جرار، فلما بلغهم بعسركه خرجو من بيوتهم ليدفعوا شرّ خالد عنهم فأذن المؤذن ولما سمعوا الأذان وضعوا السلاح ومالوا إلى أداء الصلاة، فامتنع العسكر من مقاتلتهم فصاح فيهم خالد

وأمرهم بالهجوم على القوم وهم في حال الصلاة، فقتلوا المقاتلة وأكثراهم (راكعين وساجدين متوجهين إلى الله وإلى قبته ..) فاستأصلوهم وقتل خالد مالكاً بن نويرة وكان رئيسهم ووضع رأسه أثني عشر قدر بين هب النار، وزنى في تلك الليلة بزوجته، وأسروا النساء والأطفال من تلك القبيلة فلما علم عمر بواقع الحال أشار على أبي بكر أن يحدّ خالداً.. فقال أبو بكر : خالد سيف من سيف الله^(١).

ونقول هنا: إنَّ ما استحقه أهل الياء على كلمة واحدة قالوها كان أولى منهم بهذا أهل الجمل الذين ساروا من بلد إلى بلد قاصدين حرب إمام المسلمين وحجة الله علىخلق أجمعين وسلوا السيف في وجهه ونكثوا عهده وبيعهه، وأنكرا إمامته، فأظفر الله تعالى أمير المؤمنين عليهما السلام فقتلهم الله وخذلهم.

إذن كما زعم الخصم بأنَّ أهل الياء ارتدوا وهم يقررون بالتوحيد والعدل ونبأة محمد عليهما السلام فإنَّ طلحة والزبير وعائشة كانوا كذلك. وقال المعتزلة: لقد تاب القوم ورووا عدداً من الأخبار لا تدلُّ على توبتهم.

نكتة:

روي أنَّ الشيخ المفيد أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعيم حضر مجلس قاضي القضاة في بغداد وكان يستمع إلى درسه، وكان الشيخ صبياً، فجاء رجل إلى مجلس قاضي القضاة وقال له: أيها القاضي، يروى بأنَّ رسول الله عليهما السلام نص يوم غدير خم على إمامية على عليهما السلام وخلافته ولكنَّ علياً لم يقم بالأمر بل قام به أبو بكر أي كان غاصباً لإمامته.

قال القاضي: أيها السائل، النص على عليٍّ روایة وخلافة أبي بكر درایة (والعلاق لا يترك الدرایة للروایة).

(١) لم يقصد عمر بذلك وجه الله أو تشبيداً وتأييداً للحق بل خاف من خالد أن يتقوى به أبو بكر فيعرض عن عمر ويفوته شطر الضرع.

فسمع المفید هذا فصبر قليلاً حتى انقضى المجلس وبقي القاضي وحده فالتفت إلى الشیخ وقال: ألمك حاجة أیها الصبی؟ فقال: إن أذنت لي، فقال القاضی: هات، فقال الشیخ: روی بأن طلحة والزبیر حاربا علیاً في البصرة فكيف كانت الحال وعلى خلیفة؟

قال القاضی: أیها الفتی، لا شک في وقوع الحرب ولكنهم تابوا. قال الشیخ: أیها القاضی، الحرب درایة والتوبۃ روایة، والعاقل لا يترك الدرایة للروایة.

قال القاضی: من أنت أیها الفتی؟

قال الشیخ: محمد بن محمد النعمان، فقال القاضی: أنت المفید حقاً، فاشتهر الشیخ بالمفید من يومئذ^(۱).

نأی إلى حکایتنا: ولما قتل طلحة في الحرب بيد مروان لعنه الله فيكون تصور التوبۃ له من نوع الحال مع أن الخبر اشتهر عن أمیر المؤمنین أنه مرّ على طلحة فامر بإجلاسه فلماً فعلوا، قال: يا طلحة، وجدت ما وعدك ربک حقاً وقد وجدت ما وعدني ربی حقاً.

وقيل: لما مرّ به قال: لقد كان لك برسول الله صحبة لكن الشیطان دخل من منخر يک فأوردك النار.

وكتب إلى عمال الأقاليم عن الفتح بانعارة التالية: إن الله قتل طلحة والزبیر على شقاومها وبغيهما ونكثهما، فهزم معهما وردّت عائشة خاسرة..^(۲). ولو كان للتبوۃ أثر في نفوسهم لم ينشر أمیر المؤمنین هذا الكلام على الملا.

(۱) راجع لهذا كتابنا حجۃ الشیعة الكبرى: ۳۵ - ۳۷.

(۲) الفصول المختارة: ۱۴۲.

وإذا استطاع المخالف الحديث عن توبه طلحة وهو في حالات النزع فإنّ خصمه بإمكانه القول بتوبة أبي جهل وإسلامه وهو ينارع سكرات الموت . ومثله يقال في جميع الكفار والمنافقين والفساق ، فلا بدّع أن تحدث عندهم حالة التوبة التي حدثت عند طلحة وهو في ساعة الموت يعاني السياق والنزع فلا يمكن الحكم بـكفر كافر ولا فسق فاسق بناءً على هذا المذهب .

والمخالف يروي عن النبيّ أَنَّه قال : يَا عَلِيًّا ، إِنَّكَ سَتُقَاتِلُ بَعْدِ النَّاكِثَيْنِ وَالْقَاطِنِيْنَ وَالْمَارِقِيْنَ^(١) . وهذا دليل على أنّ الْقَوْمَ هُلْكُوا عَلَى بَغْيِهِمْ وَظُلْمِهِمْ ، وَمَنْ مَاتَ بَعْدَ التَّوْبَةِ لَا تَطْلُقُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ نَظِيرَ النَّكَثِ وَمَا عَدَاهُ .

وأشتهر عند العلماء كذلك بـأنّ عائشة امتنعت من الذهاب إلى المدينة وكان الإمام ينصحها فلا تقبل ، فأمر عبد الله بن عباس بأن يرحلها إلى المدينة ، وما سرت علىّاً أميراً المؤمنين إلى أن ماتت ، ومن سماه أمامها بهذه الاسم ظهر الامتعاض على وجهها (العنة الله عليها - المترجم) .

روى الواقدي - وهو ناصبي عثاني - أَنَّ عَمَّاراً بْنَ يَاسِرَ زَارَ عَائِشَةَ لَمَّا عَادَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهَا : يَا عَائِشَةَ ، كَيْفَ رَأَيْتِ ضَرْبَ بَنِيكَ عَلَى الْحَقِّ^(٢) ؟ فَقَالَتْ عَائِشَةَ :

(١) رسائل المرتضى ١: ٣٤٥ و ٣: ١١٠ ، الاقتصاد للطوسى : ١٨١ ، تذكرة الفقهاء ١: ٤٥٢ ، المستدرك ٣: ١٣٩ - ١٤٠ ، مجمع الرواند ٥: ١٨٦ و ٦: ٢٢٥ و ٧: ٢٢٨ بطريقين ، مسنن أبي يعلى ١: ٣٩٧ ، المعجم الأوسط ٨: ٩ و ٩: ١٦٥ ، المعجم الكبير ٤: ١٧٢ و ١٠: ٩١ و ٩٢ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديدة ٩: ٢٠٦ و ١٣: ١٨٣ و ٢٨٧ ، كنز العمال ١١: ٢٩٢ رقم ٣١٥٥٢ ، ضعفاء العقيلي ٣: ٤٨ ، الكامل في الرجال ٢: ١٨٨ و ٢١٩ ، علل الدارقطني ٥: ١٤٨ ، تاريخ بغداد ١٣: ١٨٨ ، تاريخ مدينة دمشق ٤: ٤٦٨ و ٤٦٩ بطرق عدّة ، أسد الغابة ٤: ٣٣ بثلاث طرق ، ميزان الاعتلال ١: ٢٧١ ، لسان الميزان ٢: ٤٤٦ ، سبل الهدى والرشاد ١٠: ١٥٠ و ١١: ٢٩٠ ، لسان العرب ٧: ٣٧٨ .

(٢) صحفها المزلف إلى «بنيك» وترجمتها هكذا: جون ديدى ضرب بغمبر تو رابر حق، ولها وجه.

يا عمار، أجل، إنك غلبت في أصحابي...^(١) فقال عمار: استبصاراً من ذلك، والله لو ضربتمونا حتى تبلغونا سعفatas هجر لعلمنا أننا على الحق وأنكم على الباطل..^(٢) فقالت عائشة: هذا تخيل إليك يا عمار أذهبت دينك لابن أبي طالب.

ذكر الطبرى: لما انتهى إلى عائشة قتل على عبيدة قال:

فألفت عصاما واستقر بها النسوى كما قرء علينا بالأيات المسافر

فنقتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب

وهذه الجملة تدل على إصرارها على ذنبها.

وجاءت الرواية على أنها أبنت الذهاب إلى المدينة، فقال عبد الله بن عباس:

دعها في البصرة، فقال عليهما: إنها لا تألو اشتراً ولكنّي أردّها إلى بيتها.

وروى محمد بن إسحاق أنها وصلت إلى المدينة راجحة من البصرة لم تزل

تحرّض الناس على أمير المؤمنين عليهما وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن

البحري تحريضهم عليه^(٣).

سؤال:

وهذه أخبار آحاد.

(١) الاقتصاد للطوسي: ٢٢٨، الأمالى للطوسي: ١٤٣، ويؤكد أن اللفظة «بنيك» جمع قوله من بعدها دون دينهم بالسيف، الصراط المستقيم ٣: ١٦٢، بحار الأنوار ٣٢: ٢٦٦، خلاصة عقبات الأنوار ٣: ٣١، الفتنة وقعة الجمل لسيف بن عمر الضبي: ١٧٢، الدرجات الرفيعة لعلي بن معصوم: ٢٦٧، تاريخ الطبرى ٣: ٥٣٩، الجمل للشيخ المفيد: ١٩٧، بشارة المصطفى لمحمد بن علي الطبرى: ٤٣٤.

(٢) ترجم سعفatas هجر ترجمة خاطئة.

(٣) الاقتصاد للطوسي: ٢٢٩، الاحتجاج ١: ٢٤١، بحار الأنوار ٣٢: ٣٦٧.

جواب:

وأخباركم ضعيفة أيضاً، بل أضعف منها لأنكم انفردتم بروايتها، أما الشيعة فقد رواها معهم خصومهم النواصب وهي مروية في كتبهم، غاية الأمر أننا نعارض خبراً مع خبر فيتساقطان ويبقى الأصل على حاله وهو فسق القوم ومعصيتهم بل كفرهم عند الشيعة.

ولما جاء ابن جرموز برأس ابن الزبير وسيفه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: سيف طلما جلى به الكرب عن وجه رسول الله عليه السلام ولكن الحين ومصارع السوء.

وقال أمير المؤمنين: والله لقد علمت صاحبة المودج أن أصحاب الجمل ملعونون على لسان النبي الأممي وقد خاب من افترى ^(١).

وروى البلاذري بإسناده إلى جويرية بن أسماء قال: بلغني أن الزبير لما ولّ اعترضه عمّار بن ياسر وقال: أبا عبدالله، والله ما أنت بجبان ولكنّي أحسبك شككت فقال: هو ذاك، والشك خلاف التوبة.

وكذلك قال طلحة في حال النزاع: ما رأيت مشرع شيخ أضيق من مشرع عي.. فلو كان قد تاب لما ضاع مشرعه.

سؤال:

روي أن طلحة لما أحس بالموت قال:

ندمت ندمة الكسعي لما رأت عيناه ما فعلت يداه

جواب:

هذا يدلّ على الندم ولا ينفع الندم، إنما ندم لأنّه استشعر الخسران، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَسْتَ التُّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ إِنِّي تُبَثَّ

(١) الاقتصاد للطوسى: ٢٢٨، بحار الأنوار ٣٢: ٣٣٥ واقتصر على الرواية الأولى.

الآن^(١) ، وقال في حق فرعون : « آلان وَقَذْ عَصِيتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ »^(٢) . والذى ورد عن عائشة لا يدل إلا على شعورها بالذنب وعلى حيرتها وليس على التوبة والرجوع إلى الحق كما ثمنت الموت لأنها رأت بعينيها هزيمة جيشها وقد انها الظفر على حجة الله كما قالت مريم عليه السلام : « يَا لَيْتَنِي مِثْ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتَ شَرِيْاً مَّشِيْتَنِي »^(٣) وما قالت ذلك مريم لأنها عصت الله وإنما قالت ذلك لما يقابلها به الناس من سوء الظن والرجم بالغيب مما لا أساس له ، إذاً ليست المرأة تائهة بل قالت ذلك لما فاتها ما كانت تحلم به . وقالوا : إن الإمام قال يوم الجمل : وددت أني مث قبل اليوم بعشرين سنة^(٤) لأنني لا أرى من الرعيي مساعدة أو شد أزر وبذل مال وجهد .

وأيضاً طرأ على بال عدد من الجنّال عن هذه الحرب هل هي جائزة ومأذون بها أو لا ؟ مع أنها كانت بإذن النبي ﷺ ، وأجمعت الأمة على أن النبي ﷺ قال لعمار : تقتلك الفتنة الباغية ، وقاتلته معاوية .

وأما رجوع الزبير عن الحرب فلا يدل على ندمته ولا توبته ، لأنّه لو تاب لانضم إلى عسكر أمير المؤمنين وقاتل معه بل كان قتاله مع عائشة ولكنه رأى

(١) النساء : ١٨ .

(٢) يونس : ٩١ .

(٣) مريم : ٢٣ .

(٤) المستدرك : ٣٧٣ والرواية كما يلي : أجلس علي طلحة يوم الجمل فمسح التراب عن رأسه ثم التفت إلى الحسن بن علي فقال : وددت أني مث قبل هذا بثلاثين سنة .. وأنا - المترجم - لا أزيد على قول كلمة واحدة : اللهم إني أسألك بجلال وجهك الكريم أن تجعل دم طلحة في عنقي ؟؟ المصطفى : ٨ ، أنساب الأشراف : ٣٢٤ ، تاريخ ابن خلدون : ٢ : ١٦٤ وهو يروى الكلمة لعائشة وال الصحيح أنها لها ولكن القوم يغضّون عالي روحها له ، اللهم العن من يبغض علينا وأهل بيته من الأولين والآخرين .

إرهادات النصر لعلّي لائحة لذلك ولـي الحرب ظهره ولا يقتله مصيره. وقيل: إنّه نوى اللجوء إلى معاوية ليستمدّه ويحدث فتنة أخرى في خلافة الإمام عليه السلام فقتلته الله قبل بلوغه مراده.

وإذا كان إعراضه عن الحرب يعتبر توبة فإنّ الكفار الذين انهزموا من كتاب رسول الله ص ولوا الدبر يعتبرون تائبين من الكفر، وهذا لا يقول به أحد.

وما قاله الخالف عن الزبير من ندامته بعد نصح أمير المؤمنين له فترك الحرب عند ذلك وقال له ولده عبدالله بن الزبير: يا أبا، أتركتنا في هذا المقام بهذه الحالة؟ فقال له الزبير: يا ولدي، لقد ذكرني عليًّا أمراً كنت ناسيه، فقال عبدالله: كلام ليس الأمر كذلك بل خفت من صوارم عليٍّ، فغضب الزبير وتناول رمحه وانتزع منه زجه وحمل على عسکر أمير المؤمنين عليه السلام: فقال أمير المؤمنين لأصحابه: أفرجوا للشيخ فإنه محرج، وهذه شهادة من قبله تدلي، على عدم التوبة.

ونقلوا كذلك عن ابن جرموز لما حمل رأس انتزير إلى عليٍّ عليه السلام، قال عليٌّ عليه السلام: سمعت رسول الله يقول: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، فلو لم يكن من أهل الجنة والتوبة لما ثبتت هذه البشرة في حقه.

جواب:

إن كان رجوعه عن الحرب بنصح عليٍّ يعتبر توبة فإنّ رجوعه بتحريض ولده على الحرب يعتبر تقاضاً لها، وإصراراً منه على الذنب لأنّه عند سماع كلام ولده ترك الدين للحمية والعصبية وحبّ الرياسة.

ويقول السيد المرتضى علم المهدى في الجواب: وكيف يجوز من أمير المؤمنين عليه السلام أن يمكن عدوه وينبع أصحابه من قتله، لأنّ المرء لا يدعوه إلى الفسق ولا يبعث إلى خلاف الحق مع أنّ كلام ابنه غير مخرج لأهل الإيمان إلى إظهار الضلال ولا ملجاً لأحد منخلق إلى ارتکاب المعاصي والطغيان، والعبارات واضحة وجملتها لا

وقال تعالى : ﴿فَلَا تَغْرِبْ عَنْهُمْ إِنَّمَا نَعْذِلُهُمْ عَذَابًا﴾ (٥).

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا نُنَذِّلُ لَهُمْ لِتُرْبَدُوا إِلَيْنَا﴾^(٦).

ويشاركة قاتله بالنار لا يدلّ على إيمانه لأنّه قتل المعاهد وقتل الكافر للتشفي وإراحة الغيظ لأجل الدين ونصره وإعلاء أمره، بل للتقرّب لمخلوق أو للعبث أو لإظهار الفساد والفحور، وقتل المؤمن كذلك، كلّ هذه الأمور موجبة لدخول النار للقاتل، على أنّ المقتول من المستحقين للقتل وكذلك قتل الكافر إلا في صورة المؤمن المقتول بيد غير مؤمنه، كما ذكر المفید ذلك في كلامه.

الدخان: ٤٩.)

.۹۷:۴ (۲)

۱۰۱ (۳)

(٤) الذي أظنه - والله العالم - أنَّ المؤلَّف لم يدرك عبارة السَّيِّد والعبارة وإن نسبها إليه فإنَّها للشيخ المفيد وجاءت كالتالي: أمَّا قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أُفرجوا للشيخ فإنَّه محرج» فإنَّه متى صحَّ كان على طريق الاستهزء والذم لأنَّه لا يجوز أنْ يأمر عليه السلام أصحابه بالتمكين لعدوه من حربه، الخ.

سریں... سے سیریں... میں

٨٢ مریم:

۱۷۸: عمران آل

حكاية :

كان ابن جرموز في حرب الجمل مع عائشة وقتل جماعة من أصحاب أمير المؤمنين ، ولما رأى الدائرة تدور على عائشة وحزبها وأن الأوضاع اضطربت عليها وعلامات الظفر تلوح في جانب أمير المؤمنين عليه تشاور مع أصحابه بني سعد وخرج معهم إلى الأحنف بن قيس وكان قد اعتزل الحرب على بعد فرسخين من البصرة ، فجاءه رجل وهس بأذنه سرّاً بأن الزبير بوادي السبع خرج هارياً وهو يوم المدينة ، فرفع الأحنف عقيرته وصاح : ما عسيت أن أصنع بالزبير إن كان بوادي السبع وقد جاء قتل الناس بعضهم ببعض ، وكان غرضه من هذا التحريض على قتله ، فقام ابن جرموز مع رجلين من بني سعد وكانا شريكيه في قتال أصحاب أمير المؤمنين وإعانته أصحاب الجمل وأسم أحدهما فضالة بن حانس وأسم الآخر جميع بن عمير ، فرب الثلاثة وأسرعوا العدو للحاق بالزبير ، وكان الزبير متراجلاً فلما بصر بهم استوى على فرسه فسبقهم عمير بن جرموز فحدر منه الزبير ، فقال له عمير : لا بأس عليك أنا ذاهب لوجهي وسوف أسايرك . فأمنه الزبير فاستغفله ابن جرموز فطعنه بالرمح في صدره وقتله ونزل من فرسه واحتزَّ رأسه وأقبل به إلى الأحنف ومنه ذهب به إلى علي عليه السلام لينال عنده الحظوة والرياسة ولكي يعتذر بذلك عن قتاله مع عائشة وقتله لأصحابه ، وقد أخبر النبي وصيئه أن ابن جرموز لم يقتل الزبير فقهأً وتديناً بل قتله لنيل الرياسة وطلب الجاه ، وهو من أهل النار ، وكل من قتل آخر بعد إعطاء الأمان فإنه ملعون ، وكان هو أيضاً من المخوارج وقتله علي عليه السلام في النهر وان ، وبشارته بالنار من الرسول إخبار بصيره وعاقبة أمره .

ومثله فعل مع قرمان حين بشّره بالنار مع أنه يقاتل معه ويعين أهل الإسلام والصحابة يشكرونـه على جهاده واستماتته ، والنبي يقول : إن قرمان من أهل النار ،

وذات يوم جاء الخبر إلى النبي ﷺ بأنَّ «قرمان» استشهد، فقال النبي: يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، وأخبروا النبي عن جهاده وقتاله العظيم وأنَّه قتل جماعة من المشركين وقد تحمل في جسمه ما بين سبع إلى ثالثي جراحة شديدة وحملوا من مصرعه إلى منازل بني ظفر، قال المسلمون: أبشر يا قرمان فقد أبليت اليوم، فقال: بم تبَشِّرونِي، فوالله ما قاتلت إلا عن أشرف قومي ولو لا ذلك ما قاتلت. فصعب عليه تحمل الجراح فانتزع من كنانته سهاماً حاداً وقتل به نفسه. ولما كان النبي يعلم عاقبة أمره أخبر المسلمين بما يجري منه لئلا يشتبه أمره على المسلمين، ولئلا يقال عنه «مؤمن». ومن أجل ذلك قاتل مع النبي ﷺ، وقال النبي فيه: «قاتل نفسه في النار».

فتكون حال ابن جرموز وما أخبر النبي عليه عن دخوله النار كحاله. وقال الشيخ المفيد: استحق ابن جرموز النار لعصيانه أوامر علي حيث نادى مناديه: ألا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريج، ولكن ماحوى عسكرهم من الكراع والسلاح، وخالف ابن جرموز أمر الإمام مفترض لطاعة واتبع الزبير فاستحق النار لهذا السبب وليس لأنَّ الزبير من أهل الجنة لتوبته أو ندمه، وعندنا كل من خالف الإمام فقد خالف الرسول، ومن خالف الرسول خالف الله، ومخالفة الله كفر والكافر يستحق النار.

كان الزبير رأس البغاء وقتله من أعظم الجهاد وأعظم الشواب، وينبغي أن يكون قاتله مستحقاً لأعظم الثواب وأعلى الدرجات بسبب قتله وإراحة الناس من شره، ولكن بسبب كفر القاتل ونفاقه خسر الثواب وبطل منه الأجر ليس هذا فحسب بل استحق معه النار أيضاً وكان لازماً على الموحى إليه أن يخبر الأمة بحاله لئلا يغتر به من لا يعرفه ويعتقد له الإيمان والسلامة ويتقرب إليه.

بينة:

وأماماً عصيائنا عائشة فإنَّه لخالفتها أمر ربهما وما أمرها به من قوله سبحانه مخاطباً نساء النبي: «وَقَذَنَ فِي بَيْوِتِهِنَّ وَلَا تَبَرُّجْ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَئِيَّةِ»^(١) فلم تقر في بيتها وتتنقلت على جملها من حي إلى حي ومن بلد إلى آخر، وكذلك قول النبي ﷺ: يا علي، نفسك نفسك وحربك حربي، وحرب النبي كفر.

وما يقال من أنَّ المرأة لن تمسها النار لأنَّها لامست نفس النبي ﷺ فإنَّ نوح ولوط نبيتان وهما ذريته من زوجتيها باسم زوجة نوح «والعة» باسم زوجة لوط والهُمَّة، وكلتا هما ذهبتا إلى جهنم وبئس المصير: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُوحَ وَإِنَّمَا نُوطَ» إلى قوله: «الدَّاخِلِينَ»^(٢) وكلتا المرأةان في النار بنص الآية، ولم تقبل شفاعة زوجيهما النبيين فيها، وأولى منها بالنار عائشة لأنَّها لم تلد للنبي وأعقم الله رحمها.

بيان:

منزلة الولد أعظم من منزلة المرأة لأنَّ المرأة يمكن فراقها بالموت أو الطلاق، أمَّا الولد فلا يمكن إبعاده عن الأب بأي سبب من الأسباب لأنَّه من صلبه، وبناءً على هذا إذا كان ابن نوح كنعان من أهل النار فإنَّ زوجته أولى بدخول النار، ونزلت سورة التحرير بحق عائشة وحفصة وأبويهما حيث يقول الله تعالى في تالي الآيات: «عَسَنِي رَبُّهُ إِنْ طَلَقْنَنَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ قَاتَلَتْ تَائِبَاتٍ غَابِدَاتٍ»^(٣) والخصم يؤمن بدليل الخطاب ويقول به^(٤)، فينبغي أن لا يكونا

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) التحرير: ١٠.

(٣) التحرير: ٥.

(٤) دليل الخطاب ويسمى مفهوم المخالفة وهو إثبات نقض حكم المنطوق به للمسكوت عنه. فقوله تعالى: «خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ» الآية، فإنَّ نقض هذا الحكم أنَّهم غير مؤمنات ولا مسلمات الخ.

مسلمتين ولا مؤمنتين ولا عابدين ولا تائين ولا سائحتين وأمثال هذا، وبما أنَّ القرآن أثبت نساءً خيراً منها فإنَّ ذلك خلاف ما ذهب إليه الخصم من كونها أفضل النساء.

بِيَنَّهُ :

درج القوم على اعتبار من آذى أمير المؤمنين وأولاد فاطمة من الصحابة الإناث أو الذكور في المراتب العليا من الصحبة، وبعكس ذلك من أحقرهم وواههم فإنَّهم يصنفون في أدنى مستويات الصحبة مثل أبي ذر وسلام والمقداد وأمثالهم فلم يذكر وهم بشأن من الشئون ولا ألقوا إليهم بالاً، سبحان الله ما هذه العداوة مع آل محمد ﷺ : «إِنَّ الَّذِينَ يُؤذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعْنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

فلو أنَّ رجلاً تدح بالكذب ظالمي على مائة عام، دون أن يطري عليه بحرف واحد فإنَّهم يحيونه ويولونه، ولو أنه ذكر على بكلمة دون ذكر خلفاء الجور فإنَّهم يهدرون دمه لو أمكنهم ذلك، ويسمونه رافضياً، ولم يعلموا أنَّ لهم في مقابل هذا الاسم عشرة أسماء تجري على أسمائهم مثل : خارجي وناصبي ومجري ومرولي ومنافق ونعشلي وحطب جهنم وإيلسي وأصحاب النار ونحوها.

الفصل الأول

في بداية وقوع المحاربة بين أمير المؤمنين وبين الناكثين طلحة والزبير وعائشة^(١)

اعلم لما بايع الناس عليناً وتمّ الأمر له أنهى عبدالله بن سلمة خبر قتل عثمان وبيعة عليٍّ إلى عائشة فقالت : لا نالتها تيم بعد اليوم ، ليت هذه أطبقت على هذه ، ولم يبايع عليٍّ ، وكانت عائشة يوم أردى عثمان خارج المدينة وكانت تحضر الناس دافئاً على قتل عليٍّ طليلاً ، ولما بلغتها أنباء بيعته كتبت إلى معاوية كتاباً وحرّضته على العصيان ، وكتب معاوية إلى الزبير ولكن عائشة قالت : لو كان كتب إلى طلحة .

وذات ليلة أقبل طلحة والزبير على أمير المؤمنين وطلبا منه أن يوليهما ، فقال لها : إننا لا نولي إلا من ارتضينا أمانته ودينه ، وإنكم لا ترضون بعطاء الله إياكما وتطلبان الفضل والزيادة ولما اطّلعوا على ما يضمّه الإمام لها قالا : يا علي ، إنك لتعلم ما كنّا عليه في أيام الخلفاء الماضية من الاحتراض والجاه .

وكان الإمام طليلاً من صرفاً ساعتها إلى تنظيم بيت المال فلما جلسا عنده وكلما نادى قبر وأمره بتغيير السراج فقالا : يا أمير المؤمنين : ما هذا ؟ لماذا رفعت السراج ونصبت غيره ؟ فقال أمير المؤمنين طليلاً : هذا سراج بيت المال وكنت أستعمله لتدبير أموال المسلمين ، فلما كلّمتم لم يجز لي الاستفادة منها فأبدلتها بما يحلّ لي استعماله ، فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقام طلحة والزبير فخرجَا من

(١) كتب المؤلف عناوين كتابه باللغة العربية فأبقيناها على حالها وإن خالفت الجرس العربي ، لأنّي أترجم الفارستة إلى العربية ولا استطيع ترجمة العربية بالعربية لأنّه تغيير لا أرضى إدخاله على أسلوب المؤلف .

عنه و قال أحدهما للآخر : إنَّ رجلاً يضبط الأمور على هذه الشاكلة ما هو بمستعملنا ولا بعطيانا شيئاً نرضاه ، إنَّه يتربَّصُ خطى الشرع ويأمرنا بالالتزام بالزهد والصلاح .

فلَمَّا أصبح الصباح أقبل عليه واستئذنا للعمرَة ، فقال أمير المؤمنين : إنَّكما لا تريدان العُمرَة ولكن تريدان الغدرة ، فأقسى أتمها لا ينويان إلا الزيارة ، وكان قد كتبَا إلى عائشة مع ابن أخيتها عبد الله بن الزبير كتاباً يأمرانها بلزموم تحريض الناس على حرب عليٍّ عليه السلام ، وتحميلهم على نكث بيته ، وكانت عائشة دائبة على إغواء الناس وحملهم على قتال عليٍّ عليه السلام والطلب بدم عثمان .

وصفة القول أنَّ الرجلين حلاً في مكَّة ودعوا الناس لحرب عليٍّ عليه السلام ، وجاءها عبد الله بن عامر والي مكَّة من قبل عثمان وقبل دعوتها وقال : أنا أكفيكم أمر البصرة وأجمع لكم من أهلها مائة ألف دينار نفقة لعسكركم .

قال : إنَّ هذا بحدِّ ذاته شيء جميل ولكن لا بدَّ من وجود إمام نفيء إليه ويكون رداءً لنا وفتة ، ولا يصلح لهذا الأمر إلا عائشة ، فإنَّ لها شهرة وهي زوج محمدٍ ، وإنَّ أبَت ذلك عائشة وقبضت نفسها عن إعانتنا فإنَّ أمْرَنا لا ينفذ وغايتنا لا تتحقق ، فذهبوا إليها وخدعواها ورضيَت بما عرضوا عليها وقالت : «بالرأس والعين»^(١) ثمَّ أقبلت عائشة وطلحة والزبير إلى الحوَّاب^(٢) (الحوَّاب - المؤلَّف) على وزن كوكب وهو ماء في طريق البصرة فنبحتها كلابه وأجراء الكلاب في بطون أمْهاتها^(٣) .

(١) كانت عائشة منذ البداية عازمة على الطلب بدم عثمان وهي التي حملتهم على ذلك وليس الأمر بالعكس ، بدا منها ذلك يوم أخبرت بيعة عليٍّ فصرخت واعتنقها ، وهذا مشعر بما تخفي في سرّها .

(٢) في المناقب : وهو ماء نسب إلى الحونب بنت كلبي (٢: ٣٣٦) .

(٣) ترجم المؤلَّف بهذه الكلمة لفظ «بني كلاب» .

فلما رأت عائشة ذلك صاحت: ردوني ردوني، فقد سمعت رسول الله يقول: إنّ امرأة من نسائي تخرج لحرب علي، هي ملعونة، وعلامة ذلك أن تسبحها كلاب الحوّاب، فشهد عندها أربعون وقيل ستّون شهادة كاذبة بأمر طلحة والزبير على أنّ هذا الماء ليس ماء الحوّاب، فكذبوا عليها كذباً صريحاً وقلبوا أمرها رأساً على عقب..^(١).

فجاءت أم سلمة إلى عائشة وبالغت في نصحتها وقالت لها: ألا تذكرين حين كنّا يوماً بين يدي النبي نخدمه وكنا على يساره وهو ينادي علينا: فقلت أنت لعلي: يا علي، كلّا كانت لي ليلي من رسول الله عليه السلام أتيته فشغلته عني ولم تتركه ينصرف إلى، فغضب رسول الله منك وقال: من عاداك يا علي فهو ابن زنا؟ قالت نعم أذكر ذلك.

قالت: ألا تذكرين يوم حملت قدر الحلوى الذي صنعته إلى النبي، فقال النبي: يا أم سلمة لا تكوني من أزواجي اللواتي يقاتلن علياً عليه السلام! فقلت: نعوذ بالله من غضب الله ورسوله ووصي رسوله؟ فقلت عائشة: نعم أذكر ذلك.

ثم قالت: ألا تذكرين يوم اجتمعنا في بيت حصة فضرب النبي بيده على ظهرك وقال: صوبي نفسك من أن تسبح كلاب الحوّاب يوماً، فينفر منها جملك؟ فقلت عائشة: أجل لقد كان ذلك.

فقالت أم سلمة: يا عائشة، ألا تذكرين يوم أقبل النبي من السفر وغسل على ثيابه وخطّها وخصف نعليه، فأقبل أبو بكر وعمر وقالا: لا ندري من يلي الأمر بعدك، فقال النبي: أخشى أن أخبركم فتكلّمونا كبني إسرائيل وتتفقون عنه كما

(١) وأقول للمؤلف: لا تحسن الظن بواحد من هؤلاء فإن الخبيثة علمت بأنه ماء الحوّاب ولكن على عمد لبست على نفسها.

تقرّقا عن هارون، فلما خرجا من عند النبي قلت: يا رسول الله، من الخليفة من بعدي؟ فقال النبي: إنه هو.

وأجرت مشادة بين أم سلمة وبين عبدالله بن الزبير فكتبت أم سلمة لعلي كتاباً وفيه: إن عائشة خرجت لحربك بفياقها فصحتها، فقالت: نحن ذاهبون لإصلاح الأمة، وجاءك عبدالله بن عامر للطلب بدم عثمان ولو لا أني امرأة والنساء ليس عليهنْ جهاد لخرجت معك.

بينة:

كان طلحة والزبير أعظم عدوين لعلي عليه السلام وهما اللذان أجلبوا على عثمان وكانا دائرين في ثلبه، وطلحة هو الذي حاصر بيته وتولى قتل عثمان بنفسه ومع كل ما جناه على عثمان جاء يطلب بدمه، وكانا مع علي في البيعة ولكنّهما نكثا بيعته وخرجوا عليه.

قال عبدالله بن عباس: كنت حاضراً عند علي إذ أقبل طلحة والزبير وطلبا من علي السفر إلى مكة لأجل العمرة، فأجابهما علي بأنّهما لا تبغيان العمرة، فتوسلا به مرّة ثانية فلم يجزّهما وتوجه إلى وقال: والله ما يريدان العمرة، فقلت له: فلا تاذن لهما إذن، فارسل إليهما في الحال وأمر بردهما، وقال: ما تريدان إلا نكث البيعة والتفريق - يعني بين المسلمين - فأقسم بالله لا يريدان إلا العمرة لأنّكث البيعة ولا عصيان أمره، فلم يجزّهما في الثانية، فلما خرجا قال أمير المؤمنين مردداً قوله الأول: لا يريدان العمرة ولا يريدان إلا الإفساد في الدين.

قال عبدالله: مُر بردهما لئلا يذهبا، فقال الإمام: إنّهما أقسموا فأدركتني الحياة منها، ولكن لا يعدوان ما قلت، ومن هنا خرجا إلى مكة وأرسلا بين أيديهما أبا عبد الرحمن مسعود العبدبي وعبدالله بن الزبير إلى عائشة لكي تكون السابقة في هذا الأمر.

فقالت عائشة، لا أرضي حتى تخرج معي أم سلمة لأنّ الحسناً ينبعها من الخروج، وأرادت أن تغوي غيرها لتكون ضالة مضلة كلّها، ثمَّ قامت إلى أم سلمة، فلما رأتها قالت: مرحباً بعائشة، والله ما كنت لي بزيارة فما بدا لك؟ قالت: جئتك لتخرجي معي كي ينتظم أمر الإسلام، وقتل قتلة عثمان ومحارب علياً، فقالت أم سلمة: ألا تذكرين يوم كانت ليلتك من رسول الله ﷺ وقد طهوت للنبي طعاماً.. فقال: لا تقرِّ الأئمَّ حتى تنبِّح إحدى نسائي كلاب ماء بالعراق يدعى الحوَّاب، فوقع الإناء من يدي، فقال: مالك يا أم سلمة؟ فقلت: يا رسول الله، ألا يسقط الإناء من يدي وأنْت تقول ما يؤمِّنني أن أكون أنا هي؟! فنظر النبي ﷺ وقال: بم تضحكين يا حمراء الساقين، إني أخشاك هي (كذا) (١).

وأنشدك الله يا عائشة، أتذكرين مرض رسول الله ﷺ الذي قبض فيه، فأتأنك أبوك يعوده ومعه عمر، وقد كان عليّ بن أبي طالب يتعاهد ثوب رسول الله ﷺ ونعله وخفة، ويصلح ما وهى منه، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله ﷺ وهي حضرمية وهو يخصفها خلف البيت، فاستأذنا عليه، فأذن لها، فقالا: يا رسول الله، كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أَحَمَّ الله تعالى، قالا: ما بَدَّ من الموت؟ قال ﷺ: لا بَدَّ منه، قالا: يا رسول الله، فهل استخلفت أحداً؟ فقال: ما خليفتي

(١) جاءت الرواية في رسائل المرتضى هكذا: قالت: تخرجين معي فلعل الله أن يصلح بخروجنا أمر أمَّةٍ مُحَمَّداً، فقالت: يا عائشة، أخرج وقد سمعت من رسول الله ما سمعت، نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت، أتذكرين يومك من رسول الله فصنعت حريرة في بيتي فأتبته بها وهو طلاق يقول: والله لا تذهب الليل والآيام حتى تتتابع كلاب ماء بالعراق يقال له الحوَّاب امرأة من نسائي في فتية باغية، فسقط الإناء من يدي، فرفع رأسه إلى فقال: ما بالك يا أم سلمة؟ قلت: يا رسول الله، ألا يسقط الإناء من يدي وأنْت تقول ما تقول؟ ما يؤمِّنني أن أكون أنا هي، فضحتك أنت فالتفت إليك فقال ﷺ: ما يضحكك يا حمراء الساقين، إني لأحسبك هي..

(٤: ٦٧، وراجع أيضاً: بحار الأنوار ٣٢: ١٥٠).

فيكم إلا خاصف النعل، فخرجا فرّا على عليٍّ وهو يخصف النعل^(١).

ونشدتك بالله يا عائشة، أتذكرين ليلة أسرى بنا رسول الله ﷺ من مكان كذا وكذا وهو بيّني وبين عليٍّ بن أبي طالب يحدّثنا فأدخلت جملك فحال بينه وبين عليٍّ، فرفع مرفة كانت معه فضرب بها وجه جملك وقال: أما والله ما يومك منه واحدة، ولا بلسيته منك بواحدة، أما إنه لا يبغضه إلا منافق أو كذاب^(٢).

هذه الأحاديث نصوص ظاهرة على إماماة عليٍّ وخلافته، وذكرها نصر بن مزاحم المنقري في كتابه وهو من علماء أهل السنة.

وصفوة القول بأنّ عائشة لما استمعت إلى هذه المواقظ قالت لعبد الله بن الزير: إني عزمت على التوبة ولن أخرج معكم ولكنّها عادت بإغوائهم إلى ضلالها الأول، فلما تناصف الليل تحملت إلى البصرة ومعها عسکر مجرّد لقتل عليٍّ، بخِ بخِ لأُمّ المؤمنين.

بيانه :

اعلم بأنّ الله تعالى سميّ نساء النبي أمهات المؤمنين بعد ما أقسم طلحة أنة سوف يتزوج عائشة أو أنّ الله حرم على حفصة العقد وهذه الأُمومة مجازية ولذلك لا يصدق على أقربائهنّ ما صدق عليهنّ، ألا ترى أنة لا يقال: جدّ المؤمنين ولا عمّهم ولا أخوهם ولا أختهم ولا جدّتهم وأمثال هذه الاستعمالات في النسب، وبناءً على هذا لا ينبغي أن يقال: حال المؤمنين، على أنة لا يقولون ذلك إلا لمعاوية، وإن كان أولى من معاوية بهذا الاسم محمد بن أبي بكر وعبد الرحمن أخوه وعبد الله بن عمر إلا أنّ هؤلاء لم يقصدوا أمير المؤمنين بالحرب ولم يطلبوا قتله، فلم

(١) رسائل المرتضى ٤: ٦٧.

(٢) رسائل المرتضى ٤: ٦٧.

يُكَلِّفُهُمْ مَقَامًا معاوِيَةً عَنْ الْسَّفِيَانِيَّينَ وَاقْتَصَرَتِ الْأَسْمَاءُ وَالْأَلْقَابُ عَلَى مَنْ بَالَغَ فِي
عَدَائِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الفصل الثاني

لَمَّا عَزَّمَتْ عَائِشَةَ عَلَى الْخُرُوجِ جَاءَهَا بِجَمْلٍ صَعْبٍ وَقُويٍّ ضَخْمٌ عَالٍ يُدْعَى
«عَسْكَرًا»، وَلَمَّا سَمِعَتْ عَائِشَةَ بِاسْمِهِ أَبْتَأَتِ الْخُرُوجَ وَقَالَتْ: نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
وَقَالَ: احذري يا عائشةً أَنْ تُرْكِي جَلَّ اسْمَهُ عَسْكَرًا، وَتُخْرِجَيْنَ إِلَى الْحَرْبِ
وَتُنْبَحِكَ كَلَابُ الْحَوَابِ.

فَلَبِّيَسْ طَلْحَةُ وَالْزَّبِيرُ عَلَيْهِمَا وَغَرَّوْهُمَا وَأَرْكَبُوهُمَا عَلَيْهِ فَصَاحَتْ عَنْدَ ذَلِكَ
بِأَصْحَابِهِمْ وَأَمْرِهِمْ بِقتالِ عَلَيِّ وَالْطَّلَبِ بِدَمِ عَثَّانَ وَصَاحَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: لَا يَخْرُجُنَّ
أَحَدٌ لِحَرْبِ عَلَيِّ، وَمَنْ خَرَجَ لِحَرْبِهِ فَهُوَ كَافِرٌ وَعَاصٍ لِرَبِّهِ.

وَخَرَجَ مَعَ عَائِشَةَ طَلْحَةُ وَالْزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ، وَسَعْدُ وَمَرْوَانُ بْنُ الْحَكْمِ،
وَعَبْدُ الرَّحْمَانِ وَمُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنُ أَسِيدٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَكِيمٍ بْنُ
حَزَّامَ، وَهُؤُلَاءِ أَوْلَادُ الطَّلَقَاءِ، وَدَعَتْ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ إِلَى
الْحَرْبِ وَالْطَّلَبِ بِدَمِ عَثَّانَ، فَقَالَ سَعِيدُ مَرْوَانَ: إِنَّ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرَاقُونَكُمْ وَتَرَاقُهُمْ
هُمْ قَتْلَةُ عَثَّانَ، فَتَرَكَهُ مَرْوَانُ.

وَكَتَبَ مَالِكُ الْأَشْتَرُ كِتَابًا إِلَى عَائِشَةَ: أَتَقَ اللهُ الَّذِي خَاطَبَكَ بِقَوْلِهِ: «وَقَرَنَ فِي
بَيْوَتِكُنَّ»^(١) وَلَا تَهْتَكِي حِجَابَ رَسُولِ اللهِ إِنَّ ذَلِكَ يَغْضِبُهُ وَيُؤْذِيهِ، إِذَا تَخْرَجَ
زَوْجَهُ بَيْنَ الْعَسَاكِرِ تَحَارِبُ. فَقَالَتْ عَائِشَةَ: إِنَّ مَالِكًا يَقُولُ هَذَا لَأَنَّهُ مَطَالِبُ بِدَمِ
عَثَّانَ.

(١) الأحزاب: ٣٣.

فخرج أمير المؤمنين عليه السلام ومعه سبعين ائمة من الرجال ونزل بذي قار، ولما علمت عائشة بذلك كتبت إلى حفصة: نزل عليّ بذي قار؛ إن تقدم نحر وإن تأخر عقر. فجمعت حفصة النساء وضربن بالزماء وقلن:

ما الخبر ما الخبر عليّ في سفر
إن تقدم نحر وإن تأخر عقر^(١)

وصدق رسول الله عليه السلام: «البغض يتوارث». فعلمت بذلك أم كلثوم بنت أمير المؤمنين، فلبست ثيابها ووضعت نقابها وتنكرت وجاءت حتى دخلت عليهنّ، وسمعت ما هنّ فيه من قول الباطل، فكشفت نقابها وأبرزت هنّ وجهها، ثمّ قالت لحفصة: إن تظاهرت أنت وأختك على أمير المؤمنين فقد تظاهرتا على أخيه رسول الله عليه السلام من قبل أنزل الله عزّ وجلّ فيكما ما أنزل^(٢)، والله من وراء حربكما، وأظهرت حفصة خجلاً وقالت: إنهنّ فعلن هذا بجهل، وفرقتهنّ في الحال، ثمّ قالت أم كلثوم: ظلمك أنت وعائشة والداكا لنا قدّيم.

ولما علمت أم الفضل والدة عبدالله بن العباس بخروج عائشة من بيتها، كتبت للإمام كتاباً وأعطته رجلاً من جهةٍ وقالت: اخرج مسراًً واعط هذا الكتاب بيد عليّ، وإن نفق جملك فعلَّمْنه، فخرج الرجل مجدداً حتى سلم الكتاب لعليّ عليه السلام فأذاع الإمام خروج عائشة على الناس، وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبيّ صلى عليه، ثمّ قال:

اعلموا أننا الخلافة لي وأننا صاحبها ولكن اغتصبها القوم مني وسكتُ حين

(١) كتاب الأربعين للشيرازي: ٦٢٧.

(٢) قوله تعالى: «وإن تظاهراً عليه فإن الله هو مولاه وجريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير». (التحرير: ٤). الجمل للمغيد: ١٤٩. واقتضاناً نظم العبارة التصرف بسياق المؤلف. وعبارة الشيخ المفيد.

لم آمن الفرقة تخلّ في الأئمّة وهذا كرحت حين رُفقت إلى، وأوّل من بايعني طلحة والزبير، واليوم نكثا عهدهما وأركبا عائشة على جملٍ وساقوها لحربي، وينبغي عليكم أن تجتمعوا ها هنا غداً.

فحضر عنده أربعمائة وسبعون رجلاً من المهاجرين، ومائتين وثلاثين رجلاً من الأنصار، وأمروا على المدينة سهل بن حنيف.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يستعدّ يومذاك لحرب معاوية، فخطب الناس ورغّهم في جهاد طلحة (العنـه الله) وأتباعه فصاحوا بأجمعهم «سعاً وطاعة» فقام حجاج بن عريـة الأنصاري فقال: قاتلت بسيفي هذا بين يدي رسول الله صلـى الله علـيـه وسـلـّمـ والـيـوـم أـقـاتـلـ النـاكـثـين طـاعـة لـهـ وـرـسـولـهـ، وـأـخـذـ يـحـرـضـ النـاسـ عـلـىـ حـرـبـ الـمـخـالـفـينـ، وـتـلـاـ عـلـيـهـمـ شـطـراًـ مـنـ مـنـاقـبـ عـلـيـ عليـهـ السـلامـ، وـتـحـمـلـ عـلـيـ بـنـ مـعـهـ حـتـىـ نـزـلـ الـرـبـذـةـ وـهـنـاكـ عـقـدـ لـوـاءـ لـعـمـارـ لـيـقـدـمـ الـجـيـشـ إـلـىـ الشـامـ.

قال الحجاج: أرسلني يا علي إلى حرب أهل البصرة، فقال علي عليـهـ السـلامـ: اذهب على بركة الله، فركب الحجاج وساق معه جلاً أورق وفرساً كمعيناً وتوجه إلى البصرة، فأقبلت عائشة بجيشهما حتى نزلت البصرة وكان عليها عثمان بن حنيف من قبل أمير المؤمنين، فكتبت عائشة إلى عثمان كتاباً تخبره بقدومها، فأعطى عثمان الكتاب إلى الأحنف بن قيس، فقال حكيم بن جبلة العبدى:رأيي أن لا تدعهم يدخلون البصرة لأنهم إن دخلوها كانوا الغالبين و كنت أنت المغلوب، فصدقه عثمان، وكتب علي إليـهـ كتاباً أن لا يدخلوها وقال: وأعذر إليـهمـ فإنـ قـبـلـواـ إـلـاـ فـقـاتـلـهـمـ، فـأـعـذـرـ إـلـيـهـمـ عـثـمـانـ فـلـمـ يـسـتـكـيـنـواـ إـلـىـ أـنـ جـرـ الـأـمـرـ إـلـىـ الـحـرـبـ فـغـلـبـهـمـ عـثـمـانـ فـشـىـ بـيـنـهـمـ جـمـاعـةـ بـالـصـلـحـ بـأـنـ تـكـوـنـ دـارـ الـإـمـارـةـ وـإـمـامـةـ الـمـسـجـدـ لـعـثـمـانـ وـيـأـذـنـ لـهـ بـالـمـقـامـ فـيـ الـبـصـرـةـ حـتـىـ قـدـومـ عـلـيـ عليـهـ السـلامـ.

وكان طلحة والزبير يأخذان البيعة على الناس فباعتهم بعض القبائل^(١) فاجتمع منهم جيش ولبسوا الدروع وعليها الشياط، وحضرروا صلاة الجمعة، ولم يطلع عثمان على مكرهم فأمسكوا به وأوسعوه ضرباً ونتفوا لحيته وشاربيه، وأرادوا اقتله، فقال عثمان: أقتلوني، إن أخي سهلاً في المدينة والله لا يدع من أهلكم دياراً، فأطلقوه وقتلوه سبعين مؤمناً من أهل بيته^(٢)، فخرج عليهم حكيم ابن جبلة العبدى مع جماعة، وقال: أقاتلهم على حب الله ورسوله وأمير المؤمنين عليه السلام الذي لا أحد أفضل منه تحت السماء، فنكر به طلحة والزبير وخرجا عليه وضرباه على رجليه حتى فرقوا بينها وبين جسده، وماتت على أثر ذلك.

وكتب سهل بن حنيف إلى عائشة كتاباً شديداً اللهجة وفيه الوعيد لخلاص أخيه عثمان من شرّها، فلما قرات الكتاب أطلقت سراح عثمان فخرج من البصرة ولحق بعلي عليه السلام بذى قار، فخطب على بذى قار خطبة حمد الله فيها وذكر ما جرى من قتل حكيم بن جبلة العبدى وغيره من المؤمنين وبكى بكاءً طويلاً حتى ضجّ الناس من بكائه، ونزل من المنبر وكتب إلى أهل الكوفة كتاباً يستنفرهم، وبعثه مع محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، فلما بلغ كتابه أهل الكوفة كان أبو موسى الأشعري (لعنه الله - المترجم) يبطئ الناس عن الخروج، فأغاظ له محمد بن أبي بكر ووصل هاشم بن عتبة بعد وصول الكتاب ومعه كتاب آخر من علي عليه السلام، فاستشار أبو موسى السائب في أمر علي عليه السلام، فقال السائب: لابد من النفور مع علي عليه السلام، فانكر أبو موسى ذلك.

(١) جرى تصحيف لأسماء القبائل لذلك لم ذكرهم في المتن وهم كما يلى: قبيلة بنو درد وبنو صبية قيس سلمان وبنو سليم وبنو عامر، وأحببهم الأزد، وظبة وقبيل عيلان وبنو سليم.

(٢) المقتولون هم السابحة قوم من الرط وعددهم أربعون. (الجمل للمفید: ١٥٢).

وكان في كتاب علي لأهل الكوفة:

يا أهل الكوفة، إنكم تعلمون أن الحق حق ولكتفي سكت عنه خوفاً من حدوث الفرقة، واليوم بایعوني (ونافق بعضهم) فالله الله (بوصي نبيكم) فلا تقاعدوا عن إمدادي ولا تكاسلوا عن الخروج معي.

وأرسل كتاباً آخر مع الإمام الحسن وعمر بن ياسر، فقال عبدالله بن عباس: يا أمير المؤمنين، أترى أهل الكوفة لا يجيب منهم أحد؟!

وأتم الإمام الحسن عليه السلام فقد قرأ عليهم الكتاب واتكأ على عمود هناك وحمد الله وأثنى عليه وخطب خطبة غاية في البلاغة والفصاحة، فعم الناس الوله والوجد من فصاحته وببلغته حتى أتتها، ودعا الناس إلى نصرة أمير المؤمنين عليه السلام، فقام أبو موسى الأشعري (لعنه الله - المترجم) إلى المنبر وخطب بن بعده وقال: أيها الناس، أمسكوا فقد سمعت رسول الله يقول: تكون من بعدي فتنة فإياكم والوقوع فيها، وعلى يدعوكم إلى قتل إخوانكم.

فقام عمر و قال: يا أبا موسى، أنت كنت دائمًا رأس هذه الفتنة وأناأشهد الله ورسوله على أني سمعت رسول الله يقول: يا علي، تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين، وشهاد أربعون إنساناً لعمر ب لهذا الحديث، وقال: علي سابق الإسلام وابن عم رسول الله عليه السلام ومستحق الخلافة وغيره على الباطل وعثمان لا يستحقها وليس أهلاً ليطلب بدمه لأنّه ظلم المسلمين وأتلف بيت المال ومات على غير توبة، ثم سأله أبا موسى: كم هم أصحاب العقبة؟ قال: ثلاثة عشر؟ قال: رابع عشر هم أنت؟ قال: نعم، لقد كنته ولكن رسول الله استغفر لي، فقال عمر: أناأشهد بأن رسول الله لعنك.

وقام رجل يُدعى زيد^(١) وذكر مناقب علي عليهما السلام وفضله من السبق إلى الإسلام والقرابة والشجاعة والساخاء، وقال: لابد من وجود إمام على الأمة يدفع عنها الظلم ويقيم لها صلاتها وصيامها وحجتها وجهادها وباقٍ أمورها الشرعية، ويقوم أود الشريعة ولا يستحق هذا المقام اليوم إلا علي بن أبي طالب عليهما السلام؛ فانفروا معه وأمدّوه بالنفس والمال.

واستأذن مالك الأشتر علياً عليهما السلام بالذهاب إلى الكوفة وقال: أنا أعرف الناس بهم وأعرف ضرر عداوتهم، فأذن له، ولما وصل الكوفة بالغ في ترغيبهم بالجهاد وتلا عليهم مناقب أمير المؤمنين وقال: إنكم وسماع ترهات سعد بن العاص (عنده الله - المترجم) والوليد بن عتبة الفاسق الخنّار وأبي موسى.

وقام من بعده حاتم (كذا) عدي بن حاتم ومن بعده حجر بن عدي وغيرهم، وكل واحد يدعى الناس إلى الجهاد ويرغب فيه، ويحرّضهم على نصرة علي، ودعاهم أبو وهب أيضاً للقتال، فقال أبو موسى: أبو وهب يكذب عليكم، فأمر مالك الأشتر بالقبض على يد أبي موسى وإنزاله عن المنبر إلى الأرض، وهكذا فعلوا وأخرجوه من المسجد إلى خارجه.

وقام عبدالله بن ربيعة ففعل فعلهم ودعا الناس إلى طاعة أمير المؤمنين، وأقام الإمام الحسن الصلاة بهم جماعة، وولى قرظ بن كعب الأنصاري على الكوفة نيابة عن الإمام أمير المؤمنين، وخرج من الكوفة بالجيش وقد اجتمع منهم اثنا عشر ألف مقاتل، وخرجوا تلبية لدعوة أمير المؤمنين ولحقوا به على دفعات، وبقي الإمام مستقرّاً في ذي قار خمسة عشر يوماً بانتظار مجي العسکر، فلماً قدموه عليه خطبهم وشرح لهم نكث طلحة والزبير بيعته وقال: إنما دعوتكم لتعيينوني

(١) هو زيد بن صوحان عليهما السلام وليس مجهولاً عند أحد ليعبر عنه المؤلف هذا التعبير.

وتتصرون في على بغاة أهل البصرة الذين اجتمعوا على طلحة والزبير وأقدموا عائشة من المدينة على حربٍ، فصاحت أهل الكوفة بأجمعهم: نفديك باروا حنا ولا نخيد عن البصرة ونصرك عليهم.

فقام عمارٌ وقال: يا عليٌّ، إخواننا وأهل قبلتنا لا يحلّ لنا قتلهم.

قال عليٌّ عليه السلام: إنهم نكثوا عهدي وعهد عاملٍ عثمان بن حنيف على البصرة وقتلوا مائة نفس مؤمنة مصونة الدم فلو أنهم قتلوا واحداً حلّ دمهم، ولا يكون الحق معهم بادعائهم.

فاستحبّ عمارٌ وسكت وقيل: إنه لزم ركب الإمام الحسين حتى استشهد في كربلاء^(١).

وتحتقل أمير المؤمنين من ذي قار ولم ينزل إلا (بزانقة) (كذا) في البصرة وأرسل إلى عبدالله بن عباس وزيد بن صوحان إلى طلحة والزبير فلم يعتذرا وقالت عائشة: لا يحبب علياً غيري، وقالت عائشة في جواهرها^(٢)... وقد لبسوا جملها بجلد النور ووضعوا عليها دروع الحديد وجاؤوا قاصدين الحرب للله ورسوله وحجة الله والمؤمنين، فليستحوا من الله تعالى، فأيّ رجل يرضى لامرأته أن تفعل هذا الفعل؟!

وأقبل عليٌّ عليه السلام حاسراً أعزّل من السلاح ووقف بين الصفين واستدعى الزبير، فقالت عائشة: لا تذهب فإنّ علياً يخدعك أو يرید تخويفك، فلما حضر الزبير

(١) في صدر الحديث يحاله القارئ عمار بن ياسر لأن المشرّك إذا أطلق انصراف إلى أظهر أفراده، ولكنّه بين حقيقة عمار هذا بشهادته في كربلاء.

(٢) لابد من وجود حذف هنا تتم به الجملة، والمؤلف لم يشر إلى مصادرها لرجوع إليها ونستلafi الحذف، والحديث وفيه الخطب كلها مترجمة، وعلى القارئ إذا أراد الوقوف على المتن الصحيح البحث عنها في المصادر.

عنه، قال له: أَنَا شدِيكُ اللَّهُ، أَلَا تذَكِّرُ يَوْمَ قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَخْبِهِ؟ فَقَالَ: وَمَا يَعْنِي مِنْ حَبَّةِ، فَقَالَ: يَأْتِي يَوْمٌ تَقَاتِلُهُ مَعَ النَّاكِثِينَ وَتَخُونُ عَهْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَوَصِيَّهُ، وَلَنْ تَنالِ الظَّفَرَ، فَقَالَ الزَّبِيرُ: نَعَمْ أَذْكُرُ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: أَلَا تذَكِّرُ يَوْمًا أَقْبَلَ النَّبِيُّ فِيهِ مِنْ بَنِي عُمَرَ وَبْنِ عَوْفٍ وَبِدِكَ بِيَدِهِ، فَسَلَّمَتْ أَنَا عَلَى النَّبِيِّ فَرِدَ سَلَامِي وَتَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، فَابْتَسَمَتْ لَهُ، فَأَنْكَرَتْ عَلَيَّ ذَلِكَ وَقَلَتْ: مَا هَذَا التَّيْهُ يَا عَلِيًّا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَهْ يَا زَبِيرُ، إِنَّ عَلِيًّا لَا يَتَيَّهُ، وَسَوْفَ تَقَاتِلُهُ مَعَ الْفَتَّةِ الْبَاغِيَةِ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ وَهُوَ مُظْلُومٌ، فَقَالَ الزَّبِيرُ: أَجَلُّ، أَذْكُرُ ذَلِكَ وَلَا أَنْسَاهُ.

ثُمَّ عَادَ الزَّبِيرُ إِلَى فَتَّهُ وَقَالَ: أَنَا شَاكِّ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَمُتَحِيرٌ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَسْتُ شَاكِّاً وَلَكِنَّكَ خَفْتَ مِنْ سَيِّفِ عَلِيٍّ، وَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ نَحْوًا مِنْ مَقَالِ خَالِتِهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: لَعْنُكَ اللَّهُ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - وَقَالَ: لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنِ عَلِيًّا بَغْضَاءٌ حَتَّى نَشَأَتْ فَظُهُورَتْ، وَلَوْلَا وُجُودُكَ الْمُشْؤُمُ لِمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنِ إِلَّا الْوَدِّ، ثُمَّ اسْتَدْعَى الزَّبِيرَ طَلْحَةَ وَقَالَ: اتَرَكَ هَذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ عَنْهُ، فَأَبَى طَلْحَةُ، وَخَرَجَ الزَّبِيرُ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى أَنْ قُتِلَ مُدْبِرًا.

فَجَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ الْأَشْتَرُ عَلَى الْمِيَمَنَةِ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرِ عَلَى الْمِيسَرَةِ، وَأَعْطَى رَأْيَتَهُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ وَلَدَهُ، وَاسْتَعَدَ لِلْحَرْبِ فَاسْتَعَرَتْ نَارُهَا، وَفِي هَذِهِ الْأَئْنَاءِ حَمَلَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ مَعَ جَمَاعَةٍ عَلَى جِيشِ عَائِشَةَ وَضَرَبَ قَائِمَةً جَمِيلَهَا بِالسَّيْفِ فَلَمْ يَقْعُ الْجَمَلُ، وَثَنَى بِضَرْبَةِ أُخْرَى فَأَثْرَتْ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ طَلاقَةُ: يَا مُحَمَّدَ، اضْطَرَبَ الْأَثَلَةُ، فَفَعَلَ مُحَمَّدٌ مُتَمَثِّلًا أَمْرَ الْإِمَامِ فَوْقَ الْجَمَلِ لِجَنْبِهِ، وَقُتِلَ مَرْوَانُ طَلْحَةُ فِي الْحَرْبِ.

فَأُرْسَلَ عَلَيِّ طَلاقَةَ مُحَمَّدًا بْنَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ: قُلْ لَهَا: إِلَى أَيْنَ تَبْغِيَ الْذَّهَابَ؟ فَقَالَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَوْكَلَتْ بَهَا نَسَاءً أَوْصَلْنَاهَا إِلَى هَنَاكَ، وَكَانَ مَعَ عَلِيًّا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ثَلَاثَةً آلَافَ مَقَاوِلَ.

الفصل الثالث

في بعض قصة معاوية ويزيد^(١)

وجاء في الرسالة «الحاوية» أن ركناً الإسلام الخوارزمي قال: لما جيء برأس الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية لعنهما الله، قام الرجس ووضع قدمه على الرأس الشريف، وكان زيد بن أرقم حاضراً^(٢)، فقال: لا تفعل ذلك يا يزيد، فإني رأيت رسول الله يقبل ذلك الفم.

وأما عندنا فإنَّ اللعين تناول سوطه وضرب ثنایاه.

وقال في «الحاوية» أيضاً أنَّ اللعين طلب الساق وهو في تلك الحالة والرأس بين يديه فسقاوه، وقال العلماء كان ثملاً ساعتئذٍ، وكان بعد ذلك يرقص على سطح قصره وهو سكران فوق من أعلىه وذهب إلى جهنَّم وهو سكران كما مات أبوه ثملاً، وقد وضع الصليب في عنقه.

وقال بعضهم: ذهب عدو الله إلى الصيد مع عسكره فعرضت له ظبية، فأجرى فرسه ورائها فأوحى الله إلى الأرض أن ابلغيه «فخسفنا بداره الأرض». وقيل: لما عرف القوم في دمشق تكأوا عليه وصار لهم ضجيج وعجب، فهرب منهم ووقع في الكنيف، فأقبل الناس إلى ذلك الكنيف وسدوا فروجه، وبئر الكنيف هذا معروف في دمشق، وأنشد في مدحه ومدح عليٍّ وأله صلوات الله عليهم وسلمه (شعر):

(١) مرَّ على القارئ أنَّني لا أتصرِّف بعنوانين الفصول التي يضعها المؤلَّف لأنَّها باللغة العربية، ولا يجوز لي تغييرها لأنَّ ذلك ليس من الترجمة وإنْ جانت على خلاف المباني الدستورية للغة.

(٢) تنسب هذه إلى عدو الله عبد الله بن زياد لعنهما الله وكان ابن أرقم حاضراً عنده ولم يكن في الشام.

يهدى أسرى كربلا إلى الشام والبلاد
إلى يزيد الطاغي معدن كل داهية
حتى رأى بدر الدجى رأى الإمام المرتجمى
يظل في بناته قضيب خيزرانه
أنماط لجاءه وحاصد مراصد
طوابع بدره طوابع كفرية
وبعث يزيد بعد شهادة الحسين عليه السلام جيشاً إلى المدينة وأغار عليها واستباحها
ثلاثة أيام، فكان يسلب القرشية مقنعتها من رأسها، ومن أغلى بابه واستتر في
بيته أحرقو عليه بابه ^(١).

قال أبو سعيد الخدري : ما كنا نسمع الأذان إلا من قبر النبي صلوات الله عليه.
وقتلوا في المدينة ستة آلاف إنسان ^(٢) ومن هناك قصدوا مكة ونصبوا
المنجنيقات على أسوار البيت وخرّبوا وأحرقوا أستاره ووضعوا السيف على
عواوئهم ، والقرآن تحت أقدامهم ، وهدموا الكعبة مررتين وأحرقوا مكة .
وقيل : عثروا على الحجر الأسود بعد سنين في الين فأخذوه ورددوا إلى مكانه
وعمروا البيت ^(٣) ، وهذه هي سنة معاوية ويزيد وأهل الشام ، بخ ^{لله} إسلام كهذا ،
وويل من يدعوهؤلاء مسلمين .
وكان غرض يزيد والحجاج من غزو البيت قتل عبدالله بن الزبير ، فقتلوه

(١) هذا درس بلغ تلقاه يزيد لعنه الله من الأستاذ الأكبر أبي حفص عمر بن الخطاب لعنه الله.

(٢) العدد أكثر من هذا بكثير.

(٣) إن كان يشير إلى أخذ القراءطة الحجر حين غزو البيت فالأمر على خلاف ما قاله تماماً ، وإن كانت حكاية أخرى فإني لم أعثر عليه في التاريخ ولا بدع فما زال في الروايا خبايا .

وصلبوه على شجرة في مكة^(١) فلما أُنْزِلَ من الشجرة كانت قد جفّت ، وكانت أمه أسماء ذات النطاقين^(٢) قد شاخت وأضربت ، ولما وقفت على رأس ولدتها وجدهم قد مثلوها به فقطعوا يديه ورجليه وأبانوا شفتينه ، وشققاً جوفه ووضعوا فيه الحجارة ، وهو أول مولود في الإسلام من المهاجرين ، وقد قتله الحاج اللعين وقال : طهرت مكّة منه ، ومكّن ليزيد معاوية أبوه فعل ما فعل ، ولقد مضى على القوم من هلالك عمر بن الخطاب إلى هلاك يزيد سبع وأربعون سنة ، وهلك يزيد لعنه الله بعد شهادة الحسين عليهما السلام^(٣) .

وما أعجب قول المخالف : نهى النبي عن لعن المصلين ، ومعاوية ويزيد من المصلين ، ومع هذا يلعن علماء المعتزلة علماء الشيعة ويذمّون أهل بيت النبي ﷺ مع أن الجميع يصلون ويترضون عن معاوية ويزيد ، أسأّل الله أن يحشرهم معها و هو كذلك فعلاً طبقاً للحديث « المرء مع من أحبه »^(٤) ، ويحشر علماء الشيعة مع أهل بيت النبي ﷺ .

(١) بل صلبوه في البيت الحرام.

(٢) أخت عائشة وقد لقيت بذات النطاقين زوراً لأنّهم زعموا أنها قسمت نطاقها لرسول الله ليلة الهجرة.

(٣) قبل : هلك عمر سنة ثلات وعشرين وقيل أربع وعشرين ، وهلك يزيد سنة أربع وستين ، هكذا ذكر الطبراني في تاريخه عن وفاته ، فيكون الحاصل من طرح ثلات وعشرين من أربع وستين ، اثنين وأربعين سنة ، أو واحد وأربعين على القول الثاني لوفاة عمر.

(٤) رسائل الشهيد الثاني : ٣١٩ ، علل الشرائع : ١ : ١٤٠ ، أسمالي الصدوق : ٢٥٢ ، مكارم الأخلاق : ٤٥٦ ، مسند أحمد : ١ : ٣٩٢ و ٣ : ١٠٤ بطريق كثيرة و ٤ : ٢٣٩ بطريق أكثر ، سنن الدارمي : ٢ : ٣٢١ ، صحيح البخاري : ٧ : ١١٢ و ١١٢ بطريقين ، صحيح مسلم : ٨ : ٤٣ ، سنن ابن ماجة : ٢ : ١١١٨ ، سنن أبي داود : ٢ : ٥٠٤ ، سنن الترمذى : ٤ : ٢٢ و ٢٣ و ٥ : ٢٠٥ و ٢٠٦ ، مجمع الزوائد : ١ : ٢٨٦ و ٩ : ٣٦٤ ، عون المعبود : ١٤ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٨٠ .

يقول صاحب الحاوية: تدخل فاطمة يوم القيمة عرصة الم Shr وعلى يدها حلّة خضراء وعلى يدها الثانية حلّة حمراء وتنادي برفيع صوتها: رب احکم بيني وبين قاتل ولدي بأي ذنب قتلواهما أحدهما بالسم والآخر بالسيف بالعبارة التالية: إنّ فاطمة تحبّي، يوم القيمة يدّها قيس أخضر وبالآخر قيس أحمر، فتقول: يا رب، انتصف لي من قتلة ولدي لم سُمّ أحدهما وذبح الآخر، فيحكم الله لها أولاً يعني الحسن من معاوية، وثانياً من يزيد لعنه الله.

وقال أيضاً عن العباس: لما كانت ليلة زفت فاطمة إلى علي عليهما السلام كان النبي عليهما السلام قدّامها وجبريل عن عينيها وميكائيل عن يسارها وسبعون ألف ملك من ورائها يسبّحون الله ويقدّسونه حتى الفجر.

وقال أيضاً: أدخلت فاطمة عليهما السلام على (رسول الله) النبي عليهما السلام هي التي كانت ترضعه أذهب جبريل في خيل من الملائكة قد نشروا أجنحتهم ويبكون حزناً على الحسين وأنه علامة المصيبة للملائكة.

وقال أيضاً: إنّ ملكاً في البحار نزل إلى (المهر الأعظم - كذا) وصاح صيحة وقال في صيحته: يا أهل البحار، البسوأ ثواب الحزن فإنّ فرج محمد مذبور، ثم جاء إلى النبي فأخبره بذلك^(١).

قال الحسام الخوارزمي: لو تصوّرتم مقدار المصيبة للبيت ثياب المصايبين أو تغيّرت صوركم سوداً حزناً على قتله.

روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا مع رسول الله عليهما السلام ومعه الحسين عليهما السلام، فعطش ولم نجد ماءاً، فأعطاه لسانه فصبه حتى ارتوى، ثم فرحا بقتله عطشان يلوك لسانه عند الذبح.

(١) مدينة المعاجز ٣: ٤٣٨ وفيه: البحر الأعظم.

وَعَنْ حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُعْطِيَ الْحُسَينُ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا مِنْ وَلَدِ آدَمَ مَا خَلَقَ يُوسُفُ بْنُ يَعقوبَ.

يقول مؤلف الكتاب: المراد من الفضل جمال الصورة وشرف المحتد من الأب والجد والأم كما كان ليوسف عليه السلام، وثانياً أحسن القصص لأنّ من قصص الأنبياء وحكاياتهم والأوصياء والأولياء حكاية يوسف والحسين عليهما السلام ملكا الشهرة في العالم، والجميع يعرفون ذلك ويقرؤونه.. ويحزنون عليه.. وكذلك يقول صاحب الحاوية^(١).

ويقول صاحب الحاوية أيضاً: عن خيثمة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: بِي أَنْذِرْتُمْ، ثُمَّ بَعَلَّيْ بْنَ أَبِي طَالِبٍ اهتَدِيْتُمْ، «إِنَّمَا أَنْتُ مُنْذَرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَايِدٌ»^(٢)، وبالحسين أُعطيتم الإحسان، وبالحسين تسعدون وبه تشقون، وإنما الحسين باب من أبواب الجنة؛ من عانده حرّم الله عليه ريح الجنة^(٣).

عن أبي أيوب الأنباري عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: يَنْادِي مَنَادٍ يَوْمَ القيمة من بطن العرش: يا أهل الجمع، نَكْسُوا رُؤُوسَكُمْ وَغَضَّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَجُوزَ فاطمة بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْصَّرَاطِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: فاطمة مهجة قلبى، وابناها ثرة لفؤادى، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربى وحبله المدوود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجى، ومن تخالف عنه هوى.

إذن ظهر من هذه الأحاديث واقع أولئك الذين غصبو حقوقهم وقطعوا

(١) لم أعثر في الذريعة على كتاب واحد للمولى محمد واسمه الحاوية في تحقيق أمر الزاوية.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) مائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي: ٢٢.

رؤوسهم ووضعوها على رؤوس الرماح، وأفتووا بآبادحة دمائهم وأشلوا عليهم الفساق، وصاروا مبدء ذلك الظلم، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

وروى هذه الأخبار صاحب الحاوية أيضاً بأنَّ الإمام زين العابدين لما حملوه

إلى يزيد أنسد يزيد لعنه الله هذا البيت:

لا تطمعوا أن تهينونا ونكركم
وأن نكتُف الأذى عنكم وتتوذونا

الله يعلم أنت لا تحبكم ولا نلومكم ألا تحبونا

وقال يزيد: يا غلام، ليس لكم فخر علينا، فقال الإمام عليه السلام: يابن معاوية وهند وصخر، لم تزل النبوة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية الإسلام وابوك وجدرك في أيديها راية الكفر، ثم أنسد:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم

بعترتي وبأهلي عند منتقدي
منهم أسرى ومنهم ضرروا بدم

ثم قال: يا يزيد، لو تدري ما فعلت وما الذي ارتكبت من قتل أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذن هربت في الجبال وفرشت في الرمال ودعوت بالويل والثبور، ويكون رأس الحسين بن فاطمة وابن علي عليه السلام منصوباً على باب مدینتكم وهو وديعة رسول الله عليه السلام فيكم فابشروا بالحزى والملامة غالباً إذا جمع الناس ليوم القيمة.

وجاء في الحاوية أنَّ يزيد شرب حمراً وسكب فضলته على رأس الحسين عليه السلام فغسلت زوجة يزيد الرأس الشريف بالماء وماء الورد فرأرت فاطمة بالليل بعالم الرؤيا وهي تعذر إليها، ثم أمر يزيد أن يحمل رأس الحسين ورؤوس أهل بيته إلى أبواب المدينة فتنصب عليها.

وأورد الحاكم في رسالته: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْظِرِ الَّذِينَ يَذْعُونَ رَبِّهِمْ بِالْغَدَاءِ﴾

وَالْعَنْشِيَّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^(١) والنبي طرد مروان من المدينة وهذا دليل على كفره، فلما استخلف عثمان (لعنه الله - المترجم) رده وأُسنِدَ إليه منصب الوزارة، وطرد أبا زاذر بخلاف حكم هذه الآية من المدينة وهو حبيب رسول الله ﷺ، أُنْصَفَ من نفسك أيها المخالف، إن صنع عثمان هذا لا يدلّ على صحة خلافه بل ولا على إيمانه أو إسلامه.

وقال صدر الأئمة البخاري: وأمر يزيد بن سعيد بمنصب رأس الإمام الحسين عليه السلام على باب مدينة دمشق وأسكن مخدّرات الرسالة في بيت يجاور بيته، ولما دخلن البيت خرجن نساء آل أبي سفيان لاستقبا لهنّ ورُحْن يقتلنْ أَيْدِيهِنْ وأَرْجُلِهِنْ وهنّ صارخات باكيات لاطمات، وأقْنَ العزاء ثلاثة أيام، ولما رأين بنات النبي بهذه الحالة المزرية خلعن ملابسهنّ ورميّنها عليهنّ، وحضرت امرأة يزيد عن رأسها وشققت جيّبها وعمدت إلى ستائر بيتها فزقّتها وأقبلت حافية القدمين إلى مجلس يزيد وقالت: يا يزيد، أأنت الذي أمرت بحمل رأس ابن بنت رسول الله على الرع ونصبته على باب بيتك، وكان يزيد جالساً على عرش الملك وعليه تاج مرصع بالدرّ والياقوت والمجاراة الكريمة، فلما بصرت عينه بزوجته سافرة بادر إليها وسترها وقال: يا هندي، فاغفر (كذا) فاقعري وابكي على بني بنت رسول الله.

وجاء في الحاوية أن النساء يتسترن على ما جرى في كربلاء من قتل الرجال والشباب على البنات والولدان، ويعدن الأطفال الصغار بعوده آباءهم من هذا السفر إلى أن أدخلوهنّ بيت يزيد لعنه الله وكان معهنّ بنتيه لها من العمر أربع سنوات، انتبهت من نومها وصرخت ت يريد أباها الحسين عليه السلام، لقد كان معي الساعة وأنا نائمة، فثارت للنساء والأولاد ضجة وصيحة، وكان يزيد لعنه الله يغط في نومه

العميق فانتبه يأنزع عاج وسأل: ما الخبر؟ فأخبروه بما جرى، فقال: خذوا لها رأس أبيها، فحملوه إليها ووضعوه بين يديها، فسألتهم: ما هذا؟ فقال لها اللعنة: هذا رأس أبيك، فصرخت الطفلة مرعوبة واستولى عليها الرعب الشديد حتى مرضت وبقيت من بعدها أيامًا ثم ماتت وأسلمت الروح إلى ربها.

الفصل الرابع

في أن بنى أمية لم يكونوا من قريش

اعلم أن أمية غلام رومي لعبد الشمس وكان قد أعتقه وتبناه لما رأى سطوع الذكاء والكياسة مرسوماً على محياه، وولد له أولاد كثيرون جلهم لعنة. والعلماء قول واحد أن الشجرة الخبيثة (الملعونة) هم بنو أمية في قوله تعالى: **﴿وَمُثِّلَ كَلِمَةٍ حَبِيبَةٍ كَشَجَرَةٍ حَبِيبَةٍ اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَزَارٍ﴾**^(١).

الفائدة الأولى

سؤال: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فكيف يقال لمثله غلام، أو كان غلاماً؟

الجواب: جرت عادة العرب أن المملوك إذا أعتقه وتبنته يُدعى عندهم بعتيق أو معتق، نظير هذا زيد بن حارثة حين أعتقه النبي ﷺ وتبناه فكان يدعونه زيد ابن محمد، واشتهر ذلك بين أهل مكة والمدينة وكان الله سبحانه يكره ذلك. ولما طلق زيد زوجه زينب بنت جحش وأمر الله رسوله أن يتزوجها لكي يعلم الناس أنه ليس ولده على الحقيقة ولا هو بوارث له، إنما ترثه فاطمة وابنها الحسن

والحسين عليهما السلام، كما قال تعالى: «فَقُلْ تَعَالَوْا إِذْ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ»^(١) وكتب المفسرون حكايه ذلك في سورة الأحزاب: «فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرَا رَوْجُنَاتُهَا لِكَيْنَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَذْعَانِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَا وَكَانَ أَفْرَ اللَّهِ مَفْعُولًا»^(٢)، «مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ»^(٣) والمراد بقوله «أبا أحد» دفع هذه الأبوة.

وهكذا كان عبد الشمس وأمية حين اشتهر الأخير بابن عبد شمس، والمؤرخون أخذوا ظاهر القول، وهذا التحقيق بلغنا من الحقّيين الذين كشفوا الواقع وأبانوا عن حقيقة هذه البنوة.

الفائدة الثانية

ولما ثبتت كون بني أمية روماً، فقد قال الله تعالى: «إِنَّمَا غُلِبَتِ الرُّومُ»^(٤) فهذه الآية تعنيهم، ويُغلب في مملكتهم أهل الصلاح والدين وهم الغالبون، والمراد من غلبة الروم مذكور في آثار أهل البيت والأئمة الصادقين عليهم السلام.

الفائدة الثالثة

وصف الله الشجرة الخبيثة بقوله «مَا لَهَا مِنْ قَرَابٍ»^(٥) والمعنى بذلك هم، ولا تبقى مملكتهم أكثر من ألف شهر، فإذا انتهت هذه المدة حلّ بهم الهالك، وحينئذٍ يُسطع نجم آل محمد عليه السلام، ويظهر المؤمنون الإيمان، ويفشو بينهم لعن الشجرة الخبيثة.

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) الأحزاب: ٤٠.

(٤) الروم: ١ و ٢.

(٥) إبراهيم: ٢٦.

الفائدة الرابعة

سئل الإمام الصادق عن ليلة القدر، فقيل: يابن رسول الله، أتعرف ليلة القدر؟
قال: كيف لا أعرفها، إنَّ الله كشفها لنا، وفي هذه الليلة من كل سنة ينصب كرسيَّ
الكرامة لنا ويجلسنا عليه، وتأتي الملائكة المقربون وأرواح الأنبياء والمرسلين
زرافات ووحداناً للسلام علينا وتهنتنا، وتذهب إلى مصافها حتى مطلع الفجر،
وهي خير من ملك بني أمية ألف ليلة.
وما ناله بنو أمية في هذه المدَّة من اجتاع الفساق عليهم نحن نناله في كل سنة ليلة
القدر وما يضرنا إذا جفانا الفساق.

الفائدة الخامسة

لما ثبت كون بني أمية ليس من قريش بل من الروم بطلت خلافة عثمان
ومعاوية، وهذا على مزعمه القوم أنَّ الأئمة من قريش لأنَّهم ليسوا منهم.

الفصل الخامس

سبَّ عدي بن أرطاة على منبر البصرة أمير المؤمنين عليه السلام وكان الحسن البصري
حاضراً، فقال: والله لقد سبَّ أخا رسول الله ..^(١).
قال عبدالله بن الحارث: ذهبنا أنا وعمرو بن الحجاج إلى معاوية وثنينا من بعده

(١) الحسن البصري دجال كبير ولا واقع لما يبدو عليه من حسن السمع فبأنه منحرف عن
أمير المؤمنين، ولو صدق هنا لمسبه في موضع آخر، فقال عنه: لا أبا لك، والواقع أنَّ هذا
الخيث الدجال كان في عهد أمير المؤمنين ابن سنتين ومن بعده لم يتقدَّم به العمر ليكون بهذا
المستوى من العقل والفهم والدين.

بعيده الله بن عمرو بن العاص، فقال: إن معاوية منعنا من رواية الحديث وقال: والله لئن حدثت لأضربي عنقك بالسيف. قال عبدالله بن الحمرث: فقلت: والله لو كانت عنقي لما تركت الحديث عن رسول الله ﷺ.

ثم قال: كنت يوماً عند رسول الله ﷺ فرّ معاوية يقود أباه وكان أرمد، ورسول الله على المنبر، فقال: لعن الله التابع والمتبع^(١) ثم حضرت عند النبي ﷺ فأرسل وراء معاوية، فقيل له: يأكل، وأعاد الرسول مرات وهو يأكل، فقال الرسول: يا رسول الله هو يأكل، فقال النبي ﷺ: اللهم لا تُشعّ بطنه فلن يشع، هلرأيتموه يشع^(٢). قال الراوي: فسألته: ألم سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: سمعت أذني ورأت عيني في المرتدين كليهما، وقال النبي ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه^(٣).

(١) بحار الأنوار ٣٣: ١٩١ وفي الجملة بسياق ثالٍ، مناقب أهل البيت للشرواني: ٤٧، شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٩ وفيه: رب يوم لأمتي من معاوية ذي الاستاء، قالوا: يعني الكبير العجز.

(٢) كان سليمان بن عبد الملك ثعبانى الاتهام لقمانى اللتقام على أن جمیع المرواتیة كانوا أمثالاً في الأكل، إمامهم في الأكل في سبعة أماء معاوية (لعنه الله ولعنة لهم). (ربيع الأول ٣: ٢٥٣) قال رسول الله ﷺ: الكافر يأكل في سبعة أماء. (رواہ أحمد في المسند ٢: ٢١) وأخرجه كثيرون يتعذر حصرهم.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٧٦، الكامل لابن عدي ٢: ١٤٦ و٢٠٩ و٣: ٤١٩ و٥: ١٠١ و٧: ٣١٤ و٧: ٨٣، تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ١٥٥ و١٥٦ و١٥٧، تهذيب الكمال ٧: ١٠٢، سير أعلام النبلاء ٦: ١٠٥، تهذيب التهذيب ٢: ٣٦٩ و٥: ٩٦ و٨: ٦٥، لسان الميزان ٣: ٥٤، البداية والنهاية ٨: ١٤١ و١٤٢، تقوية الإيمان لمحمد بن عقيل: ١٣٩. وثبت بـ الدغر والخيانة لأنصاره السنة كما يصفون أنفسهم فحرّفوه «أقبلوه» ولم يفعلوا ذلك إلا لأنّه إدانة لإمامهم الأكبر ابن صهّاك سوّد الله وجهه ولعنه.

الفصل السادس

في فوائد ونكات وردت في كتاب مثالب بنى أمية من كلام الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعيد إسماعيل بن علي السمان وهو من علماء أهل السنة، فنكتب ما هو من خلاصة كتابه ونواتره

قال الحسن البصري: كنت لا أستطيع ذكر اسم علي في عهد بنى أمية، فأقول: حدّثني أبو زينب، خوفاً من بنى أمية.

قال موسى بن داود: سمعت من علي وهو واقف عند أحجار الزيت، رافعاً يديه يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، فحدثت عبد الملك بذلك، فقال: ما أراه إلا بريئاً يا موسى. قلت: فلماذا يلعنونه على المنابر؟ فقال عبد الملك: لا يقوم الملك إلا بذلك.

وكان قتل عثمان بسعي معاوية ولكنّه ما فتئ يشتعل على علي عليه السلام ويدعى الطلب بعد عثمان لعنه الله والدليل على ذلك أن عبد الله بن سعد أقام بعسقلان بعد مقتل عثمان ولم ير وجه معاوية قط وقال: أكتب على نفسي أن لا أرى وجه رجل رضي بقتل عثمان وأعان عليه.

قال محمد بن عبد الرحمن بن يزيد: قلت لأبي: يا أبي، أتغزو في إمارة الحجاج؟ فقال: يا بني، إن أصحاب رسول الله غزوا في زمن معاوية وهو شرّ من الحجاج.

قال الأعمش: إن الحجاج جرّد عبد الرحمن بن أبي ليلى من ثيابه وأمر بضرره حتى تناثر لحمه وهو يقول: العن علياً ابن أبي طالب، وهو يأبى.

قال عبدالله بن الزبير: أولاد الحكم ملعونون.

وكان رجل يحدث عمر بن عبدالعزيز فقال في أثناه كلامه: يزيد أمير المؤمنين^(١) وكان عمر بن عبدالعزيز في بني أمية كمؤمن آل فرعون. وقال مروان لخويط: هممت أن أسلم فعندي أبوك مرات، وقال: لا تدع دين آبائك وأجدادك فيضيع شرفك، فلماً أسلم عثمان وهو عمك ألم أباك كثيراً وعاتبه وقال: إنك فعلت سوءاً.

قال الأحنف بن قيس: حضرت عند معاوية أنا وجماعة من أهل العراق فاختلت آرائهم في يزيد وكل واحد قال ما عليه وكنت صامتاً لا أنطق بكلمة، فقال معاوية: مالك يا أحنف ساكت أمام الملا، فقمت وقلت بعد أن حمدت الله وأثنيت عليه: إنك أعرف بيزيد ليه ونهاره، وسرره وعلنه، لأنك أبوه، واعلم بأننا شارفنا على النهاية فلا تزوده الدنيا وتغنكه من رقاب العباد وتذهب إلى ربك فالله سائلك عن ذلك، فاتق الله ولا تصيره حاكماً على رؤوس العباد، فبدر ملعون متزلف كان حاضراً فقال: من أنكر ولایة معاوية ولم يقبل حكمه عليه ضربته بحد سيفي هذا، وأشار إلى قائم سيفه.

قيل: بلغ الظلم في عهد بني أمية حدّاً أن كان الناس يتمنون الموت وقيام القيمة ليروا من ظلمهم وجورهم.

وكان سالم بن أبي حفص يطوف في البيت ويقول: ليتك مهلك بني أمية ليتك، فلماً سمعه داود بن علي أرسل إليه ألف دينار مكافئة.

هرب عقبة بن شداد من عمر أيام خلافته ونزل الكوفة وحضر صفين مع أمير المؤمنين عليه فاستشهد، فلماً استولى معاوية لعنه الله أمر بهدم بيته. ولماً ذهب معاوية إلى الميقات لعقد الإحرام وأراد أن يقول ليتك قيل له: هذا

(١) لم يتم الرواية فإنَّ عمر بن عبدالعزيز ضرب هذا القائل خمساً وعشرين سوطاً.

مكان مقدس لأنَّ علِيًّا لَبِيَ منه، فترك معاوية الإحرام تعصباً على علِيٍّ لَبِيَ وذهب إلى موضع آخر.

قال المصنف: واليوم أهل السنة يتبعون سنته وإنما قيل للسنَّي سنَّي لأنَّه حافظ على سنة معاوية وتبرأ من علِيٍّ وأهل بيت النبي ﷺ وإلا فالمسلمون جميعاً شركاء في سنة النبي ﷺ، وما من حنبلي إِلَّا وهو ينتقص علِيًّا ويبحث عن غمiza يغمره بها^(١).

وقال ابن المسيب: ولد لأخِي ولد من فضل الله عليه فسماه «وليد»، فلما علم الرسول بذلك منعه منه وقال: هذا اسم الفراعنة «ليكونَ في أمتي رجل يقال له الوليد، ألا هو شرٌّ لأمتِي من فرعون لقومِه»^(٢) وحكم في الإسلام ولidan: الوليد ابن يزيد والوليد بن عبد الملك^(٣).

جاءَ أعمى يوماً إلى مجلس الحسن البصري وقال: ارحم أعمى ليس له قائد، فقال الحسن البصري: هذه السارية أسوء منك حالاً، هذا عبد الله بن الزبير مع ما

(١) صدقت يا شيخي الكريم، فهذا مشاهد للعيان معلوم لكل إنسان، وأنا إزاء هذا لا أملك إلا لعن الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، وألحق بهم أحمد بن حنبل لعن الله.

(٢) أمالى المرتضى ١: ٨٩ والرواية بصيغة أخرى والولد هو لأخِي أم سلمة. (مسند أحمد ١: ١٨، المستدرك ٤: ٤٩٤، والرواية عن ابن المسيب عن أبي هريرة، قال: ولد لأخِي أم سلمة.. الخ، والمؤلف أحاطَ بحسبتها إلى ابن المسيب، مجمع الزوائد ٧: ٣١٢، فتح الباري ١٠: ٤٧٨ و٤٧٩، المسند ١١: ٤٣، بعثة الباحث لابن أبيأسامة: ٢٥٢، القول المسند في مسند أحمد ٦: ١٤ و١٥، كنز العمال ١١: ٢٥٧، فيض القدير ٤: ١٧٢، كتاب المجر وحين لابن حبان ١: ١٢٥، تاريخ مدينة دمشق ٦٣: ٣٢٢، الإصابة ٦: ٤٨٠، البداية والنهاية ٦: ٢٧١، وهناك مصادر أعرضنا عنها لكثرتها، كلَّ هذا وتتجدد حarga الوليد والثناء عليه في كتاب «العواصم من القواصم» وعند الخطيب

محقق الكتاب وهذا الواقع يكشف لك ما هو دين القوم؟!

(٣) ولا تنس الوليد بن عقبة لعنهم الله جميعاً.

له من الخدم الحشم والمال ليس له من يقوده، وكان هذا اللعين قد أضرّ. «الحمد لله على عيّاه في الدنيا والآخرة واستيصال بني أمّة»^(١).

قال داود بن عليّ وهو من أعلام الدنيا يومذاك: كان رجل من أهل العراق يلعن أهل الشام، فقال عليّ^{عليه السلام}: لا تسبوا أهل الشام جمّاً غيراً فإنّ فيهم قوماً كارهين لما يرون في الشام وفيهم يكون الأبدال^(٢).

يقول أبو حاتم سفيان بن عتبة: لم يكن في عليّ خصلة يقصر بها عن الخلافة ولم يكن في معاوية خصلة يستحقّ بها الإمامة والخلافة.

قال عبيد بن شداد (الهار - كذا): لو شئت لصعدت المنبر وذكرت مناقب عليّ من الفجر إلى غياب القرص ثمّ لياخذوني من هناك وليضربوا عنقي. وسعّ عليّ^{عليه السلام} رجلاً يلعن أهل الشام، فقال: ويحك لا تعمّهم فإن كنت لابدّ فاعلاً معاوية وشيعته وعمرو بن العاص وشيعته.

يقال: إنّ أمّ كلثوم بنت عليّ^{عليه السلام} ولدت لعمر ولداً وسمّته زيداً فدسّ عبد الملك بن مروان السُّمّ له فقتله لأنّ الناس كانوا يقولون: هذا ابن عليّ وعمر، وكان يخشاه على ملكه، وصلّى عليه عبدالله بن عمر.

قال شقيق: كنت أنا ومسروق في سفينة تحمل أصناماً للنجاشي لبيعها في الهند، فقال شقيق: اغرقوا هذه السفينة، فقال مسروق: لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فليست هي شرّاً من معاوية بن أبي سفيان إمام المسلمين.

كان عقيل بن أبي طالب ضيفاً على أخيه، جاء يطالبه بالعطاء، فقال له الإمام:

(١) لا أعرف ابن الزبير هذا ولم يتيسر لي الاطلاع عليه ولا شك في تصحيفه.

(٢) الأبدال في الشام حديث موضوع ردّه جلّ العلماء إن لم يكن كلامهم بل لا أبدال في البين ليكونوا في الشام أو غيرها.

اصبر حتى يخرج عطاء الناس فأعطيك، فألع عليه عقيل وكان إلى جانبها شخص ثالث، فقال له علي عليه السلام : يا رجل ، خذ بيده إلى هذه الدكاكين وليحمل منها ما شاء ، فقال عقيل : يابن أم ، أتريدني أن أكون لصاً بعد الهجرة ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : وأنت تريدينني أن أسرق لك أموال المسلمين ؟! فقال عقيل : ائذن لي بالمصير إلى معاوية ، فقال له : أذنت لك ، فأنت وذاك .

فصار عقيل إلى معاوية فلما وصل إليه أعطاه مائة ألف درهم وقال له : اصعد المنبر يا عقيل واذكر عطائي وعطاء أخيك ، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : كانت حالى مع أخي ومعاوية كيت وكيت ، ولكن أخي اختار دينه على معاوية اختارني على دينه .

قال أبو سعيد الخدري : كان معاوية يخطب على المنبر فسلَّمَ رجل سيفه في الجمع ، فقيل له : ما تصنع ويحك ؟! فقال : سمعت رسول الله يقول : إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد^(١) فاضربوا عنقه ، وقال الحاضرون : ونحن أيضاً سمعنا ما سمعته ، فكتبوا إلى عمر بن الخطاب لعنه الله فارداً عليهم الجواب إلى أن ذهب إلى جهنم .

قال أبو سالم : قال رسول الله عليه السلام : ويل لبني أمية ، ويل لبني أمية ، ويل لبني أمية ..^(٢)

وكان معاوية يقول : السخاء لبني هاشم ، والشجاعة لبني العوام ، والحلم

(١) لم يدرك الكلمة فترجمها «بعيدها» أي الأعياد ، وجاءت كذلك في الكتاب .

(٢) الغدير : ٨ ، الأحاديث المثنوي : ٣٠٠ . وأبو سالم هذا حمران بن جابر وهو جد عبدالله بن بدر . كنز العمال : ١١ : ١٦٥ رقم ٣١٥٩ و ٣٦٣ رقم ٣١٧٥٠ ، أسد الغابة : ٢ : ٤٦ و ٣٤٣ ، الإصابة : ٢ : ٤١٠ ، تاريخ المدينة لابن شبة التميري : ٢ : ٦٠٠ ، بنایع المودة : ٢ : ٨٤ ، النصائح الكافية : ١٣٩ . تنبيه الغافلين : ١٠٥ .

(الحكم - المؤلف) لبني أمية، فوصل قوله إلى الإمام الحسن عليه السلام، فقال: ما قصد المدح بل ألق الخبر إلى الناس ليقصدوا بني هاشم فينفقون أموالهم فيحتاجون إليه، ويلقي بيبي العوام بين هلوات الموت، وأعطى الحلم لبني أمية ليجتمع عليهم الناس ويبلغوا بهم غاية الملك والسلطان.

ونادي منادي معاوية: من جالس أباذر قتلناه، فهرب الناس منه، والقصد من ذلك أن لا يستمعوا إلى ذكر مناقب عليّ منه لأنّه طالما كان يحدث بفضائله التي رأها أو سمعها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قيل: زار أبو الأسود معاوية، فلما قام قائمًا انفلتت منه ريح، فقال أبو الأسود: يا معاوية، هذا مقام العائد بك، وقال: أو يكون غير هذا ..^(١). وأشار بأذنه ما وقع معي يقع منك ومن أبيك، ومن لا يؤمن على ريح كيف يؤمن على أمارة الأمة؟!

سئل الحجاج بن يوسف من أبي سعيد الحسن البصري: ما تقول في عليّ؟
قال: كان أول من اهتدى، وأول من اقتدى برسول الله، وأول من هاجر الهجرتين، فقال الحجاج: صدقت، هذا من «وما جعلنا القبلة التي كنت علّيها إلا لينتعلّم من يتبّع الرّسُولَ ممّن ينقلّبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الدِّينِ هَذِهِ اللَّهُ»^(٢) وكان عليّ بن أبي طالب أول من هداه الله تعالى مع الحق وأول من التحق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الحسن البصري: عمل معاوية أربعًا كلهنّ بواشق: ادعائه زياداً، واستخلافه يزيد، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، ومنازعته الأمر^(٣).

(١) إن كانت الريح من معاوية فإنه أهل لها، وإن كان المؤلف يقصد بها أبو الأسود - وحاشاه - فإن ذلك من دس العدو فقد كانوا يعادونه غابة العدا لأنّه موالي لأهل البيت، وما وجدوا ما ينتقصه إلا هذا وأمثاله، وهل هذا إلا بعض أخلاق فاروقهم!

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) القواعد الفقهية ٤: ٢٥ ولم ينسبها إلى أحد، البداية والنهاية ٨: ١٣٩، كشف الغمة ٢: ٤٥.

رأى بسر بن أرطاة زيداً خارجاً من عند معاوية، وزيد من أم كلثوم بنت الإمام عليه السلام، فشرع يسبّ علياً، فسمعه زيد يسبّه فأقبل عليه وقبض على مراق بطنه وحمله ثمّ جلد به الأرض وكسر أضلاعه، فاجتمع الناس وخلصوه من يد زيد، فبهرت معاوية وبقي أياً لا يعي من أمره شيئاً، وكان السيف لا يفارقه من خوف زيد، ولا يجرأ على عتابه، وكان زيد غاية في الشجاعة.

عاد معاوية عماراً فلما قام من عنده قال: اللهم لا تجعل موته بأيدينا، فإني سمعت

رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: يقتل عمار بن ياسر الفتة الbagia.

ولما قُتل عمار قبل عمر بن حازم في ذلك اليوم على عمرو بن العاص باكيأ، فسأله عمرو: ما بالك؟ فقال: قتل عسکرنا عماراً بن ياسر وقد سمعت رسول الله يقول: يقتل عماراً الفتة الbagia، فنهض عمرو مسرعاً إلى معاوية وحدّثه بما سمع، فقال معاوية: على عمار أن لا يأتي إلى هنا، ولقد قتله من جاء به، ولبس عليهم بحيلته ومكره.

ناظر يوماً عبد الرحمن بن أبي بكر مروان بن الحكم في أمر الخلافة، فقال مروان: وهذه تقاليد الأكاسرة والقياصرة إذا مات كسرى قام كسرى مقاماً، وكذلك القيصر، ولأجل ذلك منعوا أهل البيت حقّهم فأوصى بها أبو بكر لعمرو وعمر للشوري وعثمان قتل من دون وصيّة^(١). فلما بلغ الأمر عائشة حوت وجهها إلى مروان وقالت: أنت القائل لأخي كيت وكيت، ولكن أشهد الله أنّ الله لعنك وأنت في صلب أبيك.

والعبارة التي لم يتمنّها المؤلّف: ابتزازه على الأمة بالسفاه حتى ابتزّها أمرها بغیر مشورة منهم وفيهم بقایا الصحابة وذروا الفضيلة. ينابيع المودة ٢: ٢٧.

(١) هذا القول لعبد الرحمن حين انبرى إلى مروان وهو يبحث على البيعة لزيد، فقال له: كذبت يا عدو الله، إنكم صيّرتموها قيسارية، ثم اشتتدت المصالحات بينهما حتى تداركتها عائشة، والمؤلّف غير دقيق في الترجمة من العربية ولا هو بصير بما ينقل من التاريخ.

قال الحسن عليه السلام يوماً: يا قوم، لو نظرتم ما بين جابقا وجابسا ما وجدتم رجلاً جده نبيّ غيري وغير أخي الحسين^(١) وإنّي أرى أن تجمعوا على معاوية، وما أدرى لعلّها فتنة لكم ومتعة إلى حين.

وكان الحجاج بن يوسف دائياً في تفضيل عبد الملك بن مروان لعنه الله على رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يعرض بذلك ويقول للناس: أرسولكم أكرم عليكم أم خليفتكم على أهلكم، فيردون عليه: بل خليفتنا على أهلنا، يريد بذلك عبد الملك خليفة الله و محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله.

وكان معاوية كلما حزبه أمر أو ألمّت به معضلة يوجه لها إلى عليّ بن أبي طالب إلى أن جاءته مسألة في المخنث فلم يعرف لها حلاً حتى سأله عليّاص عليه السلام فأفاته. وسئل على عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿لَأَنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا إِنْعَمْثَ اللَّهِ كُفَّارًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ النَّبَوَارِ﴾ جهنّم يضلّونها وينسّ القرآن^(٢)، قال: الذين بدّلوا هم بنو المغيرة واستأصلوا يوم بدر وبنو أمية ومتّعوا إلى حين.

وكتب معاوية إلى مروان وهو والي على المدينة أن انقل منبر رسول الله من مكانه وابعث به إلى إلينا، فلما شرع ذلك الملعون في قلعه من مكانه هبّت عاصفة شديدة اظلمت لها الدنيا وكان الناس من شدتها لا يرى بعضهم بعضاً، ولا يسمع بعضهم بعضاً، فلما رأى ذلك تركه في مكانه فهدأ العالم وسكنت العاصفة، فاستحبّها مروان من عمله هذا وقال ما كراً بهم: إنّ معاوية أمرني برفعه عن الأرض، وشنّع عليه الناس فأضاف إليه اللعين ستّ مراقي أخرى حتى صار تتسع مراقي.

(١) شرح أصول الكافي: ٢٢٨ واقتصر على هذا الجزء ومثله فعل صاحب ينابيع المودة، وزاد عليه أموراً أخرى (٢: ٣٦٩) وأحسب إضافة المؤلف من كلام آخر للإمام الحسن عليه السلام.

(٢) إبراهيم: ٢٨ و ٢٩

قال عبد الله بن الزبير : لعن رسول الله الحكم وما (كذا) يخرج من صلبه^(١).
 قيل : حجّ معاوية ذات عام فلما بلغ المدينة أجلس عن يمينه عبد الله بن عمر ،
 وعن يساره عبدالله بن عباس ، وأقبل على ابن عباس وقال : أنا أحق وأولى بالأمر
 من ابن عمك ، فقال ابن عباس : لماذا ؟ فقال معاوية : لأنّي ابن عم الخليفة المقتول
 ظلّماً ، فقال عبدالله بن عباس : فهذا - وأشار إلى ابن عمر - أولى منك بها لأنّ أباه
 قُتل مظلوماً قبل ابن عمك ، فانقطع معاوية .
 وكان سعد في المجلس حاضراً ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا علي ، أنت
 مع الحق والحق معك^(٢) ، فقال معاوية : من سمعه غيرك ؟ قال : أم سلمة ، فقام
 معاوية إليها وقال : يا أم المؤمنين ، كثرت الكذابة على رسول الله ، ويقول سعد كيت
 وكيت ، فماذا تقولين أنت ؟ فقالت : جرى هذا الحديث على لسان رسول الله ﷺ في
 بيتي وسمعته أنا وسمعه سعد ، فقال : لو كنت سمعته من رسول الله ما زلت خادماً على
 حتى الموت^(٣) .

(١) استأذن الحكم على رسول الله ﷺ فقال : اذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا
 المؤمنين وقليل ما هم . (الحدائق الناصرة ٤: ١٩٦ ، المستدرك ٤: ٤٨١ ، كنز العمال ١١: ٣٥٧ رقم ٣١٧٢٩).

(٢) المحسن ١: ١٧ ، تحف العقول ٦: شرح الأخبار للقاضي نعمان ٢: ٦٧ و ١١٩ ، بحار الأنوار ٣٣: ٣٣ و ٩٣٤٠ و ٧٤: ٦٨ .

(٣) ويحسن بنا أن نروي الرواية بطلها فقد اختصرها المؤلف فضيئ كثيراً من فوائدتها : حجّ معاوية
 ابن أبي سفيان فأتى مجلس في حلقة مجلس بين عبدالله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب ،
 فضرب بيده على فخذ ابن عباس ثم قال : أنا كنت أحق وأولى بالأمر من ابن عمك ، فقال ابن
 عباس : ولم ؟ قال : لأنّي ابن عم الخليفة المظلوم ظلّماً ، قال ابن عباس - وضرب بيده
 على فخذ ابن عمر - : هذا أولى بالأمر منك لأنّ أبا هذا قتل قبل ابن عمتك ، قال : فانصاع ، أو كلمة
 نحو هذا .

جاء في المنقول عن الرواة: لما عزم أمير المؤمنين على حرب صفين سبق معاوية إلى ماء الفرات، ووضع على مقدمته أبا الأعور السلمي وعدى بن أرطاة، فعنوا أصحاب الإمام من ورود الماء، فبعث الإمام أمير المؤمنين عليهما إلى معاوية لعنه الله رجلاً من أصحابه يقول له: إنّ أصحابك حالوا بين أصحابي وبين الماء، ولو كنت السابق لما منعتكم، فشاور معاوية عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي سرح وهو أخو عثمان من أُمّه، فقال عمرو بن العاص: إني أرى أن تشنّح بجيشك لهم عن الماء، وقال ابن سرح: كلاماً دعهم هكذا حتى يهلكوا جميعهم عطشاً كما قتلوا عثمان عطشاً.

فلما أصبح الصباح أقبل على الإمام اثنا عشر ألفاً من الرجال وقال: أَنْتُ عَطْشَاً وَنَحْنُ نَنْظَرُ إِلَيْهِ، فقال الإمام عليهما: من فيكم يقوم بهذا الأمر؟ فقال الأشعث:

ثم إن معاوية أقبل على سعد بن أبي وقاص وكان حاضراً أيضاً، فقال: وأنت يا سعد الذي لم تعرف حقنا من باطل غيرنا فتكلّمون معنا أو علينا؟ قال سعد: إني لما رأيت الظلمة قد غشيت الأرض قلت: هيج، فأنخرته، حتى إذا أسفرت مضيت، قال معاوية: والله لقد قرأتك المصحف - أو ما بين الدفتين - ما وجدت فيه هيج، فقال سعد: أما إذا انتبهت فإني سمعت رسول الله يقول لعليّ ابن أبي طالب عليهما: أنت مع الحق والحق معك. قال معاوية: لتجيني عمر من سمعه معك أو لأفعلي بك هذا (وكذا). قال: (أم سلمة)، فقال: ققاموا معه حتى دخل على أم سلمة رضي الله عنها، قال: فبدأ معاوية فتكلّم فقال: يا أم المؤمنين، إن الكذبة قد كثرت على رسول الله بعده فلا يزال قائل يقول قال رسول الله ما لم يقل، وإن سعداً الآن روى حديثاً زعم أنك سمعته منه، قالت: وما هو؟ قال: زعم أن رسول الله قال لعليّ: أنت مع الحق والحق معك، قالت: صدق، في بيته قاله، فأقبل معاوية على سعد وقال: الآن أنت أكرم على ممّا كنت (كذا) والله لو سمعت هذا من رسول الله ما زلت خادماً لعليّ بن أبي طالب حتى أموت. (مستحب الدين بن بويه: ٢٥، ط مؤسسة الهادي، أولى ١٤٠٨ - قم).

أقول: لعن الله سعداً كما لعن معاوية: أيسمع هذا من رسول الله ثم يتردد في نصرة الإمام؟! نعم لأنّهم خلّيت الدنيا بأعينهم ورافقهم زيرجها.

أنا، وكان الأشعث رجلاً شجاعاً قوياً، يرمي السهم ثم يعدو معه حتى يسبقه، ثم إنَّ الأشعث حمل بهم على جيش الشام فأزالهم عن مراكزهم واحتلَّ الفرات وضرب أطناه هناك، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أما قلت لك لا تمنع الماء منهم، فرددت قولِي حتىْ أمكنَت العدو من الظهور عليك، فقال معاوية: إنَّ علياً رجل حليم وكريم فلا يعنينا من الماء، وأرسل رسلاً إلى الإمام، فأجابه مسرعاً، وأرسل إلى الأشعث: خلُّ بينهم وبين الماء.

مادام عليَّ حيَاً لم يدع معاوية إلَّا بأمير، فلما استشهد دعوه «أمير المؤمنين»^(١) ولقبوه بذلك دوننا استحقاق له.

قال حنظلة بن خوبلد: كنت عند معاوية فأقبل رجلان ومعهما رأس عمار بن ياسر وما يختصمان فيه، كلَّ يقول أنا قتله، وكان رجل حاضراً المشهد، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمرَ: يقتل عمار الفتنة الباغية، فتعسَّ لِكما ولما يختصمان فيه.

وكان النبيَّ قائماً على بناء مسجده وأصحابه يساعدونه، كان ينقل كلَّ واحد منهم لبنة لبنة وصخرة صخرة إلَّا عمار فكان يحمل اثنتين معاً، فقال النبيَّ ﷺ: إنَّك لحرirsch على الأجر، وإنَّك من أهل الجنة، وإنَّك تقتلك الفتنة الباغية^(٢).

قال سفيان بن ليلي: لما صالح المحسن معاوية ذهبت إليه في المدينة ودخلت عليه

(١) بل دعي بذلك بعد التحكيم، لعن الله أبا موسى الأشعري.

(٢) بداعي الصنائع ١: ٣٢٣، المحلّى لابن حزم ١١: ٩٧ و ٣٠٤، فضائل الصحابة: ٥١، مسند أحمد ٢: ١٦٤ و ٢٠٦ وأخرجه في الأجزاء الثالث والرابع والخامس بطرق عدَّة، صحيح البخاري ٣: ٢٠٧، صحيح مسلم ٨: ١٨٦، سنن الترمذى ٥: ٣٣٣، المستدرك ٢: ١٤٨ بطرق عدَّة.. و ٣: ٣٨٦ بطرق عدَّة أيضاً، السنن الكبرى ٨: ١٨٩، مجمع الرواند ٧: ٢٤١ بعده طرق.. و ٩: ٢٩٥ بعده طرق، سؤالات ابن أبي شيبة: ٨٥، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٧٥، خصائص أمير المؤمنين: ١٣٢.

وقلت: يا مذل المؤمنين، وعاتبته على الصلح كثيراً وعلى ترك القتال، فقال: يا سفيان، حملني عليه أني سمعت علياً يقول: لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم، لا يشبع ولا يموت حتى لا يكون له عاذر في السماء ولا في الأرض، وإنّه معاوية، وإنّي عرفت أنّ الله بالغ أمره^(١).
 ونودي بالصلة، فقال: هل لك يا سفيان في المسجد؟ قال: قلت: نعم، قال:
 فخرجنمشي فررنا على حلب يحلب ناقة فتناول منه قدحاً فشرب قائم ثمّ سقاني ثمّ أتينا المسجد فصلينا، ثمّ قال: ما جاء بك يا سفيان؟ قال: حبكم والذي بعث محمداً بهدئي ودين الحق. قال: فابشر يا سفيان، إني سمعت علياً يقول: قال رسول الله ﷺ: يرد على الحوض أهل بيتي ومن أحبتني من أمتي كهاتين، وسوى بين أصابعه [وسوى بين اصبعين السباتة والوسطى - المؤلف] ولو شئت لقلت: كهاتين السباتة والوسطى، ليس لأحدهما فضل على الأخرى، ابشر يا سفيان فإنّ الدنيا ستتسع على البر والفاجر، حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد^(٢).
 جرت بين الإمام الحسين وبين مروان بن الحكم لعنه الله مشادة لأنّ مروان أذن بلعن أهل البيت عليهم السلام^(٣)، فقال له الحسين عليه السلام: والله لعنك الله على لسان نبيه وأنت في ظهر أبيك.

ومن جمله المعاصي التي صدرت من هذا العاصي وهي الطامة الكبرى^(٤):

(١) مناقب أمير المؤمنين للكوفي ٢: ١٢٨ وفيه: يأكل ولا يشبع، ولا في الأرض حامد، وراجع: مقاتل الطالبيين: ٤٤، بحار الأنوار ٤٤: ٦٠، شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٤٤، كنز العمال ١١: ٣٤٩.

(٢) مناقب أمير المؤمنين ٢: ١٢٨.

(٣) أنا لا أعن مروان وحده بل أعن معه عمر بن الخطاب لعنه الله لأنّه هو الذي زرع بنى أمية في ضلوع الإسلام.

(٤) الحديث عن معاوية بن أبي سفيان لعنهم الله.

أولها: النفاق وعداوة الله ورسوله وأهل بيته رسوله وحربه على **الله**، وسمّه الحسن، وإذنه بقتل الحسين **عليه السلام**.

الثاني: استخلاقه يزيد الكافر مع علمه بفسقه وفجوره العلنيين.

الثالث: قتله حجر بن عدي مع أصحابه من دون ذنب جنوه بل لأنّهم يحيّتون **أهل بيته** **عليه السلام** ويُعبدون الله حق عبادته، وحجر رجل مشهور عند العرب، قيل: كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة.

الرابع: استلحاقه زياداً فصيّره أخاه ودعاه يزيد عمّه، وهو زياد بن حسام (كذا) ^(١).

الخامس: كان ثلاً عند هلاكه وقد وضع الصنم في عنقه، ومات على كفره القديم، ويزيد لعنه الله قصد تخريب مكة وأشار على عبد الملك أن يرسل الحجاج إلى مكة ليقتل أهلها من أجل ابن زبير الذي لجأ من خوفهم إلى حرّم الله ^(٢). وبعث مسلم بن عقبة إلى المدينة وأمره بقتل الأنصار وأولادهم ثائراً لقتلاه في بدر وأباها لهم ثلاثة أيام.

ولما قتل الملعون الإمام الحسين **عليه السلام** قال متمملاً:

ليت أنسياخي ببدري شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وأوزع يزيد إلى ابن مرجانة بخراب مكة، فقال اللعين: والله لا أجمع له قتل الحسين ابن بنت رسول الله وقتل أهل الحرم وتخريب بيته الله.

وقال أبو بكر البخاري: وأيّ كفر أشدّ من ذلك، من مجاهدة الله وغزو بيته

(١) حسام لا ريب أنه تصحيف من عبيد أو غيره، فلم يعرف لزياد أب بهذا الاسم فيما أعلم، والله العالم.

(٢) إنما لجأ إلى الكعبة ظناً منه أنها محترمة عندبني أمية فلا يقتلونه فيها ويظلّ يطاؤهم ويحاولهم إلى أن تدور الدائرة عليهم وهو ملعون مثلهم لأنّه استحلّ حرمتها.

الكعبة ولا فرق بينه وبين أبرهة الحبشي.

حجّ معاوية ذات سنة فلما فرغ من المناسب سأله: كيف حال فلانة، قالوا: هي حية ترزق، فقال: احضروها لي، واسمها تلك المرأة (دارمية المجنونية - كذا) وكانت سوداء اللون بادنة، ولهَا ثديان كبيران، فلما أقبلت على معاوية سلمت، فردد عليها معاوية السلام وقال: كيف حالك يابنة حام؟ فقالت: أنا لست حامية بل أنا امرأة من بنى كنانة.

فقال معاوية: أتعلمين لماذا أحضرتك هنا؟ قالت: لا. قال: أردت أن أسألك بماذا أحبيت علياً وأبغضتنا، ووالتيه وعاديتها؟ قالت: اعفني، فقال معاوية: كلاماً لا بدّ من ذلك، فقالت المرأة: إذا كنت مصراً فإني أحبيت علياً على عدله في الرعيّة وقسمته بالسوية، وأبغضك على قتالك مع من هو أولى بالأمر منك، وطلبك ما ليس لك، وواليت علياً على ما عقد له رسول الله من الولاية وحبّه للمساكين وإعطاءه لأهل الدين، وعاديتها على سفك الدماء وشقّ العصى.

ولما سمع معاوية قوله قال: هذا بهنـد والله يضرب المثل^(١) وهـنـد هي أم معاوية، فغضبت المرأة، فقال معاوية: لا تغضبي فـا أردت إـلا خـيراً، فإذا عظمـت العـجزـية استـوتـ الجـلـسـةـ، وبـكـرـ النـديـ يـكـثـرـ الغـذـاءـ لـلـوـلـدـ.

ثم قال معاوية: هل رأيـتـ عليـاـ وسمـعـتـ كـلامـهـ؟ فـقـالتـ: نـعـمـ، رـأـيـتـهـ وـسـمـعـتـ كـلامـهـ، فـقـالـ: كـيفـ كـانـ؟ فـقـالتـ: يـجـلـوـ القـلـوبـ مـنـ الـعـمـىـ كـمـاـ يـجـلـوـ الزـيـتـ (الـبـيـتـ المـظـلـمـ)، قـالـ: صـدـقـتـ، ثـمـ قـالـ: أـلـكـ حاجـةـ؟ فـقـالتـ: إـنـ ذـكـرـ حاجـتـيـ تـقـضـيـهاـ لـيـ، قـالـ: أـحـلـ، فـقـالتـ: مـأـةـ مـنـ إـلـبـ حـمـراءـ وـمـعـهـ رـعـاتـهاـ وـمـاـ يـلـزـمـهاـ، فـقـالـ مـعـاـويـةـ: وـمـاـ تـصـنـعـيـ بـهـاـ؟ فـقـالتـ: أـجـعـلـ مـنـ لـبـنـهاـ طـعـامـيـ وـمـاـ زـادـ عـلـيـ أـهـدـيـهـ إـلـىـ.

(١) ينبغي أن تكون العبارة هكذا لتسق معناها مع السياق: بهذه لا بهنـدـ واللهـ يـضـرـ بـالـمـثـلـ.

القراء والمساكين وأصلاح بها ذات البين، وأصلب بها الرحم، وأكسب بها الخير ومكارم الأخلاق، وأصلاح بها خلل العشائر والقراء وأمثال هذا، فقال: إن أعطيتك أكون عندك بمنزلة علي؟ فقالت: لا يا معاوية، وأنشدته هذين البيتين:

إذا لم أجد بالحكم متى عليكم فمن ذا الذي بعدى يؤتمل للحكم

خذيهما منيًّا واذكري فعل ماجد حباك على حرب العداوة والسلم

ثُمَّ قال: أعطوه ما أرادت، وقال لها: أما والله لو كان عليًّا ما أعطاك شيئاً،

قالت: اي والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين يعطيوني^(١) لأنَّه مؤمن والمؤمن لا يعطي مال المسلمين وأنت يا معاوية تعطيني مال المسلمين.

حجَّ معاوية ذات عام فأخذ يد سعد بن أبي وقاص وأجلسه معه على السرير

وكان هذا دأبه، ثمَّ أخذ يشتم عليًّا عليهما السلام، فقال له سعد: ما أعجب أمرك، أدخلتني بيتك وأجلستني معك على سريرك، ورحت تشم عليًّا عليهما السلام، والله إنَّ لعليًّا ثلاثاً لو أنَّ لي واحدة منها لكان خيراً لي مما طلعت عليه الشمس وغابت:

الأولى: في غزوة تبوك لما خلفه النبي على المدينة فأرجف به جماعة من المنافقين فقالوا: لقد سُئِّم رسول الله من عليٍّ وشق عليه، لما سمع عليًّا ذلك كبر عليه ولحق بالنبيٍّ وقال: يا رسول الله، خلقتني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله: يا علي، أما ترضى أن تكون متي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنه لا نبيٌّ بعدك.

الثانية: لما كان يوم خيبر وأعطي الراية لأبي بكر وعمر ورجعوا بها منهزمين من خيبر، قال: والله لا أعطي الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله،

(١) راجعها بسياقها العربي في «بلاغات النساء»: ٧٣ مطبعة بصيرتي - قم المقدسة، وسمَّاها «الدارمية الحجوبية»، وقد وقع فيها حذف بسياق المؤلف سوف تجده موفوراً في البلاغات ومن الحذف قوله: عاديتك.. الخ، قال: صدق فلنذلك انتفع بطنك وكبر ثديك وعظمت عجيزتك، قالت: يا هذا بهند والله يضرب المثل لا أنا.. الخ.

يفتح الله على يديه، كرار غير فرار.

والثالثة: أنه صهر رسول الله على فاطمة، وأولاده من فاطمة، وهذه المناقب أحب عندى مما طلعت عليه الشمس وغابت، ثم قام ونفخ ثيابه وخرج من عند معاوية^(١).

(١) تخریج الحديثين: ١ - حديث المتنزلة: الهدایة للشيخ الصدوق: ١٤٣، رسائل المرتضى: ١: ٣٣٣ وسماء متواترًا بين الفريقين، الاقتصاد للطوسى: ٢٢٢، الرسائل العشر له: ١١٤، الكافي: ٨: ١٠٧ دعائم الإسلام للقاضي نعمان: ١: ١٦، علل الشرائع: ١: ٦٦ و٢: ٤٧٤، كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ٢٥، معاني الأخبار له: ٥٧، كفاية الأثر للحرّاز القمي: ١٣٥، تحف العقول: ٤٣٠ وكتب كثيرة يتعرّض عدّها للشيعة أخرىت هذا الحديث.

وأثنا كتب العامة فهي: ذخائر العقبى: ١٢٠، فضائل الصحابة: ١٣، صحيح مسلم: ٧: ١٢٠، سنن الترمذى: ٥: ٣٠٢، المستدرك: ٢: ٣٧ و٣: ١٠٩ و١٣٣، السنن الكبرى: ٩: ٤٠، مجمع الزوائد: ٩: ١٠٩، مسند الطبالى: ٢٨، المصنف: ٥: ٤٠٦ و١١: ٢٢٦، مسند الحمیدي: ١: ٣٨، مسند ابن الجعد: ٣٠١، المصنف للكوفى: ٧: ٤٩٦ و٨: ٥٦٢، مسند ابن راهويه: ٥: ٣٧، مسند سعد بن أبي وقاص: ٥١، الأحاديث والمثنوي للضحاك: ٥: ١٧٣، كتاب السنة لعمرو بن العاص: ٥٥١، مجلسان من إماء النساء: ٨٣، السنن الكبرى للنسائي: ٥: ٤٤، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٤٨، المعجم الصغير: ٢: ٢٢، المعجم الأوسط: ٢: ١٢٦ و٣: ١٣٩، المعجم الكبير: ١: ١٤٦ وكتب كثيرة يتعرّض حصرها.

٢ - حديث الراية: الكافي: ١: ٢٩٤، رسائل المرتضى: ٤: ١٠٤ و١٠٥، الدعوات للراوندى: ٦٣، رسائل الكركي: ١: ٦٣، الكافي: ٨: ٣٥١، تحف العقول: ٣٤٦، روضة الراعظين: ١٢٧، الإفصاح للمفید: ٣٤، الإرشاد: ١: ٦٤، الاختصاص: ١٥٠، أمالى الطوسى: ١٧١، الاحتجاج: ١: ١٩٠ و٤: ٤٦، الخرائح والجرائح: ١: ١٥٩، الأربعون حدیثاً لابن بابويه: ٤٢، مناقب ابن شهرآشوب: ٩٥: ١.

وذكر ابن البطریق في العمدة (ص ٩٧) عن ربیعة الجرشی أنه ذکر علی عندرجل وعنده سعد بن أبي وقاص، فقال له سعد: أتذکر علیاً، إن له مناقب أربعالئن تكون لی واحدة منها أحب إلى من كذا وكذا وذكر حمر النعم، قوله: لأعطيكما الراية رجالاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله،

بيانه :

وفد ضرار بن ضمرة النهشلي على معاوية، فقال له معاوية: صف لنا عليناً، وكان ضرار من أصحاب علي عليهما السلام، فقال: اغفوني من ذلك، فقال معاوية: أقسمت عليك إلا ما وصفته، قال: فإذا لم تقبل استقالتي فأنا أقول:

كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة على لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان طويلاً الفكرة، غزير الدمعة، يقلب كفه، ويحاطب نفسه، كان فييناً كأحدنا تقريراً إذا أتيناه، ويحييناً إذا دعوناه، ونحن مع قربه منا وقربيه إيانا لا نبتئنه لعظمته، ولا نكلمه هميته، فإن تبسم فعن أسنان مثل اللؤلؤ المنظوم، ويقدم أهل الدين، ويفضل المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عده، وأقسم بالله لرأيته في بعض أحواله وقد أرخي الليل سدوله وغابت نجومه وهو قابض على اللحية في محرابه، يتمملل قمل السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول في

قوله: أنت متى بمنزلة هارون من موسى، قوله: من كنت مولاه فعلي مولاه، ونبي سفيان واحدة.

الفضائل لشاذن بن جبرائيل: ١٥٢، إقبال الأعمال لابن طاووس: ٢، ٣٦٩، الطرائف: ٥٧، المستجاد من الإرشاد للحلبي: ٧٤، الصراط المستقيم: ١: ٢٤٩، عوالي الثاني: ٤: ٨٨، الصوارم المهرقة للشهيد التستري: ٨٤ هذاؤكثير غيرها.

وأما كتب العامة: ذخائر العقبى: ٧٣، فضائل الصحابة: ١٦، مسنند أحمد: ١: ٩٩ و٤: ١٨٩، وأصحاب المسند: ٤: ٩٢، صحيح البخاري: ٥: ٧٦، صحيح مسلم: ٥: ١٩٥ و٧: ١٢٠، سنن ابن ماجة: ١: ٤٥، سنن الترمذى: ٥: ٣٠٢، السنن الكبرى للبيهقي: ٦: ٣٦٢ و٩: ١٠٧، مجمع الزوائد: ٦: ١٥٠ و٩: ١٢٣، المصنف: ٨: ٥٢٠، مسنند سعد بن أبي وقاص: ٥١، بفتح الباحث لابن أبي سلامة: ٢١٨، كتاب السنة لأبي عاصم: ٥٩٤، السنن الكبرى: ٥: ٤٦ و١٠٨، خصائص النسائي: ٤٩، مسنند أبي يعلى: ١: ٢٩١ و١٣: ٥٣١ و٥٢٢، صحيح ابن حبان: ١٥: ٣٧٧ و٣٨٢، المعجم الأوسط: ٦: ٥٩، المعجم الكبير: ٦: ١٥٢ و٧: ١٦٧، وغيرها كثير.

بكائه : يا دنيا إلى تعرّضت أم إلى تشوقت ، هيئات هيئات لا حان حينك ، طلقتك
ثلاثة لا رجعة فيك ، عيشك حقير ، وخطرك يسير ، عمرك قصير ، آه من قلة
الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فوكفت دموع معاوية على لحيته وكفها بكُمْ (كفكفها بكُمْ) واختنق القوم جميعاً
بالبكاء، فقال معاوية : رحم الله أبا الحسن ، لقد كان كذلك ، فكيف كان حبك إيه؟
قال : كحب أم موسى عليه السلام ، وأعتذر إلى الله من التقصير . قال : فكيف جز عك
عليه يا ضرار؟ قال : جزع من ذبح ولدها في حجرها فاتسكن حرارتها ، ولا ترقى
دمعاتها ، ثم قام وخرج . فقال معاوية : ولكن أصحابي لو سئلوا عنّي بعد موتي ما
أخبروا بشيء مثل هذا^(١).

وهذا الفصل من مختارات كلام أبي سعيد السمان، وكلّ كلمة فيه حجّة للشيعة على الخالفين لأنّه من علماء أهل السنة ومن رواة أخبارهم وأحاديثهم.

(١) وأنا أسأل ابن آكلة الأكباد لعنة الله ولعنها: وهل فيك صفة من هذا الصفات ليخبروا بها عنك، وأفضل صفاتك أكلك بمعي الكافر.. شرح الأخبار :٢، ٣٩١: ٢، كشف الغطاء :١: ١٦، خصائص الأنثمة للرضي :٧١، شرح أصول الكافي :٧: ٢٠٣، مناقب أمير المؤمنين لسليمان الكوفي :٢: ٥١، الهدایة الكبرى :١١٨، كنز الفوائد :٢٧٠، الأربعون حديثاً لابن بابويه :٨٥، العمدة لابن البطريقي :١٦، شرح مأة كلمة لابن ميثم البحرياني :٢٢٧، الفضائل لابن شاذان :٩٧، ذخائر العقبى :١٠٠، عدّة الداعي لابن فهد الحلى :١٩٥، حلية الأبرار للبحرياني :٢: ٢١٢، بحار الأنوار :٢٣: ٤٥١، شرح ابن أبي الحديد :١٨: ٢٢٥، نظم درر السمحطين :١٣٥، فتح الملك العلي :٧٩، تاريخ مدينة دمشق .٤٠١: ٢٤

الباب السادس والعشرون
في عداد الأشرار من بنى أمية

وهم معاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد، ومروان بن الحكم، وعبدالملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وإبراهيم بن الوليد المخلوع، ومروان بن محمد بن مروان.

وأخذ معاوية البيعة لنفسه سنة أربعين بعد قتله الحسن، ودام ملكه عشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً في دمشق مقر حكمه، ووصل إلى الدرك الأسفل من النار وهو سكران من خمر معتقة سبع سنوات، ووضع الصنم في عنقه، وقبره في دمشق، وهلك في رجب سنة ستين من الهجرة وعمره ثمان وثمانون سنة. وكانت البيعة ليزيد في رجب سنة ستين، ودام ملكه ثلاث سنوات وثمانية أشهر، وقيل: أربع سنين وستة أشهر، وهلك في دمشق ودفن بين القذارات، وكان عليه يتبرزون، وإلى الآن هو باد للعيان والناس يتفرجون عليه. وقيل: خرج يتصيد وجح به الفرس فألقاه أرضاً فقضى عليه.

وبايعوا بعده ولده معاوية في ربيع الأول سنة أربع وستين، ودام حكمه أربعين يوماً.

ثم بايعوا بعده عبد الله بن الزبير في مكّه سنة أربع وستين ودام حكمه شهرين واثني عشر يوماً وقتل في زمان عبدالملك بن مروان وكتبه أبو بكر.

وبعد معاوية بن يزيد بايعوا مروان بن الحكم لعنها الله في أول محرّم سنة خمس وستين، وكان مدة حكمه شهرين وتسعة أيام، وعمره واحد وستون سنة.

وبايعوا بعده عبدالملك بن مروان بعد وفاة أبيه مباشرة في النصف من شهر رمضان سنة خمس وستين، ودام ملكه واحداً وعشرين سنة وشهراً ونصف الشهر، ومات في دمشق يوم الخميس النصف من شوال سنة ست وثمانين وعمره ثمان وخمسون عاماً، وكتبه أبو الوليد.

وبايعوا بعده ابنه الوليد بن عبدالملك بن مروان، وكتبه أبو العباس، ومات بدمشق في النصف من جمادى الثانية سنة ست وتسعين، وعمره سبع وأربعين سنة.

وبايعوا بعده أخاه سليمان بن عبدالملك وكان يكتئب أبا أيوب في النصف من رجب سنة ست وتسعين، وكانت مدة سلطانه سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام، ومات يوم الجمعة بداعيق من أرض قنسرى سنة تسع وتسعين، وعمره خمس وأربعون سنة، وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز.

وبايعوا بعده عمر بن عبد العزيز وكتبه أبو حفص، في سنة تسع وتسعين، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، وتوفي بدبر سمعان يوم الجمعة من رجب سنة أحد ومائة.

وبايعوا بعده يزيد بن عبدالملك وكانت خلافته أربع سنين وشهرين ويومين، وتوفي يوم الجمعة بالبلقاء من أرض دمشق في شعبان سنة خمس ومائة، وعمره ثلاثون سنة وثمانية أشهر.

وبايعوا بعده هشاماً بن عبد الملك أبا الوليد الأحول سنة خمس ومائة، وكانت

خلافته تسعه عشر سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً، وتوفي في (بصاقه - كذا) يوم الأربعاء من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة، وعمره خمسون سنة وأربع سنين.

وبايعوا بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك أبا العباس، في سنة مائة وخمس وعشرين، وكانت خلافته سنة وشهرين وعشرين يوماً.

وبايعوا بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة ست وعشرين ومائة، وبايعوا بعده إبراهيم بن الوليد أبا إسحاق في سنة مائة وعشرين وكانت خلافته

شهرين وعشرين أيام، وخلع نفسه يوم الاثنين من صفر سنة مائة وسبعين وعشرين.

وبايعوا بعده مروان بن محمد بن مروان أخي عبد الملك في صفر سنة مائة وسبعين وعشرين ودامت خلافته خمس سنين وشهرين، وقتل سلخ ذي الحجة سنة مائة

واثنين وثلاثين في قرية من قرى مصر وعمره ستون سنة.

وعدد ملوكهم خمسة عشر ملكاً أو لهم عثمان بن عفان، وكانت مدة ملوكهم ألف

شهر.

الفصل الأول

ولما عادت عائشة من البصرة واستقرت في المدينة كتبت كتاباً إلى معاوية ترغبه في قتل أمير المؤمنين وتحريضه عليه فجمع معاوية جيشه وأقبل يزيد حرب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان مالك الأشتر يحارب مع أمير المؤمنين حتى غلبوه معاوية وأوشك الفار أن يقع في المصيدة وكانتوا يقبضون على معاوية قبض اليد، فلما رأى عمرو بن العاص الواقعة حلّت بهم أمر برفع المصاحف على الرماح ونادي مناديه: بيننا وبينكم كتاب الله تعالى، فلما رأى أصحاب الإمام ذلك أقبلوا عليه وقالوا: مُر صاحبك الأشتر أن يعود من القتال وإلا قتلناك، فنصحهم أمير المؤمنين عليه السلام وبالغ

في نصتهم وأخبرهم بأنّ فعلهم هذا حيلة، فلم يقبلوا قوله، فأرسل إلى مالك: أوقف الحرب و تعال إلىّي، فقال مالك: قولوا لأمير المؤمنين يهلهلي لحظة حتى أقبض على معاوية، فأرسل إليه أمير المؤمنين: قد أحاط العسکر بجحيمتي لقتلي فإن لم تعد فإنك لن تراني بعد اليوم.

وأخيراً قرروا أن يحكّموا بينهم حكماً ويخلدوا إلى الصلح، ويأتي من قبل معاوية عمرو بن العاص، فلم يرتضوا عبدالله بن عباس وقالوا: لن نرضى به^(١) وقالوا: لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعريّ، فلم يرضي به أمير المؤمنين، فشغب عليه العسکر وأجبروه على الرضا به ولكن على شرط أن يعمل بكتاب الله وإذا ترك العمل بكتاب الله سقط من الحكمية.

وفي الطريق قال له عمرو بن العاص: ادنو مني يا أبي موسى حتى أكلّمك، فدنى منه فعلم عمرو بن العاص بأنّ الرجل أحقّ مغفل يدّني منه أذنه في صحراء تخلو من المحتشم، ثمّ قال له: يا أبي موسى، عليّ و معاوية كلاهما فتنة للناس فاعزل أنت صاحبك عليّاً وأعزل أنا صاحبِي، ونستخلف ابن أخيك ويكون العالم بين أيدينا، قال هذا الشيخ الأحمق: وكذلك فعل. فلما وصلوا الكوفة^(٢) فقال عمرو بن العاص لأبي موسى: تقدّم فأنت صاحب رسول الله وأحسنّ مني، فرق أبو موسى المنبر وخطب الناس وقال: أيّها الناس، ارتضاني أصحاب عليّ حكماً من قبلهم، فأنا قد عزلته وانتزع خاتمه من اصبع يده اليمني ووضعه في يده اليسرى وقال: كما نزعت خاتمي هذا، ثمّ نزل.

(١) يقول المؤلف إنّ عمراً بن العاص أبي ذلك ولكن التاريخ يردّه لأنّ ابن العاص لا سلطة له على مختار أصحاب الإمام.

(٢) لم تكن الكوفة مسرح الأحداث إنما هي دومة الجندي موعد لقائهم.

وتصعد بعده عمرو بن العاص المنبر وقال بعد أن خطب الناس، قال: كان أبو موسى حكماً من قبل علي فعزله وأنا عزلته كما عزله، وأجلست معاوية على منبر الخلافة وأثبتته فيها، وسلّ سيفه من غمده ثم أغمرده وقال: هكذا، فوضت معاوية الإمامة والخلافة.

فارتفعت الضجة من الناس ونادي أبو موسى: ما على هذا اتفقنا، فاقتتل الناس بأيديهم وبالحجارة وقبضوا على رجل عمرو بن العاص وسحبوه، فاستطاع تخلص نفسه، وقال أبو موسى لعمرو: ويحك أغضبت علياً على فأشركتني في الأمر، قال: سوف أفعل.

وقال بعضهم: إن المحادثات وقعت في دومة الجندي، وقال بعضهم كذلك بعث الإمام أمير المؤمنين أليه رجل لرصد المحادثة إلى أن كان ما كان، وبعد هذه المحادثة انشق من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام سبعون ألف فارس وقالوا: أنت عزلت نفسك برضاك بالحكام ولو كنت مستيقناً بحقك لما رضيت بهما.

فقال أمير المؤمنين: كنت مع رسول الله في صلح الحديبية وأنا كتبت الكتاب بين رسول الله وبين المشركين وفيه «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله وقریش» فقال (سرقة - المؤلف) سهيل بن عمرو: لو كنت أعلم بأنك رسول الله لما خاصمناك، فقال لي رسول الله: يا علي، امسح رسول الله واكتب مكانها محمد بن عبد الله، فأبكيت أن أفعل ذلك تأدباً مني ورعاية لمقام النبوة، فحاحها النبي بيده، فهل كان شاكاً برسالته؟ وهل قدح هذا المحو فيها؟ فقالوا: لا. فرجع إلى صف أمير المؤمنين ثلاثون ألفاً من المخالفين وبقي من عداهم على كفرهم وتبّرّوا من علي وعثمان، وقتل جميعهم في النهر والنهر وانهارت أمير المؤمنين إلا عشرة أنفس منهم هربوا، ولا زاد ثمان منهم بجزيرة العرب، واثنان بكرمان، واثنان بعمان، وأربعة منهم بسيستان.

الباب السابع والعشرون

في أحوال معاوية بن مسافر الذي اشتهر بين الناس بمعاوية بن أبي سفيان بن حرب

الفصل الأول

في ولادته

قال الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعيد إسماعيل بن علي السمان - وهو من علماء أهل السنة ومحدث مشهور من الطبقة الأولى - في كتاب «مثالب بني أمية»: كان مسافر بن عمرو يخالل هنداً أم معاوية آكلة كبد حمزة عم رسول الله، وقد زنى بها مراراً، وكانت هذه الصلة المحرام بينهما سنتين طويلة، وكان يعدها الزواج بها ولكن التقدير حال دون ذلك إلى أن اشتملت منه على جنين، ومرّ عليه في بطنه ستة أشهر فخاف مسافر من الفضيحة فهرب إلى النعسان في الحيرة.

وزوّجت هند من أبي سفيان بسعي بعض الناس وزفّوها إلى بيتها بعد أن عقد عليها وتعلّلوا بشتى العلل حتى إذا مرت عليها ثلاثة أشهر في بيت أبي سفيان ولدت معاوية على فراشه، ولما بلغت أخبار هند مسافراً، قال:

فأصبحت كالمسلوب جفن سلاحة يقلب بالكتفين قوساً وأسهماً^(١)
ويشهد بهذا عداوتهم البالغة لأهل البيت ولرسول الله وعليه وفاطمة والحسن
والحسين عليهما السلام ، وقال النبي ﷺ : يا علي ، لا يحبك إلا مؤمن تقى ، ولا يبغضك إلا
منافق شقي .

ومن سرنا نال مثوا السرور ومن ساعنا ساء ميلاده
ذكر علي بن نصر المعروف بأبي الحسن البغدادي الحنفي في تصنيفه عن
النبي ﷺ أنه كان ذات يوم يطوف فأقبل عليه شيخ بيده عصى وعلى رأسه عمامه
من صوف ويرتدى جبة صوف ، فسلم على النبي ﷺ وقال : يا رسول الله ، استغفر
الله لي ليرحمني الله تعالى ، فقال النبي ﷺ : اغرب يا ملعون عن وجهي ، إن عملك
إلى ضياع ، وأنت من أهل النار ، فلما خرج من عند النبي ﷺ ذلك الشيخ قال
عليه ﷺ : لم يخرج أحد قبل هذا من حضرتك محروماً من أهل الحاجات ، فما بال
هذا الشيخ قد طردته ؟ فقال : يا علي ، هذا إبليس طريد الله سبحانه .
فركض عليّ وراء إبليس ليقتله ، فلما رأى إبليس بأنّ علياً يقصده بالقتل لاز

(١) جاء عن التوفلي عن أبيه: إن مسافر بن عمرو بن أمية كان من فتيان قريش جمالاً وشعرأ
وسخاماً، قالوا: فعشق هنداً بنت عتبة بن ربيعة وعشقته، فأثنهم بها وحملت منه. قال بعض
الرواية: فقال معرفون بن خربوذ: فلما بان حملها أو كاد، قالت له: اخرج، فخرج حتى أتى
الحيرة، فأتى عمراً بن هند فكان ينادمه، وأقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان
يأتيها فلقي مسافراً فسألة عن حال قريش والناس، فأخبره وقال له فيما يقول: وتزوجت هند
بنت عتبة فدخله من ذلك ما اعتنَى معه حتى استسقى بطنه، قال ابن خربوذ: فقال مسافر في ذلك:
الآن هنداً أصبحت منك محراً وأصبحت من أدنى حمومتها حمى
وأصبحت كالمقمور جفن سلاحة يقلب بالكتفين قوساً وأسهماً
قال: وخرج برید مكة فمات بموضع يقال له هبالة ودفن بها، انتهى. (النصائح الكافية لمحمد بن
عقيل: ١١٣).

بالفرار ثم وقع ، فلحق به علي عليهما السلام فجلس على صدره ليقتله ، فضحك إبليس بوجه الإمام ، فقال له علي: لم تضحك يا عدو الله؟ فقال: لن تستطيع قتلي لأنّي من المنظرين ولكنني أبشرك بشاراة عظيمة ، فقم عن صدري ، فقام علي عليهما السلام عن صدره ، فقال إبليس: ما تركت من أعداءك أحداً لم أشرك أباه في أمه . يقول مؤلف هذا الكتاب: صدق قوله تعالى لإبليس: «وَشَارِكُوكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ وَعِذْنُوكُمْ وَمَا يَعِدُوكُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا»^(١) وأمثال هذا ، والله أعلم بالصواب .

الفصل الثاني في ذكر الفرق الذين يختلفون فيه

ينقسم الناس الذين يدينون بالإسلام إلى خمس فرق: الفرق الأولى الجلية^(٢) هم النواصب ، وهؤلاء أهل البغي وأشد الناس بغضاً لأهل بيته النبي عليهما السلام . الثانية الجلية ، الخوارج وهم القائلون: لا حكم إلا لله ، وهؤلاء يدعون المحكمة ، وهذه الفرقة تلعن معاوية أيضاً . الثالثة الجلية ، المخطئة وهم الذين يرون التحكيم خطأً ولكنهم لا ينكرون إمامته على عليهما السلام .

الرابعة الجلية ، المرجئة وهم الذين يتوقفون في الحكمين فلا ينسبونهم إلى حق ولا إلى باطل ، وهذه الطائفة يهبطون منزلة علي عليهما السلام إلى الموضع الأدنى إلا أنهم لا يكفرون به .

(١) الإسراء: ٦٤.

(٢) «أول جلى» هذا قول المؤلف ولم أدرك معنى جلي وترجمتها إلى ما فهمته «الجلية» ولست واثقاً من معناها ، فعلى القارئ أن يتتبّع لذلك .

ويقول أحمد بن الحسن بن الحسين البهقي: إن معاوية أخطأ ولم يخرج عن الإيمان لعداوه له على الله وحربه إيهاه.

ويقول مصنف هذا الكتاب: إن معاوية لم يؤمن لكي يخرج من الإيمان وإنما خرج من عالم الكفر إلى عالم النفاق ورجع بعد وفاة النبي عليهما السلام إلى كفره، ثم إن علياً نفس الرسول وحرب رسول الله عليهما السلام كفر وكذلك الحرب على علي عليهما السلام، وكما حل قتال أهل اليمامة بمنعهم الزكاة عن أبي بكر وأغير عليهم وسيبت ذرارتهم وستوا كفاراً ومرتدّين فكذلك الحال مع محاربي أمير المؤمنين عليهما السلام فإنهم كفار مرتدون. الخامسة الجلية، المعتزلة، وهؤلاء افترقوا فرقين: فرقة تفسق معاوية وفرقة تكفره، والحاكم صاحب الرسالة المفسّر يلعنه مع إبليس وإخوانه المجرّة.

الفصل الثالث

في الآيات التي تدل على أن معاوية واجب اللعن

اعلم أن معاویه كان ظالماً وغاصباً حق أهل البيت وقال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١) وثبت أيضاً وقد تقدم ذكره: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ أَفْرِيَمُنْتُم﴾^(٢) وأولوا الأمر هنا على الله وبمقتضى العطف تكون طاعته واجبة كطاعة الله ورسوله، ومن خالف الله ورسوله كفر، واستحق اللعنة، وانظر إلى معاوية أين بلغ بمخالفته علياً عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْمُخْلُقُينَ مِنَ الْأَعْزَابِ سَتُذَعَّفُونَ إِنَّ قَوْمًا أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تَقَاتِلُونَهُمْ أَفَيْسِلْمُونَ إِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَنَوُّلُوا كَمَا تَوَلَّنُّمُ مِنْ قَبْلِ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا﴾

(١) هود: ١٨.

(٢) النساء: ٥٩.

أَبِيهِمَهُ^(١) وَهُؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَخْذِلُونَ النَّاسَ عَنْ عَلَيِّ فِي حَرْبِ مَعَاوِيَةِ وَلَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِّنْهُمْ مَعَهُ كَمَا فَعَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي تَبُوكِ الْحَدِيبَيَّةِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ لِسَانِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبْدَاهُ»^(٢).

وَالدَّلِيلُ عَلَى كُونِهِ ظَالِمًا مَا يَرَاهُ فَقَهَاءُ الْعَامَّةِ مِنْ جُوازِ تَوْلِيِ الْفَضَاءِ الظَّالِمِ وَبِجُورِ حُكْمِ الْكَاذِبِ نَظِيرِ أَبِي هَرِيرَةَ وَغَيْرِهِ كَمَعَاوِيَةِ فَقَدْ بَلَغَ هَذَا النَّصَانُ الْوَلَايَةَ وَالْفَضَاءَ، فَظَهَرَ مِنْ هَذَا التَّنْتِيلِ أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَاذِبٌ وَظَالِمٌ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَعَاوِيَةَ فَرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةُ، وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ سَامِرِيَّهَا، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ جَاثِلِيقَهَا، وَإِنَّهُ سَفِيرُ بَيْنِ الْيَهُودِ، وَقَالَ تَعَالَى: «وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفَرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَمُذْعِنَ السَّبِيلِ»^(٣)، «وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى»^(٤).

وَاسْتَحْقَّ اللَّعْنَةُ بِاَدَعَائِهِ الْكَاذِبِ لِلْإِمَامَةِ وَالْمُحَلَّفَةِ، قَالَ فِي آيَةِ الْمِبَاهِلَةِ (عَنْ سَبِيلِ الْمَفْهُومِ - كَذَا): «فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ»^(٥)، وَقَالَ فِي آيَةِ الْإِلْفَكِ: «إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْسَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنَوْا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»^(٦) إِفْكُهُمْ عَلَى عَلِيِّ عَلِيٍّ اتَّهَمُهُمْ إِيَّاهُ بِدَمِ عُثْمَانَ لَعْنَهُ اللَّهُ وَأَنَّهُ قَاتَلَ لَهُ.

وَلَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى كُفْرِ النَّصَارَى بِقَوْلِهِمْ حِيثُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «لَنَقْذِفَ الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»^(٧) وَقَالَ الْجَسَّمَةُ: إِنَّ اللَّهَ جَسَّمٌ فَكَفَرُوا أَيْضًا بِقَوْلِهِمْ

(١) الفتح: ١٦.

(٢) التوبه: ٨٣.

(٣) المؤمن: ٣٧.

(٤) طه: ٧٩.

(٥) آل عمران: ٦١.

(٦) النور: ٢٣.

(٧) المائدَة: ١٧.

هذا واعترفوا بالحجج المناقضة لمذهبهم لكنهم قالوا: بأننا نقول أنه جسم لا كال أجسام.

وكتم معاوية الحق عن أهل الشام وستر مناقب علي الواردة في القرآن والسنة عنهم، وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^(١) وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْتَمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَثُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَثُهُمُ الْلَّاعِنُونَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُسْتَخْلَفُوهُمْ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ﴾^(٤) الآية.

عن أبي ذر - كما ذكر صاحب الكشاف - أنه قال: قام رجل بعد الصلاة وسائل الناس فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع يده وقال: أشهد أني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي عليه السلام راكعاً فأشار إليه بخنصره فأخذ السائل من خنصر يده اليمنى خاتماً فلما فرغ النبي من الصلاة، قال: اللهم إن أخي موسى سألك فأعطيته سؤله، قال: ﴿رَبَّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾^(٥) الآية، فقلت: ﴿قَدْ أُوتِيتُ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾^(٦)، وقلت: ﴿سَتَشْدُ عَضْدَكِ بِأَخِيكَ﴾^(٧) ثم قال: اللهم وأما محمد صفيتك يقول: رب اشرح لي صدرني واجعل لي وزيراً من أهلي، علينا أخي، اشدد به

(١) البقرة: ٨٩.

(٢) البقرة: ١٥٩.

(٣) النور: ٥٥.

(٤) المائدة: ٥٥.

(٥) طه: ٢٥.

(٦) طه: ٣٦.

(٧) القصص: ٣٥.

أزري، الآية^(١)، فلم يتم دعائه حتى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ الآية. روى صدر الأئمة موفق بن أحمد وهو من علماء أهل السنة بإسناده عن سليمان، عن النبي ﷺ أنه قال: عليكم بعليّ بن أبي طالب فإنه مولاكم فأحبوه، وكبيركم فاتبعوه، وعالموكم فأكرموه، وقائدكم إلى الجنة فعزّزوه، وإذا دعاكم فأجسيوه، وإذا أمركم فأطیعوه، وأحبوه بحبّي، وأكرموه بكرامتى، ما قلت لكم في عليٍ إلا ما أمرني ربّي جلت عظمته، وكاتم هذا النصّ (كاظم الحق).

قاضي القضاة) ذكر في كتابه «المحيط» أنَّ خلافة عليٍ أثبتت وأحکم من خلافة الشیخین لأنَّ خلافته بالنصّ والاختیار وخلافة الخلفاء قبله بالاختیار وحده وأثما فضائله في سورة هل أتى فھي مرتكزة على تلك الحال.

وذكر الطحاوي في مشكل الآثار، والحاکم المفسّر في جلاء الأ بصار: لما رجع النبي ﷺ من حجّة الوداع ما كان عليٌ معه بل كان في اليمن، فتوقف النبي ﷺ في الغدير حتى لحق به عليٌ فشتبه ردائه أربع ثنيات ووقف هناك وبعد الخطبة قال: من كنت مولاً له فعليّ مولاً، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، وقال عمر: بخ بخ يا علي أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات.

وكان حسام الدين من «العدلية» وقال أبوالقاسم بن إبراهيم بن أحمد المؤذن: كانت الواقعة يوم الخميس فقد دعى النبي ﷺ علياً عليه السلام وأخذ بضبعه ورفعه حتى بان بياض إبطيهما ويقال بأنه ألبسه عمانته وأرخي لها رغزتين على كتفيه وقال: هكذا نزلت الملائكة، ثم قال: من كنت مولاً له فعليّ مولاً.. الخ، ولم يفترقا حتى نزلت

(١) راجع الآيات ٣٦ - ٢٥ من سورة طه.

الآية: ﴿النَّبِيُّمْ أَخْمَلْتُ لَكُمْ بِيَنْتَمْ﴾^(١) فقال النبي ﷺ: شكرًا للله على إكمال الدين ورضي الرَّب برسالي والولاية لعليه ، وأنشد حسان شعرًا يطابق مقتضى الحال بعد أن أذن له النبي وقد مز شعره، وقال النبي ﷺ: من كتم علمًا علمه الجم بلجام من نار^(٢). ومعاوية كتم عدداً من النصوص فكانه معلوم أين يكون.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَتُهُ﴾^(٣) ومعاوية قتل الإمام الحسن، وقتل أربعين ألفاً في صفين من المهاجرين والأنصار، وقاتل المؤمن ملعون بنص القرآن وإجماع الأمة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلَمُونَ النَّاسَ وَيُنْجِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤) وقال: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِخْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوهُ الَّتِي تَبَغِي حَتَّىٰ تَفِئِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾^(٥) واتفقت الأمة على أن معاوية باع فحل دمه حينئذ.

وقال رسول الله ﷺ: من أعا ان على قتل امرئ مسلم ولو بسطر كلمة لقي الله يوم القيمة مكتوباً على جبهته آيس من رحمة الله.

وقال: من أخاف أهل المدينة إخافة ظلماً فعليه لعنة الله وغضبه يوم القيمة، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً^(٦).

وأرسل معاوية (عدي - المؤلف) بسر بن أرطاة من قبله إلى المدينة ليأخذ منهم

(١) المائدة: ٣.

(٢) مستند أحمد ٢: ٢٦٣ و ٣٥٥، المستدرك ١: ١٠١، المعجم الأوسط ٤: ١٨٣، تاريخ بغداد ٢: ٣٢، لسان الميزان ٦: ٦٦.

(٣) النساء: ٩٣.

(٤) الشورى: ٤٢.

(٥) الحجرات: ٩.

(٦) ترجم المؤلف «الصرف» برگشتن وهذا يدل على أنه لم يعرف معناه لأن الصرف والعدن، الواجب والمندوب.

البيعة، فلما صعد المنبر قالت أم سلمة: هذه بيعة ضلاله، وأذنت لولدها عمر بن أبي سلمة أن يبایع خوفاً من القتل.

روى عين الأئمة أنَّ لعن معاوية جائز عشر وجوه:

الأول: خروجه من طاعة أمير المؤمنين.

الثاني: سله السيف بوجه أمير المؤمنين.

الثالث: غصبه حق الإمام الهمام.

الرابع: إنكار أهل البيت.

الخامس: ادعائه الإمامة.

السادس: كتمان فضل عليّ.

السابع: لعن عليّ على المنابر.

الثامن: اتهامه بدم عثمان وهو منه بريء.

النinth: توليته يزيد الكافر.

العاشر: قتل الحسن بن علي عليهما السلام والوصيّة بقتل الحسين عليهما السلام.

فتبين من ذلك أنه يستحق اللعنة بما فعل ولم يتبع قبل الموت كسائر المؤمنين والمؤمنات كما قال أبو هاشم: ما فتنَّ معاوية يقول: لو لا هواي في يزيد، لأبصرت رشدي وعرفت قصدي.

وقال أبو علي بلعنه ظاهراً، لأنَّ محبته ليزيد وتوليته على الناس تنفي توبته.

الفصل الرابع

في الأخبار التي تدل على أنَّ معاوية ملعون

قال عبيد الله بن عمرو بن العاص: ذهبت إلى خدمة النبي ﷺ، فقال: ليدخل

النار من مات على غير ملئي، فطلع معاوية.

قال صاحب المصابيح: يطلع عليكم رجل من أهل النار فطلع معاوية^(١).

وقال رسول الله ﷺ: معاوية في تابوت من نار مصمت عليه^(٢).

ذكر الحافظ عن ابن مسعود: لكل شيء آفة وآفة هذا الدين بنو أمية.

عن ابن عباس: لو اجتمع الناس على حبّ عليّ لما خلق الله النار، وهذا دليل على أنّ مبغضه في النار ومحبه في الجنة^(٣).

(١) مجمع الزوائد ١: ١١٢ فطلع فلان ولم يسمّه. وبتر العقيلي لعنه الله الحديث وقال: عن عبد الله ابن عمر بن العاص قال: كنت عند النبي ﷺ فقال: أول من يطلع عليكم من هذا الفرج، وذكر الحديث ولا يتبع عليه^(٤): ٣٨٠. أما عبدالله بن عدي في الكامل فقد قلب الحديث أو رواه مقلوباً عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع معاوية ٢: ٣٣١، وأنا أقول: لعن الله هذه الجنة ولعن الله من يدخل فيها، ومثله فعل ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ٩٨، ميزان الاعتدال ١: ٤٩٥ و ٦٢٣، وفيه: الآن يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع معاوية، فقال: أنت يا معاوية متى وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين، وأشار بإصبعيه.

أقول: لم يتعقب هذا الحديث الذهبي ابن الزانية لعنه الله، وإذا أدخل الله معاوية الجنة فينبغي أن لا يدخل أحداً النار حتى فرعون وهامان لأنّه ظلم والله منزه عنه. توضيح ذلك أنّ قاموس جرائم معاوية لو جمعناه لكان أضخم حجماً من تاج العروس للزبيدي ولسان العرب لابن منظور، ثم هو مع هذه الجرائم كلها يدخل الجنة ثم يأتي الله إلى عباده فيدخل هذا على زنية زناها وذاك على خمر شربه أو نفس قتلها النار، إنّ هذا الظلم عظيم ولو حاباً أحدنا من الخلق مجرماً فأكرمه ليقصتنا في وجهه وتنفنا لحيته فكيف يحابي الحال الرحيم هؤلاء القساة المجرمين الظالمين لعنهم الله.

(٢) شرح الأخبار ٢: ٥٣٦، بحار الأنوار ٢٣: ٢١٠، مناقب أهل البيت: ٤٦٦، الغدير ١٠: ١٤٢، وسمى مولانا الأميني الحديث مرفوعاً مشهوراً، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٧٦، تاريخ الطبرى ٨: ١٨٦، النصائح الكافية: ٢٦١ وليس في هذه الأحاديث الجملة: مصمت عليه.

(٣) الرسالة السعدية للحلّى: ٢٣، كشف الغطاء ١: ٧، ٨، أمالى الصدوق: ٧٥٥، عوالى اللثالي ٤: ٨٦، الجواهر السنّية للحرّ العاملى: ٢٣٦، بحار الأنوار ٢٩: ٤٢، ٤٢: ٣٩ و ٢٤٨: ٣٢، ١٠٩، مقام عليّ لنجم الدين العسكري: ٣٩، ينابيع المودة ١: ٢٧٢ و ٢٣٧٦ و ٢٩٠ و ٢٩٣، الإمام عليّ في آراء الخلفاء: ٦٨.

وروي عن صاحب المصايب عن النبي ﷺ قال: يموت معاوية على غير ملقي^(١).
وقال أبو علي: حكم الجبارة والمحسنة حكم من ارتد، وقال أبو هاشم: حكم
أهل الكتاب وهم كفار على كلا القولين، وكان معاوية لعنه الله رئيس الجبارة.

وقال صاحب المصايب: مات معاوية والصلب في عنقه.

وقال الأحنف بن قيس: سمعت علياً عليه السلام يقول: يموت معاوية على غير دين
الإسلام فتخالج في قلبي شيء من ذلك - يعني حين قال عليّ كلمته - قلت في قلبي:
كيف يكون ذلك إلى أن قصدت الشام فسمعت عن مرض معاوية، فذهبت إلى
عيادته فرأيته وقد أنسد ظهره على الحائط، فوضعت يدي على صدره فرأيت
الصنم معقوداً إلى عنقه ثم حوال وجهه إلى فرأني أبكي، فقال: أنا اليوم أمثل...
فقال الأحنف: فأجبته: أنا لا أبكي عليك بل أبكي لما سمعته من عليّ أتاه قال:
يموت معاوية والصنم في عنقه .. فقال: لعلك استعظامت هذا يا أحنف، أمرني
الطبيب بهذا فإنه صنمي إنه نافع. قال الأحنف: فخرجت من عنده فما بلغت المنزل
حتى سمعت الصراخ عليه وسائل يقول: مات معاوية.

وقال قاضي القضاة: إن معاوية مات مستشفياً بالصنم.

ويقال: إن أهل اليمن على هذه العقيدة بأن معاوية وأباء كافران ويقولون: لقد
تمتص الكفر هؤلاء وتسربلوه.

وقال عبدالله بن عباس: كنت في مسجد المدينة يوماً وكنت أصلّي صلاة
بالإخفافات، وقد تفرق الناس وبقي أبو سفيان وابنه معاوية، وكان أبو سفيان قد
أضرر، فقال معاوية: يا بني، هل في المسجد أحد؟ فقال معاوية: لا يا عبدالله،

(١) مناقب أمير المؤمنين ٢: ٣١١، المسترشد: ٥٣٤، شرح الأخبار ٢: ١٤٧ و ١٥٣ و ٥٣١، بحار
الأنوار ٣٣: ١٨٧ و ٢٠٩ وغيرها من الكتب.

وكنت وراء السارية، قال: انظر بالمصباح، فتناول معاوية المصباح وأخذ يسلطه على الأطراف والأكتاف وكنت أدور حول السارية حيثاً دار، فقال: ليس في المسجد أحد، فقال أبو سفيان: يا بني، أوصيك بدين الآباء والأجداد، وإيماك دين محمد فإنّه سبب فقرنا، ولا يهولنّك قول محمد منبعث والنشور. وقال معاوية: ذاك رأيي يا أبناه.

و جاء في الرواية أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: اللَّهُمَّ لِعْنُكَ معاوية و مروان و أولادهما وأولاد أولادهما، وهذا المعنى علمه النبي بالوحى كما علم نوح حين قال: ﴿فَلَا يَنْدُو إِلَّا فَاجْرًا كَفَارًا﴾^(١).

وذكر أَحْمَدُ بْنُ الْحَسْنِ الْبَيْهِقِيُّ في كتابه *فضائل الصحابة* عن نصر بن عامر، قال: دخلت المسجد وأصحاب رسول الله ﷺ يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضبه رسوله، فقلت: مَنْ ذَاك؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيده أبي سفيان فخرجا من المسجد، فقال رسول الله ﷺ : لعن الله التابع والمتابع، رُبَّ يوم لا تُنْتَي من معاوية ذي الأستاء، قالوا: يعني الكبير العجز^(٢).

وقال البهقي: قال مسلمة: كان النبي ﷺ جالساً فاجتاز به معاوية ومعه أبو سفيان وأخوه معاوية أحدهما يسوق البعير والآخر يقوده، فقال رسول الله ﷺ :

(١) نوح: ٢٧.

(٢) بحار الأنوار ٣٣: ١٩١ ولم يعرف المؤلف معنى ذي الأستاء فترجمها هكذا: «وَذِي الْأَسْتَاءِ» عبارت از شخصی است که بر مال غیری متصرف شود و با ارباب رد کند... الخ الترجمة: «وهو الذي يستولي على مال الغير ويرده على الأغنياء...» (ص ٢١٦)، شجرة طوبى ١: ٩٥، أحاديث أم المؤمنين عائشة ٢: ٢٣٥، مجمع الزوائد ٥: ٢٤٢، وأبيهم اسم معاوية لعن الله وأباه وبتر الحديث وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات، المعجم الكبير ١٧: ١٧٦، شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٩ وصريح باسم معاوية، الطبقات الكبرى ٧: ٧٨، أسد الغابة ٣: ٧٦ وقال: أخرجها ثلاثة، الإصابة ٣: ٤٦٥.

لعن الله القائد والراكب والسائل.

وقال البهقي: كان علي عليه السلام يقتن بلعن معاوية^(١).

وروى صاحب المصبح عن حكيم بن جبير، عن إبراهيم التميمي: وقع يوماً خدام بين معاوية وأبي ذر، فقال أبوذر: يا معاوية، إن أحذنا فرعون هذه الأمة، فقال معاوية: أما أنا فلا.. وصدق بال الحديث.

وخطب أبوذر معاوية لما هو عليه من الخبر بما خطب به النبي أهل مكة: أنا وإياكم لعل هدى أو في ضلال مبين، وبالطبع هذا القول مع كفار مكة، وأماماً حدث رسول الله عليه السلام فهو: معاوية فرعون هذه الأمة.

وروى أيضاً عن رجل قال: ذهبت إلى مكة لأسلم فلما دخلت المسجد سمعت رسول الله يقول: أربعة في الدرك الأسفل من النار: غرود بن كنعان، وشداد بن عاد، وفرعون موسى، ورجل يباعع بعدي بباب بابل، ولو لا مقالة فرعون أنا ربكم الأعلى لكان أسفل منه - وفي رواية الحافظ: لكان تحته - فلما استشهد أمير المؤمنين قصدت العراق فلما بلغت باب بابل رأيت معاوية على المنبر يأخذ من الناس البيعة له، فعرفت من هو الرابع أنه معاوية وكان من المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُّكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(٢).

سئل الإمام زين العابدين عليه السلام: كيف أصبحت يابن رسول الله؟ قال: أصبحت في أمتنا كبني إسرائيل في أيدي الفراعنة؛ يذبحون أبنائهم ويستحبون نسائهم، وليس أدنى شرّ من يزيد فإنه أعظم شرّاً منه.

(١) كشف الغطاء ١٩، مجمع الرواند ١: ١١٣ وأبيهم أسمانهم .. و ٥: ٢٤٢، الأحاديث والمثنوي ٢: ١٩٢، المعجم الكبير ١٧: ١٧٦، أسد الغابة ٣: ٧٦، الإصابة ٣: ٤٦٥.

(٢) النساء: ١٤٥.

قال كافي الكفاة أَحْمَدُ بْنُ عَبَادَ (الصَّاحِبُ بْنُ عَبَادٍ):

قالت تَحْبَّ معاوِيَةَ	قَلْتُ اسْكُنِي يَا زَانِيَةَ
قَالَتْ أَسَأْتُ جَوَابِيَةَ	فَاعْدُتْ قَوْلِي ثَانِيَةَ
يَا زَانِيَةَ يَا زَانِيَةَ	بَا بَنْتَ الْفَسِيَّةِ زَانِيَةَ
أَحَبَّتْ مِنْ شَتْمِ الْوَصِيَّةِ	أَخَا النَّبِيِّ عَلَانِيَةَ
فَعَلَى يَزِيدَ لَعْنَةَ وَعَلَى	أَبِي شَمَانِيَةَ ^(١)

وقال مالك الأشتر وعبد الله : الشجرة الملعونة والظالم في قوله تعالى: ﴿أَلَئِنَّهُمْ لَهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢) بنو أمية ومعاوية منهم.

يقول مصنف الكتاب: وعثمان بن عفان أول ملوك بنى أمية (لعنه الله - المترجم). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي، ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ...^(٣) الناكثون هم طلحه والزبير وأتباعهما بايعوا أمير المؤمنين عليهما السلام ثم نكثوا البيعة وقال الله تعالى: ﴿فَقَنَنَ نَكْثَةً فَإِنَّمَا يَنْكِثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٤) والقاسط معاوية ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَهُمْ أَنَجَنُوا إِلَيْهِمْ حَطَبًا﴾^(٥) والمارقون: الخارجون.

قال الصاحب الكوفي:

فَقَلْتُ فَمِنْ قَائِدِ الْأَقْوَامِ إِذْ نَكَثُوا	فَقَلْتُ تَفْسِيرِهِ فِي وَقْعَةِ الْجَمْلِ
فَقَلْتُ صَفَقَيْنِ تَبْدِي صَفَحَةَ الْعَمَلِ	فَقَلْتُ حَارِبَ الْأَنْجَاسِ إِذْ قَسْطَوْا
فَقَلْتُ مَعْنَاهِ يَوْمِ الْمَهْرَجَانِ عَلَيْ	فَقَلْتُ مَارِعَ الْأَرْجَاسِ إِذْ مَرَقُوا

(١) وعلى عمر بن الخطاب ألف لعنة لأنَّه هو الذي زرعه في ضلوع الإسلام.

(٢) هود: ١٨.

(٣) سبق تخریج الحديث.

(٤) الفتح: ١٠.

(٥) الجن: ١٥.

وهذا الشعر يشير إلى الواقع الثلاثة: الجمل وصفين والنهر وان ، والطائفة الأولى هم الناكثون ، والثانية الظالمون وهم نجس ، والثالثة الخارجون وهم نجس أيضاً ولذلك وصفهم بالأنجاس ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(١) ووصفهم بالإرجاس ، والرجس هو الخبر ، ويقال : رجس ورجز وكلاهما واحد ﴿فَاجْتَنَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(٢) (وفيه ما فيه)^(٣) . وكلا هذين القولين للمخالفين .

وفي كتاب «الرسالة الحاوية في مذمّات معاوية» ذكر الشيخ الفاضل زين العابدين الوعاظ والقاسم بن محمد بن أحمد المأموني وهو من علماء أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم الغالي ما هو حجّة عليهم «والفضل ما شهدت به الأعداء» والأحاديث التي أخرجوها جاء كلّ حديث منها بطرق عدّة وأسانيد متعدّدة أقرّها علمائهم الكبار ، وعبد أهل البيت - المؤلّف - قد اختصرها ولكنه في أثناء ذكرها حاول سرد أمور مفيدة تعين على فهمها كما ذكر الوجوه والتاویلات التي ذكرها المؤلّف حين تتبعه لمعاني الحديث ، وصرف مصنّف هذا الكتاب معانيها لتنسجم مع توجّهاتها في هذا المؤلّف .

الفصل الخامس

في ذكر الأصحاب الذين لم يشهدوا حرب صفين

سمّى أصحاب رسول الله معاوية لعيناً كما ذكر ذلك صاحب «الرسالة الحاوية» أي الملعون الأبدى ، وهم قد سمعوا بذلك من رسول الله عليه السلام بواسطة الوحي . قال أبو محمد بن أحمد بن أعمش الكوفي في الفتوى : إنّ معاوية وعمراً بن العاص

(١) التوبة : ٢٨.

(٢) الحج : ٣٠.

(٣) وكان المؤلّف لم يرتضى هذا التفسير .

كتبا إلى أهل المدينة: «أجبوا إلى حرب علي رحمة الله» والسلام، فكتبوا إليه في الجواب: أنت يا معاوية فطليق لعين، وأنت يا عمرو فخائن في الدين، فكتبا عن المكاتبة وليس لكم في المدينة ولية ولا نصير^(١).

وأهل المدينة حكام أهل القبلة وقد لعنوه وهذه المكاتبة كانت قبل حرب صفين، فلعنها بعد وقوعها أولى وأوجب.

قال المأمون: كتب خالد بن الوليد إلى معاوية: أنت بعد، فإنك وثن من أوثان أهل مكة دخلت في الإسلام كارهاً وخرجت منه طائعاً^(٢).

قال المصنف: المراد من قوله: «وثن» كأنه ناظر إلى قوله تعالى: «فاجتنبوا الرجس من الأوثان»^(٣) فكما أن اجتناب الأوثان واجب فكذلك اجتناب معاوية لعنه الله ومحبته وموالاته حرام.

وجاء في الفتوح بأن معاوية كتب إلى عبدالله بن عمر كتاباً ودعاه إلى نفسه ووعده بجعل الخلافة له، وذكر في الكتاب محمد بن مسلمة وسعد بن مالك في شعر كتبه في أسفل الكتاب:

ثلاثة رمط من صحاب محمد نجوم وتأوى للرجال الصعالك ..^(٤)

(١) انظر عزيزى القارى كيف لعبت يد الخيانة بالنصل فصيّرته هكذا: أنت يا معاوية فطليق العيس، تجئنا منهم لكلمة لعين حذار من أن تصيب معاوية اللعنة، راجع ٥٤٢: ٢ من الفتوح.

(٢) رحم الله المؤلف كان عليه أن يتحرى الحقيقة فيما يكتب ولا يقع بما يرسله الرواة من دون تبصر، فخالفه بن الوليد لعنه الله هلك في عهد عمر بن الخطاب لعنه الله وهذا الكتاب جرى بين قيس بن سعد وبين معاوية وكان البادئ بالسب معاوية، وسمّاه يهودي بن يهودي، فأجابه قيس: إنّما أنت وثن ابن وثن.. الخ.

(٣) الحج: ٣٠

(٤) جاء البيت الذي ذكره ابن الأعثم هكذا:

ألا قل لعبد الله واخصص محمد فأرسلنا المأمون سعد بن مالك

ثم ذكر محقق الكتاب بقية الشعر وفيه البيت الذي ذكره المؤلف. (الفتوح ٥٤٤: ٢)

فكتب عبد الله بن عمر في جوابه : يا معاوية ، إن نفسك حدثتك أني أترك عليك والماهرين والأنصار - في المهاجرين والأنصار - وأتبعك ، وأجاب عن شعره :

أطعم فينا يابن هند سفاهة عليك بعليا حمير والسكاسك ..^(١)

والسكاسك جمع سكسك وهو ابن حمير ابن سبا يضرب به المثل لكلّ كريم . وقوله سفاهة إشارة إلى قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنَّ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) . وقال المؤمني : أعطى النبي عبد الله بن عمر سيفاً وقال : سله من غمد ، على الكافرين ، فوقع في شبهة من أمره ولم يعلم أنّ أهل البغي بحكم الكفار وقال عند موته : ما شيء فاتني من الدنيا إلاّ أني لم أقاتل مع عليّ أهل البغي^(٣) .
وسئل الأحنف بن قيس : أكان معاوية حليماً ؟ فقال : لو كان حليماً لما سفه الحقّ ، وأشار إلى هذه الآية : ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ﴾^(٤) .

وكذلك قال - يعني المؤمني - أنّ القاضي شريح سئل عن حلم معاوية ، فقال : هل كان معاوية إلاّ سفيهاً بل كان معدن السفاهة . ثمّ قال : لما بلغه مقتل أمير المؤمنين استوى جالساً وكانت له جارية تغrieve وكانت تخفي إيمانها ، فاستدعاها وقال : يا جارية غنّ اليوم قررت عيني ، فقالت الجارية : ما الخبر السعيد اليوم ، فقال معاوية : قُتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، فقالت الجارية : لاغنيت بعد اليوم ،

(١) أمر ابن أبي عزة أن يجيب عنه بأبيات وأولها:
معاوي لا ترجو الذي لست نائلاً وحاول بصيراً عند سعد بن مالك
نفسه (ص ٥٤٤ و ٥٤٥).

(٢) البرقة: ١٣.

(٣) الفضل بن شاذان ، الإيضاح : ٣٦٩ ، المسترشد : ٦٦٤ ، شرح الأخبار : ٢ ، ٥٢٦ ، النصائح الكافية : ٤٠ ، قال : ما آسى على شيء إلا أن تكون قاتلت الفتنة الباغية .. على الشهريستاني ، وضوء النبي :

. ٢٤٣

(٤) البرقة : ١٣٠ .

فأمر بضرها ضرباً مبرحاً بالسوط ، إلى أن قالت : كفوا عنّي ثمَّ أنسأت تقول :

وكَنَا قَبْلَ مَهْلِكَةِ زَمَانِنَا	نَرَى نَجْوَى رَسُولَ اللهِ فِينَا
أَلَا أَبْلُغُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبَ	فَلَا قَرَتْ عَيْنُ الشَّامِنَا
أَنِّي شَهَرَ الصِّيَامَ فَجَعَلْتُمُونَا	بَخِيرَ النَّاسِ طَرَّأً أَجْمَعِنَا
قُتْلَمْ خَيْرَ مِنْ رَكْبِ الْمَطَابِيَا	وَأَكْرَمَ كَلَّ مِنْ رَكْبِ السَّفِينَا
وَمِنْ لِبْسِ النَّعَالِ وَمِنْ حَذَاهَا	وَمِنْ قَرَأَ الصَّانِيَ وَالْمَثَانِيَا
فَلَا وَاللهِ لَا أَنْسَى عَلَيَا	وَطُولَ صَلَاتِهِ فِي الرَّاكِعِينَا
فَلَا تَفْخِرْ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبَ	فَلَانَّ بَقِيَةَ الْخَلْفَاءِ فِينَا
لَقَدْ عَلِمْتْ قُرَيْشَ حِيثْ كَانَتْ	بَأْنَكَ شَرَّمَ حَسَباً وَدِينَا

وكان إلى جانب معاوية عمود فضرب رأس المسكينة حتى استشهدت رحمة الله عليها^(١).

و جاء في رسالة الحاوية : إنَّ أَعْرَابِيَاً سَأَلَهُ : أَتَحِبُّ مَعَاوِيَةَ ؟ فَقَالَ : وَجَدْتُ لَهُ أَرْبَعاً فَكِيفَ أَحِبُّهُ ؟ قَيْلَ : وَمَا تَلِكَ الْأَرْبَعَةَ ؟ قَالَ : سَلْ أَبُوهُ السَّيفِ عَلَى رَسُولِ اللهِ فِي ثَانِينِ حَرْبَيْ ، وَأَكَلَتْ أُمَّهُ هَنْدَ كَبْدَ الْحَمْزَةَ ، وَقَطَعَ ابْنَهُ رَأْسَ سَبْطِ النَّبِيِّ الْحُسَيْنِ طَبَّيْلَةَ ، وَقُتْلَ هُوَ الْحَسَنُ بِالسَّمَّ وَهَارِبُ وَصِيَّ رَسُولِ اللهِ طَبَّيْلَةَ .

وذكر صاحب الحاوية الحكاية التالية أنَّ جنتية أسلمت فكانت تأتي مجلس النبي كلَّ يوم فغابت ثلاثة أيام سوياً، فلما عادت سألاه النبي طَبَّيْلَةَ : ما أبطأك عنِّي منذ ثلاثة أيام ؟ فقالت : نفست ابنة عمٍّ لي في الظلمات فذهبت لأقضى ما يجب من حقّها ، فقال النبي طَبَّيْلَةَ : وماذا عرض لك في الطريق ؟ فقالت : اجترت بالبحر

(١) الشِّعْرُ لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدَّنْلَبِيِّ ، وَقَيْلَ : لِأَرْوَى بْنَ أَبِي سَفِيَانَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ عَبْدِ الْمَطَلْبِ ، فَكِيفَ بَلَغَ الْمَغْنَيَةَ قَبْلَ أَنْ يَقْتَلَ الْإِيمَامَ وَقَدْ قَبِيلَ الشِّعْرُ بَعْدَ شَهَادَتِهِ لِسْتَ أَدْرِي .

السابع فرأيت إبليس جالساً على صخرة رافعاً يديه وهو يقول : اللهم إنك أقسمت على نفسك لتعذبني بالنار ، اللهم فخذ رضا نفسك من نفسي وأدخلني في عظيم عفوك ، اللهم بحق محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين افعل بي ذلك ، فقال النبي ﷺ : سلوا بنا فلو أن أحدكم حين يدعو السماوات والأرض فيقول لها : آتينا طوعاً ، فقالت السماوات والأرض : أتينا طائعين .

قال صاحب الحاوية : ما أعجب حال إبليس وهو أخبت مخلوق حين قال : «لأغويتهم أجمعين * إلا عيادة مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِين»^(١) إلا معاوية فإنه أخبت من إبليس فإنه صحب الفساق والمجان وأصحاب الدعارات وعادى أوصياء رسول الله وحاربهم وأذاهم .

قال الحاكم المفسر^(٢) في كتابه «الكشف» عن أبي أمامة : إن المراد بقوله تعالى «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدُتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُتْمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ»^(٣) معاوية وجندوه .

ومذهب أهل الأصول : إن جوار أهل الكتاب جائز وجوار أهل البغي لا يجوز . وقول القائل : اللعنة على معاوية ومن بايعه وشاعره ونصره فإنها أوكر وألزم من لعنة الكفار لأن الشبهة في الكفار مرتفعة فيجوز ترك لعنتهم ، وأمّا أهل البغي وخصوم أهل البيت (والسلفية والوهابية) وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وأحمد ابن حنبل وأنئتهم ثلاثة في الحكم والثلاثة في الفقه - المترجم) فإن ترك لعنتهم يوجب حصول الشبهة فيجب إظهار لعنتهم حينئذٍ يعلم الناس شقاوتهم (وهو

(١) ص : ٨٢ و ٨٣ .

(٢) لم يسم المؤلف ولكن بقوله «المفسر» ميزه عن الحاكم المحدث صاحب المستدرك .

(٣) آل عمران : ٦ .

أفضل الصدقات ..^(١) قال رسول الله ﷺ : من ليس له صدقة فليلعن اليهود^(٢) فتبيّن أنَّ لعنهم أفضل الصدقات .

قال قاضي القضاة في أحكام البغاء: كما أنَّ الاقتداء في أحكام الكفار برسول الله لأنَّه الأمين الثقة فكذلك في أحكام البغاء الاقتداء بعليٍّ لأنَّه الأمين الثقة، فإنَّ فعله وحكمه وتقريره مصدر أحكامنا عليهم وفيهم، لأنَّه كان على الحق لأنَّ الرسول قال فيه: إنَّ علينا مع الحق والحق مع عليٍّ يدور كما دار، لا يفتر قان حتى يرداً الحوض .

و جاء في الرسالة الحاوية ، في قوله تعالى: «فَتَقْرَئُ آذِنَمُ مِنْ زَبْهَةِ كَلِيفَاتِهِ»^(٣) وهي: يا حامد بحقِّ محمد ، يا عالي بحقِّ علي ، ويا فاطر بحقِّ فاطمة ، ويا محسن بحقِّ الحسن ، ويا قدِيم الإحسان بحقِّ الحسين عليهما السلام فاغفر لي ، فتاب عليه .

وقال أيضاً: إنَّ النبِيَّ ﷺ بعث عليناً مع سعد بن مالك بصدقات ، فاستأذن سعد علياً في ارتحال إبل الصدقة فأبى عليه ذلك ، ثمَّ غالب علىٌ عليه حاجة واستناب عنه رجلاً ، فلما عاد رأى ظهر ناقة منها قد مسَّه الرحل ، فقال: من ركبها؟ فقال: «أنا» ، فقال: يا ذن من؟ قال: يا ذن خليفتك ، فغرَّمه أمير المؤمنين عليهما السلام ، فشكى سعد علياً إلى رسول الله ﷺ ، ضرب رسول الله ﷺ بيده على فخذ سعد وقال: لا تكره أخاك لدينه .

(١) وهذا هو مذهبي الذي أدين به ربِّي لأنَّنا حين تركنا لعنهم صارت لهم نوع هيبة في القلوب فلابد من إعادة لعنهم لتكسر هذه الهيبة الكاذبة .

(٢) كنز العمال ١٥: ٤١٤ ، تاريخ بغداد ١: ٢٧٤ و ١٤: ٢٧٢ ، تهذيب الكمال ٣٢: ٣٧١ ، تهذيب التهذيب ١١: ٣٤٨ ، لسان الميزان ٣: ٣٣١ ، تاريخ حرجان: ٣٢٣ ، ميزان الاعتدال ٢: ٤٤٦ و ٤: ٤٥٤ ، الكشف الحيث: ١٥٩ .

(٣) البقرة: ٣٧ .

جاء إلى المدينة إمام أهل الشام شرحبيل تلميذ معاذ بن جبل برسالة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ونزل ضيفاً على الإمام الحسين عليه السلام، وكان في أيام عيد الأضحى، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام للصلوة وعليه قيس بلا جيب، قصير الـكـيـنـ، وعليه عمامة رسول الله صـلـيـلـهـ عـلـيـهـ سـلـمـ، وفي يده القسيب المشوق، فقال شرحبيل في نفسه: اليوم أرى خوان عليّ ما لونه؟ فلما حضر الخوان وجد فيه خبز شعير بنخالته لم ينضج تماماً، فأكل منه أمير المؤمنين عليه السلام، فأشار أمير المؤمنين إلى الحسن قائلاً: أطعم ضيفك بما تطعم به الناس، فما كان في بيته شيء، فاستعار من بيت المال قليلاً من العسل، فنعته أمير المؤمنين عليه السلام منه، فقال الحسن عليه السلام: أخذته من حصتي.

فقال شرحبيل: حضرت يوماً مع الحارث بن الأعور عند معاوية، فأحضروا له أربعين لوناً من الطعام، فعجب الحارث من ذلك، وأخيراً حضروا طبقاً من الببور مليئة بالطعام فأكل الحارث منه لقمة فلم يدر ما هو؟ فقال معاوية: هذا عَـصـاـفـيـرـ فيه دهن البلسان فـكـلـ منه فإنه طيب نافع للباء، فحسب شرحبيل أنَّ خوان عليّ كذلك الخوان ولكنه رأى ما رأى.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام وهو في حرب صفين يحمل معه أربعين متانة من دقيق الشعير، ولما عاد فضل منه الكثير.

وروى بعض الصحابة أنَّ أمير المؤمنين كان يصلّي معظم الليل في صفين وكذلك أكثر أصحابه، وكنت في جوار خيمته حتى فرغ من الصلاة وصلّي صلاة الصبح اعتلى صهوة جواده فتقدّمت إليه فقال: هل عندك طعام قليل؟ فقدّمت له قليلاً من خبز يابس وتمراً ووضعته على عنق فرسه حتى أفتر، وكان عليه قبل اليوم صائماً دائماً إلاّ اليوم فقد حملته الضرورة على الإفطار لأنَّه لم يذق طعاماً ليلاً، وكانت سيرته على هذا المنوال فكيف يقال عن حربه أنها كانت من أجل الدنيا أو الحكم والرئاسة؟!

وكتب أمير المؤمنين إلى معاوية : أتدعوني يابن آكلة الأكباد إلى كتاب الله وأنت به كافرون ؟

وجاء في كتاب الفتوح أن الإمام علياً عليه السلام سماهم : بقية الأحزاب ، أي البقية الباقية من جيش مكة الذي حارب في الخندق ، واعتبرهم بمثابة قوم عاد وثمود الذين حاربوا أنبيائهم عليهما السلام . وقال أبو علي : يريد علي عليه السلام بذلك بقية أصحاب الخندق .

ولما كتب عبدالله بن أبي رافع عقد الصلح معهم كان كما يلي : هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين عليهما السلام أبا الأعور السلمي ، فقام من أصحابه قوم وقالوا : لو عرفناك أتاك أمير المؤمنين ما قاتلناك ، فأمر أن يكتب الكتاب باسمه ، وقال علي عليه السلام : صدق رسول الله عليهما السلام ، لما كان يوم الحديبية كتبت : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو : لو أقررنا بأنك رسول الله ما قاتلناك ، فأمرني أن أكتب : محمد بن عبدالله ، وقال : يا علي ، إن لك يوماً كيومي ، واتخذ رسول الله علياً كنفسه وأصحابه ك أصحابه .

وإذا سماهم أمير المؤمنين عليهما السلام بقية الأحزاب لأنّه كان مستقلّاً في صفين سلاح رسول الله عليهما السلام ومعه سبعون ألفاً من الصحابة والتابعين مثل أويس القرني والريبع ابن خيثمة .

ثم قال أمير المؤمنين عليهما السلام : سيروا إلى بقية الأحزاب ، سيروا إلى أهل الشام العها الطعام ، سيروا إلى أولياء الشيطان وأعداء السنة والقرآن ، فقد أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين .

قال عمار :

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي سيروا بخیر الناس أتباع علي
وكانت أعداد بقية الأحزاب مائة وثمانين ألفاً .

وجاء في الفتوح بأنَّ أصحابَ علِيٍّ عطشوا وهم في طريقهم إلى صفين (واحتاجوا إلى الماء، وإذا براهُب في صومعته، فدنا منه علِيٌّ وصاح به فأشرف عليه، فقال له علِيٌّ: هل تعلم بالقرب منك ماءً شرب منه؟ فقال: ما أعلم ذلك، وإنَّ الماء ليهل إلينا من قريب من فرسخين. قال: فتركه علِيٌّ وأقبل إلى موضع من الأرض فطاف به ثمَّ أشار إلى مكان منه فقال: احفروا هنا، فحفروا قليلاً وإذا هم بصخرة صفراء كأنَّها طليت بالذهب وإذا هي على سبيل الرحى لا ينتقلها إلا مائة رجل، فقال علِيٌّ: اقلبوها فالماء من تحتها، فاجتمع الناس عليها فلم يقدروا على قلبها).

قال: فنزل علِيٌّ عن فرسه ثمَّ دنا من الصخرة وقال: بسم الله، ثمَّ حركها ورفعها فدحها ناحية، قال: فإذا بعین من الماء لم ير الناس أذب منها ولا أصنف ولا أبرد، فنادى في الناس أن هلموا إلى الماء. قال: فورد الناس فنزلوا وشربوا وسقو ما معهم من الظهر وملأوا أسيتهم وحملوا من الماء ما أرادوا ثمَّ حمل على الصخرة وهو يحرك شفتينيه بثقل كلامه لأول حتى ردَّ الصخرة إلى موضعها..) (١)

[فدهم الراهب على حين ماء «فاستخرجها علِيٌّ» فأعطاه الراهب كتاباً بخط عيسى وقيل بخط شمعون وإملاء عيسى وقيل ليس في الدنيا من هو أملح خطأ من عيسى علِيٌّ، لأنَّ معلمه الله تعالى، والرسالة هي:]

بسم الله الرحمن الرحيم، الذي قضى فيها مضى وسطر فيها سطر أنه باعث في الأئمَّتين رسولاً منهم يتلو عليهم الكتاب والحكمة ويدهم على سبيل الرشاد

(١) هذا ما ذكره صاحب الفتوح (٢: ٥٧٥) وأما ما ذكره المؤلف فيختلف تماماً عن هذا لأنه زعم أنَّ الراهب هو الذي أرشد الإمام إلى الماء، وعند صاحب الفتوح أنَّ الراهب نفسه كان يشرب من مكان يبعد فرسخين عن ديرة، ولست أدرى إن كانت الرواية محدوفة من الفتوح أم أنَّ المؤلف تساهل بالنقل، وانظر الرواية التي ساقها المؤلف في المتن.

ولا يكون ظاظاً غليظاً ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أئمته (الْمَهَادُون) لأنهم الذين يحمدون الله على كل حال في هبوط الأرض وصعودها، ألسنتهم مديدة بالتسبيح والتحميد، ينصرون الله على من ناوأه، فإذا توفاه اختللت أئمته من بعده، فيمرّ بهذا النهر صالح يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فمن أدرك هذا النبيَّ فليؤمن، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإنه وصيَّ خاتم النبيين والقتل معه شهادة^(١).

والشهيد في الحقيقة من قتل بأيدي الكفار، فظهر من هذا بأنَّ معاوية وجشه من الكفار.

فأسلم ذلك الراهب وسار مع أصحاب رسول الله إلى حرب معاوية واستشهد في صفين فطلب الإمام من بين القتلى فلما وجده صلى عليه ودفنه وقال: هذا متألِّفُ الْبَيْتِ.

وكان مالك الأشتر يبكي في صفين، فلما سُئل عن الأسباب قال: أخشى أن لا أُنال درجة الشهادة.

وجاء في الفتوح، قال: وأصبح الناس وطلعت الشمس وذلك في يوم الخميس، ودع على بدرع رسول الله عليه السلام فلبسه، وبسيف رسول الله عليه السلام فتقلدَه، وبعثامة رسول الله عليه السلام فاعتذر بها، ثم بفرس رسول الله عليه السلام فاستوى عليه، وجعل يقول: أيها الناس، من يبع نفسه يربح هذا اليوم فإنه يوم له ما بعده من الأيام، أما والله أن لولا أن تعطل حدود الله وتبطل الحقوق ويظهر الظالمون وتفوز كلمة الشيطان ما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطبيه، ألا وإن خضاب النساء الحناء،

(١) ما وضعناه بين حاصرتين هي رواية المؤلف والكتاب وصحبة الراهب للإمام وشهادته مروية في الفتوح ص ٥٧٧ و ٥٧٨ مع اختلاف يسير بينهما.

وخطاب الرجال الدماء، والصبر خير عواقب الأمور، ألا إنها إحن بدرية وضيائن أحدية وأحقاد جاهلية وثب بها معاوية حين الغفلة ليذكر^(١) بها ثاراتبني عبد شمس.. فقاتلوا أئمّة الكفر إيمان لا يأيمان لهم لعلهم ينتهون^(٢). ولما اشتدّ القتال صاح صيحة واحدة: الفرار من الحرب ارتداد عن الحق رغبة عن الإسلام، كقوله تعالى: «وَمَنْ يُؤْلِمُهُمْ يَؤْمِنُ بِذَبْرَةٍ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِِقْتَالٍ أَوْ مُتَحَيْرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ»^(٣).

وتلى أمير المؤمنين في صيحة القتال هذا الدعاء وهو مناجات شعيب النبي ﷺ: اللهم إليك نقلت الأقدام، وإليك أفضت القلوب ورفعت الأيدي ومددت الأعناق وطلب الحوائج وشخصت الأبصار، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

وقتل في هذا اليوم من المجانين ستة وأربعون رجلاً. وذكر قاضي القضاة في كتاب المحيط: إنّ علياً عليه السلام يبدأهم بقتالٍ حتى قُتل عمار ابن ياسر رضوان الله عليه ، فلما قتلوا عماراً يوم السادس والعشرين أجري عليهم حكم الكفار وصار يبدأهم بالقتال، فقتل في ليلة واحدة خمسة وثلاثين من أصحاب معاوية، وفي كل ضربة يكبر تكبره واحدة كما هو الشأن في قتال الكافرين.

وقال علي عليه السلام: من أصحابه سفي فهو في النار . وجاء في الفتوح: إنّ علياً خرج بين الصفين فبارزه واحد فصرعه، ثم آخر حتى

(١) أجدر بها أن تكون «ليدرك بها ثارات» الخ.

(٢) الفتح ٣: ١٧١ و ١٧٢.

(٣) الأنفال: ١٦.

أهلك أربعة منهم، ثمَّ صاح : يا معاوية، أخرج إلى مبارزتي فيسِّرْ به الناس ، فقال معاوية : أو ما يكفيك أربعة فتطلب خامساً.

فقال رجل : إذا أباها معاوية فأنا أخرج إليه ، ثمَّ خرج ودعا إلى المبارزة ، فقال الأصحاب : يا أمير المؤمنين ، نحن نكفيك هذا الكلب ، قال : ي يريد القتل مني ، فصرعه ، وقال : انطلق يا عدوَ الله فأخبر قومك بما رأيت ، فوالذي بعثَ محمدًا بالحقَّ نبيًا إِنَّه عاين النار وأصبح من النادمين ، وحكم هذا اللعين حكم عاقر ناقة صالح ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَضْبَخُوا نَاءِمِين﴾^(١) وحكم قابيل بن آدم ، ولم يقل ذلك عليَّ غضباً لنفسه إذ أنَّ عليًّا لم يقاتل لنفسه بل لم يفعل شيئاً لها .

وقال معاوية يوماً لعمرو بن العاص : إنَّ ما بينك وبين عليَّ من الخصومات يحملك على مبارزته ، فخرج عمرو بن العاص وطلب البراز من عليَّ عليهما السلام ، فخرج إليه أمير المؤمنين وقال : أتحمل علىَّ أم أحمل عليك ؟ فقال عمرو : بل أنت فاحمل علىَّ لأنك عليَّ بن أبي طالب ، فلما حمل عليه رمى بنفسه إلى الأرض وكشف عورته ، فولَّ الإمام عليهما السلام وجهه عنه ، وقام عمرو بن العاص هارباً هارباً إلى خيمة معاوية ، فلامه معاوية على فعلته ، فقال : إني فعلت فعلاً أوقفني قبالة عليَّ حتى كشفت له سوئي ، فافعل أنت فعلى إِنْ قدرت على ذلك ، وفعل بسر بن أرطاة نفس الفعل ، فقال غلام من أهل الشام :

أَفِي كُلَّ يَوْمٍ فَارِسٌ ذُوكَرِيهَةٌ
لِهِ عُورَةٌ وَسَطْ العَجَاجَةِ بَادِيهٌ

يَكْفَ بِهَا عَنِهِ عَلَيَّ سَانَهٌ
وَيَضْحِكُ مِنْهَا فِي الْخَلَاءِ مَعَاوِيهٌ

فَقَالَ أمير المؤمنين عليهما السلام : كان الحقَّ يدور مع عمار حيثما دار .

وكان عمار يقول يوم شهادته : أنا مقتول في يومي هذا ، وودع أصحابه وأوصى

بوصاياه، وكان عمره يوم مقتله أربعاءً وسبعين سنة.

ولما رأى عمار^{رضي الله عنه} راية معاوية، قال: إن هذه الرايات قاتلناها مع رسول الله وهذه رابعة وما هي بخيرهن ولا أبئهن^(١)، ألا وإني مقتول في يومي هذا فالحقهم بالأولين، ثم إن عماراً للحقهم بالكافار الذين قاتلوا النبي في أول الدعوة.

قصة قيس بن سعد بن عبادة

كان سعد الرجل الذي فضله الأنصار على أبي بكر وقدموه عليه، أما قيس ولده فكان من عمال النبي^{صلوات الله عليه وسلم} وأرسله رسول الله يوماً مع أبي رعال^(٢) لجمع الصدقة إلى الطائف وقال: اللهم اجعل بر كاتبك على آل سعد بن عبادة. فقال قيس: نحن بين يدي أعلام جبرئيل عن يمينها، وعن يسارها ميكائيل، وأنتم بين يدي أعلام عن يمينها أبو جهل وعن يسارها أبو هلب، وكان أصحاب عليٍّ من هذا الطراز.

ولعن أمير المؤمنين معاوية بهذه الأرجوزة، فقال:

ما كان يرضي أَحْمَدَ لِوَخْبَرَا	أَنْ تَسْعَلُوا وَصَيْهِ وَالْأَبْتَرَا
شَانِي النَّبِيِّ وَلَعِينَا آخِرَا	كَلَامَمَا فِي جَنْدِهِ قَدْ عَسْكَرَا
قَدْ بَاعَ هَذَا دِينَهُ وَفَتَخَرَا	مِنْ ذِي بَعْدِهِ قَدْ خَسَرَا .. ^(٣)

وأشار بلفظ الأبتر إلى قوله تعالى: «إِنَّ شَانِئَنَّهُ هُوَ الْأَبْتَرُ»^(٤) النازلة في شأن

(١) لم تتمكن قرابة الكلمتين عند المؤلف فصحّحتها من شرح ابن أبي الحديد ٥: ٢٥٧.

(٢) لم يرد فيمن عرف بكنته من أصحاب النبي أحد بهذه الكنية.

(٣) أحسبها هكذا: «من باع ذا بيته قد خسرا» وقد جانت عند محقق ابن أبي الحديد هكذا: «من ذا بيته قد خسرا» راجع ١٤٨ من شرح ابن أبي الحديد.

(٤) الكوثر: ٣.

العاصر بن وائل وآل عمرو بن العاص واللعين الآخر معاوية.
وقد كان عمرو بن العاص لعنه الله هجى رسول الله بسبعين بيتاً من الشعر، فقال
رسول الله ﷺ : اللهم لا أحسن الشعر، فالعنده بكل بيت ألف لعنة.
قال بشر بن المعتمر :

تبرأ من عمرو ومن معاويه ومن بغاة في الزمان غالبه
تبرأً أولاً من الأصنام وثانياً من معاوية الوثن وعمرو بن العاص الوثن
وعابدي الوثن، كما قال تعالى : «إِنَّمَا تُبَرَّأُ مِنْهُمْ وَمَمَّا تَغْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ»^(١).
وذكر صاحب الفتوح قال : خرج رجل من أهل الشام حتى وقف بين الصفين ثم
نادى بأعلى صوته : يا أبا الحسن، إني أكلمك، قال : فخرج إليه علي عليه السلام حتى
اختطف أعناق فرسيهما، فقال له الشامي : يا أبا الحسن، إن لك فضلاً وقدماً في
الإسلام وهجرة وسابقة وإخوة وقرابة من رسول الله ﷺ ، فلا يساميك أحد
ولا يدانيك، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن دماء هذه الأمة وتأخير
هذه الحروب إلى أن ترى في ذلك رأيك ؟ فقال عليه السلام : وما ذاك ؟ قال : أن ترجع
إلى عراقك وترجع إلى شامنا ، فتخلي بينك وبين العراق ، وتخلي بيننا وبين الشام ،
فقال عليه السلام : لقد علمت أنك إنما عرضت هذه نصيحة وشفقة ولكن قد أهمني هذا
الأمر وأسهرني ، وضررت أنفه وعيته ، فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله
عز وجل أو يرضى من أوليائه أن يعصي في الأرض وهم ساكتون ؟ مذعنون
لا يأمرون بالمعروف ولا ينهاون عن المنكر ، فوجدت القتلا أهون على من معالجة
الأغلال في نار جهنم . قال : فرجع الشامي وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون^(٢).

(١) المحدثة : ٤.

(٢) الفتوح : ٣١٥٤ و ١٥٥.

والدليل على ذلك أنَّ الله تعالى لعن أهل الكتاب بتركهم الأمر بالمعروف حيث قال : «لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مُزَيْمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَغْتَدِّونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ مُنْكِرٍ فَعَلَوْهُ لَبِسْ مَا كَانُوا يَغْطِّونَ»^(١).

وجاء في الحاوية : ولما كان ترك عليّ حرب معاوية يؤدي إلى الكفر فا حال من يرتكب هذا الفعل معه .

قال محمد بن الحنفية : خاطبت معاوية وقومه وأشارت إليه بقولي : حثوا يا ذرية النفاق وحثوا النار ويا حطب جهنّم عن الأسل النافذ والنجم الثاقب والقمر الباهر والصراط المستقيم ، تدرؤن ويلكم بأيّ عقبة تسيمون ؟ وأيّ واد تقتلون ؟ وبصنو رسول الله تستهزّون ، كلاً سوف تعلمون ، كلاً سوف تعلمون .

واستأذن عمرو بن العاص عَمَّاراً أن يكلمه ، فأعطاه الأمان ، فابتداً قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال عَمَّار : اسكت ، فلست من أهل الشهادة ، فقد تركتها على عهد رسول الله ﷺ واتخذه خطبة الجahليّة وقل قول من كان في الإسلام ذنباً وفي الكفر رأساً ، وهذا الكلام من عَمَّار دليل على نفاق ابن العاص ، واقتدائنا بأصحاب النبي الكبار (المزهّين) من الواجبات .

الفصل السادس

في إقرار أهل البغي ببغفهم

لما أعطى معاوية الحسن ثلاثة آلاف درهم أنكر عليه ذلك يزيد ، فقال معاوية : يا بني ، الحق والله حقّهم فلا نردّ لهم على رکوبهم . ولما ضربت معاوية اللقوة ، قال : عقوبة عجلت ، إني دفعت عليكَ من حقّه .

وقال ليزيد: إني دفعت عليكَ عن حقّه وحملت الوزر على ظهري . كان ابن العاص جار أموي فسأله عن حال عليّ حين راسلها معاوية ودعاه إلى نفسه ، فقال : إنَّ معاوية يدعوني إلى أمر عظيم فإنه يدعوني إلى قتال عليّ ، ومن حاربه فكانَ حارب رسول الله ، فإنه أخوه وزيره ووصيه وأحق الناس بالخلافة ، وفي قتاله هلاك الدين ، ولا عوض من ذلك ولو كانت الدنيا كلها .

فأجاب : فأما دعوتي إليه من خلع ربة الإسلام من عنقي والتهور في الضلاله معك وأعانتي إياك على الباطل واختراط السيف على وجه عليٍّ عليه السلام وهو أخو رسول الله ومنجزه وعده ووصيه ووارثه وقاضي دينه وزوج ابنته سيدة نساء العالمين وأبو السبطين سيدي شباب أهل الجنة . وقال رسول الله عليه السلام يوم بنى النضير : عليٌّ إمام البررة وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، ومحذول من خذله ^(١) . ونزل في حقّه آيات كثيرة ، وذكرها ابن العاص ، ولكنه لما أطمعه بصر نسي هذا كله ووعظه ولده عبدالله وغلامه وردان فلم يتّعظ ، وقال له وردان : يا مولاي ، إنَّ مع عليّ الآخرة ولا الدنيا معه ، ومع معاوية الدنيا ولا آخرة له ولا ملن معه ، والآخرة تبقى لك والدنيا لا تبقى لك فاختر أيّها شئت .. ^(٢) . فقال عمرو بن العاص :

(١) الإمام والتبصرة لابن بابويه القمي : ١٥١ ، بحار الأنوار ٣٣:٣ ، الجامع الصغير ٢:١٧٧ ، كنز العمال ١١:٦٠٢ رقم ٣٢٩٠٩ ، مناقب ابن شهر آشوب : ٢٠٠ ، نهج الإيمان : ٤٦ ، كشف البقين للعلامة الحلي : ٢٣ ، ينابيع المودة ٢:٧٨ و ٩٦ و ٢٣٨ و ٢٨٥ و ٤٠١ ، النصائح الكافية لابن عقيل :

.٩٥

(٢) جاء الخبر في الإمام والسياسة لابن قتيبة ١:١١٦ على النحو التالي : ثم دعا غلاماً له - عمرو - فقال له وردان وكان داهية ، فقال له عمرو : يا وردان ، احطط ، يا وردان ارحل ، يا وردان احطط ، يا وردان ارحل ، فقال وردان : أما إنك إن شئت بتاتك بما في نفسك ، فقال عمرو : هات يا وردان ، فقال : اعتركت الدين والآخرة على قلبك ، فقلت : مع عليّ الآخرة بلا دنيا ، ومع معاوية الدنيا بغیر

قاتل الله ورداً وفطنته ، لقد أصحاب الذي في قلبه (قلبي) فقال وردان :

أَمَا عَلَيَّ فِدْيَنْ لِبِسْ يَشْرُكَه دُنْيَا وَذَاكَ دِينَ وَسَلَطَانَ (كَذَا)

فَاخْتَرْتَ مِنْ طَمْعِي دُنْيَا عَلَى بَصَرِي وَمَا مَعِي بِالَّذِي اخْتَرْتَ بِرْهَانَ

إِنِّي لَا عُرْفَ مَا فِيهَا وَأَبْصَرُه وَفِي أَيْضًا لِمَا أَهْوَاهُ الْوَلْدَانَ

لَكُنْ نَفْسِي لَحْبَ الْعِيشِ فِي شَرْفِه وَلَيْسَ يَرْضِي بِذَلِّ النَّفْسِ إِنْسَانٌ (١)

وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَفْتَرِقِ الْطَّرِيقِ ، قَالَ لَهُ غَلَامٌ : يَا مُولَّاي ، هَذَا طَرِيقُ الدُّنْيَا ،
وَهَذَا طَرِيقُ الْآخِرَة .

وَكَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي صَفَيْنِ إِلَى ابْنِ الْعَاصِ :

لِأَصْبَحَنَ الْعَاصِ وَابْنَ الْعَاصِ سَبْعِينَ أَلْفًا عَاقِدِي النَّوَاصِي

مُسْتَقْبِلِينَ خَلْقَ الدَّلَاصِ قَدْ جَنَبُوا الْخَيْلَ مَعَ الْقَلَاصِ

أَسَّا وَقَبْلِ حَسِنَ لَا مَنَاصِ

فَأَجَابَهُ ابْنُ الْعَاصِ :

مَا أَنَا بِالْعَاصِي وَلَا ابْنُ الْعَاصِ خَوْفَتِي بِلَابْسِي الدَّلَاصِ

بَلْ مُشْعِرٌ مِنْ غَالِبِ مَصَاصِي وَقَائِدِي الْخَيْلِ مَعَ الدَّلَاصِ

أَهُونُ بِقَوْمٍ فِي الْوَغْيِ نَكَاصِي إِذَا رَأَوْنَا نَنْفَضُ النَّوَاصِي

هَذَا قَوْلِه ! وَفِي الْحَرْبِ يَكْشِفُ عَنْ سُوَّاتِهِ خَوْفًا مِنْ سَيْفِ عَلِيٍّ عَلِيٌّ .

وَجَاءَ فِي الْفَتوْحِ : إِنَّ النَّعْمَانَ بْنَ جَبَلَةَ قَالَ لِمَعَاوِيَةَ : رَمِيتَنَا بَيْنَ السَّيْوَفِ الْمَحَدَادِ
وَالسَّمَرِ الصَّعَادِ مِنْ أَجْلِ دُنْيَاكَ ، وَإِنَّا اخْتَرْنَا النَّارَ عَلَى هَوَاكَ طَلَبًا لِلْدُنْيَا ، وَأَخْذَ

❸ آخِرَة ، فَلَنِي وَاقِفٌ بَيْنَهُما . فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَخْطَلَتْ مَا فِي نَفْسِي ، فَمَا تَرَى يَا وَرْدَانَ ؟ فَقَالَ : أَرَى أَنَّ
تَقِيمَ فِي مَنْزِلِكَ فَإِنَّ ظَهَرَ أَهْلَ الدِّينِ عَثَتْ فِي عَفْوِ دِينِهِمْ ، وَإِنَّ ظَهَرَ أَهْلَ الدُّنْيَا لَمْ يَسْتَغْنُ عَنْكَ ...
الْخ .

(١) الشِّعْرُ لِرَكَاتِهِ لَا يَسْتَحِقُ التَّصْلِيْحَ .

يقاتل وهو يقول: إنا سنقاتل عن الغوطة إن حرمنا الجنة.

قال مصنف هذا الكتاب : وإنما ترك بعض الصحابة الإمام أمير المؤمنين واتجهوا وجهة أخرى طلباً للدنيا لا للجنة ، وقال الباقر عليه السلام : إنما سميت الغوطة غوطة لأنَّ آدم يغوط بها^(١) .

قال عمرو بن العاص يوماً لولده عبدالله: هل ترى علياً؟ قال: ذاك علي على فرس رسول الله ﷺ، فتنفس الصعداء وقال: يا بني ليس هذا بذات السلاسل ولا بكذا وكذا، يا ليتني كنت عن هذا المجلس بعد المشرقيين. فقال ابنه: وما يمنعك؟ قال: حب الدنيا.

قال داود البكري: كنت مع عتبة بن أبي سفيان ولما رأى رأيات علي وأهل بيته عليهما السلام قال: هذه رأيات رسول الله عليهما السلام فلا حاربت هؤلاء أبداً فعيّره رجل فقال له عتبة: كأنك لست من الإسلام في شيء....

وجاء في الفتوح: إنّ رجلاً طلب مبارزة عليٍ عليه السلام، فقال له الإمام: لا دخلك النار يابن آكلة الأكباد، فقال ذاك اللعين: ستعلم من منا يدخل النار، فتناوله عليٍ عليه السلام برمته وعلقه في الهواء، فصاح ذاك اللعين: يا أمير المؤمنين، لقد رأيت نار جهنّم فأصبحت من النادمين.

قال صدر الأئمة المأوراء النهري : إنَّ علِيًّا عليه السلام قال : أنا قاضي دين رسول الله عليه السلام لما انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى كان عليه دين ثمانون ألف دينار فاستعنت الله على أدائها فأديتها إلَّا قليلاً منها أوصيت الحسن بأدائها بعد وفاتي ، وهذا معنى قول رسول الله : قاضي ديني .

(١) أَجَلَ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ رَوْحِي فِدَاهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، وَالْغَوْطَةُ هِيَ الْأَرْضُ الْمَنْخَفَضَةُ وَمِنْهَا أَخَذَ الْغَافِطُ وَالْمَنْغَوْطُ وَمَا شَابَهَ ذَلِكَ أَكْرَمُ اللَّهِ.

الفصل السابع

في البدع التي أحدثها معاوية

ورد في الحديث: لعن الله من غير منار الأرض^(١). قال الحاكم المفسر: يعني منار الأرض أحكام الشر.

قال أبو يوسف بن إبراهيم بن جنبيس الأنباري صاحب أبي حنيفة في مجلس فقهه ودرسه: أول من قاد الفتنة الباغية معاوية لعن الله، وأول من حكم بخلاف حكم رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر، لأجل زياد نسبه إلى أبيه أبي سفيان من فراش أبيه الذي ولد عليه.

وقاتل أول مؤمن، لم يكفر بالله طرفة عين بعد إسلامه ولا زنا بعد إحصائه وهو حجر بن عدي أخو الظرمّاح^(٢).

ومعاوية أول من أهدى إليه رأس مسلم وهو رأس عمرو بن الحمق الخزاعي، وأول من جلس على العرش في الإسلام كالأك瑟ة والفراعنة^(٣)، وأول من صالح المشركين من غير أن يأخذ الجزية، وأول من باع الأصنام وجعل للأصنام ثناً، وأول من استعمل الحرمس وباع أسرى المسلمين، وأول من جعل الحكم وراثة وأورثه إلى ولده، وقتل ولدي قشم بن العباس بيد بسر بن أرطاة لعنهم الله، وهذا ما

(١) السنن الكبرى ٦: ٩٩، فتح الباري ١٠: ٣١٤، مصنف عبد الرزاق ١١: ١٣٧، أصول السرخسي ٢: ٣٠٤، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤: ٣٦٨ و ٥: ١٢٧، تاج العروس للزبيدي ٣: ٥٨٨ ومعنى منارها: أي أعلامها أراد من غير تخوم الأرضين وهو أن يقطع طائفة من أرض جاره ويحول الحد من مكانه. وقال ابن الأثير: المنار جمع منارة وهي العلامة تجعل بين الحدود.

(٢) لم أغير على قائل لهذا القول لأنَّ الأول كنديٌّ من اليمن والثاني طانيٌّ ... فكيف يلتقيان.

(٣) عمر بن الخطاب لعن الله شجّعه على ذلك.

أملأه أبو يوسف كما ورد في الحاوية.

أما قوله: أَوْلُ من قاد الفئة الباغية، قال ابن عباس: كنّا في حائط أبي سعيد الخدري وجرى حديث بناء مسجد النبي ﷺ، قال: كنّا نحمل لبنة لبنة وكان عمار يحمل اثنتين اثنين، فجاء النبي ﷺ ونفض التراب عن ظهر عمار ونظفه له وقال: ألا تحمل كما يحمل أصحابك؟ فقال عمار: أريد الأجر من الله، فيجعل رسول الله ينفض التراب عنه ويقول: ويحك تقتلك الفئة الباغية تدعوههم إلى الجنة ويدعونك إلى النار.

وكان عمار من أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أولئك المُفْرِيُونَ^(١)، ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولَوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(٢) الآية، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلذِّينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾^(٣) وقوله: ﴿وَلَا تُنْهِيَنَّ يَهُدُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ﴾^(٤) وقوله: ﴿إِنَّا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٥) وقوله في حكاية: ﴿أَهُوَ لَمَّا مِنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَنِينَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمُ بِالشَّاكِرِينَ﴾^(٦)، وقال: ﴿وَإِذَا رَأُوهُمْ قَالُوا إِنَّهُؤُلَاءِ نَضَالُونَ﴾^(٧) كما قال المفسرون وهو رابع أربعة أسلموا وله من العمر أربع وعشرون سنة، وأمه أول شهيد في الإسلام واسمها سمية، وقال رسول الله ﷺ في حقّها: أَوْلُ من استشهد في

(١) الواقعه: ١٠ و ١١.

(٢) التوبه: ١٠٠.

(٣) التحل: ١١٠.

(٤) الأنعام: ٥٢.

(٥) الأنعام: ٥٤.

(٦) الأنعام: ٥٣.

(٧) المطففين: ٣٢.

أمّي امرأة - ويعني بها سميّة عليهما - (إلاَّ المُسْتَضْعِفُينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ) ^(١) النساء : أمّ عمار سميّة ، والرجال ياسر أبوه .

وعمار استشهد على يد كافر ليس أقل من أبي جهل الذي قتل والدي عمار واستشهد على يديه وسبب ذلك : لما هاجر النبي إلى المدينة تبعه أصحابه فلما علم المشركون بذلك أخذوا عليهم المراصد والطرق ، فلن قبضوا عليه خارج مكة أوسعوه ضرباً حتى يسبّ النبي ويرجع إلى مكة فقبض عليهم أبو جهل لعنه الله وطلب منهم أن يلعنوا النبي فأبوا ذلك أشد الإباء ، فجرّد ياسر وسميّة من ثيابها وراح يضرّهما حتى اختارا الشهادة ولم يطعاه فيما طلب وقال ياسر : بحقّ نبيك محمد عليهما السلام إذا خرجت روحه من بدني فحوّل وجهي إلى القبلة ، فوضعوا في عنق ياسر وسميّة حبلين علقواهما فأرسل الله الملائكة حوال وجهيهما إلى القبلة عند الموت وأخبر نبيه بما جرى عليهما ^(٢) .

وقبض على عمار بعد شهادة والديه وقال : العن ... وإلا فعلت بك ما فعلته بأبويك ، فقال عمار ما أرادوه منه ونجي من قتلهم ، واختار الطريق الملتوي على الصراط المستقيم وأقبل ينحو المدينة ، ولما دنى من المدينة هبط جبريل على النبي عليهما السلام وأخبره بأنّ عماراً قد أتى ، فخرج النبي بأصحابه يستقبلونه وقال النبي : إنّ الملائكة وضعوا أجنبتها على الأرض لumar وخرج الصحابة حفاة لاستقبال عمار ولما رأى عمار رسول الله انخرط بالبكاء ، فقال النبي عليهما السلام : ما بك يا عمار ؟ فقال عمار : يا رسول الله ، أبكاني الفراق والبعد عنّي ، فقال رسول الله عليهما السلام : وجدت قلبك مطمئناً بالإيمان ، ثم قال رسول الله عليهما السلام : إنّ عادوا فعدّ أنت ، ونزل في حقة قوله

(١) النساء : ٩٨.

(٢) المعروف عن شهادتهم غير هذا ولا ندرى عن مصدر المؤلف شيئاً .

تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُخْرِهُ وَقْبَلَهُ مُطْفَئٌ بِالإِيمَانِ﴾^(١) وليست لأحد من الصحابة هذه الفضيلة من كونه وأباه وأمه شهداء في الإسلام.

قيل : إنَّ أبا جهل لعنـه الله كان يعذـب سمية عليها وكانت لا تطبق العذاب ، فشتمت أبا جهل وكلـمة بـكلـام خـشن ، فغضـب لـعنـه الله وأوجـر بـطنـها بالـحرـبة حتـى أـسلـمت الرـوح (صـلـى الله عـلـيـها وـعـلـى بـعـلـها وـولـدـها).

وـقـيل : كانـ في مـكـة لـكـل مستـضـعـف مجـير إـلـا عـمـار وـأـبـوه يـاسـر لـذـكـرـهـ كانـا يـتـجـرـعـانـ أـشـدـ العـذـابـ ، وـلـمـا كانـ يـوـمـ الـهـوـدـجـ كـمـا جاءـ فيـ الـفـتوـحـ غـلـبـ النـاسـ عـلـىـ الـهـوـدـجـ فـسـلـ عـمـارـ سـيفـهـ وـهـرـعـ نـخـوـ الـجـمـلـ وـهـوـ بـرـجـزـ :

إـيـ لـعـمـارـ وـشـيـخـ يـاسـرـ صـاحـ كـلـاتـا مـؤـمـنـ مـهـاجـرـ

إـيـ لـأـصـبـحـتـ فـيـهـ حـاقـرـ لـاتـبـلـى بـعـدـ الـمـمـاتـ عـامـرـ

إـيـ إـلـىـ خـيـرـيـ وـضـيـرـيـ صـاـبـرـ وـمـالـكـ حـرـمـاـ لـيـسـ فـيـهـ عـاذـرـ^(٢)

طـلـحةـ فـيـنـاـ وـالـزـبـيرـ غـادـرـ وـالـحـقـ فـيـ كـفـ عـلـيـ ظـاهـرـ

وـلـمـا عـلـمـ الصـحـابـةـ بـمـا دـارـ بـيـنـ عـمـارـ وـأـبـيـ جـهـلـ لـعنـهـ اللهـ ، قالـ الصـحـابـةـ : يا رـسـولـ اللهـ ، كـفـ عـمـارـ ، فـقـالـ النـبـيـ عليـهـ السـلـامـ : خـلـطـ الـإـيـانـ بـعـيـارـ ماـ بـيـنـ قـرنـهـ وـبـيـنـ قـدـمـهـ ، وـخـلـطـ بـلـحـمـهـ وـدـمـهـ يـذـورـ مـعـ الـحـقـ حـيـثـ دـارـ ، فـلـيـسـ يـنـبـغـيـ لـلنـارـ أـنـ تـأـكـلـ مـنـهـ شـيـئـاـً.

وـلـمـا كانـ يـوـمـ صـفـيـنـ وـوـقـعـتـ الـحـربـ وـارـتـفـعـتـ الـأـصـوـاتـ كـوـسـاتـهـاـ وـأـبـواـقـهاـ ، وـقـرـعـتـ طـبـوـهاـ ، وـصـدـحـتـ سـيـوـفـهاـ ، وـغـنـتـ فـيـ الـجـمـاـجـ وـالـرـؤـوسـ ، وـتـماـزـجـتـ بـهـاـ أـصـوـاتـ الـسـلاـحـ ، وـعـلـتـ هـمـمـةـ رـجـاـهـاـ وـصـهـيـلـ خـيـوـهـاـ ، إـلـىـ الـحـدـ الـذـيـ يـذـوبـ مـعـهـ قـلـبـ الشـجـاعـ الـحـلـيمـ ، فـكـانـ عـمـارـ يـقـاتـلـ قـتـالـاًـ دـوـنـهـ قـتـالـ شـابـ جـلـدـ قـويـ ، وـكـانـ

(١) النـحلـ : ١٠٦.

(٢) كـذاـ.

عمره في ذلك اليوم أربعاً وسبعين سنة، إلا أن يكون عمرأً أشجع الشجعان وفي هذه الأثناء رفع يديه وقال: اللهم إِنّكَ تعلمُ أَنِّي لو كنْتَ أَعْلَمُ أَنَّ رَضَاكَ فِي وَضْعِ سَيْفِي عَلَى بَطْنِي حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَى ظَهْرِي لَفَعْلْتَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ شَيْئاً هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ جَهَادٍ هُؤْلَاءِ.

ثم قال: أَيُّهَا النَّاسُ، هَذِهِ الرَّاِيَةُ الَّتِي يَحْمِلُهَا مَعَاوِيَةٌ هِيَ الرَّاِيَةُ ذَاتَهَا الَّتِي كَانَ يَحْمِلُهَا أَبُوهُ إِمَامِ الْمُشْرِكِينَ فِي بَدْرٍ وَحَنْدَنَ وَأَحَدٍ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْيَوْمُ هُوَ الْمَرْأَةُ الْرَّابِعَةُ، وَهُوَ الْيَوْمُ قاتِلِيٌّ، إِنَّذَا قُتِلْتَ فَادْفُونِي بِشَيْبَابِ الْمَزْمَلَةِ بَدْمِيٍّ، وَإِنَّا كُمْ وَتَرَكْ نَصْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَيْعَتَهُ هُمُ الْفَائِزُونَ. ثُمَّ قَالَ: أَنَا أَوْلُ مَنْ يَخْتَصِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَفِي رَوَايَةٍ: فَإِنِّي مَخَاصِمٌ وَتَقْدِيمٌ مَعَاوِيَةَ فَارْتَجَزَ عَمَّارَ:

نَحْنُ ضَرِبَنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ فَإِنَّ يَوْمَ نَصْرِكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
ضَرِبَاً يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيَذْمِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
ثُمَّ صَاحَ بِأَهْلِ الشَّامِ: إِنَّ هَزْمَتْمُونَا كُلَّ الْهَزَيْرَةِ فَإِنَا عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ عَلَى الْبَاطِلِ،
وَكَانَ يَدْمِنُ الصَّومَ نَهَاراً وَالْقِيَامَ لَيْلًا هَذَا ضَعْفُ بَدْنِهِ.

وَحَمَلَتْ عَلَيْهِ خَيْلٌ مَعَاوِيَةَ بَفْرَسَانَ كَثِيرَةً فَطَعَنَهُ الْلَّعِينُ أَبُو الْغَادِيَةَ فَأَمْضَهُ،
فَحَمَلَ إِلَى الْإِمَامِ وَطَلَبَ مَاءً فَلَمْ يَكُنْ الْمَاءُ حَاضِرًا، وَكَانَ أَشْعَثُ أَغْبَرَ فَزَجَوْلَهُ
اللَّبَنَ بِالْتَّمَرِ، فَلَمَّا شَرَبَهُ سَالَ مِنَ الْحَرْجِ الَّذِي سَدَّدَهُ لَهُ أَبُو الْغَادِيَةَ لَعْنَهُ اللَّهُ^(١). قِيلَ:
صَاحَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَقَالَ: أَخْبَرْنِي رَسُولُ اللَّهِ أَخْرَ شَرَابِيْ مِنَ الدُّنْيَا الْلَّبَنِ
وَالْتَّمَرِ، وَيَذْرُ عَلَى وَجْهِي وَرَأْسِيِّ الْخَطْمِيِّ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَهَمْ مِنْ
قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ.

(١) سَمَّاهُ الْمُؤْلَفُ: أَبْنَ حَوْيٍ وَهِيَ تَصْحِيفٌ لَا شَكَ فِيهِ.

فلما وصل أمير المؤمنين وجد عماراً قتيلاً مزملأً بدمائه مرملأً بالتراب عفيراً، قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، إنّ امرئاً لم تدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو من الإسلام في شيء . وجمهور العلماء على أنّ عماراً قُتل في المعركة ، وأنشد الإمام عند قتل عمار :

أبا موت كم هذا التفرق عنوة فلست تبقي للخليل خليل^(١)

أراك بصيراً بالذين أحسهم كأنك تمضي نحوهم بدليل

يقول مصنف هذا الكتاب : إنّ ما أوردناه من الآيات والأخبار رويناها من كتب الخصوم والخالفين ، وكلّ ما نقلناه مما جرى في حقّ عمار وما جرى أضعافه في حقّ فاطمة عليها السلام وفي هاشم وأبي ذر الغفارى فقد أجراه الصحابة معهم ولم يبقوا عليهم .

قال المأموني : ولما رأى عليّ عماراً قتيلاً ، قال : رحم الله عماراً يوم قتل ، رحم الله عماراً يوم يبعث ، رحم الله عماراً يوم يُسئل ، والله لقد رأيت عماراً بن ياسر وما يذكر من أصحاب رسول الله ثالثاً إلا كان رابعاً ، ولا أربع إلا كان خامساً ، ثمّ قال : إنّ عماراً أوجبت له الجنة فلقد قيل له : مع الحقّ والحقّ معه ، كان الحقّ يدور معه حيث ما دار ، فقاتل عمار في النار ، وسالب عمار في النار . ثمّ تقدم عليها السلام وصلّى على عمار مع من استشهد معه من أصحابه ودفن حيث أوصى أن يدفن .

وقال الحجاج بن عرفة الأنباري :

اليوم لعزم الهمم أرقني ومال حزني أبو اليقظان عمار

(١)

ألا أيها الموت الذي لست تاركي أرجوني فقد أفينت كلّ خليل
كفاية الأثر للخراز القميّ : ١٢٤ ، بحار الأنوار ٣٣: ١٩ . وفيه الروايات ما ذكره المؤلف وما ذكره صاحب كفاية الأثر .

أهوى له ابن جوى في فوارسه
 من السلون في الهيجاء أعصار
 بالرمي قد وجبت فيه له النار
 فاختل صدابي التقضان مفترضاً
 ما فيه شك ولا ما فيه إنكار
 كانت علامه بغي القوم مقتله
 قال النبى له يقتلك شرذمة سط لحومهم بالبغى فتخار

وصفة القول: إنّ حديث «ستقتلك الفتنة الباغية لعمرًا» اشتهر في عسكر العراق والشام ووقف جيش الشام عن القتال لسماع هذا الحديث، فجاء عمرو بن العاص إلى معاوية ليروع معاوية، فقال له: قتل عمرًا، لعلّ معاوية يكفّ عن الحرب ويذكر حديث النبي ﷺ، فقال معاوية: إنما قتله الذي جاء به، لو لم يأت به على لما قتلناه، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص واقفاً على باب الخيمة فصاح قائلاً: فحمزة بن عبد المطلب يوم أحد ما قتله الوحشى وإنما قتله النبي، فقال معاوية: نعم هذا الموسوس عنا، فلا يدرى ما يقول، فقال عمرو بن العاص لابنه: اذهب إلى قاتل عمرًا وقل له: خذ الحرب ولك النار، فقال الناس: إذا كان نصينا النار فإننا لا نقاتل، وأخيراً تكمن عمرو بن العاص أن يردهم إلى الحرب بالمكر والخيلة والتأنويل. قيل لعائشة: إنّ فلاناً لا يأكل اللحم ولكنه يحسو مرقة، فقالت: كان بتو إسرائيل محـرماً عليهم صيد السبت فلماً كثـر السمك يوم السبت في البحر فكانوا يحفرون الحفر العميقه فتجتمع فيها الأسماك فيصدونها يوم الأحد وقال: منع الله من صيدها يوم السبت لا يوم الأحد، فحال اللحم والمرق كحال صيد اليهود إلى أن مسخهم الله كما مسخ معاوية فقد ضربته اللقوه وكان ثلاً بخمر معتقة في دتها سبع سنين، والصنم معلق في عنقه، وذهب إلى جهنم على هذه الحالة كما ذكر ذلك المأموني في «الحاوية» بأسانيد صحيحة.

ونظم بشر بن المعتمر إمام المعتزلة في حبس هارون أربعين ألف بيت من الشعر،

قال:

يقول المأموني: لا تجوز الصلاة على البغاء بعد قتلهم ولا بعد موتهم لاسيما
الباغي الذي بغي على خير من في الأرض وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهذا ناظر
إلى أنّ معاوية مات كافراً فلا تصح الصلاة عليه.

يقول مصنف هذا الكتاب : وأما الطائفة التي سبقت معاوية بالبغى وبغوا على علي عليهما السلام وخرجوا في ذلك اليوم مع قرب عهدهم برسول الله ومعرفتهم بعلى الحقيقة واعترافهم بمناقبه التي لا تنكر وما خرجوا إلا بتأويل وحيلة كتأويل معاوية واعتذاره عن قتل عمر ، ولو كان مقدوراً لهم لشاركوا في حرب كربلاء وحرب الجمل وصفين بل هذه الفتنة والمحروب كانت ثمرة ذلك الخروج على أمير المؤمنين عليهما السلام لأن في تلك الأيام الثلاثة وغرسوا شجرة عداوة أهل البيت في القلوب بالترغيب والترهيب وأثerton بعدهم ثمرة حملوا بها رؤوس أهل البيت على رؤوس الرماح ، والحمد لله الذي لم يجعلنا من تابعيهم .

أما قول أبي يوسف : معاوية أول من أخذ الخلافة بالسيف وكانت خلافة غيره كذلك لأنَّ الخلافة إما بالنصّ كما يعتقد الشيعة أو بالإجماع كما يعتقد المخالفون ، ولا يصحَّ أن تكون بالسيف والظلم كما قال تعالى : « لَا يَنْأَى عَنِ الظَّالِمِينَ »^(١) .

يقول المصنف: وكانت خلافة أبي بكر وعمر بالإجماع لا بالنص وإنما قال أبوبيكرا: أقليوني، ولم يجعلها عمر شورى، ولم يقتل عثمان على أمور لا طائل ورائها، ولم تكن خلافة الخلفاء بالإجماع أيضاً لأنها لو لم يعارضها إلا بنو هاشم لكان قادحأ بها بل لو لم يعارضها إلا علي لكان خرقاً للإجماع المزعوم، وكانوا ظالمين بادعائهما، وهذا كلام على وأولاده ~~عليه السلام~~ مازال يتداووج في أسماع الناس نظماً ونثراً.

وأماماً قوله : هو أول من استأثر فيه ، وهذا يخالف حكم الله حيث قال : ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾^(١) . وزعم أبو يوسف أن النبي يورث ، وهذا طعن منه بمعاوية والعجب أن الحديث عندما يكون عن فدك وفاطمة يدخل إلى الميدان الفريدة القائلة «نحن معاشر الأنبياء لا نرث ولا نورث» وبه يستلبون حق الزهراء ويردون به آيات القرآن ، وعندما يكون الخصم مع معاوية يثبت الميراث للنبيّة مع أن معاوية اقتدى بمن كان قبله من الأصحاب وهم أيضاً فعلوا فعله بل أدهى وأمرّ من فعله وحيثني لا فرق عندنا بين معاوية وأسلافه .

وأماماً قوله : هو أول من قضى بخلاف رسول الله حين الحق زياداً بأبي سفيان بناءً على دعوى ادعاه لا تثبت ، وقال النبي : من نكاح أو من سفاح ، وقال : الولد للفراس وللعاهر الحجر ، فأبطل معاوية حكم رسول الله وأحق زياداً الدعوي بأبيه ، وصدق الله : ﴿الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينَ﴾^(٢) لأنّه كان مثله ابن زنى ، وأخاً من سفاح «كل طائر يطير مع شكله» ، وكفر برده حكم النبيّ وعدم رضاه به ، وأراد زياد أن يدعى ابن أبي سفيان وعسر على الناس قولهم خلاف حكم رسول الله عليه السلام فعرضوا الأمر على عائشة ، فقالت : سموه ابن أبيه ، فعرف بهذا الاسم من يومئذ .

يقول المؤلف : إن تصديق رسول الله عليه السلام عام يشمل جميع الصور ، وحكم رسول الله عليه السلام على مروان بالنفي وحكمه حكم الله ولكن عثمان لعنه الله أعاده ، وأدلى رسول الله عليه السلام بأذراً يقتضي قوله تعالى : ﴿وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَذْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْغُشْيَّ﴾

(١) الحشر : ٧.

(٢) النور : ٢٦.

يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ^(١) ولكن عثمان نفاه .. وقال الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿وَأَتَ ذَا الْقُرْبَى
حَقَّهُ﴾^(٢) فأعطى رسول الله لفاطمة فدكاً، فصادرها منها أبو بكر، وقال تعالى: ﴿فَقَنَ
لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةُ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣) وعداوة عمر لعليٍّ أظهر من الشمس .
وصفة القول أنَّ القوم كمعاوية جملة وتفصيلاً، فما نسبوه إلى معاوية وما احتجوا
به من كفره، واستدللوا عليه من نفاقه واستحقاقه اللعنة به فإنَّ الكثير من أئمتهم
شاركه به وأشتبه عليه .

وأما قوله: وأول من قتل مسلماً لم يكفر بعد الإسلام ولا زنى بعد الإحسان .
يقول المؤمني: سمي معاوية الإمام الحسن عليه السلام قتيلاً، وقال: ذلك معروف .
قال المصنف: يقول أصحابنا أنَّ عمر لعنه الله ضرب فاطمة عليها السلام على بطئها وقتلت
المعن في بطئها، ولما أخذ معاوية البيعة من أهل الكوفة استعمل عليهم المغيرة بن
شعبة وهو عدو لأهل البيت عليهم السلام. وقيل: إنَّ المغيرة مات هناك، وأعطي زياداً
الكوفة لأنَّه كان والياً على البصرة .

وقتلوا حجر بن عدي الذي كان مسلماً لم يكفر فيستحق القتل، ولا زنى بعد
إحسانه .. وكان على الكوفة في ذلك اليوم أربع حكام: على ربع منها أبو برد ومعه
مدحج، وأسيد وعمرو بن حرث المخزومي على اليمامة، وخالد بن عرفطة
العذري على تيم وهمدان، وقيس بن الوليد المخزومي على كندة وربيعة، وحين
أراد زياد لعنه الله قتل حجر بن عدي أحضر هؤلاء الرؤساء فشهدوا جميعاً على
أنَّه خارج على معاوية .

(١) الأنعام: ٥٢.

(٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) الشورى: ٢٣.

وكتب أبو بردة ابن أبي موسى الأشعري محضراً وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم،
هذا ما شهد عليه أبو بردة لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة
وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعى إلى الحرب والفتنة وجمع إليه الجموع يدعوهم
إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية وكفر بالله كفارة صلقاء...^(١) فأمر زياد
أن تثبت شهادتهم في محضر خاص، وبهذه الحجّة الواهية قتل معاوية لعنه الله
حجرأً وخمسينات من أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم.

وأما قوله - يعني قول أبي يوسف -: وأول من أهدى إليه رأس مسلم ذلك هو رأس عمرو بن الحمق المخزاعي (الأنصاري - المؤلف) وكان النبي ﷺ يحبه، وكان عمرو يقول: ما زنيت قبل الإسلام قطّ، ولم أظلم أحداً، وكان قد حمل كتاباً إلى معاوية فأنعم عليه معاوية لعنه الله بحمل مصرية وأموال طائلة فردها عليه وقال: عندي خمسة وعشرون درهماً تكفيني إلى أن أبلغ الكوفة، ومن بعده أهدى رأس الحسين لله إلى بزيد لعنه الله، ورأس عمرو بن الحمق أهدى إلى الأب، وكذلك أهدى رأس يحيى بن زكريياً إلى جبار من بنى إسرائيل.

يقول القاسم المأموني: على يزيد نصف عذاب أهل الدنيا.

قال البيهقي: ولما رأى عمر بن الخطاب سرير معاوية وتابجه قال: هذا كسرى العرب^(٢) يعني جبارها.

قال المصنف: إن كان معاوية كسرى العرب فإنه صنيعة عمر بن الخطاب، وإن

(١) الغارات ٢: ٥٦٥. وعند المؤلف: خلع أمير المؤمنين معاوية كفراً صريحاً وهو خطأ طبعاً. وفي الطبرى ٤: ٢٠٠: كفراً صلعاً، وبمعنى بذلك مالاً أجرأ على التصرير به، ولكنني أجرأ مثاباً إن شاء الله على لعن عمر بن الخطاب الذى زرع معاوية فى ضلالة الإسلام لعمه: الله يعلم.

(٢) نعم بهذا وشبيهه أمدّ له ابن صهاك بالطغيان حتى تجاوز الحدود فكان شريكه في جرائمه ومامته، ولعن الله الشريكين المشركين.

كان قال ما قال خوفاً على الدين فلما ذالم ينه عنه، هل كان يخاف أحداً إن ردعه أو منعه، ولقد فصل معاوية الشام واستقلّ به عن عمر بن الخطاب كما فعل مع الإمام أمير المؤمنين، وهذا باعث على نقصان ملك عمر بن الخطاب، وكان غرض عمر اللطم على خلافة الدنيا ولم يغلبه هم الدين.

يقول حسام الدين الحنفي : ما فعله يزيد مع الحسين كان بتمهيد وإعداد من أبيه وتجربة عمل أبيه .

ويقول المصنف هذا الكتاب : وما فعله معاوية إنما كان بتمهيد وإعداد ونصيحة وإشارة من الصحابة وذلك أن سكوت القوم عن ظلم فاطمة وعدم نصرتهم لها شجع الناس على ظلم أهل البيت والعدوان عليهم^(١).

وأما قول أبي يوسف : وأول من صالح المشركين من غير جزية بخلاف قوله تعالى : ﴿فَاتَّلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالنَّيْمَ الْآخِرِ وَلَا يَحْرَمُونَ مَاحِرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدْبَّرُونَ دِيَنَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُتْهَا الْكِتَابُ حَتَّى يُغْطِّوُ النِّجْزِيَّةَ عَنْ يَدِ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٢) هذا ما أمر الله به الجزية أو القتل، أما الكافر فلا يحبه إلا الكافر .

وأما قوله : وأول من باع أصناماً تبعد من دون الله ليزاد في إثها . روى ركن الإسلام عن مشايخه إلى صاحب أبي الإبل^(٣) أنه قال : يا مسروق، كنا في «سلسلة» فاجتازت بنا سفينة محمله بالأصنام يرسلها معاوية إلى الهند لبيعها . قال مسروق : فقلت : لا يخلو هذا الرجل من أن يكون زين له سوء عمله فرأه حسناً أو يكون آيساً من الآخرة فهو يتمتع بالدنيا وهذه صفة المشركين : ﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءٌ

(١) أشهد أن المؤلف قال الحق ونطق الصدق وهكذا ينبغي أن يكون رأي الموالين في القوم وإن ألا.

(٢) التوبة : ٢٩.

(٣) لا زلت ارطع بأعلام في الكتاب غير مأنسنة ويعجز علمي عن التعزف عليها وأحيل القارئ على كتب الأعلام إن كان يريد ضبطها فإني لا أجد غضاضة أن أثبتها كما أريتها عند المؤلف .

عَقْلِهِ فَرَأَهُ حَسَنَاً^(١) والثانية صفة الكافرين : ﴿فَذَيَّسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّسُّعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَضْحَابِ النَّقْبُورِ﴾^(٢) ، ومن هنا مات والصلب في عنقه . ويقول القاسم المأموني : قد حصل الاتفاق على هذا من المتقدمين والمتاخرين وذكره محمد بن الحسن في السير الكبير على هذا الوجه .

يقول القاسم : وما يقال من أنَّ أبا حنيفة رخص في بيع الأوثان وشرائها فهو كذب محض افتراه عليه النواصب كقدم القرآن وخلق الكفر ، وهذا هو مذهب المرجئة والمجبرة ، وأبو حنيفة بريء من هذا . إلى أن قال : فإنه كان يعين زيداً بن علي على الخروج على بني أمية وكان شيعياً محباً لآل النبي ﷺ^(٣) وكان يقول : خروج زيد كخروج محمد يوم بدر ، وبعث إليه جراباً من الورق له على الخروج ، فقيل له : هلَّ نصرته ، قال : أخاف ضيضة الوداع ، هذا كلامه بأسره . وأئمَّا قول أبي يوسف : أول من اتَّخذ حرساً في الإسلام لأنَّه لما كان ظالماً للأمة بثابة الفراعنة والقياصرة احتاج إلى من يحرسه .

وأئمَّا قوله : أول من جلس مجلس رسول الله بغير رضاً من صحابة رسول الله ﷺ ، فقد رأى رسول الله رؤياً في المنام كأنَّ بني الحكم وبني مروان ينزلون على منبره نزو القردة فلم يُرِ ضاحكاً حتى مات ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾^(٤) .

وقال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم معاوية على منبره فاقتلوه . وروى صاحب

(١) فاطر : ٨.

(٢) المفتحة : ١٣.

(٣) إنَّ تحديدهم التشيع من المصححات لأنَّهم قالوا : الشيعي هو الذي يفضل علياً على عثمان ، والرافضي هو الذي يفضله على الثلاثة ، وهذا القول إلى الهراء أقرب منه إلى أقوال العلماء .

(٤) الإسراء : ٦٠ .

المصابيح: ولقد أذلَّم الله حين فعلوا ذلك.

قال محمود بن لبيد: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: هذا سيريد هذا الأمر بعدي -يعني معاوية- فنُدرِكَه منكم فليشقْ بطنه.

وقال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية يطلب الملك فاضربوا عنقه^(١). وأما قوله: قتل ابني قثم بن عباس، فإنَّ معاوية لعنَه الله أرسل بسر بن أرطاة لعنَه الله في ثلاثة آلاف إلى الحجاز وفي المدينة طلب أباً أتيوب الأنصاري مضيف رسول الله ﷺ وهو من كبار الصحابة وإلى الآن يستسقون بقبره فيسقون، فهرب أبو أتيوب إلى الكوفة فانتقضى بسر اللعين سيفه ورقى منبر رسول الله ﷺ وقال: لو لأنَّ معاوية عهد إلى لما تركت فيها رجلاً واحداً ولا طفلاً حياً، وأرسل إلىبني مسلمة أحضره إلى جابرًا بن عبد الله وإلا ضربت أنفاسكم جميعاً. واستجار جابر بأم سلمة، فقالت أم سلمة: هذه بيعة ضلاله يا جابر، اذهب وبایع فأنا أمرت ولدي عمر بن أبي سلمة بالبيعة ومثله صوري.

واستنَ يزيد بن معاوية لعنَها الله بستة أبيه فأرسل مسلم بن عقبة المرئي إلى المدينة ف جاء اللعين إليها وقتل هناك ثلاثة آلاف من أولاد المهاجرين والأنصار وشيخ الصحابة وثلاثة آلاف من غيرهم من الأجانب ولكنهم كانوا من الأخير المؤمنين وحفظ القرآن، ثمَّ قصد مكة لحرب ابن الزبير فيها، وقيل: هلك ما بين مكة والمدينة وذهب إلى جهنَّم واستخلف الحصين بن نمير، فنصب هذا اللعين المنجنيق على الكعبة فنزلت صاعقة فأحرقته، وبقي يقاتل هناك أياماً على أبواب مكة حتى جاءه نعيَّ يزيد ودام ملوكه ثلاثة سنين وثمانية أشهر.

(١) وينبغي كذلك أن تضرب عنق ابن صهَّاك عمر بن الخطَّاب لعنَه الله الذي أمدَّ له بالطغيان وأعانَه حتى تستُمِّ غارب الحكم.

وقيل : إنَّ اللعين قد ذُفَ دمًا من فه بلغ عشرين طستاً حَتَّى مات ، وقيل : وقع في الكنيف ميتاً ، وقيل : مكان موته ظاهر لحدِّ الآن ، وقيل : ذهب يصطاد فضل في البيداء « خسر الدنيا والآخرة ».

و قبل هذا كان بسر قد قصد اليمن وعليها عبيدة الله بن العباس من قِبْلَةِ اللهِ ، ولما دخل اليمن هرب منها عبيدة الله بن العباس إلى أمير المؤمنين لأنَّه لا طاقة له بيسر ، واستخلف على اليمن شخصاً آخر فقتل أولاد العامل المستخلف وولدين لعبيدة الله بن العباس وكان الطفلان قد أودعا عند رجل ، فقال ذلك الرجل لبسر : يا أمير ، إيهَا لا ذنب لها فاقتلتني مكانها ، فقتله وقتل الطفلين وعاد إلى الشام وأوقع في طريقه بكلِّ من له هُوَيَّ في أمير المؤمنين للهِ .

ولما بلغ أمير المؤمنين الخبر بعث محارب بن قدامة في ألفين وسَرِّحَهَا في طلب بسر ليقبضوا عليه أو يقتلوه فلم يدركاه ، وهرب إلى الشام وكان الإمام أمير المؤمنين للهِ عقد للإمام الحسين للهِ على عشرة آلاف ولقيس بن سعد مثله ، ومثلهما أبو أيوب الأنصاري وأمرهم بقصد الشام ، ولكن ابن ملجم لعنه الله لم يمهل أمير المؤمنين للهِ حتى قتلها ، ولما بلغ الحارث مكَّةَ ليأخذ منهم البيعة بلغه خبر قتل أمير المؤمنين للهِ فتفرق الناس عنه ، وذهب عبيدة الله بن عباس إلى مكَّةَ وشكى إليه بسراً وأخبره بقتل ولديه ، فقال له معاوية : إنَّ ظفرت بابنيه فاقتلتها - ساخراً به - وإلا فدونك الرجل .

و هرب ولدا جعفر الطيار من كربلاء كما روى المخالفون فأدركتهما صفوان الملعون فقتلها وبعث برأسهما إلى عبيدة الله بن زياد لعنهما الله ، فقال له عبيدة الله : إنَّ هذين الطفلين لا ذنب لها فلم قتلتها ، وأمر بضرب عنقه .

و كان عبيدة الله رجلاً فاضلاً شجاعاً وصاحب سخاء وبدل وجائه رجل من الأنصار فقال : وضعتم امرأتي البارحة ولداً وسميتها باسمك ، فأمر في الحال بشراء

مرضعة له، وأعطيه مأقي دينار وأوقفها عليه مادام حيّاً، وكان يتعاهد سميته الطفل، وما فتى يردد: لا أُضيق سميتي.

الفصل الثامن

ومعاوية أول من سنَّ الغارة في الإسلام، فيقال: إنه سرَّح الضحاك بن قيس إلى «الواقفة»^(١) في ثلاثة آلاف مقاتل ليغيروا على من كان فيها على طاعة أمير المؤمنين، فأكثر الملعون الغارة وقتل كثيراً من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وخرج منها إلى الشعلبية وأغار عليها ونهب ما فيها.

وبلغ عمر بن عمير محاطاً بخدمه ومواليه وكان قاصداً حجَّ البيت ومعه عياله وأهل بيته فأغار عليه ومنعه من الحجَّ.

وكان معاوية يغير على قوافل الحجاج كلما سنت له الفرصة، ولقد ذكر الإمام كثيراً من ذلك في نهج البلاغة.

وفي الليلة التي رجع أمير المؤمنين عليه السلام فيها من حرب الجمل تقدَّم إليه مالك الأشتر وقيس بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وعدي بن حاتم وعبد الله بن بديل ابن ورقاء وأمثالهم وقالوا: أئذن لنا أن نكون الليلة عندك فنعبد الله تعالى، وقال محمد بن الحنفية وللعتاب السقاء: فقا هذه الليلة واحرسا المدينة فقد بلغني أنَّ جيش معاوية بلغ القسطنطانة لينهبا ماشية الناس.

وذهب قيس في الليلة الثانية لحراسة الكوفة فلما تناصف الليل سمع صوتاً عالياً فأصاخ السمع له وإذا هو صوت صعصعة بن صوحان وهو يقول: سمعت أنَّ

(١) أقول للقارئ العزيز: كن على حذر دائمًا من أسماء الأعلام التي لم يتحققها المترجم لسبب من الأسباب، ولا تطمئن إلى صحتها حتى تقف على ذلك بنفسك إما بإشارة من المترجم أو بتحقيق تقوم به أنت نفسك.

أصحاب معاوية قادمون بخمسة مقاتل ومعهم السلاح ابتعاوه وحملوه على أربعين حملًا من بني فزارة، وذهب صعصعة إلى الكوفة ليخبر الإمام علي عليهما السلام بواقع الحال، فاستقبله في الطريق مالك الأشتر فأخبره، فعجل مالك بالخبر إلى أمير المؤمنين عليهما السلام واستأذن أمير المؤمنين وأخذ معه أربعين رجل وذهب يتعقب السلاح، ولما فرغ الإمام علي عليهما السلام من صلاة العتمةرأى قيس بن سعد بن عبادة قد عاد بأصحابه وبعد أن حثوا الإمام أمير المؤمنين واستأذنوه لقتال القوم وإعادة السلاح، فقال أمير المؤمنين عليهما السلام : سبقك بها الأشتر.

وكان أمير عسكر معاوية مسعدة الفهري ومعه ثلاثة وقد نزلوا على «رغاله» ولما رأهم مالك الأشتر فظنواهم من الأعراب فهبو للإغارة عليهم، قال عبدالله بن عاصم : كنت مع الأشتر، فقال : أئها الناس، هؤلاء جمع الفساق والظالمين فإذا تفعلون لينصركم الله عليهم، ثمّ حمل عليهم الأشتر بأصحابه فصاح مسعدة : من أنت وما تريدون ؟ فقال مالك : أنا الأشتر النخعي ومعي أصحاب أمير المؤمنين، فهرب القوم وأسر الأشتر مسعدة.

وأسرع أخ مالك عبدالله بن الحارث إلى خيمة الأريقط وكان الملعون نائماً وقد ثُل، فلما أحسن بقرب عبدالله منه استوى على ظهر فرسه واستلّ عبدالله سيفه، وأقبل تخبّب به فرسه فاقتتلوا قتالاً شديداً، فجاء الأشتر مددلاً لأخيه، وحمل على الأريقط وأسره، فهرب أصحاب معاوية وأقبل مالك بالسلاح إلى أمير المؤمنين عليهما السلام ، وقد شدّ مسعد والأريقط بالوثاق، فسأل علي عليهما السلام عن وضع السلاح، فقال : ابتعناه بالمال، فقال : هذا من بيت المال ونحن أولى به، ثمّ وضعه في بيت المال، وقالوا : إنما أخذنا ماله نهباً من الناس الذين أغروا عليهم، فأمر بالبحث عن أصحاب المال ورده عليهم، ثمّ أطلق الأسرى بلطفه وعدله وذهبوا إلى الشام. ومنه كلام علي عليهما السلام : فتواكلتم وتخاذلتם حتى شئت عليكم الغارات.

الفصل التاسع

في أن معاوية أول من زور الكتب في الإسلام

كان قيس واليًا على مصر من قبل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فكتب إليه معاوية أن أقبل إلى حق نطلب بدم عثمان وأعطيك ولادة العراقيين وأقضي لك حاجاتك وحاجات أهل بيتك، فكتب إليه قيس: أما بعد، فالعجب من اغترارك وطمعك في أمرك إتاي أن ترك وصي النبي والإمام الهاادي وجنة المأوى وأدخل طاعتك طاعة الجبّت والطاغوت، هذا مما لا يكون. وأما قولك أنك تملأ مصر خيلاً فوالله إني أشغلك عن ذلك وإنك لذو كيد وخدع، فكذلك يدك فإن الله لا يهدى كيد الخائنين.

ولما قرأ معاوية كتاب قيس بن سعد أيس منه شرع يزور محضراً على قيس وافتري عليه بالوجه التالي: من قيس بن سعد الأنصاري إلى الأمير معاوية بن أبي سفيان، أما بعد، فإن قتل عثمان كان في الإسلام عظيماً وقد نظرته لنفسي وديني فصدّني عن مظاهره قوم قتلوا عثمان إمامهم مسلماً تقيناً من الآثام بريئاً ظاهراً من الأجرام فليستغفر الله لذنبنا ونساله العصمة لأديانتنا، ألا وإنّي قد أقيمت إليكم السلام وأجبتكم إلى قتال رجل قتل إمام الهدى المظلوم في حرم رسول الله، فحوّل عليّ بما أحبيت من الأموال والرجال أعدل بها إليك أيّان شئت، والسلام.

واشتهر بين العرب أنّ قيساً صالم معاوية، وكتب معاوية بذلك إلى المدينة إلى أخيه أم حبيبة، فسمع أولاد عليّ هناك فأبلغوا عليّاً به، فبعث أمير المؤمنين محمدًا ابن أبي بكر مكانه إلى مصر، ولم يكن محمد مدح في شجاعة قيس لأنّه كان من شجعان العرب، ولما فرغوا من حرب صفين أرسل عمرو بن العاص معاوية بن خديج إلى

مصر ليقاتل محمدًا بها، ثم قبضوا عليه ووضعوه في جيفة حمار وأحرقوه. الغرض: كان قيس يرى معاوية بنزلة اليهود ويدعوه بالجبن والطاغوت، وكان تحريفه الكتب من صفات اليهود «يحرّفون الكلم عن مواضعه».

قال أحمد بن أبي عمّام الكوفي: إن معاوية أرسل إلى شرحبيل والي ابن السمعط في حمص ومعه رؤساء الشام وقال: أشهدوا من الذي قتل عثمان، فشهد بسر بن أرطاة وجابر بن سعد الطاري ومحارق بن الحارث وحمزة بن مالك وأبو الأعور السلمي والضحاك بن قيس الفهري ذو الكلاع الحميري وحوشب ذو الظليم وغيرهم بقول واحد لفظاً ومعنى بأنّ علياً قاتل عثمان.

ثم قال معاوية: لو لا أن علياً ص قتل عثمان لما خالفناه، فخدع بقوله شرحبيل وبايده وخرج منه إلى ولايات الشام ومدنه وجمع رجالاً كثيراً لحرب علي، وكتب إليه جماعة من أصحابه يسألونه فقال: أنا لا أرد شهادة الشهداء فإن كذبوا في أعناقهم والسلام^(١).

ولو كان معاوية مسلماً لما شهد شهادة الزور، والزور أخو الشرك كما قال تعالى: «فَاجْتَنِبُوا الرَّجُسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ»^(٢).

المعروف عن أمير المؤمنين أنه أمر بأن لا يسدوا طريق الماء على وارد، فلما أقبل معاوية ولم يجد على الماء أحداً أمر باحتلاله ومنع علي وأصحابه منه، فأرسل الإمام عليه السلام إليه رسولاً يدعوه إلى ترك الاحتلال مورد الماء، فلم يفعل واستشار جماعة من أصحابه فأشاروا عليه بمنع الماء حتى يموتا، فقال عمرو بن العاص: إني

(١) تناول المؤلف من الفتوح جملةً وعبارات ليست منتظمة على شكل رواية لذلك آثرنا الإرشاد إلى الجزء والصفحات التي يوجد فيها نقل المؤلف الجزء الثاني ص ٥٣٩ إلى آخره.

(٢) الحج: ٣٠.

لست أرى أن تمنعهم عن الماء، افتح لهم طريق الماء وإنما أخذوه منك قهراً، فما انتهى معاوية لقول ناصح وبات الناس والكراع والماشية على حرارة العطش، وقد أمض بهم ذلك وأجهدهم، فلما أصبح الصباح شكوا أمرهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأمر على عليه السلام باستنفار عدّة آلاف من المقاتلين ليبعدوهم عن شاطئ الفرات، ثم اقتتلوا حتى أبعدوا أولئك الكلاب عن مراكزهم ونزل أصحاب الإمام فيها وصار الماء في قبضة أيديهم. فقال عمرو بن العاص: ألم أقل لك لا يظما على وسيفه على عاتقه فما أرعويت، فقال معاوية سوف نهلك نحن وماشيتنا، فقال عمرو بن العاص: إنّ علياً رجل حليم وكييم ولن يقابلتك بالمثل ، فأرسل إليه جماعة وطلب منه فتح طريق الماء، فلما عاد الرسل إلى معاوية بعد أن تضرّعوا الطلب الماء أمر عليّ حالاً أن يخلّ بينهم وبين الماء، بينما لم يمرّ يومان على ما قاله الأشتر للإمام عليه السلام: إننا يا أمير المؤمنين نشتري قربة الماء بثلاثة دراهم، وقال الأشعث: يا أمير المؤمنين، أو غوت عطشاً وبايدينا رماحنا وسهامنا ومتذكّر أقواسنا، ائذن لنا في الحرب، فأمر أن يخرج مع الأشتر والأشعث اثنا عشر ألفاً وأيديهم على مقابض سيوفهم، ودخلوا ميدان الحرب.

قيل: إنّ فياض بن الحارث قال لمعاوية: لو أنّ كفاراً من الروم جاؤونا يستقون الماء لما حلّ لنا منهم ووجب سقيهم فكيف وهؤلاء صحابة رسول الله وفيهم وصيّه وختنه وأولاده، فليس من الدين منع الماء عنهم، فلم يقبل قوله معاوية، واقتدى عبيدة الله بن زياد بمعاوية فمنع الماء على الحسين وأهل بيته.

قال القاسم المأموني في كتاب الحاوية: إنّ معاوية قال لسعد بن أبي وقاص: وما يمنعك من سبّ عليّ؟ فقال: ثلاثة أحاديث تمنعني من سبّه:

الأول: إنّ النبيّ قال له يوم خيبر: لأُعطيَنَّ الراية غداً يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله ، فدفعها إلى عليّ.

والثاني: لما خرج النبي إلى تبوك وأعلمته الوحي أنَّ الحرب لا تقع هناك، وترك المنافقين حول المدينة، قال لعلي: لا يسد أحد مسدى ولا يقوم مقامي غيرك في الحفاظ على النساء والأطفال، فخلفه في المدينة واقامه مقامه، فلما سار عن المدينة فراسخ أرجف به المنافقون وقالوا: استقله رسول الله فتركه في المدينة واستخلفه عليها، فتبعد عليه وقال: أتركتني مع النساء والصبيان؟ فقال النبي ﷺ: أما يرضيك أن تكون متي بنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

والثالث: يوم غدير خم، قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاده، وانصر من نصره واخذل من خذله.

يقول المأموني: لذلك عمد إلى قتله بالسم بعد سمِ الإمام الحسن عليه السلام.

وروى أيضاً بأسانيده عن أنس أنَّ النبي ﷺ قال: خلق من نور وجه علي عليه السلام سبعون ألف ملك يستغفرون له ولحبيه^(١).

وجاء في الفتوح أنَّ علياً أعطى الراية هشام وقال: اخرج إلى عدوِي القرآن وحزب الشيطان، فخرج عليه رجل من أهل الشام وشرع بشتم أهل البيت، فوعظه هشام وتلا عليه مناقب علي، فقال الشامي: أو تقبل توبتي؟! فقال هشام: أجل، وأقبل به إلى الإمام فبالغ بإكرامه.

وذكر أهل النقل أنَّ عبيداً الله بن عمر لما هرب من علي عليه السلام ولجأ إلى معاوية خوفاً من القصاص لدم الهرمزان لأنَّه قتله بظلم فأكرمه معاوية وأعطاه عشرين

(١) مائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي: ٤٢ و ١٦٩ و ١٤٨، مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٧٩ و عزاه إلى عمر بن الخطاب، المختصر: ٩٥، مدينة المعاجز ٣: ٣٥ و ٣٦ و ١٣٥ و ١٣٦، بحار الأنوار ٢٣: ٣٢ و ٣٩ و ٢٧: ١١٨ و ٤٠ و ١٢٥ و ٦٥: ١٤٢، مقام الإمام علي لنجم الدين العسكري: ٢٥ و ٤٥، مستدرك سفينة البحار ٩: ٤٢٦، المناقب للخوارزمي: ٧١ و ٣٢٩، تأويل الآيات ٢: ٧٧٠، مجمع التورين للمرندي: ٢٤٥.

ألف درهم وفرساً وكسوة، وكان معاویه يبالغ في رفعه والتنویه فيه ويأمره أن یستَ علیَّاً ويترأَّ منه، فكان عبیدالله یأبی ذلك. إلى أن قال له يوماً یتحننه: ماذا تقول في حق عليٍّ ؟ فقال: وماذا أقول في حقه ؟ أبوه أبو طالب، وأمّه فاطمة بنت أسد، وهو في نفسه غنِّي عن التعريف، والناس وأنا وأنت نعلم ذلك. وأمره معاویة يوماً أن یعتلي المنبر ویشتم علياً، فلماً حمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبيٍّ، سكت فلم ینطق بینة شفة، فخاف منه معاویة، فقال عبیدالله: كرهت أن أقطع شهادة الله بشهادة الزور، فاستحیاً معاویة وقال: الرجل أحصر عن سب عليٍّ، فلا بیان له، وليس من أهل الفصاحة، فقال عبیدالله أیاتاً منها:

معاویة لم أحبس لخطبة خاطب ولم أك عیاناً فی لوی بن غالب
وكفر معاویة عبیدالله بن بدیل وأنکر صحبته وصحبة أبيه، بينما هو من الصحابة
وشأنه شأن موسی وفرعون حين قال فرعون لموسی: ﴿وَقُلْتَ فَعَلْتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ
وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

ومعاویة أول من أعلن سب أهل بيت محمد ﷺ وصیرها ستة، فكان مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أُولَئِكَ كَافِرِيهِ﴾^(٢) وقال الله تعالى: ﴿أَتَأْتُوْنَ الْفَاجِشَةَ مَا سَبَقُتُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) قال النبي ﷺ: من سنّ في الإسلام ستة سيئة فعلية وزرها وزر من عمل بها^(٤).

(١) الشعراو: ١٩.

(٢) البقرة: ٤١.

(٣) الأعراف: ٨٠.

(٤) التحفة السيئة لعبدالله الجزائري - مخطوط: ٣٣، كتاب الطهارة للشيخ الأنصاري ٤١٦: ٢، روضة الطالبين لمحيي الدين النروي ١: ٧٣، حاشية رَد المختار لابن عابدين ١: ٦٢، نيل الأوطار

يقول مصنف هذا الكتاب: ذكر صاحب المخواية هذا الحديث ونسي أن يتذكر بأنَّ أول ظلم وقع على أهل البيت كان من الصحابة وظلَّ هذا الظلم سارياً فيهم إلى يوم القيمة، فكلَّ ظلم جرى عليهم بعد ذاك الأول فهو من ستة الشيixin لعنها الله.

وصفة القول: خرج في اليوم الخامس عشر عبدالله بن بديل وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين مع أصحابها والحافظ بإذن أمير المؤمنين عليه السلام فكسروا جفون سيفهم واستشهدوا بأجمعهم في ذلك اليوم، فلما رأى معاوية عبدالله بن بديل قال: من قتل هذا فله عندي ما أحبب من أموالي أحكم فيها يأخذ منها ما شاء، فقال قاسم بن مسدة: إن جئتك برأسه تعطيني ولاية مكة؟ فقال معاوية: نعم هي لك، فخرج ذلك اللعين إليه، وقال علي عليه السلام لمالك الأشتر: صر إلى جانب عبدالله وكن رداءً له حتى إذا احتاج إليك أعتنه، وأرسل عبدالله في أول حملة القاسم بن مسدة إلى نار جهنم، وخرج سهل بن عبيد الله وكان نديماً لمعاوية لعنه الله فقتله عبدالله بن بديل، وصاحت بهم معاوية: احملوا عليه من كل جانب، واقتدى به عبيد الله بن زياد في حربه لمسلم بن عقيل عليه السلام وكذلك عمر بن سعد الذي نادى بالإحاطة بالحسين عليه السلام.

ولما رأى مالك تفاقم الوضع حمل حملته فثارت غيرة عظيمة سدت الأفق واظلمت الهواء من العثير، وكسي التراب الرياح ولم يسمع إلا وقع السيف على أهام وعلى الدرق والأسلحة، وجرح عبدالله، فقال معاوية: أرموه بالحجارة،

➊ للشوكتاني: ٧، ١٩٨، شرح أصول الكافي: ١٢، ٣٨، مستدرك الوسائل: ٢: ٢٢٩، المسترشد: ٥١١، الفصول المختارة: ١٣٦، الاختصاص: ٢١٥، منه المرید للشهيد الثاني، بحار الأنوار: ٢: ٢٤، مسند أحمد: ٤، ٣٥٧، صحيح مسلم: ٢: ٨٧، وتركنا أكثر الكتب.

وكانت هذه السنة لعمر بن سعد مع الحسين عليه السلام، ولم يرضه هذا حتى فرق بين رأسه وبدنه، وأوْطأ صدره الشريف الخيل^(١) وأهدوا رأسه إلى الشام وكلّ ما جنوه سببه معاوية^(٢).

وصفة القول: ولما قُتل عبدالله بن بديل تمنى أن يلحق به الأشعث الكنديي ومالكاً الأشتر، وكان في كلّ يوم يتحدّث عن كفر وبغي صحابة الرسول وهذه هي حاله ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَغُلْوًا﴾^(٣) وهذا الجحد نابع من ظلمهم وتكبرهم.

قال صاحب الكشاف: سرق طعيمة بن الأهرق من أولادبني ظفر درعاً من جاره قتادة بن النعمان وخبأه في عنبر الدقيق ثم سربه إلى اليهود سرّاً وقبضوا على طعيمة واتهموه بالسرقة فأقسم بالله أن الدرع ليس عنده ولم يكن قد سرقه، ورفعت عنه التهمة ليمينه التي أدّها، من ثم أطلقوا سراحه، وذهبوا إلى بيت اليهوديّ فوجدوا الدرع عنده، فساقوه إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فنزلت هذه الآية: «وَمَن يخسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثَمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَلَ بِهِنَّاً وَإِشْمًا بِينَاهُ»^(٤) وشهد اليهود عند رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أن هذا الدرع خباء طعيمة عند صاحبنا ولم يسرقه من أحد، فلم يقبلوا قوله، وخلاصة الحديث أن معاوية في كلّ يوم يعيّب أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ويهتّم.

روى زين الأنّة إسماعيل البراري بإسناده عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال: سباق الأمم ثلاثة لم يشركوا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون، ويوسف بن حبيب

(١) وهنا لا خيار لي إلا لعنهم وعلى رأسهم ملتهمهم ومعلمهم عمر بن الخطّاب لعنة الله.

(٢) وعاوية صنيعة ابن الخطّاب لعنهم الله.

(٣) النمل: ١٤.

(٤) النساء: ١١٢.

النجّار، وعليّ بن أبي طالب وهو أفضّلهم^(١).

قال أنس : قال رسول الله ﷺ : ما من أحد أفضّل من إمام إن قال صدق ، وإن حكم عدل ، وإن استرحم رحم . قال المأموني : وهذه الحصال اجتمعت في عليٍّ عليه السلام .

الفصل العاشر

في إظهار إسلام معاوية

شهر معاوية لعنه الله إسلامه يوم فتح مكّة . وقال بعضهم : كان ذلك قبل فتح مكّة ، وإن صحّ ذلك فينبغي أن يكون قد ارتدَّ بعده لأنّه من المجمع عليه أنَّ المهاجرين والأنصار كانوا يخاطبونه بالطليق ، ولم ينكر عليهم .

أتاكيف أطلق عليه هذا اللفظ فإنَّ صاحب الفتوح ذكر أنَّ ابن عباس كتب إليه جواباً عن كتابه وفيه : أمّا أنت يا معاوية فطليق بن طليق رأس الأحزاب ، ابن آكلة الأكباد .

دخل أبو هريرة وأبو الدرداء على معاوية كما ذكر ذلك صاحب الفتوح ، فذكرا مناقبه من السبق إلى الإسلام وغيرها ، وقالا : أنت طليق ابن طليق وأبوك من الأحزاب ، فقال : بل صدقتا ولكن لا أطلب الخلافة بل أطلب بدم عثمان^(٢) .

(١) الكافي ٢: ٢٥٤ ، وفي السياقين اختلاف ، و٣: ٣٢٧ ، مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢٩٠ ، مدينة المعاجز ٦: ١١٠ ، بحار الأنوار ١٣: ٥٨ وسياق سياق المؤلف ، و٦٤: ٢٠٥ ، مناقب الشيروانى : ٤٣ ، مستدرك سفينة البحار ١: ٥٠٩ و٤: ٤٠٥ ، ألف حديث في المؤمن : ٤٢ ، الصافى ٤: ٢٥١ ، تفسير نور التقلين ٤: ٢٨٣ ، تفسير الميزان ١٧: ٨٣ ، قصص الأنبياء : ٤٦٥ .

(٢) أقول : كيف يقول أبو هريرة هذا للمعاويه وهو من أنصاره وعشاق مضيرته ، ومن شانئي أمير المؤمنين وناصري لعين ، ويطيب للرواية دانماً أن يحشر وهم معاً أبو الدرداء وأبو هريرة ، فما هو السبب ؟

قال حسام الدين وأبوالقاسم ابن أحمد المؤذني : قال الحسن : سمعت النبي يقول :
الخلافة محترمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء وأبناء الطلقاء ، وإذا رأيتم أحداً
منهم على منبرى فابقروا بطنه^(١).

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لعمرو بن العاص لما رمى بنفسه وكشف سوئته :
أنت طليق دبرك أيام عمرك^(٢).

والماهجر كل من أسلم قبل الفتح ، والأنصارى كذلك ، والطليق أولئك الذين
ساقهم رسول الله يوم فتح مكة لقتلهم وهم ألف وخمسمائة مابين رجل وامرأة ، ثم
عنهم وأطلقهم ولم يقتلهم ، من ثم يدعون الطلقاء ، وكان الفتح سلخ شهر
رمضان ، وتوفي النبي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة ، وكان معاوية قد قضى أكثر
أوقاته في مكة بعد الفتح ، فتى وجده الأهلية للخلافة ؟ وأين وجدها بل متى كتب
الوحى للنبي عليه السلام ؟

وذكر أصحاب المغازي أن النبي عليه السلام كان يريد مكة فقال وهو سائر : سياوفينا
معاوية مرسلًا من أهل مكة بطلب الأمان ، فبينا هم كذلك والنبي يحدثهم إذ طلعت
عليهم كوكبة وفيها أبو سفيان ، فهرع نحو الأصحاب فصاح : يا محمد ، إني مقتول ،
مرهم ليوصوني للعباس ، وكان العباس وكيله في الجاهلية ، فأشار النبي إلى
 أصحابه أن خذوه للعباس ، فاستقبله العباس وعرض عليه الإسلام فلم يرض ،
وعرض عليه النبي عليه السلام وقال : أما آن لك يا أبو سفيان أن تسلم ؟ فقال :
أمهلني أربعة أشهر ، وقال بعضهم : إنه أسلم ساعتها .

(١) كلمات الإمام الحسين : ٢٨٥ وفيه : إذا رأيتم معاوية ، الحديث . حياة الإمام الحسين للقرشي ٢ : ٢٧٥ ، وكل الأحاديث المرورية تذكر آل أبي سفيان وليس الطلقاء إلا هذان المصادران .

(٢) الغدير ٢ : ١٦١ ، المناقب للموفق الخوارزمي : ٢٣٦ .

وصفة القول: فلماً أصبح الصباح أذن المؤذن فهب المسلمون لل موضوع ، فخاف أبو سفيان **﴿يَخْسِبُونَ كُلُّ صَبِيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْغَنُوْمُ﴾**^(١) فقال للعباس: وما يصنع هؤلاء؟ فقال له العباس: إنهم يتظاهرون للصلوة، فقال أبو سفيان: إنهم يطعون كل ما يقوله محمد. فقال العباس **﴿كَلَّا﴾**: نعم، فقال أبو سفيان: إذا نهادهم عن الأكل والشرب؟ فقال: نعم يتركونها ويفعلون ما يؤمرون. ثم قال: يا أبو سفيان، إني لأراهم سيملكون قومك غداً.

فلماً أصبح الصباح جاء به العباس إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: اترك اللات والعزى، فقال: ما أصنع بها إن تركتها؟ فقال أحد الصحابة وكان حاضراً: تحرروا عليه، فلما ركب الجيش أردد العباس أبو سفيان خلفه فررت عليه الكتائب كتبية كتبية إلى أن رأى راية رسول الله والسود الأعظم، فقال: ما هذا السوداد؟ فقال العباس: هذه كتائب ابن أخي، فقال أبو سفيان: ما أعظم ملك ابن أخيك! فقال: ليس هو بملك ولكنه النبوة.

وصفة القول: إن النبي لماً أمر منايه فنادى: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فلما سمعت هند قالت: والله لحربي أوسع من دار أبي سفيان. وجاء أبو سفيان إلى مكة وصاح: اسلموا تسلموا، وقالت هند: هذا قول من صباً فجرته، وقيل: قبضت عليه من لحيته وجرّته من ثيابه ورأسه وقالت: صبوت؟ وأنكر عليه معاوية ذلك وحدث تغير كبير في الإسلام.

قيل: وفرّ معاوية ذلك اليوم ولماً عاد النبي ﷺ إلى المدينة كتب معاوية كتاباً إلى العباس أن يأخذ له الأمان من رسول الله ﷺ، فعل العباس وجاء معاوية حتى دخل على النبي وبقي النبي حياً من بعد ذلك ستة أشهر.

قيل: إن معاوية استشار يزيد في البيعة لأمير المؤمنين عليهما السلام، فقال له:

معاوي بن الشام شامك فاحترس ولياك أن تدخل عليك الأفاعيا

وحام علينا بالصوارم والقنا ولا تك مقصور الذراعين وانها

وأن علائنا ناظر ما تجبيه فاحد لنا حرباً تشيب النواصيا^(١)

وكان مالك بن خالد القرشي حاضراً، فقال: يا معاوي، إنك من أهل مكة وابنك شرّ منك، يا معاوية إن أباك قد أسلم وهو كاره، وإن كنت نسيت ذلك فإني أذكرك حين ذهبت تلومه وتقرعه على الإسلام وتعيّره بهذه الأبيات:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتضحياناً بعد الذين بدر أصحابوا مزقاً

خالي وجدّي وعمّ الأم يالهم قتلى وحنظلة المهدى لنا الأرقا

لا تسرّك إلى أمر تكلينا والرافضات به من مكة الخرفا

فالموت أيسر من قول العصاة لنا خيل ابن هند عن العزى كذا^(٢) فرقا^(٣)

قال معاوية: يا عجبًا منكم أكرمكم وأموالكم وأنتا على عداوتكم إياتي وبغضكم، وأوردت بلفظ الثنية والخطاب لمالك بن خالد على عادة العرب في إجراء الواحد مجرى الثنية عند استعظام الشيء.

قال أبو سفيان ذات يوم وهو مختلٍ بهنـد: العجب من الله حين أنزل القرآن على

(١) الشعر للوليد بن عقبة أخي عثمان من أمه، كتبه إلى معاوية ومنه:

وإلا فاسلم إن في السلم راحة لمن لا يريد الحرب فاختر معاويـا

الغدير ١: ٣١٧، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٨٤، تاريخ دمشق ٥٩: ١٣١ و ١٣٢، سير أعلام النبلاء ٣:

١٤٠، أنساب الأشراف: ٢٨٩، البداية والنهاية ٨: ١٣٧، وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٢.

(٢) لنا.

(٣) التعجب: ٣٨، الغدير ١٠: ١٦٨ و ١٦٩، شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٨٩، النزاع والتخاصـم

للمرقريـي: ٢٢، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب لابن الدمشقي ٢: ٢٢٣.

يتيم أبي طالب ولم ينزله علىَّ أنا أو على عبد الله بن سلول المديني . ولما دخل على النبي في اليوم الثالث قرأ عليه النبي هذه الآية : ﴿وَقَالُوا وَلَا تُنْزِلْ هَذَا الْفُزُّانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٌ﴾^(١) .

وجاء في كتاب الحاوية : ولما بايع الناس عثمان قال أبو سفيان : قد عاد ملكنا فنرجو أن يعود ديننا ، وكان الملعون يتمتّع بعودة الشرك .

يقول مصنف الكتاب : إن الشرك لم يعد ولكتئم انتقاموا له وأخذوا بثأره ، كما قتل النبي من المشركين وأخافهم ورّوّعهم فأظهروا الإسلام رهبة قاموا بعد وفاة النبي بأخذ الثأر منه للشرك فأخذوا نحلاً ابنته وعزلوا وصيه عن خلافته المنصوص عليها وإمامته الموروثة ومنعوا ثياب الإسلام وحمل شعار النبي على الرأس ودفنوا أصول الدين بمنفاه ، وغيروا معالم الدين وبدلواها .

في كتاب «الإنسي في قتل آل النبي» أورد المأموني أنَّ النبي ﷺ لعن معاوية في سبعة مواطن وردّها الإمام الحسن عليه السلام عليه في بعض محاوراته معه كما رواها حسام الدين القاسم من علماء أهل السنة .

الموطن الأول : يوم خرج من المدينة ويوم عسير ، ويوم الأحد ، ويوم الأحزاب ، ويوم منع الهدي أن يبلغ محله ، ويوم غطفان ، ويوم العقبة إذ هم بالمنزل مع اثنى عشر رجلاً ولم ينكر معاوية ما قاله .

خرج عبد الله بن عمر يوم صفين يطلب المبارزة فخرج إليه الحسن ، فقال : يا بن رسول الله ، خالف أباك نولك هذا الأمر فأنت خير منه ، فقال الحسن عليه السلام : لا تكفر بالله ورسوله فإنَّ النبي ﷺ قال حيث مدحنا : «أبوهما خير منها» وأتنا

(١) الزخرف : ٣١ .

معاوية وأبوه فلم يسلما لكنهما استسلما، وأنه خدعاك عن دينك^(١)، فضحك عبيد الله وعاد إلى معاوية وقال: خدعت الحسن فلم يخدع، وهذا الكلام يدل على أن التقدم على عليّ كفر.

وقال رسول الله ﷺ: يا علي، لا يتقّدمك بعدي إلا كافر.

قال مصنف الكتاب: والعجب من مؤلف المحاوية المؤمني وغيره حيث يروون هذا الحديث ومع ذلك يرون شيوخهم الذين تقدّموا على عليّ مصيّبين، مع أن الإطلاق ظاهر الحديث.

الفصل الحادي عشر

ولما هلك يزيد لعنه الله وذهب إلى جهنم ساقت مستقرّاً ومقاماً، انتقل الأمر إلى ولده معاوية، وكان ولّيّ عهد يزيد ولكنه أعلن البرائة منه فرق المبر ولعن يزيد أباه ومعاوية جده، فقالت له أمّه: يا بني، ليتك كنت حبيبة في خرقة، فقال: وددت ذلك، وحكم أربعين يوماً ثم قضوا عليه بالسمّ وقتلوا معلّمه بدفعه حيّاً. ذكر يوماً عند معاوية شجاعة عليّ والأشر، فقال معاوية: فما متّ واحد إلا وهو واتره، فإذا اجتمعتم عليه فعسى أن تدركوا ثأركم منه، وشفيتكم صدوركم، فإنّك عليه الوليد بن عقبة وقال: تقدّم الشيّخين عليه، كان انتقاماً من الله ورسوله لواقعه بدر وحنين.

(١) سبق وأن ذكرها المؤلف للحسين عليه السلام.

الفصل الثاني عشر

في خطبة ضرطة معاوية^(١)

يقول المأموني السني في كتابه «الحاووية» بأسانيد صحيبة أنّ معاوية خطب يوم الجمعة فأفلت منه ريح عاصفة، فبان الانكساف في وجوه الحاضرين وسببه أنّ صلف معاوية حمله على عمل هذا الفعل القبيح على منبر رسول الله ﷺ فقطع هذا الوكر الخطبة وقال: الحمد لله الذي خلق أبدانا وأسكنها أرواحنا، وجعل فيها رياحاً وجعل خروجها للنفس راحة، فربما اختلست في غير أوانها وانقلبت في غير وقتها فلا جناح على من جاء منه ذلك، والسلام.

فقام صعصعة بن صوحان العبدى وقال: صدقت يا معاوية، إنّ الله خلق أبدانا وأسكنها أرواحنا وجعل فيها رياحاً وجعل خروجها للنفس راحة، ولكن جعل إرسالها في الكنيف راحة وعلى منبر رسول الله بدعة (وقبحة) ثم قال: يا أهل الشام، قوموا فقد خرأتكم (أحدث) أميركم فلا صلاة لكم^(٢) ثم خرج وتوجه إلى المدينة.

(١) بينت للقارئ الكريم أنّي أذر العناوين التي وضعها المؤلف على ما هي عليه بدون أدنى تغيير لوضعها بالعربيّة وأنا أترجم الكتاب من الفارسية إلى العربيّة فالى أنّي أترجم العربية هذا وإن خالفت القواعد أو اللياقة.

(٢) لا شك أنّ الرجل اقتدى بأستاده في الظلم وبغضنّ أهل البيت والغشم والغضب والضراط عمر بن الخطاب لعنة الله فقد كان يفعلها على منبر رسول الله ﷺ.

(٣) شجرة طوبى ١: ٩٥، موافق الشيعة ٣: ٢٥٧.

الفصل الثالث عشر

جلي^(١)

في اشتقاد اسمه

قيل: اختلاف شيعي وسني في علي ومعاوية، فحكموا أعرابياً، فقال الأعرابي: أنا لا أعرف أياً منها ولكن من حيث الاشتقاد فعاوية مشتق من «عوى الكلب عواءاً»، ومعاوية يقال لأنثى الكلاب التي تعاوي غيرها، واشتقاق علي من «علا يعلو علواً فهو عال، وعلى فها هنا كريم عال وثة كلب، وعمته حمالة الحطب وهي أم جيل بنت الحرب أخت أبي سفيان وزوجها أبو هلب، والشجرة الملعونة في القرآن معاوية وسائر بنى أمية.

في بيان مذهب معاوية

اعلم بأنّ واضح عقيدة الجبر معاوية.

في المصايبخ عن عبيدة بن الجراح عن الرسول ﷺ: لا يزال أمراء أمتي قائمين بالقسط حتى يكون أول من ثلمه رجل من بنى أمية.

وقال أبو علي: أول من وضع الجبر معاوية بن أبي سفيان. يقول:

وحدثنا معاوية بن البغى أكذب قولًا من الفاختة

لقد أحدث الجبر في ديننا وأحياناً به البدع المائنة

متى ما أتى ما يزور الحجيج أتبناه بالحجيج الشابة

(١) هكذا هي مسطورة في العنوان ولم أرد حذفها وأحببها مشتقة من الجلاء وأضعها بيد القارئ ليتحال لفهمها.

وأذى النبي وسبّ الوصي وسمّ ابن فاطمة القاتنة
لذلك يلعنه اللاعنون وأنكر لعنته الشابة

الفصل الرابع عشر

الجلي

في وفات معاوية

في آخر مرض مرضه حيث انتقل إلى دار البار ووجهنم القرار خطب هذه الخطبة: أيها الناس، إنّ من زرع قد استحصد، وإنّ وليتكم يزيد ولن يليكم أحد بعدى ألا وهو شرّ مني كما كان من قبلي خير مني، وذكر أوضاعه وأوصى بوصاياه وأخذ البيعة ليزيد الكافر من أهل العراق والمحجاز والشام، وقال: ولن أقدر على ابن العاص فيأخذ البيعة منه - قال هذا ليزيد - فإذا فرغت من جهازى فأخبره بأنّ أبي أمر أن تنزله حفرته فإذا وضعني في القبر فجرّد السيف عليه وخوّفه بالقتل حتى يبايع^(١).

ولما نزل عمرو بن العاص في حفرة معاوية ليودعه لحده سلّ يزيد سيفه وقال: بايع وإلا ضربت عنقك وأدفنك مع أبي في حفرة واحدة، وكما أوصى معاوية يزيد بهذه الطريقة حمله على البيعة، فركل عمرو معاوية برجله مرّة أو مررتين وقال: أقسم بالله بأنّ هذا التغلّ لا يهتدى إلى هذه الطريقة لو لا ما علمته «هذا أيضًا مكرك عشت لعيناً ومتّ لعيناً سعر الله لك نار جهنم».

(١) كانت وفاة عمرو بن العاص قد سبقت هذا التاريخ بوقت طويل حيث توفي بعد صفين بستين ولهذا يظهر أنّ الحكاية موضوعة وكانت اسمعها تتردد على الألسن ولا أعرف مصدرها حتى عثرت عليها هنا.

و صعد يزيد المنبر بعد دفنه أباه وقال^(١): إنَّ أَبِي أوصافاني أَحْذَرُ مِنْ آلَ أَبِي تراب.

وقال معاوية ليزيد: يا يزيد، لا تقتل حسيناً، لأنَّ قتله خطيئة ولكن لتشنيع أهل العراق عليك ولكن احبسه حتى يموت في الحبس وهذا دليل على أنَّ معاوية مات على الكفر.

ودعا معاوية خطباء الشام ومؤذنيها وقال لهم: العنوا عليناً بعد كلِّ أذان وخطبة ليكون ذلك سنة في الناس، ورفعه عمر بن عبد العزيز بعد أن كان سائداً، وقال عامة الناس يومذاك غيرت السنة وبدلت السنة.

يقول صاحب كتاب الفردوس: أول من يختص يوم القيمة بين يدي الله عليَّ مع معاوية^(٢) كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ كُنْتُمْ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْ دِرْبِكُمْ تَخْتَصِّمُونَ﴾^(٣).

الفصل الخامس عشر

في سورة معاوية الحسن

ولماً انتقل أمير المؤمنين عليه السلام إلى الرفيق الأعلى صعد الإمام الحسن عليه السلام المنبر وقال: قبض البارحة رجل لم يفتر من ذكر الله طرفة عين، لم يسبقه السابقون ولم يلحق به اللاحقون، وكان الرسول حتى طوع أمره ونهيه، واستقام الإسلام بجهاده، وكان النبي إذا أرسله على رأس جيش يكون جبرائيل عن يمينه وميكائيل

(١) من المعلوم بأنَّ يزيد لم يكن حاضراً في دمشق مهلك أبيه وتولى جهازه الضحاك بن قيس و صعد المنبر وأكفان معاوية على ذراعه وهنا يتبين أنَّ ينظر إلى روایات المؤلف بحذر شديد.

(٢) طبقات المحدثين باصفهان ٢: ٣٠١؛ أول من يختص من هذه الأئمة بين يدي الله عليَّ و معاوية..

الخ.

(٣) الزمر: ٣١.

عن يساره، ونصر الله تعالى بين يديه، ولم ينهم بمحرب قطّ، ومات في ليلة فيها رفع عيسى بن مریم، وتوفي يوشع بن نون، ولم يترك بيضاء ولا صفراء إلّا سبعمائة درهم اقتطعها من عطايه وأمرني أن أشتري بها خادمة لأهله، ثم اختنق بعبرته فأبكي من حضر وقال:

أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، ابن الداعي بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وظهرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله حبّهم فقال عزّ من قائل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَنِيهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةُ فِي الْقُرْبَى﴾^(١) والحسنة مودتنا أهل البيت.

ثم قام عبد الله بن عباس وقال: أيّها الناس، هذا ابن رسول الله ووصيّ إمامكم فبایعوه، فبایعه الناس، وأقبل عليه الحاضرون ورضوا بقتل عدوه معه، فاجتمع حوله خمسون ألف رجل.

ولما بلغ معاوية نبأ شهادة الإمام علي عليهما السلام شمت به وبشر الناس بذلك، ثم أرسل رجلين لاغتيال الإمام الحسن، أحدهما: من قيس، والآخر من حمير، فانكشف أمرهما فقبض عليهما وقتلا في الحال.

فأقبل معاوية يريد العراق فاستقبله الحسن عليهما السلام وقدم أمامه عبيد الله بن العباس وقال عن طريق المعجزة: فإن جرى له أمر فأمير الناس قيس بن سعد. فأغوى معاوية عبيده الله بالمال فلما جنّ عليه الليل تحمل إلى معاوية مع خاصته، فكتب قيس إلى الإمام الحسن فوراً يعلمه بواقع الحال، وكتب رؤساء الجيش وأمراء الولاية إلى معاوية كتاباً: إن شئت أو ثقنا الحسن كتافاً وأرسلناه إليك، وإن شئت بعثنا إليك برأسه، فجمع معاوية الكتب وبعث بها إلى الحسن، وقال له: أبهذا

الجيش تحاربني، وأقبل الإمام الحسن إلى ساباط وخطب الناس في اليوم الثاني من نزوله بها فقال:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه بالحقِّ، وأمينه على الوحيِّ، أمّا بعدُ، فوالله إِنِّي لأُرجو أنْ أكون قد أصبحت بِحَمْلِ اللهِ وَمَنْتَهِ، وأنا أُنصلحُ خلقَ اللهِ بخلقهِ وما أَصْبَحْتُ مَتْحَملاً عَلَى مُسْلِمٍ ضَعْفَتْهُ وَلَا مُرِيداً لَهُ بسوءِ ولا غائلةً (أَلَا وَإِنَّ مَا تَكْرُهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ لَكُمْ مَا تَحْبَبُونَ فِي الْفَرَقَةِ) أَلَا وَإِنِّي ناظرُكُمْ خَيْرًا مِنْ نَظْرِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَلَا تَخَالُفُوا أَمْرِي وَلَا تَرْدُوا عَلَيَّ رَأْيِي، غَفْرَانُ اللهِ يُولِّكُمْ وَأَرْشَدُنِي وَإِيَّاكُمْ لِمَا فِيهِ الْحَبَّةِ الرَّضَا^(١).

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونَه ي يريد بما قال؟ قالوا: نظنه والله ي يريد الصلح مع معاوية ويسلم الأمر إليه فشدوا على فساطته فانتبهوه حتى أخذوا مصالاه من تحته، ونزعوا مطرفة من عاتقه، فبقي جالساً متقدلاً السيف بلا رداء.

وركب الحسن وقال: مروا ربعة وهدان أن يسكنّوا هؤلاء الغوغاء وكانت هاتان القبيلتان من أوليائه، ولما بلغ ساباط وقد خيم الظلام عمد رجل ويدعى جراح بن سنان لعنَ الله وضرب الإمام عليه السلام ببعول بيده في فخذه حتى بلغ العظم ورمى بنفسه عليه ليغتاله وأحدق به جماعة من المؤمنين فضربه عبد الله بن حنظلة بالسيف حتى برد.

وحمل الإمام الحسن عليه السلام بعففة إلى المدائن، ونزل في بيت سعيد بن مسعود الثقفي وتفاقم الوضع في معسكر الإمام الحسن عليه السلام وتواتر الكتب من قادة عسكره على

(١) مقاتل الطالبيين: ٤١، الإرشاد: ٢: ١١، مناقب ابن شهر آشوب: ٣: ١٩٥، بحار الأنوار: ٤٤: ٤٧، شرح ابن أبي الحديد: ١٦: ٤٠، الأخبار الطوال: ٢١٦.

معاوية يوماً بعد يوم ليأذن لهم بقتل الحسن عليه السلام أو بأسره أو إرساله إليه، وطلبوا حلوله في العراق، وأقبل معاوية إلى العراق وكتب بينه وبين الإمام الحسن عهداً أن لا يسبّ علياً وأصون مواليه، ولا أخيف شيعتكم شريطة أن تقع في زاوية وكتب في هذه الوثيقة أن لا يعهد في الأمر إلى يزيد من بعده.

وخرج الإمام الحسن إلى المدينة ومنع مروان من الخطبة، فذهب مروان إلى الشام وحرّض معاوية على قتل الحسن عليه السلام، فقال له معاوية: اذهب وافعل ما تراه ممكناً، فأقبل مروان إلى المدينة وجاءه ذات يوم وهو في بيته جارية عبيدة الله بن عمر وكانت مشاطة تتردد على بيوت الأعيان لتزين نسائهم، وكان محمد بن الحنفيه قد قتل سيدها عبيدة الله بن عمر في حرب صفين وسألها عن حالها ثم قال: إنّ عندي سرّاً إن عاهدتني على كتمانه أفضي به إليك، فأقسمت له يميناً غموساً أنها تكتم السرّ إذا كان الأمر كذلك، فينبغي أن توعزي إلى جعدة بنت الأشعث أن تدسّ السم إلى الحسن، وهي زوجته وبإمكانه أن تفعل.

فذهبت تلكم اللعينة إلى جعيدة وطلبت منها ذلك وقالت لها: إنّ معاوية يريد أن ينكرك ابنه يزيد ويعطيك ملك العرب، فوافقتها على ذلك فأرسل مروان مملوكه إلى معاوية وأخبره برضاء جعيدة باسم الحسن عليه السلام، فدفع لها معاوية ألف دينار وكتب إلى مروان أن يتم القضية، فأرسلت جعدة تطلب السم، فأرسل مروان ولده عبد الملك إلى معاوية ليأتي بالسم، وجاء معه بهدايا كثيرة إلى جعدة مع خاتم يحمل شعار الملك.

وكان الإمام الحسن يستطيب العسل الأبيض، فلما جاء إلى البيت كانت اللعينة قد وضعت ذلك السم في العسل وقدّمته للإمام الحسن عليه السلام وحضر عنده محمد بن الحنفيه فنها الإمام عن شرب العسل وقال: إنّه لا يلام حرّمة وأنّ قادم منها وقد أثر فيك حرّها، وحضر الحسين فأرسلت اللعينة عسلاً آخر إضافة على

الأول بدون سم للحسين عليه السلام ، ثم شرب الإمام الحسن العسل المسموم ولما جنَّ على الإمام الحسن الليل شعر بآلام السم ، فقاءً كثيراً فسقهه لبناً قد غلي وفي اليوم الثاني آلمه السم فصنعوا له شراباً من العسل فوضعت جعدة في العسل سماً آخر فلما شرب الإمام شراب العسل ازداد الألم في أحشائه فقام من مكانه إلى قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَهُ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وحمل من تراب قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَهُ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ ذرَّة وأمر أن تذوب في شرابه ويستقاها ، فسكن الألم عنده أربعين يوماً .

وجاؤوا الإمام الحسن بطعام من بيت الحسين ، وقالت جعدة ذات يوم : أتحفونا برب من حائطنا أتأذن أن أجئتك بشيء منه ، فقال الحسن عليه السلام : افعلي ، فأقبلت بالطبق وسمت جانباً وتركت جانباً آخر ، ووضعت الجانب المسموم قبالة الإمام الحسن ، فاكمل الإمام من الطبق رطبيات مسمومة فازداد الألم السم ، فقالت جعدة : كان الربط في الطبق وهو مكسوف لعل أفعى أو عقرباً سمت الربط ، فأبهمت الأمر على الإمام الحسن عليه السلام وغابت عن البيت أربعين يوماً وكان طبيب نصراني يعالجه ، فقال ذات يوم : أهواه هنا لا يطاق وينبغي عليّ أن أذهب إلى الموصل .

وكتب مروان إلى معاوية أنّ الحسن سُمِّ مرات فما أثر السم فيه فلا تغفل عنه ، فاستدعي معاوية واحداً من أهل التصوّف أعمى ، وأعطاه مالاً عدداً من الدنانير وأعطاه عصى فيها زج مسموم ، فجاء الإمام الحسن وأظهر محبتته وكان لا يفارق الإمام عليه السلام ، وعزم يوماً على زيارة الإمام الحسن كما هي عادة المصوّفة حيث يقلدون يد الشيخ ، فتقدّم إلى الإمام بحجّة تقبيل يده فوق الزج على قدمه واتكأ عليه بكل قوّته ، فأراد الناس قتل الصوفي ومنعهم الحسن عليه السلام فخرج من هناك وركب إلى دمشق فأمر عبد الله بضرب عنقه في الطريق .

وكان رجل يدعى إسماعيل يخدم الإمام الحسن فأعطاه يوماً بطيخاً قد أعدّه للأكل بسکين مسموم وأطعم منه الإمام الحسن عليه السلام وإن يقطع لنفسه بسکين

أخرى غير مسمومة، فأحس الإمام بالماراة وعلم بذلك فأراد الناس البطش بإسماعيل فنفعهم الحسن عليه السلام منه، وقال : إسماعيل خدمنا وختمنها بذهابه إلى النار. وكان سعد مولى أمير المؤمنين في الشام، ولما عاد رأى في موضع من الطريق شخصاً قتيلاً وجملانافقاً، وأمام القتيل آثار البطيخ مطروحاً، فترجل إلى الأرض ورأى في تلك الرسالة ما كتبه معاوية إلى إسماعيل ومعها زجاجة السم التي أرسلها معها، ولما وصل سعد إلى المدينة رأى الإمام الحسن عليه السلام عليلاً فبكى وأعطى الكتاب إلى الإمام الحسن عليه السلام فقرأه وخبرها تحت جنحه.

ولم توات الفرصة مسعوداً التقى ولا المختار ليتحدثوا مع الإمام الحسن عليه السلام فأشاروا إلى عبدالله بن عباس فتعجل عبدالله وأخذ الكتاب ودفعه إلى مسعود، فقال : نحن مع العدو ليلنا ونهارنا ولا نعلم بمخبره، فرام المختار قتل إسماعيل فقال له الإمام الحسن عليه السلام : كلاماً فأنت رجل ثائر وقتلته يهيج العامة ولكن ليذهب عنون ويحضر لنا إسماعيل، فذهب عنون وأقبل بإسماعيل ، فقال الحسن عليه السلام : يا إسماعيل ، من هم آل يس في هذه الأمة ؟ فقال : علي وفاطمة وأنت وأخوك الحسين ، فأعطيه الحسن كتاب معاوية ، فنهض المختار وضرب عنق ذلك اللعين ونهب متاعه وقتله ولده ، عند ذلك غادر الإمام الحسن ذلك المكان إلى الكوفة وزار قبر والده وعاد إلى المدينة .

وأعاد معاوية الكرة فأرسل السم ثانية إلى مروان مع مسحوق من الماس ، ببعث مروان به وبالسم إلى جعدة مع هدايا وعهود ومواثيق جديدة ، فأصلاحت جعدة من نفسها وأقبلت إلى الإمام الحسن عليه السلام وقالت في نفسها : إن بصري أحد أنا ذاهبة إلى زوجي ، وإلا فسوف أعمل ما أريد ، ووضعت اللعينة سلماً وارتقت إلى سطح الدار فرأت القوم نيااماً ، ورأيت الكوز الذي يشرب منه الحسن مغطئاً ، فوضعت مسحوق الماس في الكوز ومسحت يدها به ونزلت من أعلى الدار

وخبأت السُّلَمَ، ولما استيقظ الإمام وجد الكوز على حاله وكان محتاطاً من غدر جعدة، ولما شرب جر عات من الماء عاوده الألم بأكثر مَا كان، فصاح بأعلى صوته يريد حسيناً عليه السلام، فأوصاه بوصاياه وسلمه سلاح رسول الله وأمير المؤمنين التي أودعاه عند الإمام، وحول إليه الإمامة ومقاليد الشريعة، وقال: أنا أعرف من هو الذي سَتَّني ولكن احذر أن تأخذ بريئاً بدمي وأن تريق من أجلي محجنة دم، وخذني إلى قبر جدي بعد تجهيزي، فإن منعوك أن تدفنني هناك عنده خذني إلى القيع عند قبر خالي إبراهيم بن محمد رسول الله عليه السلام وجدتي فاطمة بنت أسد، وأراد الحسين عليه السلام أن يشرب ماءً من ذلك الكوز فانتزع الحسن عليه السلام من يده وضرب بها الأرض فتكسرت، ولما انفلق عمود الصبح ترك الوجود الفاني إلى الوجود الباقي، وفارق الدنيا إلى الرفيق الأعلى.

ولما فرغ الإمام الحسين عليه السلام من تجهيزه ووضعه على السرير، عزم على حمله إلى روضة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهنا أحضر مروان من جند الشام الموجودين في المدينة خمسين ألفاً من الرجال وأرسلهم إلى عائشة حتى ركبوا البغلة وتقدّمت الجيش وجرت بينها وبين الحسين عليه السلام وعبد الله بن عباس مناظرات حادة، فقال لها عبد الله:

تجملت تبقلت ولو عشت تفقلت لك التسع من الثمن وفي الكل تملكت
يوماً على جمل تخجين لحرب أبيه، ويوماً تخجين غلى بغل لحرب الولد، وما
نلتيه من اسم وشرف هو من عندنا كما قال الله تعالى: **«وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنْ»**^(١)،
فتناولت عائشة القوس من مروان، ورمت الجنائز بسمهم، وقالت: لا تدخلوا بيتي
عدوي وابن عدوبي وأبعدوه عنّي، وفعل الحسين عليه السلام بوصيّة الحسن فحمله إلى
القيع وقال: لو لا وصيّة سبقت منه لدفنته مع جده ول يكن ما يكون، فلجمأت تلك

(١) الأحزاب: ٣٣.

اللعينة جعيدة إلى بيت مروان وحملها إلى الشام، فسألها معاوية عما جرى وقال: أما استحببت أيتها اللعينة من الله ورسوله مما فعلت بسبط رسول الله؟ فأمر بأخذها خارج بيته وقتلها، فخسرت الدنيا والآخرة لعنة الله عليها.

الفصل السادس عشر

قتل معاوية عائشة

ولما وصل معاوية إلى مكان لأخذ البيعة ليزيد وقد بايعه أهل العراق وأهل الحجاز، فهدّدته عائشة لقتله أخاها محمداً بن أبي بكر وأرسلت له: إنك قتلت أخي وتريد أن تأخذ البيعة لولدك يزيد، وخطوئه عمرو بن العاص قائلاً: إن سلطت عائشة عليك لسانها فستهيج عليك العامة فانتظر لنفسك.

فبعث إليها بهدايا عدة بيد أبي هريرة وشرحبيل على دفعات ووعدها بالصالحة وتولية أخيها عبدالرحمن بن أبي بكر ونظير هذه الوعود وقال: نحب أن تزورنا أم المؤمنين في يوم من الأيام بنفسها وعمد إلى بئر فاحتفروا ولألاها بالنورة ووضع عليها فراشاً غالى الثمن ونصب عليه منبراً ودعاهما وقت الصلاة وقال: لأجعلن آلاف الدنانير تثاراً لقدموك، فخرجت عائشة ومعها غلام هندي على حمار مصرى، فبالغ معاوية بإعزازها وإكرامها وأومأ إليها بالجلوس على الكرسى، وما أن جلست عليه حتى انهار بها داخل البئر وأمر معاوية فوراً بقتل الملوك والحرار ورمواها في تلك البئر وساووه بالارض.

اختلف الناس فيما بينهم فمن قائل أنها ذهبت إلى المدينة، ومن قائل أنها ذهبت شطر اليمين، وكان الحسين وحده يعلم واقع الحال وجماعة من أصحاب معاوية،

وأعطى الإمام الحسين ميراثها إلى ذويها^(١).

الفصل السابع عشر

في يزيد الوعين وقتله للحسين عليه وأصحابه

ولما هلك معاوية جلس يزيد في عزائه أيامًا سبعة وخطب في اليوم السابع ودعا الناس إلى تجديد البيعة ونزل من المنبر وخلع على الأُمراء وشاور وزرائه وكتابه في الحسين بن علي عليهما السلام وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر، فقالوا له: أرسل إلى المدينة لكي يأخذوا البيعة منهم لك وإن يفعلوا فليرسلوا برؤوسهم إليك، فكتب يزيد كتاباً إلى الوليد بن عتبة وكان عامله على المدينة، وحين بلغه الكتاب بعث مروان بن الحكم رجلين في طلب الحسين عليهما السلام فوجدوه وعبد الله بن الزبير في مسجد النبي عليهما السلام، فقال الحسين عليهما السلام: أظن طاغيهم قد هلك وبعث ورائنا الوالي لأخذ البيعة ليزيد، ولما عاد عبدالله بن الزبير إلى البيت هرب مع أخيه إبراهيم تحت جنح الظلام إلى مكة فخرج في طلبه في اليوم الثاني ثمانون رجلاً فلم يعثروا له على عين ولا أثر.

وأقبل الحسين عليهما السلام إلى البيت واصطحب معه إلى ديوان الوالي خمسين رجلاً من أقربائه ومعهم سلاحهم، وقال: كونوا على الباب فإذا جرى على أمر وسمعت صوتي قد علا فاهجموا عليه وخلصوني من بين يديه. فدلف الحسين عليهما السلام إلى دار الأمير وسلم، وكان مروان وابن عتبة على السرير وإلى جانبهم قوم وقوف، ولما

(١) لست أدري ما الحاجة إلى نقل هذه الغرائب التي تسيء إلى المذهب وأهله، وكيف التصديق برواية ليس لها سند ولا هي معززة إلى مصدر حتى بالوجادة، والمؤلف فاضل ورائد للتثنية ولكن له ولع خاص بمثل هذه الروايات المستغيرة.

أخذ مكانه من المجلس رمى إليه الأمير كتاب يزيد فقرأه وقال: أمهلوني هذه الليلة لأخذ للأمر أحبته وغداً يكون الجواب، ونهض الحسين عليه السلام من فوق السرير. وقال مروان للوليد وألح عليه أن لا يترك الحسين يفلت من يديه، وقال: لا تدعه يخرج وإلا تعرّضت لعتاب يزيد، وإنك لا تقدر على مثلها منه بعد اليوم حتى تسيل الدماء بينك وبينه. وأقبل يلحو الأمير وينحي عليه باللامة ويأمره بالقبض على الحسين عليه السلام، فأمسك الحسين عليه السلام كرسيًّا من الحديد كان مسندًا إلى الجدار ورمي به مروان فهرب مروان إلى داره ووقع الكرسي في الماء وتخلع الكرسي.

وكانَت الواقعة في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، ولما عاد الإمام إلى البيت أعدّ مائتين وخمسين بعيراً للسفر وحمل عليها الأهل والأقارب من بني هاشم من الرجال والنساء ما عدا محمدًا بن الحنفية بقي في المدينة، وقال لقيس بن سعد بن عبادة: تعقبني ومعك من الرجال مائتان لثلاً يخرج أحد في طلبنا، فإن خرج أطبقنا عليه نحن الاثنين أنا وأنت ونقضي عليهم جميعاً^(١).

وقال له أصحابه وأهل بيته: لو تنكّبت الطريق كما فعل ابن الزبير وأخوه إبراهيم، فقال الحسين عليه السلام: أعود بالله من أن أذل، لا أمشي إلا بالجادَة العظمى، خلق المرء للموت. وانطلق من المدينة ووصل إلى مكة سلخ شعبان^(٢)، ولما وقعت عينه على بيوت مكة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينَة﴾^(٣) الآية، ولما دخل مكة نزل في

(١) أقول: كيف يكون الطلب بينهما وهو إن خرج وراء الحسين فإنما يخرج بعد لحوق قيس له اللهم إلا أن يتربص به قيس الخروج ثم يتعقبه.

(٢) وهذا لا يصح لأنَّه إن خرج صبيحة لقائه مع الوليد فهو اليوم السابع والعشرون من رجب والمسافة لا تقتضي هذه المدة وإنما وصل إلى مكة في الخامس من شعبان وهذا هو المؤكَّد من الرواية.

(٣) القصص: ٢٢.

بطحانها، وثقل قدمه على ابن الزبير لأنَّ أهل مكة من بدو وحضر تركوا ابن الزبير وأقبلوا عليه يسألونه عن الحلال والحرام ومناسك الحجَّ، وكان عبدالله بن الزبير يزوره بين الحين والحين.

الفصل الثامن عشر

الجلي

في أهل الكوفة ودعوتهم للحسين

اجتمع في بيوت القاضي شريح سبعون رئيسيًّا فتعاهدوا بينهم وأقسموا بالأيمان المغلظة أن يعذوا الحسين عليه السلام بالمال والنفس والنفيس، وكتبوا إليه: ليس علينا إمام وليس لنا جماعة ولا جماعة، وكانت الكتب تردد أسبوعاً بأسبوع يدعونه إليهم ويوفدون إليه الرسل على التوالي والتواتر حتى وصل إليه في أيام معدودة مائة كتاب، ولما نَقَّت الحجَّة للإمام عليه السلام ووعدته الرعية بالنصرة وإظهار الحق والدعوة وإقامة قواعد الدين، وكان الإمام الحسين عليه السلام في مكة والمدينة يعيش في أجواء التقىه واضطربه إليها ظروف الخوف المحيطة بمنابه عليه السلام.

ودعا مسلماً بن عقيل عليه السلام وكتب معه كتاباً إلى أهل الكوفة وأوفده إليهم وكان رجلاً أميناً جلداً ثقة، وفيها: بعثت إليكم مسلماً الأمين الثقة من أهل بيتي، ابن عمتي، ليطلعني على أمركم واجتماع ملأكم ويكتب إلى بذلك، وأنا على أثره إن شاء الله.

فاستأذن مسلم عليه السلام وخرج من طريق المدينة وزار قبر النبي وقبر الحسن صلى الله عليهما وآلهما، وقال: عسى أن لا أعود بعد سفري هذا، وأحيا ليال ثلاثة بالعبادة في مسجد رسول الله عليه السلام ثم ودع عياله وأخذ دليلاً يدلُّه على الطريق،

وتحجب الطريق العام، فعطشوا في الطريق ومات الدليلان ونجي بمحاشة نفسه إلى أن وصل إلى موضع يقال له: المضيق من بطن الخبت، وكتب من هناك كتاباً إلى الحسين وأرسله مع قيس بن فهر وأعلمته بحاله وما جرى عليه وقال: إني تخوفت من وجهي هذا واستعن الحسين عليه السلام، وجاءه الجواب: لا سبيل إلى ترك ذلك فهذه كتب أهل الكوفة لا تقاد تفارقنا وهي حجة الرعية علينا، وقد تمت.

فسار مسلم إلى الكوفة ونزل بدار المختار بن أبي عبيدة الثقفي، فاجتمع حوله الرؤساء والأمراء وقاموا بإعزازه وإكرامه، وحملوا كتاب الحسين عليه السلام على رؤوسهم وبلغ النعمان بن بشير مجيء مسلم وهو في قصر الإمارة عامل على الكوفة من قبل يزيد، وبايع مسلم من أهل الكوفة ثانٍ يوم من نزوله فيها ثمانية عشر ألفاً على أئمّهم ينصرون الحسين ويحمونه من العدو، وإن أراد قتالاً قاتلوا معه. وأقبل النعمان بن بشير من قصره وصعد المنبر وشرع بتهذيد القوم، وقال: إنّ جيش الشام على الأعتاب وهو حمل ثقيل عليكم، ويزيد هو ولی المسلمين اليوم فأخشى أن ينالكم بأذى، فقال له عبدالله بن الحضرمي: الملك عقيم فاقبض على مسلم واقتله، وكان النعمان حسن السيرة فأبى عليه ذلك، وكتب إلى يزيد كتاباً يعلمه فيه بحال مسلم، فلما قرأ كتابه أسرع إلى نصب عبيد الله بن زياد مكانه، وكان هذا اللعين حاكماً على البصرة، فولاه يزيد على العراق كلّه، فاستخلف عبيد الله أخيه عثمان على البصرة وسار إلى الكوفة ومعه عسكر مجر، ولما وصل الكوفة وصلها ملثماً على عادة العرب في أسفارها، فظنّه الناس الحسين بن علي عليه السلام فرحبوا به وما مرّ على ملأ إلا خفوا في وجهه قائلين: مرحباً بك يابن رسول الله، وكان اللعين يرد عليهم بإشارة السوط، فقال بعضهم: ليست هذه أخلاق الحسين. فلما وصلوا إلى باب القصر حسر عن لثامه وقال: كم تقولون: ابن رسول الله، أنا عبيد الله بن زياد، أمرني يزيد على مصركم هذا ودخل قصر الإمارة ومعه

رؤساء الولايات وقال : سأفعل بكم ما تريدون فعله فيـ، فبایعه الجميع من شدة خوفهم ثم خطبهم وقال في خطبته : إنّ يزيد ولاي على العراق وأمرني بالإحسان إلى المطیع وقطع رأس العاصي وأن أبعشه إليه ، ونادى مناديه : من كان في بيته من طلبة يزيد أحد فليوجه به إلينا وإلا أحرقنا داره وقتلناه على ياهما ونهبنا ماله .

فانتقل مسلم من بيت المختار إلى بيت هاني بن عروة وهو وإن كان على خوف شديد من عبيد الله ولكن حسن الرأي حمله على استضافة مسلم عليه السلام ، ودعا عبيدة الله مملوكاً له اسمه معقل وأرسله للتجسس عليهم ومعرفة أخبار مسلم من شيعته ، ولما علم مسلم في بيت هاني أخبر بذلك عبيدة الله فاستدعى هاني وهددته بإزالة العقاب الشديد به ، فخرجت مذحج وراء هاني وهي قبيلته تشير الشغب ولكن القاضي شريح لعنة الله استطاع أن يخمد هذه الفتنة .

وخرج مسلم من دار هاني وقد دار به أربعة آلاف رجل ، ولما بلغ باب المسجد تناقض عددهم فلم يبق معه إلا خمسة رجل وهرب الباقيون ، وقصد بهم مسلم باب قصر الإمارة ولم يكن معه إلا شرذمة قليلون ، فخاف عبيدة الله وأقبل الكوفيون يدخلون القصر من درب الرومي ، وصعد لعينان منهم على السطح فنادى مناديهما : أيها الناس ، احذروا الأمير يزيد فإنّ جيش الشام على الأبواب ، فكان الناس يأتون إخوانهم وأقربائهم وأياخذونهم من الجمع إلى بيوتهم ، وكان مسلم رجلاً شجاعاً فلم يثن ذلك من عزمه وبقي يقاتل حتى غابت الشمس واجتمع حوله الهمج الرعاع من السكاك والحارات ثلاثون ألفاً ، ولما ذهب إلى المسجد ووقف للصلوة هربوا بأجمعهم إلا ثلاثة ، فلما هوى إلى سجدة الشكر رفع رأسه فلم يجد هؤلاء الثلاثة فبقي وحيداً فريداً . فخرج من المسجد يتلدد في الطرقات إلى أن وصل إلى باب امرأة مؤمنة من شيعة أهل البيت تُدعى « طوعة » فطلب مسلم منها ماءً ، فلما شرب وعادت بالقديح رجعت وإذا مسلم ما يزال على

الباب واقفاً، فقالت: يا رجل، سقيتك ماءً فاذهب راشداً من هنا، فإنّ وقوفك على بابي في هذا الليل يدعو إلى الريبة، ونصحته ثلاث مرات كلما دخلت وخرجت، وكان مسلم ساكتاً لا يحير جواباً، إلى أن قال لها: أنا غريب في هذا البلد، فهل لك في أجر وثواب تبيني عندك هذه الليلة، فقالت طوعة: من أنت؟ فأخبرها بأمره، فأدخلته طوعة دارها ومهدت له فراشاً وأتته طعاماً، فاعتذر عن الأكل، وطلب ماءً للوضوء وقال: هذه الليلة آخر عمري، وأحيا الليل كله. وكان لطوعة ولد اسمه بلال من أصحاب عبيد الله بن زياد، فمضى هزيع من الليل حتى رجع إلى البيت، فلامته طوعة على تأخره في العودة، وقال: إنّ الأمير وعد بجوائز سنينه لمن وجد مسلماً و كنت جاداً في طلبه، وكانت طوعة تكثر من التردد على مسلم، فاتهمها بلال في وضعها المريب، فألمح عليها لتخبره، فامتنعت أولاً، وما زال يلمح عليها حتى أخذت عليه العهود الموثقة والمواثيق المغلظة أن يكتم سرّها، ثم قالت له: أبشرك بأنّ الله تعالى ساق لنا الخير كله، فهذا مسلم بن عقيل في بيتنا، وقد قسم الله لنا الشرف كله، فخبارناه في دارنا وسوف نسعد غداً يوم القيمة بشفاعة المصطفى والمرتضى وفاطمة الزهراء، ونجو من عذاب النار.

فلما أصبح العين خرج مبادراً إلى عبيد الله بن زياد فأمر محمد بن الأشعث على سبعين رجلاً وقال له: اذهب وأتني بمسلم، فقصد ابن الأشعث دار المرأة طوعة، فلما سمعت صهيل الخيل وكان مسلم يعبد الله ويدعوه فعجل في دعائه وأفرغ عليه لامة حربه وقال لها: لقد نلت شفاعة النبي ﷺ - يا طوعة - بإحسانك هذا، ولقد سمح لي عتي أمير المؤمنين هذه الليلة وقال: إنك قادم علينا غداً.

وبلغ الجيش باب الدار، فخاف مسلم أن يحرقوه عليهم، فأسرع مبادراً للخروج من الدار، وقتل من الأباش اثنين وأربعين رجلاً و Herb الباكون، وكان يمدهم عبيد الله بن زياد ساعة بعد ساعة بالخيل والرجال، وصاح بهم عبيد الله بن

زياد: أما تستحون ! تفرون من واحد وأنتم جماعة ! فقال له محمد بن الأشعث : لعلك جهلت سواعدبني هاشم .. ووردت على مسلم جراحات كثيرة ، فعجز عن الحرب ولم يسعفه أحد من الناس ، فأعطاه ابن الأشعث الأمان وأخذه إلى عبيدة الله بن زياد لعنها الله ، وقال اللعين : ما بعنتك لتأمنه بل لتأتني به ، ولما أوقفوه بين يديه أعرض عن السلام عليه ، فقال عبيدة الله لبكر بن حمران الأحمرى : اصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه ، وكان مسلم يحمد الله ويثنى عليه ويصلّى على النبي وآله ويتشهد الشهادتين حتى استشهد .

وقتل عبيدة الله هانى ابن عروة في نفس اليوم الذي قتل فيه مسلاً ، وقتل الرجلين اللذين كانوا مع مسلم ، وأرسل الرؤوس إلى الشام ، وأمر بغلاؤفواه السكك بالرجال ، ومنع الدخول والخروج لئلا يصل الخبر إلى الحسين عليه السلام .

الباب الثامن والعشرون

في خروج الحسين عليه السلام من مكة

وأرسل يزيد لعنه الله إلى رؤساء الحجاز من يأمرهم بطلب الحسين عليه السلام وأرسل إلى حكام مكة للقبض عليه، فكان الحسين عليه السلام خائفاً، فلما أقبل ذوالحجّة أحرم بالحجّ فلما شعر بالطلب أبدل حجّه إلى عمرة مفردة وحلّ من إحرامه وعزّم على الفراق، وكان الفرزدق الشاعر من موالي علي عليه السلام وكان حاجاً بأمّه في ذلك العام، فلما وصل إلى مكة ذهب إلى حضرة الحسين عليه السلام وسألته عن بعض المسائل الأخرى التي تعمّ بها البلوى، وقال: يابن رسول الله، ما أُعجلك عن الحجّ؟ قال: لم أُعجل لأنّي ذرت. فقال الفرزدق: فسألني: من أين أنت؟ قلت: رجل من العرب، قال: أخبرني عن الناس خلفك، قال الفرزدق: من الخبر سألت، أصدقك، قال: الصدق أريد، فقال الفرزدق: أمّا القلوب ففك وأمّا السبوف فع بني أمّية، فقال الحسين عليه السلام: ما أراك إلّا صادقاً، إنّ الناس عبيد المال وإنّ الدين لعّ على ألسنتهم بمحوطونه ما درت لهم معايشهم فإذا مُحصوا للابتلاء قلّ الديانون^(١). فودّعه

(١) الأنوار البهية للشيخ عباس القمي: ١٠٢، لواجع الأشجان للسيد محسن الأمين:

الفرزدق وسار بأهله.

وتحول الإمام الحسين عليه السلام من منزله، ولما بلغ «ذات رمل» أرسل عبد الله بن يقطر وقيل قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة ليخبرهم بقدومه عليهم، ولما بلغ القادسية كان الحسين بن غير ومعه الجيش هناك يحرس الطريق، فقبض عليه وأرسله إلى الكوفة إلى عبيد الله بن زياد، فقتله عبيد الله بن زياد لعنهما الله، ولم يعلم به الحسين عليه السلام حتى بلغ زبالة ونزل فيها وكان في تلك الليل يجил الفكر مهموماً ويقول:

فإن تكن الدنيا تعد نفيبة
فقدر ثواب الله أعلى وأجزل
فإن تكن الأموال للترك جمعها
فما بال متراك به المرء يدخل
فإن تكن الأرزاق قسمًا مقدراً
فقلة حرص المرء في الكسب أجمل
فإن تكن الأبدان للسموت أثثت
فقتل امرئ في الله بالسيف أفضل
عليكم سلام الله يا آل أحمد
فإني أراني عنكم سوف أرحل
وأخذ ينتقل من منزل إلى منزل، إلى أن كبر أحد أصحاب الحسين عليه السلام فكبّروا
معه وكبر الحسين عليه السلام، وقالوا للأول: ما الذي عرض لك حتى كبرت؟ فقال:
رأيت نخل الكوفة، وكان مع الإمام رجالان من بني أسد، فقال: ما تزال الكوفة
بعيدة لا تبصر معالمها وليس هنا نخل، فقال الإمام عليه السلام: دقّعوا النظر باحتياط
تام، فعلوا، وقال قائلهم: إننا نشاهد أسنّ الرماح، وطلب الإمام الحسين الماء من
الأسدية فأرشداه إليه وسار نحوه ونزل عليه.
وإذا بالحرّ بن يزيد الرياحي ومعه ألف فارس، وكان وقت الصلاة قد دنا،

⇨ الدرجات الرفيعة لابن معصوم: ٥٤٨، حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ٢٢٥، صحيفة الحسين: ٣٤٢ و ٢٧٨.

فصل الإمام صلّى الله عليه واله وآلّه وساتر بالفريقيين ثمّ وعظهم وقال: أنتم دعوتموني فإذا بدّي لكم فإني أعود من حيث أتيت، قال الحرس: بل أرسلت لقتالك، وأرسلني الحسين بن نمير وأمرني أن لا أفارقك حتى أصلّى على أباك بيد ابن زياد، فقال الحسين عليه السلام بطريق العجز: الموت أقرب إليك من ذلك.

وكلّما سار الإمام الحسين قطع الحرس عليه دربه، وكتب الحرس من هناك كتاباً إلى عبيد الله بن زياد بأنّ الحسين عنده وأنّه يقول: إن أبياني أهل الكوفة فإني عائد إلى قبر جدّي في المدينة، فكتب إليه الجواب: لا تفارق الحسين ورجع به وأنزله في أرض عراء في غير ظلّ وماء، فلما وصله الكتاب ناوله الحسين عليه السلام، فقال عليه السلام: دعني أنزل في هذه القرى القريبة من الماء لأنّ معي عيالاً وأطفالاً وهم لا يستطيعون تحمل مسّ الظباء، فقال: إنّ أمير الأُمّة معك وقد قرأته، فعاد الحسين عليه السلام ونزل بكربلاه ونزل الحرس بأزائه.

فلما أصبح الصباح كان يوم الخميس الثاني من الحرم، ووصل رسول عبيد الله ابن زياد إلى الحرس وقال: شدد قبضتك على الحسين حتى يخرج وحين يصلك كتابي فلا تنزله إلا في أرض جرداء ليس فيها نبات وشجرة في غير ماء ولا كلام، وإنّي أمرت رسولي أن لا يفارقك حتى تعود إلى وقد نفذت أمري، والسلام.

الفصل الأول

في نزول الحسين عليه السلام بكربلاه

ولما نزل كربلاه أتاه عمر بن سعد بأربعة آلاف مقاتل ونزل نينوى، وكان ذلك في سنة إحدى وستين للهجرة، وجمع الرؤساء حوله وأمرهم بمناشدة الحسين عليه السلام عن سبب مجئه، فلم يرض منهم أحد فعل ذلك، وقالوا: نحن منّ كاتبه ورضي

بآخره كثير بن عبد الله الشعبي وكان من فتاكى العرب وكان من ألد أعداء أهل البيت وقال: إن شئت جتنك برأسه، ولما وصل إلى مضارب الإمام عليه السلام استقبله أبو ثامة وقال: أعطني سيفك وادخل على الإمام، فقال: لا ولا كرامة، إنما أنا رسول، فقال: أقبض على سيفك وتتكلم أنت؟ فقال: لا ولا هذه، فعاد اللعين من حيث أتي، فأرسل عمر قرّة بن قيس الحنظلي إلى الإمام الحسين عليهما السلام، فقال: كاتبني أهل مصركم هذا فإن كرهني رجعت إلى موطنني.

فكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد ما دار بينه وبين الحسين عليهما السلام، فأرسل إليه بجواب:

والآن إذ علقت مخالبنا به يرجو النجاة ولات حين مناص

وكتب إليه: خذ البيعة من الحسين وأصحابه ليزيد، وأرسله إلى سليمان لأرى فيه رأيي، وإلا فابعث إلى برأسه ورؤوس أصحابه، وصعد عبيد الله بن زياد المسجد الجامع وأمر بالنداء لحرب الحسين، بأن يخرج الرجال بأسلحتهم ومن وجد بعد النداء في المدينة قتل، فخرج من الناس سبعون ألفاً ونزلوا وادي كربلاء ما بين فارس وراجل، واستعرض عمر بن سعد قواته في كربلاء وكان مصرراً على العجلة لينال ما وعد به من ولاية الري وقزوين والدليل جزاءاً على قتل الحسين، ولكنه قبل أن يشاهد هذا الحلم ذهب إلى نار جهنم.

وأمر ابن سعد عمرو بن الحاج الزبيري بالنزول على شاطئ المسنّة ومعه خمسة فارس وينعون الحسين وأصحابه من شرب الماء، فطلب الحسين عليهما السلام في تلك الليلة الاجتماع مع ابن سعد ونصبت لها خيمة ما بين العسكريين، وحضر فيها، فقال له الحسين: ارفع الحصار عنّي لأعود إلى مدينة جدي أو أذهب إلى مدينة من

مدن الإسلام أو أذهب إلى يزيد^(١).

ولما كتب ابن سعد بهذا الأمر إلى عبيد الله أجابه أنّ يزيد بن معاوية أقسم أن لا ينام على الوثير ولا يشبع من خبر الفطير ولا يضع تحت رأسه وسادة حتى يؤقِّن برأس الحسين، وكان شمر بن ذي الجوشن لعنه الله حاضراً، فقال: يا أمير، وقع الصيد في الفخ فلا تتركه يفلت، وكتب عبيد الله كتاباً: إني سرحت الشمر ومعه عدة آلاف فإن اخترت قتل الحسين فقد أحسنت وفعلت الصواب وإلا فخل بين الشمر وبين العسكر وأعطيه عهد الري، ولما قرأ عمر بن سعد كتاب ابن زياد أمر بضرب الطبلول وحمل على معسكر الحسين بسبعين ألفاً، وكان الحسين عليه السلام متكتئاً على قائم سيفه وقد أخذته سِنة، فرأى النبي في المنام وهو يقول له: أنت غداً عندنا بعد أن تستشهد.

ورمى ابن سعد عسكر الحسين بسهم وقال: أيها الناس، اشهدوا على عند الأمير بأني أقول من رمى الحسين بسهم. فأرسل الحسين إلى ابن سعد: أمهلنا سواد هذه الليلة حتى نعبد الله فإنها آخر ليلة من ليالينا، وكانت الحادثة هذه يوم التاسع من المحرم، فأبى عليه عمر بن سعد، فقال عمر بن الحاجاج بن سلمة بن يغوث الزبيدي: سبحان الله! لو كانوا من الكفار من الروم أو الخزر ثم استمحلوا

(١) وهذه طامة كبرى من المؤلف لأنّه يكتب من غير تحقيق، ولو دقق بالمسألة قليلاً لعلم أنّ بيعة الحسين ليزيد وهو في كربلاء أهون عليه من ذهابه إليه فكيف يطلبه ولو كان هذا شعاره لأراح واستراح وهو في مكة وهل نهضة الحسين إلا بسبب ولایة يزيد، وكيف يصفه للوليد بشارب الخمور وفاعل الفجور ثم يلجمأ إليه؟ وما أدره أن لا يفعل به ما فعل أبوه بالحسن من السم القاتل وهل يؤمن يزيد على أربب أو قطة أو دجاجة ليأتنه الحسين على نفسه وحرمه، قتيع؛ الله ابن سعد أراد أن يستريح من الحرب فافتوى هذه الفرية على الحسين، ولقد قال عقبة بن سمعان صاحبت الحسين فيما حلّه وترحاله حتى استشهد، والله ما سمعته قال: أذهب إلى يزيد.

لأهلناهم فكيف وهم ذرية رسول الله وأنتم تدعون الإسلام! فاذن ابن سعد بالمهلة، ودخل الحسين عليه السلام خيمته وأحاط به أصحاب الشعب والشبان، فقال عليه السلام: هذا الليل قد غشياكم فليأخذ كل واحد منكم بيد زوجه وأولاده وتفرقوا في البلاد فإني طلبة القوم، فأجابوه بأجمعهم: ما جوابنا إلى الله ورسوله وإلى عليّ المرتضى وفاطمة والحسين عليهما السلام غداً يوم القيمة، فلم نضرب معك بسيف ولم نرم بسهم ولم نطعن برع، لا والله لا يصل إليك سوء وفينا عين تطرف، فأنت إمامنا وابن نبينا عليهما السلام. فدعا لهم الحسين وجزاهم خيراً، وقال: هذه آخر ليلة من حياتكم فقضوها بحمد الله والثناء عليه حتى يصبح الصباح.

قال زين العابدين عليه السلام: كنت يومئذ مريضاً، فجاء أبي إلى خيمتي وبعد أن صلى صلاة المغرب والعشاء دعا مولى لأبي ذر وكان عارفاً بصلة السلاح، وقال له: اصلاح لنا سلاحنا، وكانت عمتي حاضرة لديه وقد تناهبتها الأفكار والهواجرس، وسمعت أبي ينشد:

يا دهر أَفَ لَكَ مِنْ خَلِيلٍ	كُمْ لَكَ بِالإِشْرَاقِ وَالْأَصْبَلِ
مِنْ صَاحِبِ وَطَالِبِ قَتْلٍ	وَالْدَّهْرِ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدْلِ
وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ	وَكُلَّ حَيٍ سَالِكٌ سَبِيلِي

فعلمت أنّ البلاء قد نزل، فخنقته العبرة وصبرت، أمّا عمتي فلم تصبر ومن شأن النساء الرقة والحزع، فأقبلت على أخيها الحسين^(١) وهي باكية ونادت: اليوم ماتت أمي فاطمة الزهراء وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضي ومثال

(١) قال المؤلف كلمة تحرجت من ترجمتها في المتن ولكنني أشير إليها في الحاشية ليعرف القارئ عوارها، قال: «سر برنه كرد» أي حسرت عن رأسها، وهل يعقل هذا بنت علي وفاطمة أن تفعله سامح الله المؤلف، إبني وجدته حاطب ليل.

الباقي، ليتني وسدّت أطباق الثرى، وأخذت تنذهب بهذا ونحوه، فقال الحسين عليه السلام : يا أخيه، لا يذهبن بحملك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع وقال : يا أخيه، لو ترك القطا لنام، وأغمي عليها فنضح أبي على وجهها الماء حتى عادت إلى وعيها، وقال : أخيه، أخيه اتقى الله وتعزّي بعزاء الله، إنّ أهل الأرض والسماء لا يبقون، وإن كلّ شيء هالك إلا وجهه الذي خلق الخلق بقدرته وإليه يعود وهو واحد، أبي خير مني وأتمي خير مني، فهما ماتا، وما زال بها حتى هذا روعها، وخرجت من خيمته وأمر أن تقرب المضارب بعضها من بعض لثلاً يها جهم العدو ليلًا، ثم أمرهم بالاستغفار وقراءة القرآن لأنّها ليلة آخر العمر.

الفصل الثاني في صفة الحرب

وكان عسكر الحسين عليه السلام ثلاثين فارسًا وأربعين راجلًا، فجعل زهير بن القين على الميمنة، وحبيب بن مظاهر على الميسرة، وأعطى رايته أخيه العباس وقال : نحن فئة قليلة وليس بمقدورنا الحرب من جهتين فأمر بحفر خندق وراء المضارب وملاه بالحطب، فلما أصبح الصباح أوقد فيه النار ليحول بينهم وبين العدو، وكان اليوم يوم الجمعة العاشر من شهر محرم الحرام سنة إحدى وستين من الهجرة.

ولم يبق في الكوفة أحد أو نواحيها إلا سرّحه ابن زياد طوعاً أو كرهاً للحرب الحسين في كربلاء، وسلحهم بالسهام والسيوف والعصي والحجارة وغيرها ليفرغوا من الحرب بأقصى سرعة ممكنة، وكان ورود الجيش إلى كربلاء ساعة بعد ساعة، ومنعوا الحسين وأصحابه من الماء ثلاثة أيام.

وعباً عمر بن سعد عسركه فجعل عمرو بن الحاج الربيدي على الميمنة،

وشهر بن ذي الجوشن على الميسرة، وعلى الخياتلة عزرة بن قيس، وعلى الرجالية ثبـثـ بن رـبـعـيـ، ووقفوا جميعـهمـ مقابل اثنـيـنـ وسبـعينـ رـجـلـاـ، وـقـالـ الحـسـينـ طـلاقـ لـإـقـامـ الحـجـةـ عـلـيـهـمـ بـعـدـ أـنـ وـقـفـ بـيـنـ الصـفـيـنـ : يـاـ قـوـمـ، إـنـ الـمـوـتـ حـقـ وـإـنـيـ لاـ أـعـطـيـكـ بـيـدـيـ إـعـطـاءـ النـذـلـ، اـسـعـواـ مـنـيـ كـلـيـاتـ لـلـهـ فـيـهـ رـضـاـ وـلـكـمـ فـيـهـ صـلـاحـ، فـأـوـقـفـ جـيـشـ الـكـوـفـةـ قـرـعـ الطـبـوـعـ وـالـكـوـسـاتـ وـأـنـصـتـوـاـهـ :

أـهـيـاـ النـاسـ، اـسـعـواـ قـوـيـ وـلـاـ تـعـجـلـونـيـ حـتـىـ أـعـظـكـمـ بـاـ لـكـمـ عـلـيـ مـنـ حـقـ وـحـتـىـ
أـعـتـدـ إـلـيـكـمـ مـنـ مـقـدـمـيـ عـلـيـكـمـ (وـأـظـهـرـ الـحـجـةـ عـلـيـكـمـ) فـإـنـ قـبـلـتـ عـذـرـيـ وـصـدـقـتـ
قـوـيـ وـأـعـطـيـتـمـوـنـيـ النـصـفـ مـنـ أـنـفـسـكـمـ كـنـتـ بـذـلـكـ أـسـعـدـ، وـلـمـ يـكـنـ لـكـمـ عـلـيـ سـبـيلـ،
وـإـنـ لـمـ تـقـبـلـوـاـ مـنـيـ العـذـرـ وـلـمـ تـعـطـوـاـ النـصـفـ مـنـ أـنـفـسـكـمـ أـجـمـعـواـ أـمـرـكـمـ وـشـرـكـائـكـمـ ثـمـ
لـاـ يـكـنـ أـمـرـكـمـ عـلـيـكـمـ غـمـةـ ثـمـ اـقـضـواـ إـلـيـ وـلـاـ تـنـظـرـوـنـ، إـنـ وـلـيـسـ اللـهـ الـذـيـ نـزـلـ
الـكـتـابـ وـهـوـ يـتـولـيـ الصـالـحـينـ.

ثـمـ قـالـ : أـمـاـ بـعـدـ، فـأـنـسـيـونـيـ فـانـظـرـوـاـ مـنـ أـنـاـ، ثـمـ اـرـجـعـوـاـ إـلـىـ أـنـفـسـكـمـ وـعـاـتـبـوـهـاـ
فـانـظـرـوـاـهـلـ يـحـلـ لـكـمـ قـتـلـيـ وـأـنـتـاـكـ حـرـمـيـ (وـنـهـبـ مـالـيـ وـسـبـيـ عـيـالـيـ)، فـنـ عـرـفـيـ
فـقـدـ عـرـفـيـ وـمـنـ لـمـ يـعـرـفـنـيـ فـأـنـاـ الـحـسـينـ بـنـ عـلـيـ أـبـنـ بـنـتـ رـسـوـلـ اللـهـ وـابـنـ وـصـيـهـ وـابـنـ
إـمامـكـمـ وـابـنـ عـمـ رـسـوـلـ اللـهـ نـبـيـكـمـ، أـبـيـ عـلـيـ أـوـلـ الـمـؤـمـنـيـنـ بـالـلـهـ وـالـمـصـدـقـ لـرـسـوـلـهـ بـاـ
جـاءـ بـهـ مـنـ عـنـ رـبـهـ، أـوـلـيـسـ حـمـزةـ سـيـدـ الشـهـداءـ عـمـ أـبـيـ؟ أـوـلـيـسـ جـعـفـرـ الطـيـارـ
الـذـيـ يـطـيرـ بـجـنـاحـيـهـ مـعـ الـمـلـائـكـةـ عـتـيـ؟ وـأـمـيـ بـنـتـ رـسـوـلـ اللـهـ فـاطـمـةـ الزـهـراءـ؟ أـمـ
يـقـلـ رـسـوـلـ اللـهـ بـحـقـيـ وـحـقـ أـخـيـ؟ هـذـانـ سـيـداـ شـبـابـ أـهـلـ الـجـنـةـ وـقـرـطاـ الـعـرـشـ
وـرـيـحـانـةـ قـلـبـيـ؟ فـإـنـ صـدـقـتـاـنـيـ بـاـ أـقـولـ وـهـوـ الـحـقـ (وـالـلـهـ مـاـ تـعـمـدـتـ الـكـذـبـ مـذـ
عـلـمـتـ أـنـ اللـهـ يـقـتـ عـلـيـهـ أـهـلـهـ وـيـضـرـهـ مـنـ اـخـتـلـقـهـ) وـإـنـ كـذـبـتـمـوـنـيـ فـإـنـ فـيـكـمـ مـنـ إـنـ
سـأـلـتـوـهـ عـنـ ذـلـكـ أـخـبـرـكـمـ، سـلـواـ جـاـبـرـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ الـأـنـصـارـيـ وـأـبـاـ سـعـيدـ الـخـدـرـيـ أـوـ
سـهـلـ بـنـ سـعـدـ السـاعـديـ أـوـ زـيـدـ بـنـ أـرـقـمـ، أـوـ أـنـسـ بـنـ مـالـكـ وـأـمـاثـلـهـ يـخـبـرـوـكـمـ أـنـهـمـ

سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، مراراً وتكراراً، وسمعوا الآيات التي نزلت في حق أخي وأبي، وهم يعلمون ذلك، فاسألوهم فإنهم يشهدون بذلك.

جعلوا لا يردون عليه جواباً، ثم قال: يا أهل الكوفة، أفا في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ وقتل أهل بيتي؟ أخبروني أنظليوني بقتيل منكم قتلتة! أو مال لكم استهلكته؟ أو فساد في الأرض فعلته فتطليوني به؟ فلم تصدر مني خطيبة ولا ذنب أو جرم يوجب قتلي، أليس الآية: **﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾**^(١) نزلت في شأنى وشأن أخي؟ وأية المباهلة: **﴿فَقُلْ شَعَالُوا شَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَبِنَسَاءَنَا وَبِنَسَاءَكُمْ وَأَنْفَسَنَا وَأَنْفَسَكُمْ﴾**^(٢) نزلت في حقّي وحقّ أخي وأبي وأتى؟ أليس محبّتي واجبة عليكم بمقتضى قوله تعالى: **﴿فَلْ لَا أَسْأَلْكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المَوْدَةُ فِي الْقُرْبَى﴾**^(٣) فإنّ جههلمت هذا، أو تجهلون أنه ليس فيما بين جابقا وجابلاسا ابن بنت نبيّ غيري؟ ثم نادى: يا شبث بن ربعي ويا حجّار بن أبيحر ويا قيس بن الأشعث ويا يزيد بن الحارث - وعدّ خسین واحداً من رؤوسهم وقال - ألم تكتبوا إلى أن قد أينعت الشار وأحضر الجناب وإنما تقدم على جند لك مجندة لك، وعدتني بالوعود الصالحة وأعجلتمني وكنتم ترسلون إلى بالرسل يوماً بعد آخر، وجئت على أثر كتبكم وحطّت رحالي في بلدكم فأقبلتم تقاتلوني من غير جريمة فعلتها ترضية للطاغي الباغي فإن كنتم على ما فعلتم نادمين فدعوني أرجع إلى مأمني وأعود إلى قبر جدّي عليه السلام.

(١) الْحَمْدُ لِلّٰهِ

۶۱) آل عمران:

(٣) الشورى: ٢٣.

الفصل الثالث

في توبة الحرَّ بن يزيد الرياحي رحمة الله عليه

فلما رأى الحرَّ أئمَّهم مقاتلوه، فقال في نفسه: أرى نفسي بين الجنة والنار وإنِّي أختار الجنة على النار، ثمَّ أقبل على ابن سعد وقال: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ فقال: اي والله حرِّاً أيسرها أنْ تطير فيها الرؤوس والأيدي فتكون الرؤوس في الميدان بمنزلة الكرة الطائرة والسواعد البائنة من الأجساد بمنزلة الطير الفارِّ من عشَّه.

قال الحرَّ: يا ابن سعد، وما قولك فيما قاله لكم؟! قال: لو كان الأمر إلى ما فعلته ولكنَّ أميرك أبي.

ثمَّ أقبل الحرَّ على الفرات وسوق فرسه توجَّه تلقاء الحسين عليه السلام ونزل من على فرسه وطأطأ إلى الأرض وتاب وقال: هل لي من توبة؟ فقال الحسين: نعم وأنت حرَّ في الدنيا والآخرة، ولا أدخل الجنة بدونك.

الفصل الرابع الجلي

في مبدأ القتال إلى آخره

ولما نشبَّت الحرب تبارز الناس من عسكر الحسين وعسكر الملاعين، فرأى أنَّ ذلك يؤدّي إلى فنائهم وقتل رجل من أصحاب الحسين مائة رجل من أصحاب عمر بن سعد، فقالوا: لو بقينا على المبارزة فإنه الفناء الأكيد، ولا يبق منا أحد، ونرى من الأصلح أنْ نهاجمهم بأجمعنا، فحمل عمرو بن الحاج بجيش الكوفة على ميمنة أصحاب الحسين عليه السلام فشرعوا له الرماح، فأقبلت الخيل لتقدم فرأى

الرماح مشرعة فعادت منهزمة، فرمواهم أصحاب الحسين بالسهام فقتلوا منهم
جماعة وجرحوا آخرين من اللعنة. فصاح عمرو بن الحاجاج: أيها الحمقى، إنكم
تقاتلون فرسان مصر، فارموهم بالسهام والحجارة، فاستتصوب رأيه ابن سعد،
فاستشهد الحرّ بن يزيد ومسلم بن عويسة من أصحاب الحسين عليهما السلام.

وحمل شمر بن ذي الجوشن من جهة الميسرة فاقتلوه قتالاً شديداً مع أصحاب
الحسين عليهما السلام حتى أصاب عسكر الكوفة الهلع من ذلك، وكان عسکر الحسين عليهما السلام
اثنين وثلاثين فارساً وأربعين راجلاً، وان المشاة من أصحاب الحسين عليهما السلام أينما
هموا هزموا أهل الكوفة وتتهاوى الرجال على الرجال، وصاحت عزرة بن قيس:
لقد قتل فرساني على يد هؤلاء النفر القليل، فأقبل الرماة نحوه فرموا خيل
 أصحاب الحسين فجرحوا منها أفراساً ومن الفرسان جماعة، ونشب قتال شديد
وحمل شمر بن ذي الجوشن على ميمنة الحسين، فحمل عليه زهير بن القين ومعه
عشرة من المقاتلين حتى صدوه، وكان القتل بين أصحاب الحسين لقتلهم، ولو
قتل واحد منهم، ولا يبين في أهل الكوفة لكثرتهم ولو قتل منهم ألف.

واستمر القتال حتى زالت الشمس فصلّ الإمام بأصحابه صلاة المخوف الشديد، وبعد الصلاة استشهد أصحاب الحسين ولم يبق معه إلا أهل بيته؛ أخوه وبنو عمومته. فبرز عليّ بن الحسين وكان الرجل والرجلان يخرج منهم لقتال الأعداء فينكئ فيهم يقتل رجالاً وينكس فرساناً، وكان الحسين عليهما السلام يحمل الشهداء والجرحى منهم إلى الخيم وبعد أن استشهد جميع أهل بيته وإخوانه وأبناء عمه وأبناء إخوانه لم تبق إلا مهجة الحسين الشريفة فاستقبل العدوّ بها إلى أن استنفدت قواه فرمأه لعين منهم بسهم فوق في جبهته، فتقدّم العباس إلى الحسين وأخرج السهم من جبهته وحمل عليهم العدوّ فاقتطعه عن أخيه، واستشهد على الفرات وقبره اليوم هناك.

وعاد الحسين عليه السلام إلى خيمة النساء، فضربه اللعين مالك الكندي بالسيف على رأسه فكان يقاتل جيش الكفر قتالاً ضارياً وليس معه إلا ثلاثة رجال من أهل بيته، فيا للعجب من قتال ثلاثة رجال سبعين ألفاً من الأوباش، ودخل الحسين خيمته وضمد جراحه وعاد إلى القتال ومعه ثلاثة مقاتلين إلى أن استشهدوا بين يديه وبقي الإمام وحيداً فريداً كأنه الأسد الغضبان، فوقع فيهم قتلاً وأرسلهم إلى جهنم.

ورواة الواقعة ثلاثة هم: حميد بن مسلم الكندي من جيش اللعناء، وزينب أخت الحسين عليه السلام، وعلى زين العابدين عليه السلام، وكان حميد بن مسلم من الأخيار ولكته أخرج لحرب الحسين قسراً^(١) وحضر واقعة الطف من أوها إلى آخرها. قال حميد بن مسلم لعنه الله: رأيت الحسين يحمل على العدو تارة على الميمنة وأخرى على الميسرة فينكشفون بين يديه وقد بلغوا عشرة آلاف، وأحياناً عشرين ألفاً، وما كان باستطاعتهم الثبات له في مراكزهم، فلما رأوا ما حلّ بهم نادى منادיהם: يا أسود العرب، أيها الأبطال، إنّه رجل واحد جريح يفعل بكم هذا الفعل وتنهزمون أمامه، ألا تستحقون، احملوا عليه بأجمعكم بالنبل والحجارة، فهجموا عليه هجمة رجل واحد.

قال حميد لعنه الله: وصلت إلى جسد الحسين ثلاثة وستون رمية بسهم، وضربة بسيف، وطعنة برم، فكانت دمائها الطاهرة تسيل فلم يبق في جسمه الشريف دم فضعف ضعفاً شديداً وأغمي عليه، فاتّكاً ساعة على رمحه، فدار

(١) أحسب المؤلف خدعاً هذا الكلب بما يرويه من المأساة وما يظهره من الجزع على أهل البيت ولذا سمي خروجه لحربيهم إكراهاً، وأنا لا أعرف للإكراء معنى وهو باستطاعته أن يلحق بالحسين كما فعل الحزب عليه السلام أو يهرب على أقل تقدير، ولكن هذه من غرائب المؤلف ولا زلت تطّلع على الغرائب والعجبات منه ولا تنتهي حتى ينتهي الكتاب.

العسكر به ، فضربه زرعة بن شريك لعنه الله على يده اليمني ، وطعنه سنان بن أنس لعنه الله بالرمح فوق جنبه عليه السلام ، فنزل خولي بن يزيد لعنه الله ليذبحه فارتजفت يده ، فنزل الشمر لعنه الله وذبحه من الوريد ، ودفعه إلى خولي لعنه الله ، وقال : احمله إلى الأمير عمر بن سعد .

قال حميد بن مسلم لعنه الله : ما رأيت كالحسين في شجاعته لآن قتل أهله وأقربائه وأصحابه فلم يوهي قواه ولا نقصت شجاعته ، وأظهر من القوة والرجلة ما لم يستطع معها ألف رجل أن يسلبه وسلاحمه ، ولما سلبوه اقتسموا درعه ودرقه وغيرهما ، وهجم الجيش على مخيم النساء ^(١) ونهبوا كلّ ما وقعت عليه أيديهم ووصل عمر بن سعد لعنه الله إلى باب الخيمة فصاح النساء في وجهه ، فأوكل بهم الفرسان والرجاله وقال : ردوا عليهن ما أخذنوه منهن ، فاسمع كلامه ولم يرد عليهم أحد مما أخذ شيئاً .

ولما وصل الجيش إلى زين العابدين عليه السلام أرادوا قتله . قال حميد بن مسلم لعنه الله : فنعتهم من ذلك ، وقال عمر بن سعد : ينبغي أن يقوم أحد هؤلاء بأمر النساء ولا تقتلوا ذلك الصبي ليكون بينا وبين النساء ، فاجتمعن النساء في خيمة الإمام زين العابدين ، ونهبوا كلّ ما لهم من المtau ، وركب إسحاق بن حويه (حيات) وأحسن بن مرثد ومعه عشرة من الفرسان وداسوا صدر الحسين ورضوا عظامه ..

(١) لا والله ما وقعت عبني ولا سمعت أذني باحظ نفساً ولا أردا همة ولا أندل طباعاً من هؤلاء الذين أجل الكلاب عنهم فلا أسمائهم كلاماً احتراماً للكلاب ، لقد ارتكبوا شنائع ما من داع لارتكابها إلا داع واحد هو خسنه نقوتهم ، أترى لو أنهم لم يهجموا على الخيام ولم يسلبو النساء أكان أميرهم يلومهم على ذلك بعد أن فعلوا ما أراده منهم وأفزوا عينيه لعنه الله ولعنهم بقتلهم سيد شباب الجنة وسبط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !

الفصل الخامس الجلي

في أحوال رؤوسهم

قطع الشمر لعنه الله الرأس الشريف من القفا وأعطاه خولي بن يزيد، ولما رأه عمر بن سعد خاف وامتنع لونه وضع من كان حاضراً يديه على وجهه إلا جماعة منهم قالوا: وما الفائدة لقد نفذ القضاة.

ولما أصبح الصباح أعطى الرأس إلى خولي وحميد وأرسلهما إلى عبيد الله بن زياد لعنهما الله في الكوفة، وأعطي باقي الرؤوس من الأصحاب وأهل البيت عليهم السلام وكان عددها اثنتين وسبعين رأساً إلى شمر بن ذي الم gioش وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحاج لعنهما الله، وبقي عمر بن سعد في كربلاء اليوم كله واليوم الثاني إلى الرووال، وأوكل بالإمام زين العابدين وجماعة النساء من رجاله من يوثق بهم، وكان عدد النساء عشرین امرأة، وكان عمر الإمام يومئذ اثنتين وعشرين سنة، وعمر الإمام محمد الباقر أربع سنين، وكلاهما كان حاضراً حادثة الطف، وحفظ الله الإمامين قبل ظهور إمامتهما، فلما ظهرت بعد الشهادة وجوب حفظها على الأمة. ولما غادر ابن سعد كربلاء نهض جماعة من بني أسد كانوا نزولاً هناك وأقبلوا إلى كربلاء، ولما شاهدوا الحسين وأصحابه على تلك الحالة عمدوا إلى دفن الأجساد فدفنا الإمام الحسين وحده ووضعوا عليهما الأكبر عند رجليه، ودفنا العباس عليه السلام على شاطئ الفرات ودفنا بقية الشهداء في قبر واحد، ودفن الحرس ذووه في الموضع الذي وقع فيه، ولا تعرف قبور الشهداء على التعيين ملن ولكن بما لا شك فيه أنّ الحائر محيط بهم تحت قبر الحسين عليه السلام إلا أنّ علياً الأصغر أقرب منهم إلى الحسين عليه السلام، وكان بنو أسد يفتخرن على قبائل العرب بأنّهم صلوا على الحسين ودفنه.

وقيل: لما فتح النبي صلوات الله عليه خيبر هرب جماعة من اليهود إلى العراق وأقاموا بالقرب من أرض كربلاء وبنوا لهم منازل هناك وكان رئيسهم يدعى «إبراهيم» و«روئيل»، وكان عند مرور الجندي من كربلاء إلى الكوفة ينامون على سطوح منازلهم، فوقيع عيونهم على كربلاء فرأوا النور يتصاعد من جسد الإمام والشهداء إلى عنان السماء، فاجتمعوا في اليوم الثاني وقالوا: إن هؤلاء الشهداء لشأننا عظيماً عند الله، ألا ترون النور كيف ينزل عليهم طوال الليل، هلتموا الدفنهم، فذهبوا إلى كربلاء ودفنوهم.

وفي اليوم الثاني من شهادة الإمام عليه السلام وصلت الرؤوس إلى الكوفة وجلس ابن زياد في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عاماً ووضع الرأس الشريف بين يديه، ولما وقعت عينيه على الرأس استبشر وضحك، فأخرج قضيباً كان معه وراح يضرب ثناءه، وكان زيد بن أرقم في المجلس^(١) وهو من كبار مشايخ الصحابة^(٢) فقال: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفقي رسول الله ما لا أحصيه يترشّفهما، فقال اللعين: أبكي الله عينيك، أتبكي لفتح الله ورسوله، لو لا أنك شيخ خرقت وذهب عقلك لضررت عنفك، فقام زيد وذهب إلى منزله، عند ذلك أمر عدو الله بإدخال أهل البيت والعیال عليه، فدخلت زینب أخت الحسين من فاطمة عليها السلام وجلست في زاوية من زوايا القصر ودار بها أخواتها وجواريها، فقال عدو الله لعنه الله: من هذه التي اخافت ناحية ومعها نسائها؟

(١) أسألكم معاشر العقلاء: ما الذي يصنع هذا الصحابي في مجلس الطاغية الوغد الدعوي وهو على علم بما يجري في كربلاء من صراع دام بين الحسينين وبينه، أليس لتاييده وليجعل من وجود هذا الكائن عنده ذريعة للفتك بأهل البيت، فما يجدي قوله: ارفع قضيبك إلى آخره، اللهم العن كل من آذى أهل بيتك بالقول أو الفعل أو أغان عليهم.

(٢) تusal لهؤلاء الصحابة كباراً وصغراء.

وأعاد القول مرات، فقالت إحدى الحواري: هذه زينب أخت الحسين من فاطمة عليها السلام، فقال عبيدة الله لعنه الله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلتم وأكذب أحدو شتمكم، فقالت زينب عليها السلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلوات الله عليه وآله وسالم وطهّرنا من الرجس تطهيراً، وإنما يفتش الفاسق ويكتذب الفاجر وهو غيرنا.

ثم قال اللعين: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟! فقالت زينب عليها السلام: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فيحاجّون ويختصمون عنده (فانظر لمن الفلج، ثكلتك أمك يا بن مرجانة).

فضضب، وكان عمرو بن حرث حاضراً، فقال: إنّها امرأة والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها، فقال ابن زياد لعنه الله: قد شفّ الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك، فاستبرأت عليها السلام وقالت: لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرععي واجتشت أهلي، فإن يشك هذا فقد اشتفيت.

(قال ابن زياد لعنه الله: إنّها لسجّاعة، ولقد كان أبوها شاعراً) فقالت عليها السلام: ما للمرأة والسجّاعة، إنّ لي عن السجّاعة لشغلاً، ولكن صدري نفت بما قلت^(١). وأقبلوا بعليّ بن الحسين إلى ابن زياد، فقال: من أنت؟ قال: علىّ بن الحسين، قال: أليس قد قتل الله عليّاً بن الحسين؟ فقال: كان لي أخي يسمى علىّ قتل الناس، قال اللعين: بل قتل الله، فقال الإمام: «الله يتّوفى الأنفُس حين موتها»^(٢)، فقال اللعين: بك جرأة لجوابي وفيك بقية للردّ علىّ، اذهبوا فاضربوا عنقه، فتعلقت به زينب وقالت: يا بن زياد، حسبك من دمائنا، وقالت: والله لا أفارقه فإن قتله

(١) ترجم المؤلف السجّاعة قوله: «ابن زن وابن همه دليري» فالظاهر أنه هو الذي صحفها إلى سجّاعة وليس الناسخ.

(٢) الزمر: ٤٢.

فاقتني معه، وبقي ابن زياد ساعة يمددق في المشهد ثم قال: عجبًا للرحم، والله إني لأظنها ودّت أني قتلتها معه، دعوه فإني أراه لما به.

وأمر في اليوم الثاني أن يحمل رأس الحسين عليه السلام على رأس رمح ويطاف به في شوارع الكوفة وأزقتها، فاجتمع من الناس لمشاهدة الرأس ما يزيد على المائة ألف. روي عن زيد بن أرقم أنه قال: رأيت رأس الحسين على سنان الرمح و كنت في سارة لي جالساً، فرأيت الرأس مقبلين به من بعيد، ولما دنى متى رأيت شفتيه يتحرّكان وسمعته يقرأ هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرِّيقَمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(١) ففقت شعري فصحت: ورأسك يابن رسول الله أعجب.

ثم إن عبد الله بن زياد لعنها الله أعطى الرأس إلى زجر بن قيس ومعه رؤوس الشهداء من الأصحاب وأهل البيت وقال: احملها إلى يزيد بن معاوية، ثم سير الإمام زين العابدين وأهل البيت إلى الشام وجعل عليهم شرّاً بن ذي الجوشن ومخفر بن ثعلبة ووضع الغل في عنق الإمام زين العابدين وغلوا يديه إلى عنقه فكان الإمام لا يفتئ في الطريق يتلو كتاب الله ويحمد الله ويشني عليه ويستغفر له ولم يكلّم واحداً من الأعداء قط إلا أهل بيته.

وقيل: إن يزيد لما وقعت عينه على أولئك اللعناء قال: قد كنت أقنع وأرضي من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما إني لو كنت صاحبه لعفوت عنه.

وحملوا أهل البيت والإمام السجاد على رواحل منهم لأنّ القوم انتبهوا ثقلهم فلم يتركوا عندهم شيئاً، ولما وصلوا إلى يزيد رفع مخفر صوته منادياً: هذا مخفر بن ثعلبة أقى أمير المؤمنين باللثام الفجرة. فقال الإمام عليه السلام: ما ولدت أمّ مخفر أشر وألأم، وكان اللعناء يخشنون من قبائل العرب أن تهيج عليهم والرأس معهم

فيستلبوهه منهم، فلم يسلكوا الطريق الأعظم وإنما تتكبّوا الطراق حذار من ذلك، فوصلوا إلى قبيلة وطلبوهه منهم علفاً لدواهم وقالوا: معنا رؤوس المخوارج نحملها إلى الأمير، وهكذا ساروا بهذه الحجّة حتى بلغوا بعلبك، فأمر القاسم بن الربيع عامل البلد بتزيينه وحملوا الرأس إلى البلد مع آلاف الدفوف والطبول والمزامير والشبابات، ولما علموا بأنَّ الرأس رأس الحسين خرج ما يقرب من نصف البلد وأحرقو الأعلام ومعالم الزينة والفرح، وقامت الفتنة أياماً على ساقٍ في البلد، وهرب الذين معهم الرأس من البلد سراً.

ووصلوا إلى أول بلد من بلاد الشام وكان الوالي عليه الملعون نصر بن عتبة، فأظهر الفرح والاستبشران وزين البلد وقضى الليل كلَّه بالرقص والغناء، فخرجت سحابة سوداء أرعدت وأبرقت وأحرقت معالم الزينة كلَّها، فقال عمر بن سعد وشم لعنها الله: هؤلاء قوم أهل نحس وشُؤم فخرجوا منهم إلى ميتافارقين فاختصم كبار البلد بينهم كلَّ واحد يريد دخول الرأس من بابه لأنَّه عاقدُ الزينة فرحاً به، فوقع بينهم قتال، وقتل الآلاف من الطرفين، فبقي كلاب الكوفة هناك عشرة أيام، ومن هناك انتقلوا إلى نصبيين.

قال منصور بن الياس: رفعوا أكثر من ألف علم استقبالاً لرأس الحسين، وكان رأس الحسين معه فأراد أن يدخل البلد فتقهقر حصانه فأقبلوا بعده أفراس له فلم تتقدِّم، فبينما هم كذلك إذ وقع رأس الحسين من أعلى الرمح وكان إبراهيم الموصلي في القوم^(١) فاحتاط للرأس لأنَّه عرفه رأس الحسين فلام الناس وقتلهم الشاميون فأخرجوا الرأس خارج حدود البلد وراحوا ينثرون المال على الناس بحيث يعسر

(١) لست أدري عن إبراهيم الموصلي هذا شيئاً، فإن كان هو المغني أيام الهادي والمهدى والرشيد فإنَّها طامة كبيرة أن يروي المؤلف رواية تخالف العقل والتقليل.

شرح ذلك فارتفع في اليوم الثالث تراب وغبار حتى اسودّت الآفاق فباء بهم ظن الناس وقالوا: إن بقيت هاهنا قتلناكم فخرجو منهم إلى مدينة «شبديز» فتعاهد الناس فيما بينهم أن لا يعطوهم مؤنة لهم ولا لدوائهم، وإن اضطربتهم الحال إلى القتال قاتلواهم.

ولما علم الكوفيون بواقع الحال هربوا ليلاً فتعقبهم أهل البلد يلعنونهم ويسبّونهم حتى بلغوا حافة الفرات فساروا على الشاطئ وقطعوا قرية قريه حتى دنوا من دمشق أربعة فراسخ فكان الناس يقدمون لهم التشار والهدايا وظلوا على باب المدينة ثلاثة أيام حتى يزوروا البلد، فزيروه بكل ما عندهم من حلي ورياش وزينة إلى درجة لم يشاهدها بهذه الزينة قبل اليوم، وخرج ما يقرب من خمسين ألف ما بين رجل وامرأة والدفوف بأيديهم وأخرج أمراء القوم الطبول والковاسات والأبواق والدفوف وراحوا بالآلاف يرقصون نساءً ورجالاً على أصوات الدفوف والطبول والربابات وكان النساء قد اختضبن واكتحلن ولبسوا الحلي والحلل، وذلك يوم الأربعاء السادس عشر من ربيع الأول^(١).

ولما أشرقت الشمس أدخلوا الرؤوس إلى البلد ولم يصلوا إلى بيت يزيد إلا وقت الزوال لكثرة الناس، وكان يزيد لعنه الله قد اعتلى عرشه وهو «تحت مرصع» وزين القصر والمجلس بأنواع الزينات ووضع كراسي الذهب والفضة عن اليمين وعن الشمال، وخرج الحجاج وأدخلوا اللعناء الذين رافقوا الرؤوس فسألهم يزيد لعنه الله فقالوا: أنقذنا دولة الأمير من تدمير آل أبي تراب، وقصوا عليه قام

(١) والآن لنا أن نسأل المؤلف إن كانوا في هذا الوقت ما يزالون في الطريق فمتي رجعوا إلى كربلاء وحضروا الأربعين الحسين في العشرين من صفر لست أدرى ولبيت المؤلف أشار إلى اختلاف هذا القول مع أقوال المؤرخين.

الحكاية، ووضعوا بين يديه رؤوس أولاد النبي ﷺ.

وما كان بقدور أحد من الناس أن يسلم على أهل البيت هذه المدة التي هي عبارة عن ست وستين يوماً وهم بأيدي الكافرين، إلى أن انبى للإمام زين العابدين شيخ وقال له : الحمد لله الذي قتلوك، فقال له الإمام زين العابدين : هل قرأت القرآن يا شيخ ؟ فقال : نعم قرأته. قال : قرأت قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَنِيهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوْدَةُ فِي الْفُزُبِ﴾^(١) قال : نحن القربي، ﴿وَآتِ ذَا الْفُزُبَ حَقَّهُ﴾^(٢) نحن القربي، ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣) نزلت فينا، فاستحيا الشيخ وسكت وقال : اللهم إني أبرا إليك من أعداء آل محمد ومن قتل أهل بيت محمد. قال : ما زلت أقرأ القرآن إلى اليوم ولا أفهمه.

وأقبل الحجاج ليأخذوا الرؤوس وقد وضعوا رأس الحسين عليه السلام في طشت من الذهب، فوضعوه بين يدي يزيد وعرضوا باقي الرؤوس رأساً رأساً وهو يسأل : رأس من هذا ؟ فيخبره الملائكة عنه ويعرفونه به، وكان جماعة من المؤمنين في الحضور يبكون سرّاً، فعرف يزيد اللعنة الأمر، فقال :

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون الموت على التوائع

وغطى الطشت الذي فيه الرأس وكان ييد يزيد الكافر لعنه الله قضيب فرفع الغطاء عن الطشت وأخذ يضرب ثانيا الحسين ويردد أبياتاً تدلّ على كفره :

ليت أشياعي بدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لو رأه فاستهلا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشن

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

فعدلناه بسدر فاعتدل
منبني أحمد ما كان فعل
قد قتلنااليوم من أشياخهم
لست من خنادف إن لم أنتم
ثم أنسد من بعده :

علينا وهم كانوا أعنّ وأظلموا
حسين أراد الملك والملك دونه
نفلق هاماً من رجال أعزّة
ولئـا رأيت الود ليس بمنافع
عليـا وهم كانوا أعنّ وأظلموا ...
وإنـ كان يوماً ذاكواكب مظلاـماً
صبرـنا وكـان الصـبر مـتنا سـجـية
بـأسـيـافـنا يـفـرـين هـاماً وـمـعـصـماً
^(١)
^(٢)

وكان أخـو مـروـانـ بنـ الحـكمـ يـحيـيـ بنـ الحـكمـ منـ المؤـمنـينـ قالـ :

لهـامـ بـجـنـبـ الطـفـ أـدـنـىـ قـرـابـةـ
منـ اـبـنـ زـيـادـ العـبـدـ ذـيـ الحـسـبـ الـوـغـلـ
أـمـيـةـ أـمـتـ نـسـلـهاـ عـدـدـ الحـصـيـ

فـضـرـبـهـ يـزـيدـ اللـعـنـ بـيـدـهـ عـلـىـ صـدـرـهـ وـقـالـ :ـ اـسـكـتـ .ـ قـيـلـ :ـ خـرـجـ يـحـيـيـ مـنـ هـنـاـكـ
وـلـمـ بـرـهـ أـحـدـ بـعـدـ ذـلـكـ^(٣).

ثـمـ حـوـلـ وـجـهـ إـلـىـ إـلـمـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ وـقـالـ لـهـ :ـ يـابـنـ الحـسـيـنـ ،ـ أـبـوـكـ قـطـعـ رـحـيـ
وـجـهـ حـقـيـ وـنـازـعـنـيـ سـلـطـانـيـ ،ـ فـصـنـعـ اللهـ تـعـالـىـ مـاـ رـأـيـتـ ،ـ فـأـجـابـهـ إـلـمـ اـمـامـ عليـهـ السـلـامــ :ـ (ـمـاـ
أـصـابـ مـنـ مـصـيـبـةـ فـيـ الـأـرـضـ وـلـأـ فـيـ أـنـفـسـمـ إـلـأـ فـيـ كـتـابـ مـنـ قـبـلـ أـنـ ثـبـرـأـهـ إـنـ ذـلـكـ عـلـىـ اللهـ
يـسـيـرـ)ـ^(٤).

(١) الـبـيـتـ لـهـ وـزـنـ وـلـأـ لـفـاظـ وـلـأـ معـنـىـ وـصـبـ عـلـىـ إـصـلـاحـ فـيـ الـمـصـادـرـ الـتـيـ أـمـلـكـهـ وـأـنـقلـهـ فـيـ
الـهـامـشـ وـأـنـرـكـ الـحـكـمـ لـلـقـارـئـ :

كـذـلـكـ يـصـلـيـ بـحـرـ نـارـ غـشـمـ

يـعـشـ بـدـاءـ أوـ يـكـادـ صـنـيـعـاـ

(٢) كـلـ الـمـقـاتـلـ وـكـتـبـ التـارـيـخـ ذـكـرـتـ الـبـيـتـ الـأـوـلـ فـقـطـ .

(٣) بـلـ رـأـهـ كـثـيرـونـ وـحـكـاـيـتـهـ مـعـ الـحـسـنـ المـثـنـيـ فـيـ وـفـادـهـ عـلـىـ عـبـدـالـمـلـكـ بـنـ مـرـوـانـ وـمـاـ قـالـ لـهـ وـمـاـ
أـجـابـهـ بـهـ يـحـيـيـ بـنـ الـحـكـمـ مـشـهـورـةـ .

(٤) الـحـدـيدـ :ـ ٢ـ٢ـ .

والتفت يزيد إلى خالد ولده وقال: أردد عليه وakan الكافر غاية في الجهل، وأمر يزيد بعرض العائلة عليه، فلما رأى ما عليهم من الشباب المزقة الملهلة تألم (كذا) وقال: قبح الله ابن مرjanة لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا.

قالت فاطمة بنت الحسين: وكان إلى جانب يزيد شامي أحمر، فأقبل على يزيد وقال: هب لي هذه الجارية، وكان يقصدني. قالت فاطمة: فخفت وتعلقت بعمتي زينب، فقالت: لا تخافي فليس له ذلك ولا لأميره فتحن أهل بيته قد رفع الله عنّا ذلك ومن يستطيع أن يسترق أهل البيت فاطمأني جائساً.

ثم قالت زينب عليهما السلام: كذبت والله يا شامي ولو مت، ما ذاك لك ولا له، فغضب يزيد وقال: (بلى لو شئت لفعلت). قالت: إلا أن تخرج من ديننا وتدين بغير ديننا) فغضب يزيد وقال: إياتي تستقبلين جهراً بهذا، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك. فقالت زينب عليهما السلام: بدين الله ودين أبي وأخي اهتديت أنت وجدهك وأبوك إن كنت مسلماً. فقال يزيد لعن الله: كذبت يا عدو الله، فقالت زينب: أنت أمير تشم ظلاماً وتقهر بسلطانك، فكانه استحيا وسكت، وعاد الشامي يقول: هبني هذه الجارية، فحذفه بمحففة كانت بيده وقال: أغرب (وهب الله لك حتفاً قاضياً).

وكان في ذلك اليوم سفير ملك الروم المسئي بعبدا الشمس حاضراً، فقال: يا أمير، لي ستون عاماً أمتهن التجارة من القسطنطينية فجئت إلى المدينة ومعي عشرة أبراد ينتمي وعشرون سرر مسكنية وحملة ثقيلة من العنبر، وقدمت بها على النبي عليهما السلام وكان في بيته أم سلمة، فاستأذن لي أنس بن مالك فدخلت على النبي وقدمت له الهدايا فقبلها مني، وأسلمت، فسماني عبد الوهاب، ولكن كتمت إسلامي خوفاً من ملك الروم وكنت عند النبي عليهما السلام إذ أقبل الحسان فقبلتها رسول الله عليهما السلام وأجلسها في حجره واليوم يحملون لك رأس الحسين وقد أبنته عن جسده وتضرب ثناءها بقضيبك وهي مقبل رسول الله عليهما السلام، وفي ديارنا بحر فيه جزيرة في

تلك الجزيرة صومعة وفي تلك الصومعة أثر حافر الحمار الذي يقال بأن عيسى ركب ذات يوم، ونحن صغناه من الذهب ووضعناه في صندوق فكان سلاطين الروم وأمرائها وعامة الناس يحجّون في كلّ عام إلى ذلك الموضع ويطوفون حول تلك الصومعة ويكسون تلك الحوافر حريراً جديداً ويعمدون إلى الكسوة القدية يتقاسمونها قطعة، وبعدونها من أفضل التحف، وأنتم تقتلون أولاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

فقال يزيد: لقد نَفَضَ علينا عيشنا ثمْ أمر بضرب عنق عبد الوهاب، فنطّق عبد الوهاب بالشهادتين وأقرّ بنبوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإماماً الحسين عليه السلام ولعن يزيد وآبائه وأجداده ثم قتلواه.

وجاء زهير العراقي وقال: يا أمير، هبني هذه الجارية - وأشار إلى أم كلثوم - ومدّ يده على ملفعة السيدة، فقالت أم كلثوم بالعربية: قطعت يدك أبعد عنّا، فتعجبّ زهير من كلامها العربيّ وسأل: من أي القبيل هم؟! وكان يظنّ أنّهم من أسرى الروم، فقال الإمام زين العابدين: هذه بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنا ابن ابنته، وهو لاء الحرم بنات فاطمة بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخرج زهير من بينهم وقطع يده اليمني وعاد يمسك يده القطعية باليد الأخرى وهي تنطر دماً، وقال: يابنة رسول الله، اعف عنّي فقد استجاب الله دعاك واعتذر إليهم وخرج من هناك ولم يقع بعدها أحد على عين منه أو أثر.

قال سهل بن سعد الساعدي: حجّت في ذلك العام وزارت بيت المقدس في الشام فلما دخلت دمشق رأيت بلدًا كثير الفرح والفرح، ورأيت جماعة في المسجد يبيكون في الخفاء ويعزّي بعضهم البعض، فسألتهم: من أنتم؟! قالوا: نحن من موالي أهل البيت والليوم يُؤتى برأس الحسين إلى البلد.

قال سهل: فذهبت خارج البلد فرأيت من كثرة الناس وصهيل الخيل وصوت

الأبواق والطبول والковاسات والدفوف كأنَّ القيامة قد قامت، فلِمَّا وصلت السواد الأعظم رأيتهم قد أقبلوا بالرؤوس على أستنة الرماح فرأيت رأس العباس يتقدّم الرؤوس وورائه ركب المحرم، ورأيت رأس الحسين وعليه البهاء والعلمة ويشرق النور منه بلحية مدورة قد خالطها الشيب وقد خضبت بالosome، أدعج العينين، أزجَّ الحاجبين، واضح اللحيين، أقنى الأنف، مبتسمًا إلى السماء، شاحصًا ببصره نحو الأفق، والريح تلعب بلحيته يميناً وشمالًا كأنَّه على طبلة.

قال عمر بن المنذر الهمданى: ورأيت أم كلثوم تخالها فاطمة الزهراء وعليها إزار خلق وعلى وجهها نقاب، فدنوت منهم وحيثت الإمام زين العابدين وحيثتهم، فقالوا لي: أيها المؤمن، إنْ قدرت على شيء تدفعه إلى حامل الرأس ليقدمه فافعل فقد خزينا من شدة النظر إلينا، فأعطيت ذلك اللعين مائة درهم ليقدم رأس الحسين طبلة ويعيده عن العائلة.

وساروا هكذا حتى وصلوا إلى يزيد لعنه الله وكان يهوديًّا حاضرًا هناك، فقال: رأس من هذا؟ فقال: رأس رجل من العراق عربيٌّ خرج علىَّ، فأمرت عبد الله بن زياد بقتله، فقال: ابن من؟ قال: ابن عليٍّ من فاطمة بنت محمد عليهما السلام، فقال: يا من لا دين له ولا يقين، بيني وبين داود النبي سبعون ظهراً واليهود تأخذ تراب قدميٍّ تسجد عليه ولو كان لموسى خلف لعبدناه وأنتم قتلتم أبناء نبيكم محمد عليه السلام، وتدعون أنّكم أتباعه وأمّته. فقال يزيد: لو لا أنَّ النبي قال: من آذى ذمّيًّا فقد آذاني لأمرت بضرب عنقك، فقال اليهودي: ما أعظم صلك، أيخاصمك النبي من أجل يهودي ذميٍّ أفلًا يخاصمك من أجل ولده! فأمر يزيد بضرب عنق اليهودي، فتشهد اليهودي الشهادتين وأقرَّ بنبوة المصطفى عليه السلام وإمامته علىَّ والحسنين عليهما السلام ورفع رأس الحسين وقبله إلى أن قبضوا على يده وأخرجوه خارج البيت وقتلوه فيذهب شهيداً، وقال يزيد: إنه أسلم كي لا أقتله.

وقيل: إنَّ يزيد أمر زين العابدين بمصارعة ولده وبالغ بالإلحاد عليه، فقال الإمام ليزيد: أو غير هذا؟ قال يزيد: كيف؟ قال: تعطيني سكيناً وتعطيه سكيناً لكي يعرف من الأقوى؟ فقال يزيد: هيئات لن تلد الحياة إلا حية^(١)، ثم قال يزيد لزين العابدين عليه السلام: يابن الحسين، ما هو فضلكم على سائر قريش؟ فقال الإمام زين العابدين عليه السلام: نحن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومحظوظة الملائكة ومعدن التأويل والتنزيل من الدين، وقال الله تعالى: سلام على آل طه وياسين، يا وليك! لا يقاس صخر بن حرب بأبي طالب، ولا معاوية بعليّ بن أبي طالب، ولا أنت يابن هند بالحسين، ولا ابنك بعليّ بن الحسين.

وبقي الإمام زماناً عند يزيد في الشام وفي كل يوم يزداد ميل الناس إليه، وإلى عترة النبي وأهل بيته، وتأتي نساء الشام تعزّي نساء أهل البيت حتى أوشك ملك يزيد أن يتزلزل، فاستدعي الإمام وقال له: هل لك من حاجة؟ فقال الإمام: حاجتي أن تربني وجه أبي حتى أرده إلى جسده، قال: لقد فعلت، وكان قد صلب أربعين يوماً على منارة الجامع في دمشق وصلب الرؤوس الباقية على المساجد والأبواب وأحياناً على باب قصر يزيد. ثم قال: وادفع لي قاتل أبي لأقتضنه منه، فكان كل من أحضره يتصل من قتل الحسين، إلى أن وصلت التوبة إلى أحدهم، فقال: إنما قتل الحسين من فتح بيت المال على مصراعيه وأغدق العطاء على الجندي يعني بذلك يزيد هو الذي قتله، فاستحبوا ذلك اللعين وسكت.

وروى الرواة أنَّ يزيد أمر في اليوم الذي أحضره وعنه رأس الحسين عليه السلام بصنع فقاع (بضم الأول وتشديد القاف - المؤلف) وهو مسکر يصنع من الشعر ويستوي بالهندي «لوزه» وسقى جيشه منه، وكان محراً في الإسلام، فأباوه اللعين وصار

(١) لم تكن الحكاية مع الإمام زين العابدين بل مع أحد ولد الحسن أو عقيل وابنه خالد.

شرب الفقاع في ذلك اليوم سنة سنتها هذا اللعين.

قال الإمام الرضا عليه السلام: من رأى الفقاع فليعلن يزيد ومن تابعه و يصلّي على الحسين وأصحابه^(١).

إن المؤرخين تناهوا في ضبط وقائع عاشوراء للحسين وأصحابه عليهما السلام حتى بلغت المجلدات واجتازت قدرة كتاب كهذا الكتاب أن يستوعبها، ولكن وجدت من الضروري أن لا يخلو هذا الكتاب من ذكر الحسين وأصحابه عليهما السلام لاسيما المرائي والمدائح التينظمها الإنس والجن فيهم لكي لا يوجب السأم.

قيل: إن الإمام زين العابدين استاذن يزيد في خطبة أهل الشام يوم الجمعة، فلما كان يوم الجمعة أحضر يزيد لعنه الله خبيثاً لعيناً من أهل الشام وكان فصيحاً بليناً وقال: أصعد على المنبر وقل ما عرض لك وجري على لسانك من ثلب على والحسين والثناء على الشيفيين (لعنة الله)، فصعد ذلك الرجل المنبر وقال كل ما وسعه، فقال الإمام: ائذن لي حتى أخطب الناس، فندم اللعين وقال: كلام لا آذن لك، فألم الناس على يزيد إلحاحاً شديداً، فما قبل شفاعتهم، فقال ابنه معاوية: أبتاه وما يصنع هذا مع صغر سنه، دعه حتى نرى ما يقول، فقال: أنت لا تعرفون أهل هذا البيت، إنهم توارثوا العلم والفصاحة، إني أخشى أن تثور الفتنة وراء هذه الخطبة، وتحيق بنا ولتكن استكان للأمر ورضي أن يخطب.

فرق الإمام المنبر وقال:

الحمد لله الذي لا بدایة له، والدائم الذي لا نفاد له، والأول الذي لا أول

(١) عن الرضا عليه السلام قال: من نظر إلى الفقاع أو إلى الشطরنج فليذكر الحسين عليهما السلام وليلعلن يزيد وأل زيد يمحو الله عزّ وجلّ بذلك ذنبه ولو كانت كعدد النجوم. (بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٩، العوال: ٤١٥، مستدرك سفينة البحار ٥: ٤٠١ وغيرها).

لأولئك ، والآخر الذي لا مؤخر لآخريته ، والباقي بعد فناء الخلق قدر الليالي والأيام ، وقسم فيما بينهم الأقسام ، فتبارك الله الملك العلام .

وقال في كلامه : إنَّ الله أَعْطَانَا الْحَلَمَ وَالْعِلْمَ وَالشُّجَاعَةَ وَالسُّخَاءَ وَالْمُبْتَدَأَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنَا وَصَيْهُ وَمَنَا سَيِّدُ الشَّهَادَةِ وَجَعْفُرُ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَسَبَطَا هَذِهِ الْأُمَّةَ وَالْمَهْدِيُّ الَّذِي يَقْتُلُ الدِّجَالَ . أَيَّهَا النَّاسُ ، مِنْ عِرْفِيْ فَقَدْ عُرْفَيْ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا أَعْرَفُهُ بِحَسْبِيْ وَنَسْبِيْ ، أَنَا ابْنُ مَكَّهَ وَمِنِّي ، أَنَا ابْنُ زَمْرَ وَالصَّفَا ، أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ الرُّكْنَ بِأَطْرَافِ الرَّدَى ، أَنَا ابْنُ خَيْرِ مَنْ ائْتَزَرَ وَارْتَدَى ، أَنَا ابْنُ مَنْ طَافَ وَسَعَى ، أَنَا ابْنُ خَيْرِ مَنْ حَجَّ وَأَتَى ، أَنَا ابْنُ مَنْ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقصَى ، أَنَا ابْنُ مَنْ بَلَغَ بِهِ إِلَى سَدْرَةِ الْمَنْتَهَى ، أَنَا ابْنُ مَنْ دَنَى فَتَدَلَّ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، أَنَا ابْنُ مَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ الْجَلِيلَ مَا أَوْحَى ، أَنَا ابْنُ الْحَسَنِ الْقَتَلِيْ بَكْرِيَا ، أَنَا ابْنُ خَدِيجَةِ الْكَبْرِيَا ، أَنَا ابْنُ سَدْرَةِ الْمَنْتَهَى ، أَنَا ابْنُ شَجَرَةِ طَوْبِيَا ، أَنَا ابْنُ الْمَزْمَلِ بِالدَّمَاءِ ، أَنَا ابْنُ مَنْ بَكَى عَلَيْهِ الْجَنَّ في الظَّلَمَاءِ ، أَنَا ابْنُ مَنْ لَاحَ عَلَيْهِ الطَّيْورُ فِي الْهَوَاءِ .

فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعَ مِنْ خُطْبَتِهِ ارْتَفَعَتِ الضَّجَّةُ مِنِّ الْمَجْلِسِ وَبَكَى النَّاسُ بَكَاءً عَالِيًّا فَضَيَّعَ يَزِيدَ نَفْسَهُ وَزَعَقَ بِالْمَؤْذَنِ : أَدْنَ وَيَحْكَ ، فَقَامَ الْمَؤْذَنُ وَصَاحَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَقَالَ الْإِمَامُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَعُلُّ وَأَجَلٌ وَأَكْرَمُ مَمَّا أَخَافَ وَأَحْذَرُ .

فَلَمَّا قَالَ الْمَؤْذَنُ : أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ الْإِمَامُ : نَعَمْ أَشْهَدُ مَعَ كُلَّ شَاهِدٍ وَأَحْتَمَلَ عَلَى كُلَّ جَاحِدٍ ، أَلَا إِلَهٌ غَيْرُهُ وَلَا رَبٌّ سَوَاهُ .

فَلَمَّا قَالَ الْمَؤْذَنُ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، قَامَ الْإِمَامُ وَنَزَعَ عَمَامَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ وَقَالَ لِلْمَؤْذَنِ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ هَذَا إِلَّا مَا سَكَتَّ سَاعَةً ، وَاسْتَقْبَلَ يَزِيدَ لِعْنَهُ اللَّهُ بِوْجْهِهِ وَقَالَ : يَا يَزِيدَ ، هَذَا الرَّسُولُ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ جَدِّي أَمْ جَدُّكَ ؟ فَإِنْ قَلْتَ جَدِّي فَالنَّاسُ تَعْلَمُ بِأَنَّكَ كاذِبٌ فِي مَا تَدَعُّي ، وَإِنْ قَلْتَ جَدُّكَ فَلِمَّا ذُقْتَ أَبِي

مظلوماً من غير ذنب ونهيت ثقله وأسرت عياله، قال هذا وأهوى إلى جيبيه فشقة^(١) وأخذ يبكي وقال: أقسم بالله لو كان أحد في الدنيا جده رسول الله فهو أنا، فلما قتل هذا الرجل أبي بطل وساقنا كما تساق أسرى الروم؟! ثم قال: ويلك يا يزيد، تفعل هذا الفعل وتقول أشهد أنَّ محمداً رسول الله، وستقبل القبلة! ويلك لك يوم القيمة يوم يكون جدي وأبي خصميك. وهنا صاح يزيد بالمؤذن: أقم للصلوة، فتهامس الناس فيما بينهم فصلّى بعضهم وترك الصلاة آخرون، وتفرقوا من المسجد.

وأرسلت زينب عليها السلام إلى يزيد ليأذن لهم في إقامة العزاء على الحسين عليه السلام، فأذن لها يزيد وقال: خذوهם إلى دار المحجارة ليبيكوا هناك، فأقاموا العزاء سبعة أيام، فكان النساء يجتمعن عليهن في كل يوم واجتنز حدود المحرر والإحصار، وهي غضب الناس على يزيد فأرادوا الهجوم عليه وقتله في بيته، فجاءه مروان وقال: لا أرى بقاء أولاد الحسين وعياله وأهل بيته عندك إلا مضرًا بصلاحة ملكك فاعمل على ترحيلهم من الشام إلى المدينة، الله في ملكك لشلا يندثر بسبب هؤلاء العيال.

فاستدعي يزيد الإمام زين العابدين عليه السلام وأجلسه إلى جانبه وتفدّاه وتذلل له وأظهر الحزن على أبيه ليستميله وقال: لعن الله ابن مرجانة لو كنت صاحب أبيك لم أترك الأمر يصل بنا إلى هذا الحدّ، وإنّي أُلّي رغباتك كافية فاطلب متنى ما تشاء وسلني حاجاتك أقضها لك كلّها، ولكن نفذ القدر بما جرى، فإذا وصلت إلى المدينة فكابني بمحاجاتك وخلع عليه وأكرم النساء وزاد في إعزازهنّ. وقيل: إنَّ

(١) هذا لا يجوز تصوّره ولا تحلّ روایته لأنّه كذب محض على الإمام السجاد، والإمام لا يفعل هذا في مجلس يزيد لأسباب منها أنه خرق لحجاب شخصيته وهتك لحرمة ثورة أبيه.

أهل البيت ردوا كلّ ما تقدّم به يزيد إليهم .
وروي أنَّ أمَّ كلثوم أخت الحسين توفيت في دمشق الشام فاستدعي يزيد عمر ابن خالد القرشيّ وقيل النعيم بن بشير الأنباري وكان عمر رجلاً مؤمناً، وكان يكتم إيمانه واعتقاده، وأمره على ثلاثة رجال وقال له: أوصل هؤلاء الصبية والعبيال إلى المدينة وسر فيهم ليلاً لا نهاراً كيلاً تراهم، فإذا نزلت في منزل فكن بعيدة عنهم، فقبل عمر بن خالد شروط يزيد وأوصلهم إلى المدينة سالمين^(١) . ولما بلغوا المدينة استقبلتهم الرجال والنساء بالبكاء والعويل وأقاموا العزاء على الحسين زماناً ونظموا المراثي فيه فكانت قد بلغت مجلدين، منها قول الشافعي:

تألّوب همّي والفواد كثيـب
وممـا نفـي نومـي وشـيب لمـتي
فواكـبـدي من حـزن آلـ محمدـ
فمن مـبلغ عنـي الحـسين رسـالة
قتـيل بلا جـرم كـأنـ ثـيـابـه
فلـلسـيف إـعـوال ولـلـرـمـع رـأـة
تـزـلـلت الدـنـيـا لـآلـ محمدـ
وغـابت نـجـوم واقـشـعـرت كـواـكبـ
همـ شـفـاعـي يومـ حـشـريـ وـمـوقـفيـ
نـصـلـى عـلـى المـخـتـارـ منـ آلـ هـاشـمـ

(١) لم يذكر مرويهم في كربلاء والظاهر أنه لا يقول به والأدلة على إقامته ذكره.

الفصل السادس

استشهد مع الحسين عليه السلام ثانية عشر واحداً من أهل بيته؛ ستة لأمير المؤمنين عليه السلام وهم: العباس وعبد الله ومحمد وأبوبكر وجعفر وعثمان. أبوبكر وجعفر وعثمان لأم ولد، والعباس وعبد الله أمها ليلي بنت مسعود الثقفي وأبواها من شجعان العرب وصناديقهم، ولما ولدت ليلي لأمير المؤمنين عدداً من الأولاد سميت أم البنين^(١).

وعلى الأوسط وعبد الله الرضيع ولد الحسين، وأبوبكر وعبد الله والقاسم أولاد الحسن، ومن هؤلاء الثلاثة القاسم وعبد الله لم يبلغوا الحلم، ومحمد وعون ولد عبد الله بن الطيار بن أبي طالب من زينب أخت الحسين عليه السلام، وجعفر وعبد الرحمن ولد عقيل، وعبد الله وأبو عبدالله ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ومحمد بن سعيد بن عقيل بن أبي طالب، وهؤلاء كلهم دفنتوا عند رجلي الحسين عليه السلام إلا العباس السقا الذي دفن على شاطئ المنسنة حيث استشهد.

الفصل السابع

في خاتمة الكتاب الجلي

اعلم أنَّ من كان له رسوخ في الدين أو ثبات في الاعتقاد أو حظ من العقل أو

(١) فاين سيدتنا فاطمة بنت حرام الكلبية عليها السلام التي استشهد أولادها الأربع مع أخيهم الحسين في كربلا، وهي أم العباس عليها وعلى أولادها الصلاة والسلام، ولم أر إجماعاً يخرقه مؤلف لهذا الإجماع الذي خرقه هذا المؤلف. فأم البنين لا يكاد يجهلها أو يشك بوجودها أحد من الناس فما بال هذا الرجل!

تصديق بالقيامة أو الجنة والجحيم أو رجاء بالثواب أو خوف من العقاب أو معرفة بالتوحيد والعدل أو أدنى إرادة في أهل بيته العصمة والطهارة أو نصيب من الإسلام أو مطالعة للسير والتاريخ أو تعمق في معرفة الكتب أو أدنى توفيقاً من الله تعالى أو امتزجت دينية ذاته بالإنصاف يعلم أنَّ يزيد يستحق اللعنة وهو بريء من الإسلام كما أنَّ الإسلام بريء منه، وهو خالد في العذاب الأبدي والعقاب السرمدي وهو مأواه، وعند الشيعة لعنه مستحب بل هو من الواجبات والفرائض كالصلوة والصيام المكتوبتين، ولكنَّ هذا متغدر من أهل السنة وصعب عليهم لأنَّ يزيد عندهم خليفة شرعية فهو ولِيٌّ معاوية ومعاوية خليفة عمر وعثمان ونائبٍ مناها ومتولٍّ أمرهما وختارهما، وقد تمكَّن وتسلَّط من قبلهما على خلق الله.

يقال: إنَّ ملكاً من ملوك ما زندران سأله علوياً: أين استشهد الحسين وأصحابه وأهل بيته؟ فقال العلوي: في كربلاء، فقال الملك: أيها العلوي، إنَّ الحسين قُتل يوم السقيفة يوم بايعوا أبا بكر.

فقد روى المؤلف والمخالف عن ابن جرير الطبرى في أحد تصانيفه: إنَّ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لثمة في الإسلام مخالفة عليٍّ بن أبي طالب.

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ تقدَّم الشيوخ الثلاثة على العترة وتجزأُهم على العترة وغضبهم لحقوقهم على النهج المذكور هو الذي جرَّ الفساق والكافر عليهم ووجد المنافقين الأفَق مفتوحاً لنفاقهم وبقيت الشهب عالقة بين الناس على قطب الضلاله وقال ضعفاء الإسلام: لو لم يكن هذا مرخَّصًا فيه لم يفعله أصحاب الصدر الأوَّل من المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع رسول الله يوم عريشه وهم يصفون إلى نزول القرآن ويفقهون تأوileه من رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهو لا يمحضوا بقعة علمية وخلفية فقهية يدفعون بها الشبهة عن أنفسهم ولم يكن لهم من معرفة القرآن حظًّا ولا من التصديق به ثرة وإلا لعلموا أنَّ من آذى

أولاد الأوصياء وظلمهم فقد وقع الظلم على الأنبياء والأولياء مثل قابيل الذي قتل هابيل أخيه من قبل الأب والأم حسداً منه، وأولاد يعقوب حين رموا يوسف في غيابة الجبّ وباعوه كرّة أخرى بدراهيم معدودة، ومثل ذلك كنعان بن نوح وسائر بني إسرائيل الذين ظلم بعضهم البعض الآخر، وامرأنا نوح ولوط اللتان كفرا. والضرورة قاضية بأنّ هذا الغدر والظلم ليس على أساس من الإنسانية أو القرابة الأخوة: **﴿أَمْ يَخْسِدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾**^(١) فتبين أنّ هذا الظلم والقتل من أولاد المشركين الذين قصوا أعمارهم في طاعة اللات والعزى وصار الشرك بالنسبة إليهم نظير العادة والجبلة، أمكن وأولى وأحرى لاسيما وأنّ إسلامهم كان رهبة من سيف أمير المؤمنين أو رغبة في الخلافة والإمامية، كما وأنّهم وصلوا في الدنيا إلى غيایتهم **﴿أَذْهَبْنَا طَبَابِتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾**^(٢) والمؤرخون وجماعة ممّن خالطهم يعرفون هذا جيداً منهم ولكن فئة منهم نشأوا في رتب الصلاة وثبتوا على ذلك كما نشأوا على حب التقليد من اتباع طريقه الآباء والأجداد **﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾**^(٣) مع الانسياق وراء السواد الأعظم من الناس وهذا أيضاً علامة من الصلاة كما قال تعالى: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ حَكْمَ الْحَمِيمِ﴾**^(٤)، وقال تعالى: **﴿وَلَكُنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحُقُّ كَارِهُونَ﴾**^(٥)، أو أنّ الله تعالى خذلهم لأنّهم لم يعشوا إلى نور العقل: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَيْنَاهُمْ سُبُّنَا﴾**^(٦)، وقال تعالى: **﴿إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ﴾**

(١) النساء: ٥٤.

(٢) الأحقاف: ٢٠.

(٣) الزخرف: ٢٢.

(٤) المائدّة: ١٠٠.

(٥) الزخرف: ٧٨.

(٦) العنكبوت: ٦٩.

آمُنُوا بِرَبِّهِمْ وَبِزِنَاتِهِمْ هُدَىٰ^(١)، وهؤلاء يعلمون ويقرؤون ويسمعون ولكن لم يحالفهم التوفيق في الاعتقاد: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢). وطائفة موقفة مطمئنة قلوبهم بذكر الله وصارت صدورهم مرآة تعكس فيها الأشعة الربانية والأنوار الإلهية ﴿أَفَقَنْ شَرْخَ اللَّهِ صَدْرَهُ بِالإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾^(٣) حيث غاصوا بأفكارهم في عمق المأساة مما جرى على آل الرسول من غصب الحقوق الدينية والدنياوية واستخرجوا بأيدي الأدلة العقلية الأخلاق النفيسة الغالية والمحواهر الثمينة من أصداف الشرع. وعمدت أولًا إلى وضع هذا الكتاب بالفاظ مشكلة وعويبة لا يفهمها إلا العالمون، ولما نظرت في هذا الهدف وجدت الإفادة منه نزرة قليلة والاستفادة ضئيلة.

ثانياً: رأيت من الأصلح أن أجتنب هذه الخطة فأجري تعديلاً جذرياً للكتاب فأستبدل الواضحت بالعوبيصات والمبييات بالمعضلات لتعتم الفائدة دنيا العجم كلها ويشيع الكتاب ويشتهر في أكناف العالم وأطرافه. وأنفقت اثنى عشر عاماً من عمري على جمعه بتأويل الدلائل واستخراج البراهين على شباهات الخصوم، ولم تقصر هذه المدة عليه وحده بل حالفني الخط في أثناء تأليفه في هذا الزمن الطويل نسبياً أن أكتب كتاباً غيره سرت في تأليفها إلى جانب تأليفه، منها نقض معلم فخر الدين الرازي وقد أكملت منه إلى هذا اليوم مجلداً واحداً بالعربية مع السعي المضني والجهد التام، وقد نقضته كلمة فكلمة،

(١) الكهف: ١٣.

(٢) البقرة: ٦.

(٣) الزمر: ٢٢.

رحمكم الله وإيتانا وجميع المؤمنين والمؤمنات.

قد تمت هذه النسخة المسماة بـ «كامل البهائي في السقيفة» في سنة خمسة وسبعين وستمائة (٦٧٥) والحمد لله رب العالمين.

وفرغ من ترجمته إلى العربية محمد شعاع فاخر في ليل التاسع من شهر شعبان من عام ١٤٢٦ هجرية بعد صلاة المغرب والعشاء، والحمد لله أولاً وأخراً والصلاه على حبيبه المصطفى والله ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين على أعدائهم من الأولين والآخرين الذين جهلوا حقهم ولم يستطعوا بنورهم فضلوا وأضلوا.

المترجم: محمد شعاع فاخر

فهرس المحتويات

٣	الباب الثاني عشر: في فدك
٨	الفصل الأول في ردة عمر بن عبد العزيز فدكاً إلى محمد بن علي الباقي
٢٣	الفصل الثاني في أمور وضعها الخلفاء خلافاً لأمير المؤمنين وبني هاشم
٤٤	الفصل الثالث: في أن علينا لم يقدر على تبديل ما غيروا عن أصله لخوفه من أصحابه وترك محاربهم
٣٦	الفصل الرابع
٣٧	الفصل الخامس
٣٩	الفصل السادس: في مثالب بني نيم
٤٣	الفصل السابع
٤٤	الفصل الثامن
٥٣	الفصل التاسع
٥٦	الباب الثالث عشر: في حالات الرسول ﷺ وما يتبعه
٦٠	الباب الرابع عشر: في الغار وصاحبـه
٧٣	الباب الخامس عشر: في اختيار الإمام
٨٢	الباب السادس عشر: في صفات الإمام
٩٦	الباب السابع عشر: في إمامـة أبي بكر على عهد رسول الله ﷺ
١٠٢	الباب الثامن عشر: فوائد تليق بهذا الكتاب

١١٤	الباب التاسع عشر: في غلوبم في حب الصحابة
١٢١	الباب العشرون: في أسمائهم وصفاتهم
١٢٩	الباب الواحد والعشرون: في بعض فوائد كتاب الفتوح لأبي محمد أعلم الكوفي
١٤٠	الفصل الأول
١٤٣	الفصل الثاني
١٤٤	الفصل الثالث
١٤٦	الباب الثاني والعشرون: في موت الخلفاء وكيفية قتلهم عليهم ما يستحقون
١٤٨	الفصل الأول: في قتل عمر بن الخطاب
١٥٥	الفصل الثاني
١٥٨	الفصل الثالث: في خلافة عثمان
١٥٩	الباب الثالث والعشرون: في ذكر طرد عثمان (لعنه الله) بأذر الغفارى رحمة الله عليه
١٦١	فصل: في قتل عثمان بن عفان
١٦٤	الفصل الثاني: في ذكر بعض أحوال أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
١٦٦	الفصل الثالث: في قتل (شهادة) علي أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>
١٧٣	الباب الرابع والعشرون: في تعيين تاريخ أعمار الخلفاء الأربع
١٧٣	الفصل الأول
١٧٥	الفصل الثاني
١٧٦	الفصل الثالث
١٧٦	الفصل الرابع
١٧٦	الفصل الخامس
١٧٨	الفصل السادس
١٨٠	الفصل السابع
١٨٢	الفصل الثامن: في آتهما دفنا في موضع غصب

الفصل التاسع: في إسلام علي عليه السلام	١٨٥
الفصل العاشر	١٨٩
الفصل الحادي عشر: في بيان جانب من الواقع والمظالم التي أنزلوها في آل الرسول عليهما السلام	١٩٦
الباب الخامس والعشرون: في ذكر عائشة وطلحة والزبير على طريق الإيجاز	٢٠١
الفصل الأول: في بداية وقوع المحاربة بين أمير المؤمنين وبين الناكثين طلحة والزبير وعائشة	٢١٥
الفصل الثاني	٢٢١
الفصل الثالث: في بعض قصّة معاوية ويزيد	٢٢٩
الفصل الرابع: في أنَّ بنى أميّة لم يكونوا من قريش	٢٣٦
الفصل الخامس	٢٣٨
الفصل السادس: في فوائد ونكات وردت في كتاب مثالب بنى أميّة من كلام الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعيد إسماعيل بن علي السمان وهو من علماء أهل السنة، فنكتب ما هو من خلاصة كتابه ونواذه	٢٤٠
الباب السادس والعشرون: في عداد الأشرار من بنى أميّة	٢٥٨
الفصل الأول	٢٦٠
الباب السابع والعشرون: في أحوال معاوية بن مسافر الذي اشتهر بين الناس بمعاوية بن أبي سفيان بن حرب	٢٦٣
الفصل الأول: في ولادة	٢٦٣
الفصل الثاني: في ذكر الفرق الذين يختلفون فيه	٢٦٥
الفصل الثالث: في الآيات التي تدلّ على أنَّ معاوية واجب اللعن	٢٦٦
الفصل الرابع: في الأخبار التي تدلّ على أنَّ معاوية ملعون	٢٧١
الفصل الخامس: في ذكر الأصحاب الذين لم يشهدوا حرب صفين	٢٧٧

٢٩١	الفصل السادس: في إقرار أهل البغى بغيرهم
٢٩٥	الفصل السابع: في البدع التي أحدها معاوية
٣١٠	الفصل الثامن
٣١٢	الفصل التاسع: في أن معاوية أول من زور الكتب في الإسلام
٣١٩	الفصل العاشر: في إظهار إسلام معاوية
٣٢٤	الفصل الحادى عشر
٣٢٥	الفصل الثاني عشر: في خطبة ضرطة معاوية
٣٢٦	الفصل الثالث عشر: جلي في اشتقاد اسمه
٣٢٧	الفصل الرابع عشر: الجلي في وفات معاوية
٣٢٨	الفصل الخامس عشر: في سُم معاوية الحسن <small>عليه السلام</small>
٣٣٥	الفصل السادس عشر: قتل معاوية عائشة
٣٣٦	الفصل السابع عشر: في يزيد اللعين وقتلته للحسين <small>عليه السلام</small> وأصحابه
٣٣٨	الفصل الثامن عشر: الجلي في أهل الكوفة ودعوتهم للحسين <small>عليه السلام</small>
٣٤٣	الباب الثامن والعشرون: في خروج الحسين <small>عليه السلام</small> من مكة
٣٤٥	الفصل الأول: في نزول الحسين <small>عليه السلام</small> بكريلاء
٣٤٩	الفصل الثاني: في صفة الحرب
٣٥٢	الفصل الثالث: في توبية الحَرَّ بن يزيد الرياحي رحمة الله عليه
٣٥٢	الفصل الرابع: الجندي في مبدأ القتال إلى آخره
٣٥٦	الفصل الخامس: الجلي في أحوال رؤوسهم
٣٧٢	الفصل السادس
٣٧٢	الفصل السابع: في خاتمة الكتاب الجلي